

دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

نهاية الأثر

في

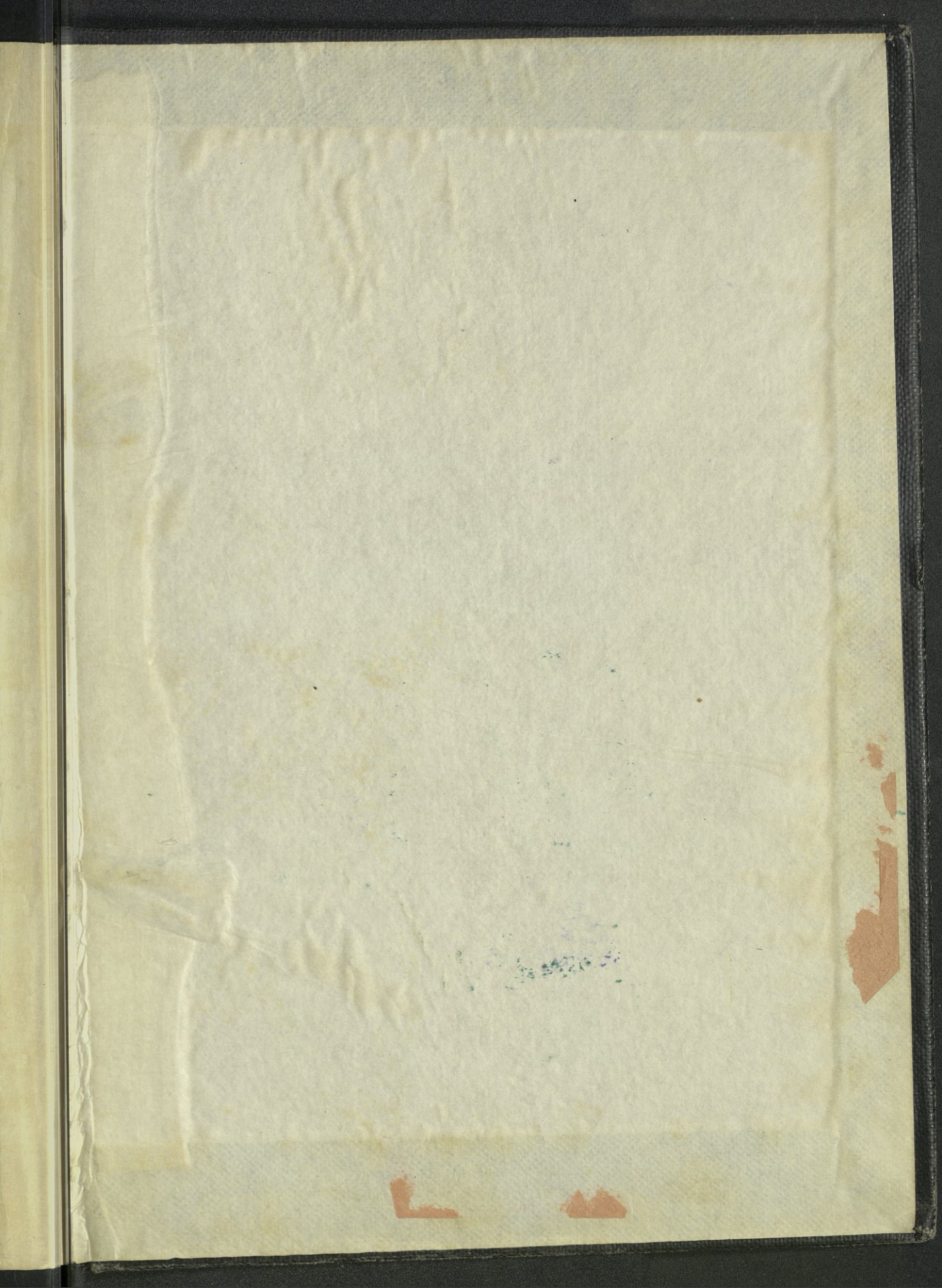
فنون الأثر

تأليف

شمس الدين محمد بن عبد الوهاب بن يوسف

السفر الثامن

03
N9
V.8
C1



كتاب الكفاية

المسألة الأولى

في بيان الآيات

في

مفرد الآيات

تأليف

ميرزا محمد باقر الخليلي

السفر الثامن

30892

المسألة الأولى

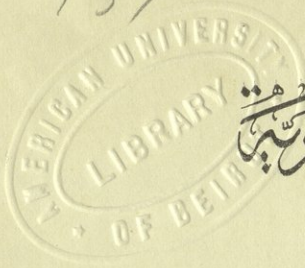
عن ميرزا محمد باقر الخليلي

1328

A

o
v
:

137



803918
N989na
v.8
c.1

دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

نهاية تراجم

في

فنون الأدب

تأليف

شهاب الدين محمد بن عبد الله بن النويري

السفر الثامن

59892

[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م

Cat. April 1946



مكتبة

جامعة بيروت

مكتبة

مكتبة

مكتبة

مكتبة

مكتبة

مكتبة

مكتبة

مكتبة

مكتبة

فهرست

السفر الثامن

من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري

صفحة	
١	ذكر نبذة من كلام القاضي الفاضل محي الدين أبي علي عبد الرحيم البيساني
	ذكر شيء من رسائل الإمام الفاضل ضياء الدين أبي العباس أحمد بن
	أبي عبد الله محمد بن عمر بن يوسف بن عمر بن عبد المنعم الأنصاري
٥١	القرطبي
١٠١	ذكر شيء من إنشاء المولى القاضي الفاضل محي الدين عبد الله بن عبد الظاهر
	ذكر شيء من إنشاء المولى الماجد علاء الدين علي بن فتح الدين محمد بن
١٢٦	محي الدين عبد الله بن عبد الظاهر
١٤٩	ذكر شيء من إنشاء المولى الفاضل تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد ايماني
١٦٣	ذكر شيء من الأبيات الداخلة في هذا الباب
	ومما يتصل بهذا الباب ويلتحق به ويحتاج الكاتب الى معرفته والأطلاع
١٦٦	عليه الحجة البالغة والأجوبة الدامغة
١٧٥	هفوات الأمجاد وكبوات الجياد
١٨١	ذكر شيء من الحكم
١٨٩	ومن الأبيات المناسبة لهذا الفصل
١٩١	ذكر كتابة الديوان وقلم التصرف وما يتصل بذلك
١٩٥	ذكر اشتقاق تسمية الديوان ولم سمي ديوانا ومن سماه بذلك
١٩٥	ذكر ما تفرع عن كتابة الديوان من أنواع الكتابات

صفحة

	ذکر مباشرة ديوان الجيش وسبب وضع الدواوين وأول من وضعها
١٩٦	في الإسلام
١٩٨	وأما دواوين الأموال
٢٠٠	ذکر ما يحتاج اليه كاتب الجيش
٢١٣	وأما مباشرة الخزانة
٢١٧	وأما مباشر بيت المال
٢١٩	وأما مباشر أهراء الغلال
٢٢١	ذکر مباشرة البيوت السلطانية: — فيحتاج مباشر الحوائج خاناه الى أمور ...
٢٢٤	وأما الشراب خاناه
٢٢٥	وأما الطشت خاناه
٢٢٦	وأما الفراش خاناه
٢٢٧	وأما السلاح خاناه
٢٢٨	ذکر جهات أموال الهلالى ووجوهها وما يحتاج اليه مباشروها ...
	ذکر الجزية الواجبة على أهل الذمة وما ورد فيها من الأحكام الشرعية الخ: —
٢٣٤	أما الأحكام الشرعية
	وأما ما اصطلح عليه كتاب التصرف في زماننا هذا من استخراجها وموضع
٢٤١	إيرادها في حساباتهم
٢٤١	وأما نسبتها في الإقطاعات الجيشية
٢٤٢	وأما ما يلزم مباشر الحوائج وما يحتاج الى عمله
٢٤٥	ذکر جهات الخراجى وأنواعه وما يحتاج اليه مباشرة
٢٤٦	أما الديار المصرية وأوضاعها وقوانينها وما جرت عليه قواعدها الخ
٢٥٥	وأما جهات الخراجى بالشام وكيفيةها وما يعتمد عليه مباشروها
٢٦١	ومن أبواب الخراجى الخ

صفحة	وأما ما يشترك فيه الملالي والخارجي ويختلف باختلاف أحواله : -
٢٦٢	أما المراعى
٢٦٢	وأما المصايد
٢٦٤	وأما الأحكار
	وأما أقصاب السكر ومعاصرها : - قاعدتها الكلية التي لا تكاد تختلف
٢٦٤	في الديار المصرية
٢٦٧	ذكر كيفية الاعتصار والطبخ وتقدير المتحصل
٢٧١	وأما أقصاب الشام
٢٧٣	ذكر أوضاع الحساب وما يسلكه المباشر ويعتمده فيها : - تعليق اليومية
٢٧٥	ذكر ما ينتج عن التعليق من الحسابات بعد المخازيم : - فأما الختم
٢٧٦	وأما التوالى : - توالى الغلال
٢٧٧	ولهم أيضا توالى يسمونها توالى الارتفاع
٢٧٨	ولهم أيضا توالى الاعتصار
٢٧٨	وأما الأعمال
٢٧٨	فأما أعمال الغلال والتقاوى
٢٧٨	وأما عمل الاعتصار
٢٨٠	وأما عمل المبيع
٢٨١	وأما عمل المتاع
٢٨١	وأما عمل الجوالى
٢٨٢	وأما عمل الخدم والجنائيات والتأدييات
٢٨٢	وأما السياقات
٢٨٣	فأما سياقة الأسرى والمعتقلين
٢٨٣	وأما سياقة الكراع
٢٨٤	وأما سياقة العلوفاة

صفحة	
٢٨٤	وأما سياقات الأصناف والزردخاناه والعدد والآلات والخزائن والبيمارستانات
٢٨٥	وأما الأرتفاع
٢٨٧	ومن أبواب المضاف ما يضاف بالقلم
٢٨٧	ومن وجوه المضاف الغربية الخ
٢٩٠	وأما الحواصل المدومة المساقاة بالأقلام
٢٩٢	وان انفصل الكتّاب أثناء السنة الخ
	ومما يلزم الكتّاب رفعه المحاسبات — : محاسبة أرباب النقود الجيشية
٢٩٣	والمكيلات الخ
٢٩٤	ومنها محاسبات أرباب الأجر والاستعمالات
٢٩٤	ومما يلزم الكتّاب رفعه ضريبة أصول الأموال ومضافاتها الخ
٢٩٦	ويلزمه رفع المؤامرات
٢٩٦	ويلزمه رفع ضريبة ما يستأدى من الحقوق
٢٩٧	ومما يلزمه رفعه في كل سنة تقدير الأرتفاع
٢٩٧	ويلزمه في كل ثلاث سنين رفع الكشوف الجيشية
٢٩٧	وأما المقترحات
	ذكر أرباب الوظائف وما يلزم كلا منهم مع حضور رفقتيه ومع غيبتهم
	وما يسترفعه كل مباشر عند مباشرته وما يلزمه عمله — : أما المشد
٢٩٨	أو المتوتّي
٢٩٩	وأما الناظر على ذلك
٣٠٠	وأما صاحب الديوان
٣٠٠	وأما مقابل الأستيفاء
٣٠١	وأما المستوفى
٣٠٤	وأما المشارف
٣٠٤	وأما الشاهد
٣٠٤	وأما العامل

بيان

ليس لدينا من نسخ هذا الجزء غير نسخة واحدة مأخوذة بالتصوير الشمسي ومحفوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٧٠ تاريخ، وهي المشار إليها في بعض حواشي هذا الجزء بحرف (أ)، وقطعتين من نسختين أُخريين أُخِدتا بالتصوير الشمسي وحُفظتا بدار الكتب المصرية: إحداهما تحت رقم ٤١٦ (معارف عامة)؛ وهي المشار إليها في بعض حواشي الجزء بحرف (ب) وتنتهي في السطر التاسع من صفحة ٦٩ من هذا الجزء؛ وقد نبهنا إلى موضع انتهاءها في حواشيه؛ والثانية تحت رقم ٥٥١ (معارف عامة)، وهي المشار إليها في بعض الحواشي بحرف (ج) وتبتدئ من السطر السادس من صفحة ١٠١ وتنتهي في السطر السادس من صفحة ١١٣ وقد نبهنا على موضع انتهاءها في الحواشي أيضا .

وليس التحريف في هاتين القطعتين بأقل منه في النسخة الأولى، فإن التحريف في جميع هذه الأصول يكاد يكون متفقا، كما يتبين ذلك مما كتبناه في بعض الحواشي إذ نقول: «في كلا الأصلين» أو «في كلتا النسختين كذا» وهو تحريف «أو تصحيف» .

وعلى كل حال فقد بذلنا ما نستطيع في إصلاح المحرف والمصحف من كلماته، وتكميل الناقص من جملته؛ وتحقيق أعلامه وضبطها، وضبط الملتبس من ألفاظه، وتفسير غريبه، وإيضاح الغامض من عباراته، وشرح ما أشكل من أبياته ونسبتها إلى قائلها، وشرح ما فيه من أسماء البلاد والأمكنة، والتنبيه على ما في هذا الجزء — ولا سيما في كتابة الديوان — من الكلمات العامية، والألفاظ الاصطلاحية التي لم ترد فيما لدينا من كتب اللغة، وبيان المراد منها؛ فإن المؤلف قد استعمل بعض

هذه الكلمات جريا على مصطلح كتاب الدواوين في استعمالها ؛ كما أننا لم ندع التنبيه أيضا على ما استعمله المؤلف في هذا الباب (أى كتابة الديوان) من مخالقات لغوية في صيغ الجموع وتعديّة الأفعال ، كأن يعدّى الفعل بنفسه ومقتضى اللغة أن يتعدّى بالحرف ، أو العكس ، أو أن يعدّيه بحرف واللغة تقتضى تعدّيته بحرف آخر ؛ وغير ذلك مما استعمله المؤلف متبعا فيه اصطلاح كتاب الدواوين في ذلك العهد ولم نجده في كتب اللغة التى بين أيدينا ؛ ولم نغير بعض هذه الاستعمالات ، بل أبقينا الأصل فيها على حاله لعلنا أنها ترد كثيرا في عبارات كتاب الدواوين ، وأولنا ما استطاع تأويله منها .

أما الصعوبات التى صادفناها في تصحيح هذا الجزء فإننا لم نكد نجد صفحة من أصوله التى بين أيدينا خالية من عدّة كلمات وعبارات محرّفة أو مصحّفة غير مستقيمة المعنى ولا واضحة الغرض ، يحتاج إصلاحها إلى زمن طويل ، وبحث غير قليل ، وتحفّظ من الخطأ ، وحسن اختيار في المحو والإثبات ، وتفهم لما يقتضيه السياق من المعانى والأغراض ، ومعرفة بأساليب الكتاب ومصطلحاتهم فى كل عصر ، ليكون المحو والإثبات تابعين لما تقتضيه هذه الأساليب وتلك المصطلحات وخبرة بالكتب وأغراضها ، ومكان الفائدة منها ، لئلا يضيع الزمن فى البحث عنها وتصفّح جملتها .

أما طريقتنا فى التصحيح فقد تكّأ نقف بالكلمة المحرّفة أو العبارة المغلقة فنحملها على ما استطاع حملها عليه من المعانى ، ونقلبها على ما تحتمله من الوجوه ، ونقرأ مادة الكلمة فيما لدينا من كتب اللغة ، ونرجع إلى ما نعرفه من مظانها ، فإذا لم يستقم المعنى بعد ذلك قلبنا حروفها بين التحوير والتغيير ، والتقديم والتأخير ، والحذف والزيادة ،

والإعجام والإهمال ، حتى يستقيم المعنى ويظهر الغرض ، منبهين في الحواشي على ما كان في الأصل من حروف هذا اللفظ ووجه اختيار غيره وإثباته مكانه .

وقد تمّ طبع هذا الجزء في عهد المدير الحازم ، والمرتبّي الفاضل ، الأستاذ
 ”محمد أسعد براده بك“ مدير دار الكتب المصرية .

فلا يسعنا في هذا المقام إلا أن نشكره الشكر الجزيل على ما بذله وبيّذله من
 العناية الصادقة بهذه الكتب ، وما يسديه إلى مصححيها من الإرشادات القويمة ،
 والآراء السديدة .

كما لا يفوتنا أن نثني الثناء الجميل على حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ ”السيد
 محمد البيلالوي“ مراقب إحياء الآداب العربية على حسن معاونته بما لديه من
 المعلومات الواسعة عن الكتب وأغراضها ، والبحوث ومطابقتها . ونسأل الله سبحانه
 حسن المعونة والتوفيق في العمل .

مصححه

أحمد الزين

أسماء أهم الكتب والمصادر التي رجعنا إليها في تصحيح

هذا الجزء

وهي مرتبة على حروف المعجم ومبين فيها ما هو مطبوع في غير مصر وما هو مخطوط

أو مأخوذ بالتصوير الشمسي، ورقمه في دار الكتب المصرية

أساس البلاغة، لـ جـ ر الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري .

الأغاني، لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني .

إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، وهو معجم الأدباء لأبي عبد الله ياقوت

الرومي الحموي .

أعيان العصر وأعوان النصر، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي المأخوذ

منه بالتصوير الشمسي بعض أجزاء محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٠٩١

تاريخ .

الأمالي، لأبي علي القالي .

الإرشاد الشافي على متن الكافي في العروض والقوافي، وهو الحاشية الكبرى

لسيد محمد الدمنهوري .

أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد، لسعيد الخوري الشرتوني اللبناني .

إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لشهاب الدين أحمد بن محمد الخطيب

القسطلاني .

إخبار العلماء بأخبار الحكماء، للوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف

القفطي، طبع أوروبا .

- الأحكام السلطانية، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب المعروف بالماوردي
 طبع أوروبا ومصر .
- الأوائل ، لأبي هلال العسكري، المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب
 المصرية تحت رقم ٢٧٠٥ تاريخ .
- الأطعمة المعتادة، المأخوذ منه بالتصوير الشمسي نسخة محفوظة بدار الكتب
 المصرية تحت رقم ٥١ علوم معاشية؛ ولم يُعلم مؤلفه .
- بدائع الزهور في وقائع الدهور، المشهور بتاريخ مصر، لمحمد بن أحمد المعروف
 بابن إياس المصري .
- تاريخ العيني ، المسمى بعقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، للمافظ بدر الدين
 محمود، المعروف بالعيني المأخوذ منه بالتصوير الشمسي نسخة محفوظة بدار الكتب
 المصرية تحت رقم ١٥٨٤ تاريخ .
- تاج العروس، وهو شرح القاموس، لمحب الدين السيد محمد مرتضى الحسيني
 الواسطي الزبيدي .
- تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر اسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي .
- التذكرة الصفدية، لصالح الدين خليل بن أبيك الصفدي، المحفوظ منها بدار
 الكتب المصرية بعض أجزاء مخطوطة تحت رقم ٤٢٠ أدب .
- تاريخ أبي الفداء، وهو المختصر في أخبار البشر، للملك المؤيد أبي الفداء،
 المعروف بصاحب حماة .
- تاريخ ابن الأثير، وهو المسمى بالكامل، لغز الدين علي بن أبي الكرم المعروف
 بابن الأثير الجزري، طبع ليدن .
- تاريخ الأمم والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، طبع أوروبا .

تمام المتون شرح رسالة ابن زيدون ، لصالح الدين خليل بن أيك
الصفدى ، طبع بغداد .

التحفة السنية في أسماء البلاد المصرية ، لشرف الدين يحيى المعروف بابن
الجيغان .

الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر
السيوطي .

الجامع لديوان الأدب ، في اللغة ، المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب
المصرية تحت رقم ٢٥ لغة تأليف أبي ابراهيم اسحاق بن ابراهيم الفارابي .
حاشية الخضرى ، على شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك .
حاشية الصبان ، على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك .

الحاوى الكبير، في الفقه ، لأبي الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى المعروف
بالموردي ، المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٢ فقه
شافعى .

خريدة القصر وجريدة أهل العصر ، للوزير أبي عبد الله محمد بن محمد بن
أبي الرجاء الكاتب الأصبهاني . وهذا الكتاب مأخوذ منه بالتصوير الشمسى بعض
أجزاء محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٢٥٥ أدب .

الخراج ، ليحيى بن آدم بن سليمان القرشى .

الخراج ، لأبي يوسف يعقوب صاحب الإمام أبي حنيفة .

خطط المقرئى ، وهو المسمى بالمواعظ والأعتبار في ذكر الخطط والآثار .

ديوان الشريف الرضى .

ديوان جرير .

ديوان الحماسة ، لأبي تمام حبيب بن أوس الطائى .

- ديوان أبي الطيب المتنبي .
 دائرة المعارف، للبستاني .
 درة الغواص في أوام الخواص ، تأليف أبي محمد القاسم بن علي الحريري .
 الروضتين في أخبار الدولتين ، لشهاب الدين أبي شامة المقدسي .
 روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، للسيد محمود بن عبد الله الألويسي البغدادي .
 زهر الآداب وثمر الألباب ، لأبي اسحاق ابراهيم بن علي المعروف بالحصري القيرواني .
 سقط الزند ، لأبي العلاء المعري .
 سيرة ابن هشام ، وهو عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري .
 شرح العيون ، شرح رسالة ابن زيدون ، لجمال الدين أبي بكر محمد بن محمد المعروف بابن نباتة المصري .
 شرح التنوير على سقط الزند ، لأبي يعقوب يوسف بن طاهر النحوي .
 شرح ديوان أبي تمام حبيب بن أوس الطائي ، لأبي زكريا يحيى بن علي المعروف بالخطيب التبريزي ، وهذا الكتاب محفوظة منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٠٥ أدب ش .
 شرح حماسة أبي تمام ، لأبي زكريا يحيى بن علي المعروف بالخطيب التبريزي .
 شرح ديوان أبي الطيب المتنبي ، وهو المسمى بالتيان لأبي البقاء عبد الله بن الحسين المعروف بالعكبري .
 شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل ، لشهاب الدين الخفاجي .

شرح كافية ابن الحاجب في النحو ، لرضي الدين محمد بن الحسن الإسترابادي
النحوي .

صبح الأعشى في كتابة الإنشا ، لشهاب الدين القلقشندي .

صحيح البخارى .

الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد ، لجمال الدين
أبى الفضل الإدقوى .

طبقات الشعراء ، تأليف أبى عبدالله محمد بن سلام الجمحى البصرى ، طبع أوربا .

الطبقات الكبرى ، لأبى عبد الله محمد بن سعد كاتب الواقدى طبع أوربا .

عيون الأخبار ، لأبى محمد عبد الله بن مسلم المعروف بابن قتبية الدينورى .

العقد الفريد ، لأحمد بن محمد بن عبد ربه القرطبى .

الفاضل من كلام القاضى الفاضل ، اختيار جمال الدين أبى بكر المعروف
بابن نباتة المصرى ، وهذا الكتاب مأخوذة منه نسخة بالتصوير الشمسى محفوظة
بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٨٨٢ أدب .

القاموس ، لمجد الدين الفيروزابادى .

قوانين الدولوين ، للأسعد بن ممتى .

لسان العرب ، لأبى الفضل جمال الدين المعروف بابن منظور الإفريقى المصرى .

لزوم ما لا يلزم ، لأبى العلاء المعزى .

مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ، لشهاب الدين المعروف بابن فضل الله
العمرى القرشى ، وهذا الكتاب مأخوذة منه نسخة بالتصوير الشمسى محفوظة
بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٦٨ تاريخ .

مغنى اللبيب ، لجمال الدين بن هشام الأنصارى .

(س)

أسماء أهم الكتب والمصادر

- ملخص تاريخ الخوارج، للشيخ محمد شريف سليم .
- المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، لأبي المحاسن جمال الدين المعروف بابن تغري بردى وهذا الكتاب محفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١١٣ تاريخ .
- المصباح المنير، لأحمد بن محمد المقرئ الفيومي .
- المغرب في ترتيب المغرب، لأبي الفتح ناصر بن عبد السيد المطرزي .
- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني .
- المستطرف في كل فن مستظرف، لشهاب الدين أحمد الأبهسي .
- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، لأبي الفتح عبد الرحيم العباسي .
- معيد النعم ومبيد النقم، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، طبع أوروبا .
- المعزب والدخيل، للشيخ مصطفى المدني، المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦٤ لغة .
- المعزب من الكلام الأعجمي، لأبي منصور موهوب المشهور بالحواليقي، طبع أوروبا .
- معجم البلدان، لياقوت، طبع أوروبا .
- مقدمة ابن خلدون .
- المعجم الفارسي الإنجليزي، تأليف ستاين جاس .
- مفاتيح العلوم، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الخوارزمي، طبع أوروبا .

مناقب الليث بن سعد، للحافظ أبي الفضل شهاب الدين أحمد الشهير بابن حجر

العسقلاني .

المختصص، في اللغة، لأبي الحسن علي بن اسماعيل المعروف بابن سيده .

مفردات الأدوية والأغذية، لضياء الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد الأندلسي

المعروف بابن البيطار .

نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري .

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، للأمير أبي المحاسن جمال الدين

المعروف بابن تغري بردى المأخوذ منه نسخة بالتصوير الشمسي محفوظة بدار الكتب

المصرية تحت رقم ١٣٤٣ تاريخ .

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لشمس الدين المعروف بابن خلكان .

يتمية الدهر في شعراء أهل العصر، لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي

النيسابوري .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ذكر نبذة من كلام القاضي الفاضل

الأسعد محي الدين

أبي عليّ عبد الرحيم ابن القاضي الأشرف [أبي المجد عليّ] ^(١) بن الحسين بن الحسين ^(٢) ابن أحمد اللخميّ الكاتب المعروف بالبيسانيّ - رحمه الله تعالى - إليه انتهت صناعة الإنشاء ووقفّت ، وبفضله أقرت أبناء البيان واعترفت ، ومن بحر علمه رويت ذووالفضائل واعترفت ؛ وأمام فضله ألت البلاغة عصاها ، وبين يديه ^(٣) استقرت بها نواها ؛ فهو كاتب الشرق والغرب في زمانه وعصره ، وناشر ألوية الفضل في مصره وغير مصره ؛ ورافع علم البيان لا محالة ، والفاصل بغير إطاله ؛ وقد أنصف بعض الكتاب فيه ، ونطق من تفضيله بملء فيه ؛ حيث قال :

(١) التكملة عن كتاب الروضتين في أخبار الدولتين لشهاب الدين المقدسي ج ٢ ص ٢٤٢ طبع مطبعة وادى النيل . وفي (ب) : «أبي الحسين» بدل «أبي المجد» . وفي وفيات الأعيان ترجمة القاضي الفاضل زيادة في هذا النسب لم ترد في الأصل ولا في الروضتين ؛ وهذا نص عبارته : « ابن القاضي الأشرف بهاء الدين أبي المجد عليّ بن القاضي السعيد أبي محمد محمد بن الحسن » الخ . وكذلك ورد نسب القاضي الفاضل مشتتلا على هذه الزيادة في عقد الجمان للعيني المأخوذ منه نسخة بالتصوير الشمسي محفوظة بدارالكتب المصرية تحت رقم ١٥٨٤ تاريخ .

(٢) في (١) : «أبي» ؛ وهو تحريف .

(٣) يشير بهاتين العبارتين إلى قول معقر بن حمار البارقي ؛ وقيل : الطرماح بن حكيم :

فألت عصاها واستقرت بها النوى كما قرّ عيننا بالإياب المسافر

انظر تاج العروس مادة «نوى» .

كُلُّ فَاضِلٍ بَعْدَ الْفَاضِلِ فَضْلُهُ ، وَكُلُّ قَدْ عَرَفَ لَهُ فَضْلُهُ ، وَاسْتَقْفَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ
 مِنْ كَلَامِهِ عَلَى السَّحْرِ الْحَلَالِ ، فَيُتْرَوِي صَدَاكَ مِنْ أَلْفَاظِهِ بِالْعَذْبِ الرَّزَالِ ؛ فَمِنْ ذَلِكَ
 قَوْلُهُ : وَأَفِينَا قَلْعَةَ نَجِيمٍ ^(١) [وَهِيَ نَجْمٌ] فِي سَحَابٍ ، وَعُقَابٌ فِي عِقَابٍ ؛ وَهَامَةٌ لَهَا الْغَامَةُ ^(٢)
 عِمَامَةٌ ، وَأَمَلَةٌ إِذَا خَضِبَهَا الْأَصِيلُ كَانَ الْهَلَالُ لَهَا قَلَامَهُ ^(٣) .

- ٥ . وَمِنْ رَسَائِلِهِ مَا كَتَبَ بِهِ إِلَى النِّظَامِ أَمِيرِ حَلَبٍ : وَرَدَ كِتَابُ الْمَجْلِسِ السَّامِيِّ -
 حَرَسَ اللَّهُ بِهِ نِظَامَ الْمَجْدِ [وَأُطْلِقَ فِيهِ لِسَانُ الْحَمْدِ] ، وَدَامَتْ مَسَاعِيهِ مَصَاحِفَةً لِيَدِ
 السَّعْدِ ، وَأَحْسَنَ لَهُ التَّنْدِيرَ فِي الْيَوْمِينَ : مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدٍ - فَمَرْحَبًا بِمَقْدَمِهِ ، وَأَهْلًا
 بِمَنْجَمِهِ ؛ وَالشُّوقُ تَخْتَلِفُ وَفُودُ صُرُوفِهِ ، وَتَنْتَوِعُ صُنُوفُ ضِيُوفِهِ ؛ فَلَا بَدَّ أَنْ تَتَبَعُضَ ^(٤)
 إِذَا تَبَعَّضْتَ الْمَسَافَاتِ ، وَتَبَرَّدَ وَتَحَمَّدَ إِذَا عَبَدتُ وَدَنْتِ الطَّرِيقَاتِ ؛ وَلَوْ بِمَقْدَارِ مَا يَدْنُو
 ١٠ . الْإِقْدَامُ عَلَى الرَّسُولِ السَّائِرِ ، بِالْكِتَابِ الصَّادِرِ ، وَالْخِيَالِ الزَّائِرِ ، بِالْحَبِيبِ الْعَازِرِ ، وَالنَّسِيمِ
 الْخَاطِرِ ، مِنْ رَسَائِلِ الْخَوَاطِرِ ؛ وَقَدْ وَجَدتُ عِنْدِي أَنْسَا لَا أَعْهَدُهُ ؛ وَعَدَدتُ تَقْصَ
 الْبُعْدِ أَحَدَ اللَّقَائِينَ ، كَمَا كُنْتُ أَعُدُّ زِيَادَةَ الْبُعْدِ أَحَدَ النَّأْيِينَ ؛ فزَادَهُ اللَّهُ مِنَ الْقُلُوبِ

(١) كذا وردت هذه العبارة في (١) ، (ب) ؛ والذي في كتاب الروضتين ج ١ ص ٢٣٩ « والشيوخ

الفيقيه قد شاهد ما يشهد به من كونها نجما في سحاب » الخ والشيوخ الفقيه هو زين الدين بن نجما الواعظ ؛

١٥ . والقلعة التي وصفها ، هي قلعة حصص ، كما ذكره صاحب الروضتين أيضا . وفي وفيات الأعيان ج ١

ص ٤٠٣ طبع بولاق أن هذه القلعة يقال إنها قلعة كوكب .

(٢) لم ترد هذه العبارة في (١) وقد أثبتناها عن (ب) .

(٣) العقاب بكسر العين : المراقى الصعبة من الجبال ، مفردة عقبة بفتح العين والقاف .

(٤) في الروضتين : « منها » .

٢٠ . (٥) في الأصل : « فقود » ؛ وهو تحريف .

(٦) عبديت : ذلت ومهدت . وفي كلا الأصلين : « عبديت » ؛ وهو غير مستقيم ؛ ولعل صوا

ما أثبتنا كما يقتضيه ما قبله وما بعده من الكلام .

حُظوه، ولا أخلاه من بسط يدٍ وقدمٍ في حظِّ وحُظوه^(١)، ووقفتُ على هذا الكتاب المشار إليه وما وقعتُ عنه لسانا شاكرا، ولا صرفتُ عنه طرفا ناظرا، وبلغتُ من ذلك جهدي وإن كان قاصرا، واستفرغتُ له خاطري وما أعدته اليوم خاطرا، ومما أسرَّ به أن يكون في الخدمة السلطانية - أعلاها الله ورفعها، ووصلها ولا قطعها، وألف عليها القلوبَ وجمعها، واستجاب فيها الأدعية وسمعها - من يكثر قليل، ويشفي في تقبيل الأرض غليل، فإن تقبيل سيدنا كتقبيل، فلو شرب صديقُ وأنا عطشانُ لأرواني، ولو آستضاء بلمعة في الشرق وأنا في الغرب لأراني؛ كما أت الصديق إذا مسَّته نعمةٌ وجب عنها شكرى، وإذا وصلت إليه يدٌ منعم وصلتنى وتغلغت إلى ولو كنت في قبرى .

ومنها : وأعود إلى جواب الكتاب، الأخبار لا تزال غامضة إلى أن يشرحها، ومقفلة إلى أن يفتحها، بخلاف حالى مع الناس، فإن القلوب لا تزال سالمة إلا أن يجرحها، والهجوم خفيفة إلا أن يرحمها؛ والحق من جهته ما تحقق، وما استنطق بشكرٍ من أنطق؛ وفي الخواطر في هذا الوقت موجود يجعلها [في] العدم، ويخرجها من الألم إلى الألم، ويعادى بين الألسنة والأسماع وبين العيون والقلم؛ وكلما قلت الحيلة المشكوك^(٣) في بُجِّحها، فتح الله باب الحيلة المطموح في فتحها؛ وهى من فضل الله سبحانه والاستجارة بالاستخاره، فتلك تجارة رابحة وكل تجارة لا تخلو من خساره؛ والله تعالى يجمع كلمة المسلمين على يد سلطاننا، ولا يُخلينا منه ومن [نبيه]^(٤) حتى زماننا، وشنوف إيماننا، ويسعدنا من أكارهم بتيجان رءوسنا، ومن أصاغرهم بخواتم إيماننا؛

(١) أراد بالحظوة هنا : التفضيل أو الحظ من الرزق . وبالتى قبلها : المكانة والمنزلة .

(٢) كذا في (ب) .

(٣) الألم بالتحريك : الجنون .

(٤) لم ترد هذه الكلمة في كلا الأصلين ؛ وقد أثبتناها من مسالك الأبصار .

ولو تفرغت العزيمة الفلانية لهذا الكلب العدو فترجم كلبه ، وتكف غربه ، وتديقه
وبال أمره ، وتطفئ شرار شره ، وتعجل له عاقبة خُسره ، فقد غاظ المسلمين
وعضهم ، وفلَّ جمعهم وفضهم ؛ وما وجد من يكفى فيه ويكفمه ، ويشفى الغليل
منه بما يشفه ؛ ولو جعل السلطان — عز نصره — غزو هذا الطاغية مغزاه ،
وبلاده مستقر عسكره ومثواه ، لأخذ الله الكافر بطغواه ؛ ولأبقى ذكرا ، وأجرى
في الصحيفة أجرا ؛ ولأطفأ الحقد الواقد ، بالحديد البارد ، وغنم المغنم البارد ، وسدد الله
ذلك العزم الصادر والسهم الصادر ؛ فلأبد أن يجرى سيدنا هذا الذكرا ، ولو لمأ أحسبه
أنا من الأجر ؛ وما أوردته المجلس عن فلان من صفو شره ، وأمن سره ؛ واستقراره
تحت الظل الظليل السلطاني — جعله الله سا ذئا ، وأحله منه حرما آمنا — ومن مُعافاته
في نفسه وولده وجماعته ، وأهل ولائه وولايته ، فقد شكرت له هذه البشرية ، وفرحت
بما يسر الله ذلك المولى له من اليسرى ؛ غير أنى أريد أن أسمع أخباره منه لا عنه
وبمباشرة لا باستنابته ، فلا عرفت مودته من المودات الكسالى ، ولا أقلامه
إلا بلبس السواد — على أنها مسرورة سارة لا تكالى ؛ واذا قنع صديقه منه
بفريضة حجية ، لا تؤدى إلا في ساعة حويله ، فإن يخل بها ذلك الكريم فقد آتخل
الآسم الآخر — أعاده الله منه ، وصرف عنه لفظه كما صرف معناه عنه ؛ وللوذة
عين لا يكحلها إذا رمدت إلا إثم مداد الصديق ، وما في الصبر وسع لصحبة أيام
العقوق بعد صحبة أيام العقيق ؛ وقد بلغنى أن ولد المذكور نزع وترعرع ، ونفع

(١) يشفه : يحزنه . (٢) المغزى : المقصد . (٣) الصادر من السهام : النافذ .

(٤) كذا في كلا الأصلين بالنون والزاى ؛ ولعله من قولهم : نزع فلان إلى أبيه ينزع بكسر الزاى

في المضارع ، أى ذهب اليه وأشبهه . أو هو من قولهم : نزع الى عمرك كريم . أو لعله : « برع » بالبا .
الموحدة والراء المهملة .

وأينع، وخَدَم في المجلس السلطاني، فسرت بأن تَجَمَّع في خدمته الأعقابُ والذَّرائِرُ؛
والله تعالى يحفظ علينا تلك الخدمةَ جميعاً، ولا يُعِدُّنا من يديها سخاباً ولا من جنابها
ربيعاً؛ وقد فتح سيِّدنا باباً من الأئسِّ ونهَجَه، وأوْثُرُ الأيُّرْتَجِهَه؛ بمكاتباته التي
يدُه فيها بيضاء، ويدُ الأيامِ عندى خضراء؛ بحيث لا يستوفى على الحساب، في كل
جواب؛ وأنا في هذه الأحوالِ أوْثُرُ العزلةِ وأبدأ فيها بلساني وقلمي، وأتوخَّى أن
أشبهه حالةَ وجودي بعدمي؛ فإنِّي أرى مَنْ تَحْتَهَا أرواحٌ من فوقها، ومن خرج منها
أحطى من أقام بها؛ وللوداتِ مَقْرُما هو إلا الألسنه، والقلوبُ قضاةٌ لا تحتاج
إلى يَدِّه .

وكتب [جواباً] ^(١) أيضاً إلى آخر وهو: وقفتُ على كتابِ الحضرة — يَسِّرَ اللهُ مَطالِبَها
وجَمَلَ عواقِبَها، وصَفَى من الأَكْدارِ مَشارِبَها، وحاطَ من غيرِ الأيامِ جوانِبَها، ووسَّعَ
في الخيراتِ سُبُلَها ومذاهِبَها، ووقاها ووقى ولَدَها، وأسعدَها وأسعدَ يومَها وغَدَها؛
وجمعَ الشَمَلَ بها قريبا، وأحدثَ لها في كلِّ حادثةٍ صُنعا غريبا — من يدِ الحضرة
الفلائيَّة — لا عَدِمَتْ يَدَها ومدَّها، وأدام اللهُ سَعَدَها — وشكرتُ اللهُ على [ما] ^(٢) دَلَّ عليه
هذا الكُتابُ من سلامةِ حوزَتِها، ودوامِ نَعْمَتِها؛ وسُبُوغِ كفايَتِها؛ وسألته سبحانه
أن يُصَحِّحَ جَسَمَها، ويُمَيِّطَ هَمِّي وهَمَّها؛ فُهَما هَمان لا يَتعلَقان إلا بخدمَةِ المَخْدوم —
أجارنا اللهُ فيهِ من كلِّ هم، وأجَرى بِتخصيصِهِ السَعَدَ الأَعْمَ، واللطفَ الأَثَمَ —
وعرفتُ ما أُنعمتُ بذكِره من المتجدِّداتِ بِحضرتِهِ، ومن الأمورِ الدالَّةِ على سعادته
وقُوَّتِهِ؛ ولِلأُمورِ أوائلٌ وأواخر، ومواردٌ ومصادر؛ فنسألُ اللهُ سبحانه أن يجعلَ

(١) لم ترد هذه الكلمة في (١) وقد أثبتناها عن (ب) .

(٢) في (١) : «على إِدل» بدون «ما»؛ والسياق يقتضى إثباتها، كما في (ب) .

(٣) حوزة الرجل : ما في حيزه .

العواقب لكم، والمصادر إليكم، والنعمة عندكم، والنصرة خاصةً بسطانكم، والكفاية مكتسفةً بجماعتكم^(١)؛ وقد قاربت الأمور بمشيئة الله أن تُسفر وجوهها، والخواطر أن يستروح مشدوهمها^(٢)، "إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ" وفي كلِّ أقدار الله الخيرة، وفي حكمته أنه جعل الخيرة محجوبةً تحت أستار الأقدار؛ وقد علم الله تقسّم فكرى لما هي عليه من المشقات المحمولة بالقلب والجسد، والأموال الحاضرة في اليوم والمستقبلة في غد؛ وهي في جانب الخير، والخير يعم الوكيل لصاحبه، ومن أصلح جانبه مع الله كان الله جديراً بإصلاح جانبه.

ومنه: وعليه السلام الطيب الذي لو مرّ بالبهيم لأشرق، أو بالهشيم لأورق؛ وكتبها الكريمة إن تأتحت فأموله، وإن وصلت فمقبوله؛ وإن أنابت بسار فمشهوره وإن أنابت بشر فستوره؛ وخادمها فلان يخدم مجلسها خدمة الخادم لمخدومه، ويكرّر التسليم على وجهه الكريم المحفوف من كلِّ قلب بحبه، ومن كلِّ سلام بتسليمه.

وكتب أيضاً: وصل كتاب الحضرة - وصل الله أيامها بجميد العواقب، وبلوغ المآرب، وصحبت الدهر [على خير ما صحبه صاحب]^(٣)، وأنهضنا بواجب طاعته، فإنه بالحقيقة الواجب وكلِّ واجب غيره غير واجب من يد فلان، فرجوت أن يكون طليعة للاقتراب، ومبشراً بالإياب، ومخبراً بعودها الذي هو كعود الشباب لو يعود الشباب؛ وأعلمني من سلامة جسمها، وقلبي من همها؛ ما شكرت الله عليه، وأستدمت العادة الجميلة منه، وسألته أن يوزعها شكر النعمة فيه؛ وعرفت الأحوال جملةً من كتابها، وكلها

(١) كذا في الأصول. ولم نقف فيما لدينا من كتب اللغة على أن «اكتف» يتعدى بالحرف؛ ولعله مضمّن معنى الإحاطة، فعذاه بالياء؛ أو لعله: «بجماعتكم» باللام.

(٢) المشدوه: المدهوش.

(٣) التكملة عن (ب) ومسالك الأبصار ج ٧ ورقة ٣٠٣ من النسخة المأخوذة بالتصوير الشمسي المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٦٨ تاريخ.

(٤) يوزعها: يلهمها.

تشهد بتوفيق سلطاننا، وبأيامه التي تعود بمشيئة الله بإصلاح شأنه وشأننا، والذي
مدّه ظلًا، يمدّه فضلًا؛ فالفضل الذي في يديه، في يد خلق الله الذي أحلهم في الرزق
عليه؛ فكيفما دعونا له دعونا لأنفسنا، وكيفما كانت أسنة رماحه فهي نجوم حرسنا،
فلا عدت أيامه التي هي أيام أعيادنا، ولا لياليه التي هي ليالي أعراسنا .

ومن أجوبته : ورد على الخادم — أدام الله أيام المجلس وصفًاها من
الأكدار، وأبق بها من تأثيراته أحسن الآثار، وأسمع منه وعنه أطيب الأخبار
وجعل التوفيق مقميا حيث أقام، وسائرًا أينما سار — كتابه الكريم، الصادر عن
القلب السليم، والطبع الكريم، والباطن الذي هو كالظاهر كلاهما المستقيم؛ ولا تزال
الأخبار عنا محججه، والأحاديث مستعجمه؛ والظنون مترجمه^(١)، والأقوال مسقمة^(٢)
ومصححه؛ إلى أن يرد كتابه فيحقق الحق ويبيط الباطل، ويتضح الحالى ويفتضح
العاطل؛ ويعرف الفرق ما بين تحرير قائل، وتحوير ناقل؛ فتدعوله الألسنة والقلوب
وتستغفر بحسناته الأيام من الذنوب؛ والشجاعة شجاعتان : شجاعة في القلب وشجاعة
في اللسان؛ وكتابهما لديه مجموع، ومنه وعنه مروى ومسموع؛ وذخائر الملوك هم
الرجال، وآراء الحزماء هي النصال، ومودات القلوب هي الأموال، ومجالس آرائهم
هي المعركة الأولى التي هي ربما أغنت عن معارك القتال؛ والله تعالى يمد المسلمين
به حال تجمعهم على جهاد الكفار، ويلهمهم أن يسئلوا في سبيله النفس والسيف
والدرهم والدينار؛ ويزيل ما في طريق المصالح من الموانع، ويفطم السيوف عن
الدماء الإسلامية ويحرم عليها المراضع؛ ويجعل للمجلس في ذلك اليد العليا، والطريقة
المثلى، ويجمع له بين خيرى الآخرة والأولى؛ والأحوال هاهنا بمصر مع بعد سلطانها

(١) المترجمة : المتذبذبة .

(٢) في الأصلين : « قائل » ؛ وهو تحريف .

وَتَمَادِي غَيْبَتِهِ عَنْ مَبَاشِرَةِ شَاهِبِهَا ، عَلَى مَا لَمْ يُشْهَدْ مِثْلَهُ فِي أَوْقَاتِ السُّكُونِ فَكَيْفَ فِي أَوْقَاتِ التَّفَاقُقِ ، عَلَى مَنْ يَحْفَظُ اللَّهَ بِهِ مِنْ فِي الْبِلَادِ مِنَ الْجُمُوعِ وَمَنْ فِي الطَّرِيقَاتِ مِنَ الرُّفَقِ ، وَالْأَمِيرُ الْوَلَدُ صَحِيحٌ فِي جَسْمِهِ وَعِزِّهِ ، مُتَصَرِّفٌ فِي مَصَالِحِهِ عَلَى عَادَتِهِ وَرِسْمِهِ ، جَعَلَهُ اللَّهُ نِعْمَ الْخَلْفَ الْمَسْعُودَ ، وَأَمْتَعَهُ بِظِلِّ الْمَجْلِسِ الْمَمْدُودِ ، فِي الْعُمُرِ الْمَمْدُودِ ، وَعَرَفَ الْخَلْدَ أَنْ الْمَجْلِسَ نَابَ عَنْهُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ يَجْلِسُ فَلَانٌ وَيَشْكُرُ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْ ذَلِكَ الْمَنَابِ ، وَيَسْتَرِيدُ مَا يَسْتَأْنِفُهُ مِنَ الْخَطَابِ ، وَالْبَيْتُ الْكَرِيمُ أَنَا فِي وِلَايَتِهِ وَخِدْمَتِهِ كَمَا قِيلَ :

إِنَّ قَلْبِي لَكُمْ لَكَالِكَيْدِ الْحَرِيِّ وَقَلْبِي لِغَيْرِكُمْ كَالْقَلُوبِ*

يَسْرَتِي أَنْ يَمُدَّ اللَّهُ ظَهْرَهُمْ ، وَأَنْ يَجْمَعَ شَمْلَهُمْ ، كَمَا يَسُوءُنِي أَنْ تَخْتَلَفَ آرَاؤُهُمْ وَلَا تَنْتَظِمَ أَهْوَاؤُهُمْ ، وَهَذَا الْمَوْلَى يَبْلُغُنِي أَنَّهُ سَدَّ وَسَادَ ، وَجَدَّ وَجَادَ ، وَخَلَفَ مَنْ سَلَفَ مِنْ كِرَامِ هَذَا الْبَيْتِ مِنَ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ ، وَأَشْتَهَرَتْ حَسَنُ رِعَايَتِهِ لِمَنْ جَعَلَهُ اللَّهُ مِنَ الرِّعَايَا وَدِيْعَهُ ، وَحَسَنُ عِنَايَتِهِ بِمَنْ جَعَلَهُ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْأَجْنَادِ شِيْعَهُ ، وَإِذْ بَلَّغُنِي ذَلِكَ سُرْرَتُهُ لَهُ وَلَا بِنَهٍ وَجِلْدَهُ ، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَمْ يَمِتْ مِنْ خَلْفِهِ لِإِحْيَاءِ مَجْدِهِ ، وَمَنْ أَسْتَعْمَلَهُ بِحَسَنِ فَقَدْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ حَسَنًا ، وَمَنْ أَحْسَنَ إِلَى خَلْقِ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ لَهُ مُحْسِنًا ، إِنْ اللَّهُ أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ ، وَأَعَدَّلَ الْعَادِلِينَ ، وَكُتِبَ الْمَجْلِسُ السَّامِيُّ يُنْعَمُ بِهَا مَتَى خَفَّ أَمْرُهَا ، وَتَيَسَّرَ حَمْلُهَا ، وَتَفَرَّغَ وَقْتُهُ لَهَا ، وَالثَّقَّةُ حَاصِلَةٌ بِالْحَاصِلِ مِنْ قَلْبِهِ ، وَعَاذَرَةٌ وَشَاكِرَةٌ فِي الْمَبْطُئِ وَالْمَسْرَعِ مِنْ كُتْبِهِ ، وَرَأْيُهُ الْمَوْفُوقُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَكُتِبَ : وَرَدَّ كِتَابُ الْحَضْرَةِ السَّامِيَةِ — أَحْسَنَ اللَّهُ لَهَا الْمَعُونَةَ ، وَيَسَّرَهَا الْعَوَاقِبَ الْمَأْمُونَةَ ، وَأَنْجَدَهَا عَلَى حَرْبِ الْفِتْنَةِ الْكَافِرَةِ الْمَلْعُونَةَ — بِخَبَرِ خُرُوجِ الْخَارِجِ

(١) فِي الْأَصْلِينَ : « وَمِنْ حَسَنِ » ؛ وَقَوْلُهُ : « مِنْ » زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ ، إِذْ لَا مَقْتَضَى لَهَا هُنَا .

(٢) فِي (١) : « مِنَ الْمَبْطُئِ » ؛ وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي الْفَاءَ ، كَمَا فِي ب ، أَيْ فِي حَالَةِ الْإِبْطَاءِ .

(١١٤)

من قلعة كذا، وما صرّح به من الخوف الذي ملأ الصدور، والاستحثاث في مسير
العسكر المنصور، وكلّ ضيقة وردت على القلوب ففرغت فيها إلى ربها فرجت فرجه
وأذكى لها اليقين سرجه؛ ولم تُشرك معه غيره مستعانا، ولم تدع معه من خلقه
إنسانا؛ فما الضيقة وإن كانت منذرة لإمبشه، والخطئة وإن كانت وعرة لإميسره؛
لاجرم أن هذا الكتاب أعقبه وصول خبر نهضة فلان - نصر الله نهضاته، وأدى
عنه مفترضاته - فاستمض العساكر، وقوتل العدو الكافر؛ فنفس ذلك الخناق،
وتماست الأرقام؛ وما أحسب أن الأمر يتأدى مع القوم، بل أقول: لا كرب
على الإسلام بعد اليوم؛ تتوافق بمشيئة الله ولاة الأطراف، ويزول من نفس العدو
وسمعه ما استشعره بين المسلمين من الخلاف؛ ويجمعون إن شاء الله على عدوهم،
ويذهب الله بأهل دينه ما كان [من فساد] أعدائه في أرضه وعُلُوهم؛ وقد شئنا
رائحة الهدنة بطاب الرسول، وبجبر هلاك ملك الألمان الذي هو بسيف الله
مقتول، والموت سيف الله على الرقاب مسلول.

ومنها: فأما ما أشار إليه من القلاع التي شحنها، والحصون التي حصنها؛
والأسلحة التي نقلها إليها، والأفوات التي ملأها عيون مقاتلتها وأيديها؛ فإن الله يمين عليه
بأن يسره لهذه الطاعة، ورزقه لها الاستطاعة؛ فكم رزق الله عبدا رزقا حرمه منه
وفتح عليه بابا من الخير وصرفه عنه؛ لاجرم أنه وثق قوما أجرهم بغير حساب، ووقف

(١) الضيقة بكسر الصاد: مثل الضيق (اللسان).

(٢) عبارة الأصول: «ما كان أعدائه في أرضه» الخ وهي على هذا الوجه غير تامة ولا مستقيمة
الإعراب؛ والكلمة عن مسالك الأبصار ج ٧ ورقة ٣٠٧ من النسخة المأخوذة بالتصوير الشمسي
المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٦٨ تاريخ ٢٠

(٣) في (١): «تحتها»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا، كما في (ب): (١) (٢) (٣)

قوما بموقف مناقشة الحساب ، الذي أمصِرْفُ عنه إلى ما بعده من العذاب ، الآن
والله مُلْكُ الْمَلِكِ الْعَادِلُ مَالَهُ الَّذِي أَنْفَقَهُ ، وَأَوْدَعَهُ خَيْرَ مَسْتَوْدِعٍ مِنَ الَّذِي رَزَقَهُ ،
وَشَتَّانَ بَيْنَ الْهَمَمِ : هَمَّةُ مَلِكٍ ذَحْرَ مَالِهِ فِي رَعْوَسِ الْقِلَاعِ لِتَحْصِينِ الْأَمْوَالِ ، وَهَمَّةُ
مَلِكٍ أَوْدَعَ مَالَهُ فِي أَيْدِي الْمُقَاتِلَةِ لِتَحْصِينِ الْقِلَاعِ

- ٥ بنى الرجال وغيره بنى القرى * شتتان بين مزارع ورجال
والحمد لله الذي جعل ماله له مسره ، يوم يرى الذين يكتزون الذهب والفضة
المال عليهم حسره ؛ ما أحسب أحدا من هذه الأمة إن كان عند الله من أهل
الشهادات بين يديه ، وإن كان كريم الوفاة لديه ؛ إلا تلقاه شاكرا لهذا السلطان
شاهدا بما يؤلى هذه الأمة من الإحسان ، ”وَفِي ذَلِكَ فَلَيْتَنَّافِسِ الْمُتَنَافِسُونَ“
١٠ سيحصد الزارعون ما زرعو ، والله يزيده توفيقا إلى توفيقه ، ويلهم كل مسلم
[القيام^(٢)] بمفترض بره ويعيده من محذور عقوبه ؛ وأنا أعلم أن الحضرة تُفرد لي شطرا
من [زمانها المهم^(٣)] ، لكتاب تلقيه الى ، وخبر سار تورده على ؛ وأنا أفرد شطرا من
زمانى لشكرها ، وأسر والله لها بتوفيق الله في جميع أمرها ، فإن الذَّاكر لها بالخير
كثير ، فزاد الله طيب ذكرها ؛ ورأيه الموفق في أن يُجربني على كنف العادة ،
و[لا^(٤)] يقطع عنى هذه المادة ؛ إن شاء الله تعالى .

١٥

وكتب : ورد كتاب المجلس السامى — نصر الله عزأمة ، وأمضى فى رعوس
الأعداء صوارمه ، وشد به ببيان الإسلام ودعائمه ، وأسترده به حقوق الإسلام من

(١) فى (١) : « من عند » ؛ وقوله : « من » زيادة من النسخ .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصول ، والسياق يقتضى إثباتها إذ لم تقف فيما راجعناه من كتب
اللغة على تعدية ”ألم“ بالباء .

٢٠

(٣) هذه التكملة لم ترد فى (١) وقد أثبتناها عن (ب) .

(٤) فى (١) : « ويقطع » بسقوط « لا » والسياق يقتضى إثباتها كما فى (ب) .

الكفر ومظالمه ، وأخلف نفقاته في سبيل الله ومغارمه ، وجعلها مغانمه — وكان العهد به قد تطاول ، والقلب في المطالبة ما تساهل ، ولحمت أشغاله بالطاعة التي هو فيها وما كل من تشاغل تشاغل ، فهناه الله بما رزقه ، وتقبل في سبيل الله ما أنفقه وعافى الجسم الذي أنضاه في جهاد عدوه وأخلفه ، وقد وفق من أتعب نفسه في طاعة من خلقها ، وجسمها في طاعة من خلقه ، فهذه الأوقات التي أنتم فيها أعراش الأعمار ، وهذه النفقات التي تجرى على أيديكم مهوور الحور في دار القرار ، قال الله سبحانه في كتابه الكريم : ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (١) وأما فلان وما يسره الله له ، وهونه عليه ، من بذل نفسه وماله ، وصبره على المشقات وأحتماله ، وإقدامه في موقف الحقائق قبل رجاله ، فنتلك نعمة الله عليه ، وتوفيقه الذي ما كل من طلبه وصل إليه ، وسواد العجاج في تلك المواقف ، بياض ما سودته الذنوب من الصحائف ” يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا “ فإسعدتلك الوقفات ، وما أعود بالطمأنينة تلك المرجفات ، وقد علم الله سبحانه وتعالى مني ما علم من غيري من المسلمين من الدعاء الصالح في الليل إذا يغشى ، ومن الذكر الجميل لكم في النهار إذا تجلّى ، والله تعالى يؤيد بكم إيمانكم ، وينصرم وينصر سلطانكم ، ويصلحكم ويصلح بكم زمانكم ، ويشكر هجرتكم التي لم تؤثر عليها أهلكم ولا أموالكم ولا أوطانكم ، ويعيدكم إليها سالمين سالمين ، غاممين غالين ، إنه على كل شيء قدير .

وكتب : وصل كتاب الحضرة السامية — أيد الله عزمها ، وسدد سهمها وجعل في الله همها ، ووفر في الخيرات قسمها — مبشرا بالحركة الميمونة السلطانية

(١) المرجفات من الإرجاف ، وهو الزلزال .

إلى العدو خذله الله، ومسير المسلمين - نصرهم الله - تحت أعلامه أعلاها الله؛
 ومباشرة العدو واستبشار المسلمين بما أسعدهم الله من الجراءة عليه، ومن إضمار العدو
 إليه؛ وهذه مقدمة لها ما بعدها، وهي وإن كانت نصرة من الله فما تقنع بها وحدها
 فاهمة العالمة [السلطانية] للحرب التي تسلب الأجسام رؤوسها، والسيوف حدّها؛
 فإن الجنة غالية الثمن، والخطاب بالجهاد متوجه إلى الملك العادل دون ملوك الأرض
 وإلا فن؟ فهذه تُسترى بالمشقات، كما أن الأخرى - أعاذنا الله منها - رخيصة الثمن
 وتُسترى بالشهوات؛ والحضرة السامية نعم القرين ونعم المعين، وفرض ذى اللهجة
 المئين، أن يستجيش ذا القوة المتين، وكلمة واحدة في سبيل الله أمي من ألوف المقاتلة
 والمئين؛ والله تعالى يوسع إلى الخيرات طرقها، ويطلق بها منطلقها، ويمتدح الإخوان
 بخلقها الكريم فما منهم إلا من يشكر خلقها؛ ورأيها الموفق في إجران على العادة
 المشكورة من كتبها، وإطارى من خواطرها، لا عدمت صوب سخيها.

ومن كتاب كتبه إلى القاضي محي الدين بن الزكي: بعد أن
 أصدرت هذه الخدمة إلى المجلس - لا عدمت عواطفه وعوارفه، واطائفه ومعارفه؛
 وأمتع الله الأمة عموماً بفضائله وفواضله، ونفعهم بحاضره كما نفعهم بسلفه الصالح
 وأوائله، وعادى الله عدوه ودلّ سهامه على مقاتله - [ورد كتاب^(١) منه في كذا
 وما بقيت أذكر الإغراب، فإن سيدنا يقابله [يمثله، ولا العتاب فإن سيدنا يساجله
 بأفيض من سجيته؛ ولا ألقى عليه من قولى قولاً ثقيلاً، ولا أقابل به من قوله قولاً جليلاً

(١) التكملة عن (ب) ومسالك الأبصار.

جليلاً؛ فقد شبَّ عمرو عن الطَّوقِ، وشرفُ البراقِ عن السَّوقِ؛ وذلك العمرو ما برح
 محتسباً والطَّوقُ للصَّبيِّ^(١)، وذلك البراقُ حمي لا يقدم إلا للنبيِّ^(٢)؛ ومع هذا فلا تقلص عني^(٣)
 هذه الوظيفة، وأعتقدها من قُربِ الصَّحيفه؛ فإنك تسكن بها قلباً أنت ساكنه
 وتسرِّبها وجهاً أنت على النوى معانته .

وكتب إلى العماد : كانت كتبُ المجلس — لا غير الله مابه من نعيمه
 ولا قطع عنه موادَّ فضله وكرمه، ولا عدمت الدنيا خطَّ قلبه وخطو قدمه؛ وأعادنا
 الله بنعمة وجوده من شقوة عدمه — تأخرت وشقَّ على^(٤) تأخرها، وتغيَّرت على^(٤)
 عواذها والله يعيدها مما يغيرها؛ ثم جاءت بيت ابن حجاج :
 غاب ما غاب ووافا * نى على ما كنتُ أعهد^(٤)

وأجبتُه بيت الرضى :

ومتى تَدُنْ النوى بهم * يجدوا قلبي كما عاهدوا

كُتَّابَةٌ لا ينبغى مُلكها إلا لخاطره السليمانى^(٥)، وفيض لا يسند إلا عن نوح قلبه

(١) في أساس البلاغة مادة «طوق» «جل»؛ والمعنى يستقيم على كتنا الروايتين . وهذا المثل
 لخزيمة الأبرش في عمرو بن عدى، كما في جمهرة الأمثال .
 (٢) كذا ورد هذا الاسم في الأصلين مقروناً بالألف واللام؛ ووجهه أنه نكر عمراً ثم أدخل عليه
 حرف التعريف؛ ومنه قوله :

باعد أم العمرو من أسيرها * حراس أبواب على قصورها

قال في معنى اللبيب ص ٥٠ مانصه : وقيل : «ال» في اليزيد والعمرو للتعريف، وأنهما نكرا ثم أدخلت
 عليهما «ال» كما ينكر العلم إذا أضيف، كقوله : «علا زيدنا يوم التقا رأس زيدكم» اه .

(٣) يقال : حنكته السن وأحنكته، إذا أحكمته التجارب .

(٤) في (١) : «أعده»؛ والهاء زيادة من النسخ، إذ بها يختل الوزن؛ ولم تنف على هذا البيت
 في يتيمة الدهر ضمن شعرا بن حجاج .

(٥) عمله : «إلى نوح» إذ هو مقتضى اللغة؛ أولعله ضمن قوله : «يسند» معنى الأخذ والرواية فسوغ
 له هذا التضمين ذكر «عن» مكان «إلى» وعبارة مسالك الأبصار : «لا يصدر إلا عن» ائخ وهي أظهر .

الطوفاني، وأوجبت على كل بليغ أن يتلو، "وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيًّا" وبالجملة فالواجب على كل عاقل ألا يتعاطى ما لم يُعْطَه، وأن يدخل باب مجلس سيدنا ويقول حظه؛ فأما ما أفاض فيه من سكون الأحوال بتلك البلاغة فقد كدت أسكر لما استخرجته من تلك المحاسن التي لو أن الزمان الأصم يسمع لأسمعته، ولو أن الحظ الأشم يخضع لأخضعته؛ وبالجملة فإنه لا يُشأنُ زمن أبقي من سيدنا نعمة البقية التي مهما وجدتْ فالخير كله موجود، والمجد بحفيظته مشهود؛ وكما تيسرت راحة جسمه، فينبغي أن يقتدى به قلبه في راحة من همه؛ وأعراض الدنيا متاع المتاع، وقد رفع الله قدره، وإلا فهذه الدنيا وهدة إليها مصاب المصائب؛ والحال التي هو الآن عليها عاكف [إلا] ^(١) من علم يدرسه، وأدب يقتبسه، وحريم عقائل يدب عنه ويجرسه؛ هي خير الأحوال، فالواجب الشكر لوأهبها، والمسرة بالإفضاء إلى عواقبها؛ وما يتقص شيء من المقسوم، وإن زاد عدد المجلس فليس من حظه، ولكن من حظ السائل والمحروم؛ فلا يسمع المجلس بكتاب من كتبه على يد من الأيدي التي لا تؤدى، ولا يؤمن أن تكون أناملها حروف التعدي، وهي إحدى ما تعلقت به الشهوات من اللذات، وهو ينعم بها على عادته في كف ضراوة القلب ودفع عاديته؛ موقفا إن شاء الله تعالى.

وكتب إلى القاضي محيي الدين بن الزكي أيضا: كان كتابي تقدم إلى المجلس السامي - أدام الله نفاذ أمره، وعلو قدره، وراحة سره ونعمة سيره؛ وأجراه على أفضل ما عوده، وأسعد جدّه وأصعدّه، وأحضره أمثال العام المقبل وأشهدّه؛ ولا زال يلبس الأيام ويخلعها، ويستقبل الأهلّة ويودّعها

(١) هذه الكلمة ساقطة من كلا الأصلين؛ والسياق يقتضى إثباتها.

وهو محروس في دنياه ودينه ، مستلمٌ من نُوب الدهر بدرع يقينه ، كاشفٌ ليليل
الخطيب بنور جبينه ، وليوم الجذب بفيض يمينه ؛ وأعماله مقبولة ، ودعوته على
ظهر الغمام محمولة ؛ والدنيا ترعاه وهي تأتي برغمها ، والآخرة تُدخره وهو يسعى لها
سعيها — من أيدي عتة من المسافرين ، ولثقتي بهم ما قدرت أسماءهم ، ولضيق
صدرى بتأخير كتب المجلس ما حفظتها .

وجاء منها : وما كأننا إلا أن دعونا الله سبحانه دعوة الأقلين أن يباعد بين
أسفارنا ، وأردنا أن يقطع بيننا وبين أخبارنا ؛ فأجبت الدعوه ، ولا أقول لسابق
الشقوه ، ولكن لاحق الخطوه ؛ فإن مكابدة الأشواق إلى الأبرار ، تسوق إلى الجنة
ولا تسوق إلى النار ، وأقسم اني بالاجتماع به في تلك الدار ، أهبج مني بالاجتماع به
لو أتيج في هذه الدار ؛ فعليه وعلى من العمل ما يجمع هناك سلك الشمل
ويصل جديد الحب ؛ فتم لا يلتقي العصا إلا من ألقى هنا العصيان ، وهناك لا تقتر
العين إلا من سهرت منه هاهنا العينان ؛ فلا وجه لجمع اسمي مع اسمه في هذه الوصية
مع علمي بسوء تقصيري ، وخوفي من سوء مصيري ، ولكن ليزيد سيدينا من
وظائفه وعوارفه ، — فكل فعله تفضل من فضله — ما يخلصني بإخلاصه
فإنني أستحق شفاعته لشفعة جوار قلبي لقلبه ، وهذا معنى ما بعث على شغل
الكتاب به ، مع علمي باستقرار نفسه النفيسة ، إلا أنه — أبقاه الله — قد أبعده
عهدي من كُتبه بما يقع التفاوض فيه ، والمراجعة عنه ؛ والخواطر في هذا الوقت
منقبضة ، والشواغل لها معترضه ، وأيام العمر في غير ما يفرض من الدنيا للآخرة

(١) عبارة مسالك الأبصار : « وهو بأبي رعيها » ؛ وبها مع ما بعدها يتم السجع الذي التزمه القاضي
في رسالته .

(٢) في (ب) : « قيدت » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٣) في الأصل : « هنالك » ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

منقرضه ، ومتجدد نوبة بيروت قد غمت كل قلب ، وهاجت المسلمين أشواقا
الى الملك الناصر ، وذكرى بما ينفعه الله به من كل ذاكر ، وأخذ الناس في الترحم
على أول هذا البيت والدعاء للحاضر والآخر - وليس إن شاء الله بأخر ، فما أدخر
المولى لهذه الحرب مجهودا ، ولا فلتت عسكريا مجرورا ولا مالا ممدودا

فإن كان ذنبى أت أحسن مطبى * إساءة ففى سوء القضاء لى العذر

ومنه : وسيدنا يستوصى بالدار بدمشق فقد خلت ، وإنما الناس نفوس^(١)
الديار ، وأنا أعلم أن سيدنا فى هذا الوقت مشدوه الخطر عن الوصايا ، ومشغول
اللسان بتنفيذ ما ينفذه مما هو متصب له من القضايا ، فما فى وقته فضلا ولكن
فضل ، وسيدنا يحسن فى كل قضية من بعد كما أحسن من قبل ، فهو الذى جعل بينى
وبين الشام تَسْبَا [وأثنانى فيه الى أن أدخرت عقارا ونسبا] فعليه أن يرعى^(٢)
ما أقتناه ، وينفى الشوك عن طريق اليد إلى جناه ، والجار إلى هذا التاريخ ما أندفع^(٣)
جوره ، ولا أدرك غوره ، يعد لسانه ما تخلف يده ، ويدعى يومه ما يكذبه فيه غده ،
وأنا على انتظار عواقب الجائرين ، وقد عرف الغيظ منى ألفاظا مجهولة ما كنت
أسمع بأن أعرفها ، وكشف مستورا من أسباب الحرج ما يسرنى أن أكشفها
﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ﴾ وَأَسْوَأُ خُلُقًا مِنَ السِّيِّئِ الْخُلُقِ
مَنْ أَحْوَجَهُ إِلَى سُوءِ الْخُلُقِ ، وما ذكرت هذا ليدكر ، ولا طويت الكتاب عليه
لئيشر ، والسر عند سيدنا ميت وهو يقضى حقه بأن يقبر .

(١) فى الأصل : " يتوصى " بسقوط السين المهملة وتشديد الصاد ، ولم تقف عليه فيما راجعناه من

كتب اللغة .

(٢) لم ترد هذه العبارة فى (١) وقد أثبتناها عن (ب) . ليم بها السجع الذى التزمه الكاتب فى أكثر

رسائله .

(٣) أفنيت فلانا ، إذا أعطيته ما يقضى .

وكتب : أدام الله أيام المجلس وخصه من لطفه بأوفر نصيب ، ومنحه من السعادة كل عجب وغريب ، وأراه ما يكون عنه بعيدا مما يؤمله أقرب من كل قريب — الخادم يخدم وينهى وصول كتاب كريم تمجرت فيه ينابيع البلاغ ، وتبرعت [له] بالحكم أيدى البراعة ؛ وجد منه بسماء مزينة بزينة الكواكب ، وهطل منها لأولياته كل صوب ولأعدائه كل شهاب واصب ، وتجلل فما الغيد الكواكب ؛ وما العقود في الترائب ، وتفرق منه جيش الهم فانظر ما تفعل الكتب في الكتاب ؛ وما ورد إلا والقلب إلى مورده شديد الظما ، وما تحل به إلا ناظره الذي عسى عن الهدى وقرب من العمى ؛ وما نار إبراهيم بأعظم من نوره ، ولا سروره — صلى الله عليه وسلم — حين نجا أعظم يوم وصوله من سروره ؛ فحيا الله هذه اليد الكريمة التي تنهل بالأنواء وتجزل سوابع النعماء ؛ وتعطي أفضل عطاء يسرها في القيامة ، وتحوز به أفضل أنواع الكرامة ؛ فأما شوقه لعبده فالمولى — أبقاه الله — قد أوتي فصاحة لسان ، وسحب ذيل العي على سبحان ؛ ولو أن للخادم لسانا موات ، وقلبا يقال له هي هات ؛ لقال

(١) هذه الكلمة ساقطة من كلا الأصلين ؛ والسياق يقتضى إثباتها .

(٢) كذا في كلا الأصلين ومسالك الأبصار ؛ ولعله : « ثاقب » فإنه يريد الإشارة الى قوله تعالى : (الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب) وأما الوصف بالوصوب ، أى الدوام والازوم فقد ورد في القرآن للعذاب لا للشهاب ؛ قال تعالى : « ولهم عذاب واصب » .

(٣) كذا في كلا الأصلين ومسالك الأبصار ؛ والقواعد تقتضى إثبات يانه والوقوف عليه بالألف فيقال : « مواتيا » إلا أن السجع اقتضى أن يجرى الكاتب المنقوص المنصوب مجرى المرفوع والمجورور في الإعراب فيسكن ياءه ويحذفها في الوقف ؛ وهي لغة لبعض العرب ومنه قول الشاعر :

* ولو أن واش بالقيامه داره * الخ البيت . والأصح جواز ذلك في غير الضرورة ؛ ومنه قراءة جعفر الصادق : من أوسط ما تطعمون أهاليكم بإسكان الياء انظر حاشية الخضرى ج ١ ص ٦١ طبع بولاق .

(٤) قال أبو الهيثم : يقولون عند الإغراء بالشيء : « هي هي » فإذا بنوا منه فعلا قالوا : هميت به ، أى أغريته .

ما عنده، وأذكر عهدَه وودَّه، وباح بأشواقه، وذمَّ الزمنَ على أعتيابه؛ وأما تفضُّله
بكذا فالخادمُ ما يقومُ بشكره، ولا يقدرُه حقَّ قدره؛ وقد أحال مكافأةَ المجلسِ على
مليءٍ قادرٍ، ومسرَّةِ خاطرةٍ عليه يومَ تبلى السرائرُ؛ واللهُ تعالى يصيِّلهُ برزقٍ سنِّيٍّ يَمَلَأُ
إناءه، ويؤوضُ هداه؛ ولا يُخَيِّلُ المجلسَ من جميلِ عوائده، ويمنحه أفضلَ وأجزَلَ فوائده
إن شاء الله تعالى .

ومن مكاتباته يتشوق إلى إخوانه وأودائه، ومحبيه وأوليائه —

كتب إلى بعضهم :

أحبابنا هل تسمعون على النوى * تحيةَ عان أو شكيةَ عاتب

ولو حَمَلَتْ رِيحُ الشَّمَالِ إِلَيْكُمْ * كَلَامًا طَلَبْنَا مِثْلَهُ فِي الْجَنَائِبِ

١٠ أصدر العبد هذه الخدمة وعنده شوقٌ يَغُورُ به ويُجِدُّ، ويستغيث من ناره بماء
الدمع فيجيب ويُجِدُّ، ويتعلل بالنسيم فيغري ناره بالإحراق، ويرفع النواظر إلى
السُّلوان فيعيدها الوجدُ في قبضة الإطراق؛ أسفا على زمنٍ تصرَّم، ولم يبقِ إلا وجدا
تصرَّم، وقلبا في يد البين المُشْتَّتِ يتظلم

ليالي نحن في غفلات عيش * كأت الدهر عنا في وثاق

١٥ فلا تنفس خادمه نفسا إلا وصله بذكره، ولا أجرى كلاما إلا قيده بشكره، ولا سار
في فقيرٍ إلا شبهه برحيب صدره، ولا أطل على جبل إلا أحقره بعلى قدره، ولا مرَّ
بروضةٍ إلا خالها تفتحت أزهارها عن كريم خُلقه ونسيم عطره، ولا أوقد المصطلون
نارا إلا ظنهم أقتبسوها من جمره، ولا نزل على نهر إلا كآثر دمعته ببحره

(١) في (١) « جاءك » وهو تحريف لا يستقيم به المعنى . والإحالة بالدين : نقلا من ذمة إلى ذمة

أخرى ، والاسم الحوالة بفتح الحاء .

٢٠

(٢) الملى، والملى بتشديد الياء : الغنى القادر، أو هو الحسن القضاء للدين .

١١٨

سقى الله تلك الدارَ عودَةَ أهلِها * فذلك أجدى من سحابٍ وقَطْرِه

لئن جمَعَ الشَّمَلُ المَشْتَتِ شَمَلَه * فما بَعَدَها ذنبٌ يُعَدُّ لدهِرِه

فكيف ترى أشواقه بعد عامه * إذا كان هذا شوقَه بعد شهرِه ^(١)

بعيدٌ قريبٌ منكمُ بضميرِه * يراكم إذا ما لم تروه بفكرِه ^(٢)

ترحل عنكم جسمُه دون قلبِه * وفارقكم في جهره دون سرِه

إذا ما خلّت منكم مجالسُ ودّه * فقد عمّرت منكم مجالسُ شكرِه

فياليل لا تُجلبُ عليهم بظلمة * وطلعةُ بدر الدين طلعةُ بدرِه

ونسأل الله تعالى أن يمينَ بقربِه ورحابُ الآمالِ فسأخ ، وركابُ الهمومِ طلائحُ ^(٣)

والزمنُ المناظرُ بالقربِ مسأخ ، هنالك تُطأقُ أعتةُ الآمالِ الحوابس ، ويهتَرُ مخضراً ^(٤)

من السعودِ عودٌ يابسٌ

١٠

وما أنا من أن يجمعَ الله شملنا * بأحسن ما كفا عليه بآيس

وقد كان الواجب تقديمَ عتبه ، على تأخيرِ كُتبه ، ولكنه خاف أن يجنى ذنبا عظيما

ويؤلم قلبا كريما

ولست براضٍ من خليلٍ بنائيلٍ * قليلٍ ولا راضٍ له بقليلٍ ^(٥)

(١) كذا في (ب) ومسالك الأبرار والذي في (أ) «وان» وهو غير مستقيم .

(٢) في كلا الأصلين : «يراد» ؛ وهو تحريف .

(٣) المناظر : المحادل .

(٤) بالقرب : متعلق بقوله : «مسأخ» وقد ورد في الشعر تعديّة «سأخ» بالياء ، قال الشاعر :

ولكن إذا ما جل خطب فسأحت * به النفس يوما كان للكره أذهب

انظر اللسان .

(٥) البيت لكثير عزة الأغاني ج ١ ص ١٤٣ طبع دار الكتب المصرية .

١٥

٢٠

(١) وحاشى جلاله من الإخلال بعهود الوفاء ، ومن انحلال عقود الصفاء ، وما عهدت
عزمه القوى في حلبة الشوق إلا من الضعفاء ، وحاشية خلقه إلا أرق من مدامع
غرماء الجفاء

من لم يبت والبين يصدع قلبه * لم يدر كيف تقلل الأحشاء

وكتب أيضا في مثل ذلك : كتب مملوك المولى الأجل عن شوقي
قدح الدمع من الجفون شرارا ، وأجرى من سيل الماء نارا ، واستطال واستطار
فما توارى أورا ، ووجد على تذكر الأيام التي عدت قصارا ، والليالي التي طابت
فكأنما خلقت جميعها أسخارا

وبى غمرة للشوق من بعد غمرة * أخوض بها ماء الجفون غمارا
وما هى إلا سكرة بعد سكرة * اذا هى زالت لا تزال نخارا
رحلت وصبرى والشباب وموطنى * لقد رحلت أحبنا تبارى
ومن لم تصاف عينه نور شمسه * فليس يرى حتى يراه نهارا
سقى الله أرض الغوطتين مدامعى * وحسبك سحبا قد بعثت غزارا
وما خدعتنى مصر عن طيب دارها * ولا عوضتني بعد جارى جارا
أدار الصبا لا مثل ربعك مربع * أرى غيرك الربع الأليس قفارا

(١) يقال : حاشاك وحاشى لك ، والمعنى واحد ، كما فى الصحاح للجوهري ؛ وحاشى : اسم على

الصحيح مرادف للبراءة ، كما فى معنى اللبيب فى الكلام على «حاشى» التزيمية .

(٢) فى مسالك الأبصار : «التي ذهبت» .

(٣) المراد بالقوطين هنا : أرض القوطة ، وإنما ذكرها بالثنائية جريا على عادتهم من ذكر الواحد بلفظ

المتنى ، والقوطة : هى الكورة التى منها دمشق ، استدارتها ثمانية عشر ميلا ، تحيط بها جبال عالية جدا
ومياها خارجة من تلك الجبال ، وتمد فى القوطة فى عدة أنهر تسقى بساقيتها وزروعها وصب بقاياها فى أجة
هناك وبحيرة .

فما أعتضت أهلا بعد أهلك جيرة * ولا خلت دار المملك بعدك دارا

وما ضرَّ اليدَ الكريمةَ التي أيديها بيض في ظلمات الأيام، وأفعالها لا يقوم بمدحها إلا ألسنة الأسننة والأقلام ؛ لو قامت لمودّة بشرطها، ومحت خطّ الأسي^(١) بخطّها ؛ وكتبت ولو شطرَ سطرٍ ففرغت قلبا من الهمّ مشجونا، وأطلقت صبرا في يد الكمد مسجونا؛ ونزّهت ناظرَ المملوك في رياضٍ منثورة الخلى، وحلت عهدَه بمكارم ماثورة العُلا

وما كنت أرضى من علاك بذال الجفا * ولكنّه من غاب غاب نصيبه

ولو غير كم يري الفؤاد بسهمه * لما كان ممن قد أصاب يصيبه

ومالٍ فيمن فرق الدهر أسوء * كأن محبا ما ناه حبيبه

والمملوك مذحطت مصر أثقاله ، وجهز الشام رحاله ؛ وألقت النوى عصاها

وحلت الآوبة عراها ؛ يكتب فلا يجاب ، ويستكشف^(٢) الهمّ بالجواب فلا يجاب

يا غائبا بلقائه وكتابه * هل يُرتجى من غيبتيك إياب

ومتى يصفى الله ورد الحياة من التكدير ، ويتحقق بلقائه أحسن التقدير وهو^(٣) على جمعهم إذا نساء قدير^(٤) .

وزمان مضى فما عرف الأ قول إلا بما جنباه الأخير

أين أيأمننا بظالك والشّم * ملّ جميع العيش غضّ نصير

(١) في كلا الأصلين : « ومضت » ؛ وهو تحريف .

(٢) كذا ورد هذا الفعل في الأصل بالسين والياء ؛ ولم نجد فيما لدينا من كتب اللغة أنه يقال :

« استكشف الهم » مثلا ، بمعنى طلب أن يتكشف ويذول ، كما هو المراد هنا ؛ والذي وقفنا عليه أنه

يقال : « استكشف عنه » إذا سأل أن يكشف له عنه ؛ وهذا المعنى لا يناسب ما هنا .

وحوشى المولى أن يكون عوناً على قلبه ، وأن يرحل إثره الرى على سريره ، وأن ينسيه بإغيب الكتيب ساعاتٍ قربه ، وأن يُوجه الى إطلاق لسانه بما يصون السمع الكريم عنه من عتبه ؛ الأخ فلان مخصوصٌ بسلام كما فتحت عن الورد كأمه ، وكما توصت عن القطر غمامه

إذا سار في ترب تعرف تربها * برياه والتفت عليها لطامه^(٤)
وقد تبع الخلق الكريم في الإغباب والجفوه ، وأعدت عن أمه قلبه فاستويا في الغلظة والقسو

ان كنت أنت مفارقي * من أين لي في الناس أسوه
وهب أن المولى اشتغل — لا زال شغله بمساره ، وزمنه مقصوراً على أوطاره —
فما الذى شغله عن خليله ، وأغفله عن تدارك خليله ؟ هذا وعلائقه قد تقطعت
وعوائقه قد ارتفعت ، وروضة هواه قد صارت بعد الغضارة هشيماً ، وعهوده
قد عادت بعد الغضاضة رميماً

إن عهدا لو تعلمان ذميماً * أن تناما عن مقلتي أو ثنيا
وما أولى المولى أن يواصل بكتبه عبده ، ويجعل ذكره عقده ، ولا ينساه ويألف
بعده ، ويستبدل غيره بعده .

وكتب أيضا :

أكذا كل غائب * غاب عن يمن يحبه
غاب عنه بشخصه * وسلا عنه قلبه

(١) لعله : «عن شربه» ؛ والشرب بفتح الشين المعجمة وسكون الراء : الجماعة يشربون .

(٢) فى (١) : «غبه» ؛ وهو تحريف .

(٣) الترب : جمع تربة ، وهى الأرض ذات التراب . وهذا الجمع مطرد فى فعلاء مؤنث أفعل وفى مذكرة .

(٤) اللطائم : جمع لطيمة ، وهى المسك .

ولو أن لي يدا تكتب ، أو لسانا يُسهب ، أو خاطرا يستهل ، أو فؤادا يستبدل ؛
لوصفتُ إليه شوقا إن استمسك بالحنون نثر عقدها ، أو نزل بالجوانح أسعر وقدها ؛
أو تنفس مشتاق أعان على نفسه ، وطنه استعاره من قبسه ؛ أو ذكر محب حبيبا
خاله خطر في خالده ، وتفادى من أن يخطر به ذكر جلده

حتى كأن حبيبا قبل فرقتيه * لا عن أحبته ينأى ولا بلده
بالله لا ترحموا قلبي وإن بلغت * به الهموم فهذا ما جنى بيده

ولولا رجائه أت أوقات الفراق سحابة صيف تقشعها الرياح ، وزياره طيف يخالعه
الصباح ؛ لاستطار فؤاده كندا ، ولم يجد ليوم مسرته أمدا ؛ ولكنه يتعلل بميعاد
لقيامه ، ويدافع ما آله بلعله أو عساه

غنى في يد الأحلام لاستفيده * ودين على الأيام لا أتقاضاه

ومن غرائب هذه الفرقة ، وعوارض هذه الشقة ؛ أن مولاي قد نجل بكتابه
وهو الذي يداوى به أخوه غليل آكتتابه ، ويستعديه على طارق الهم إذا لج
في انتيابه

كمثل يعقوب ضل يوسفه * فاعتاض عنه بشم أنوابه

وهب أن فلانا عاقه عن الكتب عائق ، وأختدع ناظره كمن هو في ناضر عيش
رائق ؛ فما الذي عرض لمولانا حتى صار جوهر وده عرضا ، وجعل قلبي لسهام
إعراضه عرضا ؟

بي منه ما لو بدا للشمس ما طاعت * من المكارة أو للبرق ما ومضاً^(١)

وما عهدته - أدام الله سعادته - إلا وقد استراحت عواذله ، وعرى به أفراس^(٢)

(١) البيت لأبي العلاء المعري (سقط الزند) .

(٢) لعله : « منه » ؛ يشير بهذه العبارة الى قول زهير بن أبي سلمى :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله * وعرى أفراس الصبا ورواحله

الصبا ورواحله ؛ إلا أن يكون قد عاد إلى تلك البئج ، ومرض قلبه فما على المريض
حرج ؛ وأياً ما كان فنى فؤادى إليه سريرة شوقٍ لا أذيعها ولا أضيعها ، ونفسي
أسيرة غلةٍ لا أطيقها بل أطيعها

واني لمشتاق اليك وعاتب * عليك ولكن عتبه لا أذيعها

والأخ النظام — أدام الله انتظام السعد ببقائه ، وأعداني على الوجد ببقائه —
مخصوص بالتحية إثر التحية ، ووالهني على تلك السجية السخية ، وردت منها البابلي
معتقا ، وظلت من أسير الهموم ببقائها معتقا

خلائق إما ماء مزين بشهدة * أغادى بها أوماء كرم مصفقا^(٢)

وقد آجتمعت آراء الجماعة على هجرانى ، ونسوا كل عهد غير عهد نسيانى

وما كنتم تعرفون الجفا * فبالله ممن تعلمتم .

وكتب أيضا : إن أخذ العبد — أطال الله بقاء المجلس وثبت رفعته

وبسط بسطته ، ومكن قدرته ، وكبت حسدته — فى وصف أشواقه إلى الأيام التى
كانت قصارا وأعادت الأيام بعدها طوالا ، واللبالى التى جمعت من أنوار وجهه
شموسا ومن رغد العيش فى داره ظللا

وجدت أصطبارى بعدهن سفاهة * وأبصرت رشدى بعدهن ضلالا

وإن أخذ فى ذكر ما ينطق به لسانه من ولاء صريح ، ويعتقده جنانه من
من ثناء فصيح^(٣)

(١) فى كلا الأصلين : « وأنى ما كان » ؛ وهو تحريف .

(٢) مصفقا ، نصب على الحال من « ماء » وهو من صفقت الشراب إذا حوّلته من إناء إلى إناء آخر ليصفو .

(٣) الظاهر أن فى هذه الجملة والتى قبلها تقدما وتأخيرا فى بعض ألفاظهما ؛ ولعل الأصل فىهما هكذا :

« ما ينطق به لسانه من ثناء فصيح ، ويعتقده جنانه من ولاء صريح » فان الثناء محله اللسان ؛ والولاء ،
وهو المحبة ، محله القلب .

تَعَاطَى مَنَالًا لَا يُنَالُ بِعِزِّهِ * وَكُلُّ أَعْتِرَامٍ عَنِ مَدَاهِ طَلِيحُ

ولكنه يَعِدِلُ عن هذين إلى الدعاء بأن يبقية الله للإسلام صدرا، وفي سماء الملة بدرا، وفي ظلماتِ الحوادثِ فجرا؛ وأن يجمعَ الشَّمْلَ بِجِلْسِهِ وَعِرَاصُ الآمَالِ مَطْلُولُهُ ^(١) وسهامُ التُّرْبِ على نحوِ البعدِ مَدْلُولُهُ ، وَعَقُودُ النُّوَى بِيَدِ اللِّقَاءِ مَحْلُولُهُ ؛ ” وَمَا ذُكِرَ عَلَى اللَّهِ بِعِزِّهِ “ .

فقد يجمع الله الشَّيْتَيْنِ بعد ما * يظن أن كلَّ الظن أن لا تَلَقِيَا

وما رمت به النوى مرامياها ، ولا سَلَكْتَ به الغربةُ موامياها ؛ إِلَّا أَسْتَنْجِدَ شَوْقُهُ ^(٢) من الجفونِ هَامِيَا ، وَاسْتَدْعَى من الزُّفْرَةِ ما يُعِيدُ مَسْلَكَهُ من الجوانحِ دَامِيَا ، وَصَدَرَ ^(٣) عَنِ مَنَهْلِ المَاءِ العَذْبِ التَّمِيرِ ظَامِيَا ، وَتَلَلَّ بِالْأَمَانِي فِي الأَجْتِمَاعِ ” وَأَخْرَمَا يَبْقَى ^(٤) الإِيَّاسُ الأَمَانِيَا “ وَالسَّلْوَةُ أَنْ الطَّرِيقَ بِمَجْدِ اللَّهِ أَسْفَرَتْ ^(٥) عَنِ فَضْلِ اجْتِهَادِهِ ، وَفَضِيلَةِ ^(٦) جِهَادِهِ ؛ وَنُصْرَةَ الإِسْلَامِ ، وَإِعْلَاءَ الأَعْلَامِ ؛ وَخِدْمَةَ المَجْلِسِ القِلَافِي — أَعَزَّ اللَّهُ ^(٧) نَصْرَهُ ، وَأَسْعَدَ بِهَا جَدَّهُ ، وَبَلَّغَ بِهَا قَصْدَهُ ، وَأَمْضَى فِي الكُفْرِ حُدَّهُ ؛ وَأَوْرَى بِهَا ^(٨) للإِسْلَامِ قَدْحًا ، وَشَرَفَتْ حَدِيثًا وَشَرَحًا ، وَأَجْهَدَتْ الأَعْدَاءَ إِثْمَانًا وَجِرْحًا

(١) المطلولة : التي نزل عليها الطل .

(٢) البيت لقيس بن الملقح ، وهو المعروف بالمجنون .

(٣) المواصي : جمع موماة ، وهي المقازة من الأرض .

(٤) في (ب) « ولا ضمرا يبق » الخ ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

(٥) كذا ورد هذا اللفظ في الأصول منصوبا ؛ ولم يتضح لنا وجه نصبه فان القواعد تقتضى رفعه

اذ هو خير للبتد ؛ وهو قوله : « وآخر » .

(٦) أسفرت بالهمز ؛ تكشفت ؛ وهو استعار من قوطم : أسفر الصبح ، أى انكشف وأضاء إضاءة

لا يشك فيه ، كما في اللسان (ج ٦ ص ٣٦) .

(٧) الإثخان : المبالغة في القتل .

وأَبَقَ بها في جبهة الدهر أسطرا * اذا ما أَمَحَى خَطَّ الكواكب لِأَمَحَى
 اذا جاء نصرُ الله فالفتحُ بَعْدَهُ * وقد جاء نصرُ الله فليَرَقِبِ الْفَتْحَا
 فأما الخادِمُ فيودُ ألا يزالُ لشرفِ محصِّلا ، ولتلك اليدِ الكريمةِ مقبِّلا ، وللفترةِ المتهمِّلةِ
 كالصباحِ مستقبِّلا

٥ مِحًّا اذا حيَّاك منه بنظرةٍ * فتحتَ به بابا من اللطفِ مُقَفِّلا
 ويرى أن خير أوقاته ما كان فيه بالحاشية الفلانيَّة مكاثرا ، وتحت ظلال ألويتها
 سائرا

فتمَّ ترى معنى السعادة ظاهرا * وتمَّ ترى حزبَ الهداية ظاهرا
 والخادمُ يؤثر من المجلسِ المواصلَةِ بالمراسمِ [التي يُعَدُّ أيامها من المواسمِ] ^(٢) ، ويقابل
 ١٠ بها أوجهَ المسارِّ طَلْقَةَ المباسمِ ؛ ويرتقبها ارتقابَ الصَّوامِ للأهلهُ ، والرُّقادِ لمواقعِ
 السحائبِ المنهلهِ .

وكتب عن الملك الناصر صلاح الدين الى تقي الدين بن عبد الملك :
 سقى الله أرضَ الغوطتين وأهلها * فلي بجنوبِ الغوطتين جنونُ
 وما ذكرتها النفسُ إلا استغفرتني * الى طيبِ ماء النيرينِ حنينُ ^(٣)
 ١٥ وقد كان شكِّي في الفراقِ مروِّعي * فكيف أكونُ اليوم وهو يقينُ

(١) المراسم والمراسم : المكاتب .

(٢) لم ترد هذه العبارة في (١) وقد أئبناها عن (ب) .

(٣) المراد بالنيرين قرية زرب ، وانما ذكرها الشاعر بالثنية جريا على عادتهم من ذكر المفرد بالفظ
 المنثى ؛ وهذه القرية بدمشق على نصف فرسخ في وسط البساتين وذكر ياقوت أنها أزه موضع رآه ؛ وهذا
 الشعر لأبي المطاع وجيهه الدولة بن حمدان كما في معجم البلدان لياقوت ج ٤ ص ٨٥٥ طبع جوتنجن
 ٢٠ وفي (١) "النيرتين" ؛ وفي (ب) : « النيرين » ؛ وهو تصحيف في كليهما .

كَمْ جَهْدٍ مَا تَسَلَّى الْقُلُوبَ ، وَتَسْرَى الْكُرُوبَ ؛ لَا سَتِيماً إِذَا كَانَ الَّذِي فَارَقْتَهُ
 أَعْلَقَ بِالْأَبَادِ مِنْ خَلْمِهَا ، وَأَقْرَبَ إِلَى الْقُلُوبِ مِنْ حُجْمِهَا ؛ وَهَلْ يَسْتَرْوِحُ إِلَّا أَنْ يَفُضَّ
 خَتَامَ الدَّمْعِ ، وَيَخْتَرِقَ حِجَابَ السَّمْعِ ، وَيَسْتَعِيثَ بِسَمَاءِ الْعَيُونِ ذَاتِ الرَّجْعِ ، لِتَجُودَ
 أَرْضَ الْخَوَاطِرِ ذَاتِ الصَّدْعِ ؛ وَهَنَالِكَ أَوْفَى مَا يَكُونُ الشُّوقُ جُنْدًا ، وَأَوْرَى
 مَا يُورَى الْوَجْدُ زِنْدًا

(١٢١)

إِلَى زَفِيرَةٍ أَوْ عَبْرَةٍ مُسْتَبَاحَةٍ * لِهَذَا مَرَّاحٍ عِنْدَهُ وَلِذِي مَعْدَى
 وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ أَنِّي مَذْفَارِقْتُهُ مَادَعَانِي الذِّكْرُ إِلَّا لَبِيئْتُهُ بِجَوَابٍ مِنْ مَاءِ الْغَلِيلِ غَيْرِ قَلِيلِ
 وَلَا ذَكَرْتُ خُلُقَهُ الْجَمِيلَ إِلَّا وَرَأَيْتُ الصَّبْرَ الْجَمِيلَ غَيْرَ جَمِيلِ

(٤) وَغَيْرُ كَثِيرٍ فِيهِ وَجَدُ كَثِيرٍ * وَلَوْعَةٌ قَيْسٍ وَالتِّيَاحُ جَمِيلِ

(٥) أَهِيْمُ بَرَسِمٍ فِيكَ لِلْجِدِّ وَاضِحٍ * وَهَامُوا بِرَسِمٍ لِلْغَرَامِ مُحِيلِ

وَقَدْ كَتَبْتُ إِلَيْهِ حَتَّى كَادَ يَشِيبُ لَهُ الْمُدَادُ ، لَوْ لَمْ يَخْلَعْ عَلَيْهِ النَّازِرُ حَلَّةَ السَّوَادِ
 وَحَبَّةَ الْفُوَادِ ، فَمَا رَدَّ ، وَجَارَ عَنْ خُلُقِهِ الْكَرِيمِ فَإِنَّهُ قَطَّ مَا وَدَّ وَصَدَّ ؛ وَأَوْثَرُ مِنْهُ
 إِلَّا يَحْكُمُ الْفِرَاقَ عَلَيَّ فَيَسْتَسْطِ ، وَلَا يَمَكِّنُ الْلَوْعَةَ مِنْ مَهْجَتِي فَتَخْطِ

(٧) بِفُدِّي بَدْرٌ مِنْ بَحَارِكِ إِنِّي * مِنْ الدَّمْعِ فِي بَحْرِ وِلَيْسَ لَهُ شَطُّ

(١) تسرى بتشديد الراء : تنكشف .

(٢) الخلب بكسر الخاء : حجاب الكبد .

(٣) الرجوع بفتح الراء : المطر بعد المطر .

(٤) الالتياح في الأصل : العطش ، والمراد هنا شدة الهيام والشوق . والذي في الأصول :

« وارتياح » ؛ وهو تحريف .

(٥) المحيل : الذي مضى عليه حول .

(٦) في الأصول : « ما ردد » بالراء ؛ وهو تحريف .

(٧) يقال : هو يخبط في عمياء إذا ركب ما ركب بجهالة .

بكفّ بها للحرب والسلام آية * فيحى لديها الخطّ أو يقتل الخطّ^(١)
ونسأل الله الرغبة في اجتماع لا يكدر ورده ، ولا يُثّر عقده ، ولا يعزّب عن آفاق
الوفاق سعده

وما كان حكى أن أفارق أرضكم * ولكنّ حكم الله لسنا نرده

وكتب عنه أيضا إلى عز الدين فَرُوخ شاه^(٢) :

أحبابنا لو رزقت الصبر بعدكم * لما رضيتُ به عن قربكم عَوْضا
إني لأعجب أنى بعد فرقتكم * ما صحّ جسمي إلا زادني مرّضا
أنبيكم عن يقين أنّ قلبي لو * أضحي مكان جناحي طائر نهضا
هذا ولو أنه بالعهد فيك وفي * لكان حين قضى الله الفراق قضى

١٠ كتبتُ - أطل الله بقاء المولى الولد - عن قريحته قريحته ، وإنسان مقلّة جريح
في جريحه ، ولوعة صريحه ، وذكرة إذا ذكر الصبر كانت طريحه

وليل بطيء طلوع الصبا * ح شوقا الى القسمات الصبيحة^(٤)

أبجت فؤادي وأنت المباح^(٥) * وما كان من حقه أن تُبيحه

وما أصحبت في قتال العذول^(٦) * أعنته قلب عليهم جموحه

١٥

(١) في (١) : « بقيل » بياء موحدة ؛ وهو تحريف .

(٢) كذا في وفيات الأعيان ج ١ ص ١٢٠ طبع بولاق ؛ والذي في كلا الأصلين : « فرخشاه »

بدون واو .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من (١) وقد أثبتناها عن (ب) إذ السياق يقتضيا .

(٤) القسمات : واحدة قسمة بكسر السين وفتحها وهي الحسن ، أو أعلى الوجه ، أو ظاهر الخدين .

(٥) وأنت « المباح » ، أي أنت الفؤاد الذي أبجته .

٢٠

(٦) أصحبت : انقادت بعد صعوبة .

مُعْنَى بِرِيحِ شِمَالِ الشَّامِ * لَقَدْ عَذَّبَ اللهُ بِالرِّيحِ رُوحَهُ
فَلَا رَوْحَ اللهُ مِنْ قَرِيبِكُمْ * فَوَادَى بِخَطَرَةٍ يَأْسِ مَرِيحِهِ
وَلَوْلَا التَّعَلُّلُ بِأَبْنِيَةِ أَلْمَنَى الْخَادِعَةِ ، وَالنَّزُولُ بِأَفْنِيَةِ الْأَسَا الْوَاسِعَةِ ؛ لِتَصَدَّعَتْ
أَكْبَادُ وَتَقَطَّرَتْ ، وَتَجَدَّلَتْ أَفْرَاسُ دُمُوعٍ وَتَقَطَّرَتْ^(٢)

يَا صَاحِبِي إِنْ الدُّمُوعَ تَنْفَسْتُ * فَدَعِ الدُّمُوعَ تَدِيحَ مَا قَدْ أَضْمَرْتُ
قَدْ كُنْتُ أَكْتُمُ عَنْ وِشَاتِي سَرَّهَا * وَلَقَدْ جَرَى طَرْفُ الْحَدِيثِ كَمَا جَرَتْ
لِللَّهِ لَيَالٍ قَرَنَتْ بِجُومَهَا * بَلْ بَدَرَهَا بِوَجْهِ عَيْشٍ أَفْمَرْتُ
أَغْلَتُ عَلَى السُّلُوفِ شَوْقَكُمْ فَا * بَاعَتْ كَمَا أَمَرَ الْغَرَامُ مَنْ أَشْتَرْتُ
وَمَذْفَارَقْتُ تِلْكَ الْغَزَّةَ الْبَدْرِيَّةَ ، وَالطَّلْعَةَ الْعَزِيْزَةَ الْعَزِيْزَةَ ؛ مَا ظَفَرْتُ بِشَخِصِهِ نَوْمَا
وَلَا بِكِتَابِهِ يَوْمَا

* فَوَاعَجِبَا حَتَّى وَلَا الطَّيْفُ طَارِقَا * !

وَأَعْجَبَ لَهُ فِي الْحَرْبِ ثُرُكُنَائِبِ^(٣) * بِكَيْفِ أَبْتِ فِي السَّلْمِ نَظْمِ كِتَابِ^(٤)

يَحَاسِبُنِي فِي لَفْظَةٍ بَعْدَ لَفْظَةٍ * وَمَعْرُوفُهُ يَأْتِي بِغَيْرِ حِسَابِ

لَوْ رَضِيْتُ - وَكَلَّا - بِأَنْ أَحْمَلَ مِنْ هَذَا الْجَفَاءِ كَلًّا ؛ لَمَا رَضِيَ بِهِ خَلْقُهُ
الرَّضَى ، وَلَا خَذَ بِقَوْلِ الرَّضَى :

(١) الأسا بكسر الهمزة وتضم : جمع إسوة ، بالكسر والضم أيضا ، وهي ما يأتي به الحزين .

(٢) تجددت : من جدله بتشديد الدال وتخفيفها ، أى صرعه على الجسدالة بفتح الجيم ؛ وهي

الأرض . وتقطرت : من قطره ، إذا ألقاه على أحد قطريه ، وهما جانباه .

(٣) كذا في كلا الأصلين ومسالك الأبصار ؛ وفي هذا البيت حذف المتعجب منه ، والأصل : « وأعجب

به له » الخ والذي يفهم من حاشية الصبان على شرح الأشموني ج ٣ ص ١٨ من ٢٧ أن ذلك الحذف

سائق لا شذوذ فيه ، إذا مدار على أن يدل عليه دليل .

(٤) في كلا الأصلين : « أت » بالناء المثناة ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما في مسالك الأبصار ؛

ويدل عليه سياق ما قبله وما بعده .

(١) هبوني أرضي في الإياس بهجركم * أترضى لمن يرجوك ما دون وصله
والرغبة مصروفة العنان إلى الله أن يديح من اللقاء منيعا، وينتجح من اللطف صنيعا

لو تأخذون بساءة * من وصلكم عمري جميعا

لرغبت في أن تشتري * ان كنت ترضى أن تبعيا

ومفارقين مع الصبا * عز ما فهل أرجو الطلوعا (٢)

أقسمت لو رجعوا لأع * تقبني الصبا معهم رجوعا

هبكم منعم [قربكم] (٤) * ولبستم بعدا منوعا

أفتمنعون بكم ضلوا * عا قد شفين بكم ولوعا (٥)

ما غايي إلا الدموع * ع وأستقل لك الدموعا

وكتب [أيضا رحمه الله تعالى] يتشوق :

فيارب إن البين أنحت صروفه * على وما لي من معين فكأن معي

على قرب عدالي وبعدي أحبتي * وأمواه أجفاني ونيران أضلعي

هذه تحية القلب المعذب، وسريرة الصبر المذبذب، وظلامه عزيم السلو المكذب؛

أصدرتها إلى المجلس وقد وقدت في الحشى نارها، الزفير أوارها، والدموع شرارها،

والشوق أثارها وفي الفؤاد نارها :

(١) لم يرد هذا البيت في ديوان الشريف الرضى الموجود بين أيدينا .

(٢) لعله رغما بالراء المهملة والغين المعجمة .

(٣) كذا وردت هذه العبارة في كلا الأصلين ؛ ولم يتضح لنا معناها ؛ ولعل الصواب : « فهل برحوا

الضلوعا » .

(٤) لم يرد هذا اللفظ في (١) وقد أثبتناه عن (ب) اذ لا يستقيم البيت بدونه .

(٥) ولوعا مفعول ثان لقوله : « تمنعون » ؛ يقول : أفتمنعون الضلوع ولوعا بكم وشوقا اليكم وقد

شفيت بقر بكم فيما سلف .

(٦) لم ترد هذه العبارة في (١) .

لو زارني منكم خيالٌ هاجرٌ * لهُدته في ظلماته أنوارها
 أسفاً على أيام الأجماع التي كانت مواسم لسرور الأسرار، ومباسم لثغور الأوطار؛
 وتذكر الأوقاتِ عذب مذاقها، وعذب فراقها؛ وروحتُ بكُّرها، وروعتُ ذكرها^(١)
 والله ما نسيتُ نفسي حلاوتها * فكيف أذكر أني اليوم أذكرها
 ومذ فارقتُ الجنابَ الثوريَّ - لا زال جنى جنابه نصيراً، وسنا سنائه مستطيراً؛^(٢)
 وملكاً في الخافقين خافق الأعلام، وعزّه على الحديدين جديد الأيام؛ لم أقف منه
 على كتابٍ يخلف سوادَ سطوره ما غسل الدمعُ من سوادِ ناظري، ويقدم ببياض^(٣)
 منظومه ومنثوره ما وزعه البينُ من سوادِ خاطري^(٤)
 ولم يبقَ في الأحشاء إلا صبابه^(٥) * من الصبر تجرى في الدموع البوادر
 وأسأله المناب بشريف الجناب، وأداء فرض، تقبيل الأرض؛ حيث تلتقي وفود^(٦)

(١) في كلا الأصلين : «مراقها» بالميم؛ وهو تحريف .

(٢) السناء بالمد : الرفعة وعلو المنزلة ، يقال منه : أسناه اذا رفعه .

(٣) كذا في صبح الأعشى ج ١ ص ٢٧٥ والذي في كتاب الفاضل من كلام القاضي الفاضل
 المأخوذ منه نسخة بالتصوير الشمسي محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٨٨٨ أدب "ويقرم"
 بالعين المعجمة والراء وفي كلا الأصلين : "ويعزم بياض" الخ بالعين المهملة والزاي المعجمة ؛ وهو
 تحريف لا يظهر له معنى .

(٤) المراد بالسواد هنا ، العدد الكثير ، كما يفهم من سياق العبارة .

(٥) الصباية بضم الصاد : « البقية » .

(٦) كذا في (ب) وصبح الأعشى ج ١ ص ٢٧٥ ؛ والمناب مصدر ميمي من النوب ، أي أن
 ينوب عنه ، كما يدل عليه سياق ما بعده . والذي في (١) : " المناب " بالتاء المنناة ؛ والمعنى عليه
 غير ظاهر .

الدنيا والآخرة ، وتَعْمُرُ البيوتَ العامرةَ المنزُ الغامرة ، ويظَلُّ الظلُّ غيرَ منسوخٍ
بهجرته ، ويُشَرُّ المجدَ بشخص لا تسمح الدنيا بنظيره

تَظَاهَرَ في الدنيا بأشرفِ ظاهِرٍ * فَلَمْ يَرَأْنِي مِنْهُ غيرَ ضميرِهِ

كفاني عزًّا أن أسمى بعبيده * وحسبي هدياً أن أسير بنوره

فأى أميرٍ ليس يشرف قدره * إذا ما دعاه صادقاً بأميده

وإنتى في السؤال بكتبه أن يوصلها ليوصل بها لذي تهاني تملأ يدي ، ويُودِعَ بها
عندي مسرَّةً تقتدح في الشكر زندي

عهدتُك ذا عهدٍ هو الوردُ نصرَةً * وما هو مثلُ الوردِ في قصر العهدِ

وأنا أرتقب كتابه أرتقابَ الهلالِ لتفطر عين عن الكرى صائمه ، وترد نفس على

موارد الماء حائمه .

وكتب أيضا يتشوق :

لأعْتَبَ أخشاه لِقْطَعِ كِتَابِكُمْ * وأسمعُ فعذري بعده لا يُعْتَبُ

مهما وجدتك في الضمير ممثلاً * أبداً تُناجيني إلى من أكتبُ

كَتَبَ عَبْدُ حَضْرَةِ مَوْلَاهُ - حرس الله سموه ، وأدام مزيدَ علائهِ ونموه ، وقَرَنَ^(١)

بالمسارِّ رواحَهُ وغدوه ، وكَبَتِ حاسدَهُ وأَهْلَكَ عدوه - عن سلامة ما آستثنى فيها

الدهرُ إلا ألمَ فراقِهِ ، وعافيةً موصولَةً بمرضِ قلبٍ لا أرجو موعدَ إفراقِهِ^(٢)

لو لم يكن إنسانٌ عيني ساجحاً * نخشيتُ حين بكتُ من إغراقِهِ

(١) في (١) : « وسموه » بالسين المهملة ؛ وهو تحريف .

(٢) إفراق المريض : برؤه وإقباله .

وعندى إليه وجد يكلم الضلوع ، ويتكلم بالسنة الدموع ، والنفس قريبة أستعبار ،

لذكر أوقات السرور القصار ، وأنوارها التي يكاد سنا برقيها يخطف الأبصار .

شهور ينقضين وما شعرنا * بأنصاف لمن ولا سرار^(٣)

١٢٣

إذ العيش غص وريق ، والمهج لم يتقسمها التفريق ، ولا سار منها إلى بلد

فريق وبق في بلد فريق ، ولا سقاها كؤوس وجد للجفون المترعة تريق

ثملت منها وما لي * سوى الغرام رحيق

وإلى الله الشكوى من شوق في الصميم ، وصبر راحل وغرام لا يريم ، كأنه غريم

زعموا أن من تباعد يسلو * لا ومحي العظام وهي رميم

ولقد أستغرب وصول الرفاق وقد صبرت من كتابه الكريم عياهم ، ولو زاره لعدته

تحفة الخصيص بالخصييص ، وأدرك به بغية الحريص ، ورأى للدهر المذنب مزينة^(٤)

التحخيص ، وصال به على نوائب الأيام المتتابعة صولة لا يجد عنها من محيص

وحسبتي لو صولة * يعقوب بشر القميص

(١) كذا في كلا الأصلين ؛ ولم نقف فيما لدينا من كتب اللغة على أنه يقال : " وجد إليه " ؛ والذي

يقال : " وجد به " ؛ ولعله أراد بالوجد هنا معنى التشوق ، فسوغ له ذلك ذكر « إلى » مكان الباء .

(٢) في كلا الأصلين : « بالأبصار » ؛ والباء زيادة من التامخ ؛ وأول أصل العبارة : « يذهب »

بدل « يخطف » ؛ واذن فتثبت الباء ؛ فان الكاتب يشير الى قوله تعالى في سورة النور : « يكاد سنا برقه

يذهب بالأبصار » .

(٣) السرار بفتح السين وكسرهما : الليلة التي يستمر فيها الهلال آخر الشهر ؛ ونقل عن الأزهري أن أكبر

السين فيها لغة ليست بجيدة عند اللغويين .

(٤) المراد بالخصييص ، من خصصته بؤذك ؛ وقد راجعنا كتب اللغة التي بين أيدينا مادة (خص)

فلم نقف على هذه الصيغة بهذا المعنى غير أننا وجدنا أستعمالها شائعا في بعض كتب الأدب كعجم الأدباء .

لياقوت ، فقد قال في ج ٥ ص ١٥٢ عن أبي الفرج الأصفهاني . انصه : « وكان أبو الفرج الأصفهاني

صاحب كتاب الأغاني من ندماء الوزير أبي محمد الخصييص به » الخ .

هنالك يرتع في تلك الرياض التي غصونها أسطارها، وشكلها أطيّارها، وألفاظها
توارها، ومعانيها ثمارها، وبلاغتها أنهارها، وجزالتها تيارها
إن أظلمت للنفس فيها ليلة * قمر المعاني عندنا سمسارها^(١)

ويتلقاه قبل يده بقلبه، ويكاد يسبق ضميره إلى أكله وشربه
ويظنه والطرف معقود به * شخص الرقيب بدا لعين محبه^(٢)
وإذا ضن مولاه بمأثوره، جاد عليه بميسوره؛ ...^(٣)

فكأنتي أهديت للشمس السنن * وطرحت ما بين المصاحف دقرا
وعلى كل حال فيسأله أن يواصله من مراسمه بما ينتظره ناظره ليجد نورا، وقلبه
ليستشعر به سرورا، وخاطره ليجعله بينه وبين الهم سورا، والآلحجي رقيقة من كتاب
ولو بالقلائد القلائل من درر أقلامه، ودراري كلامه .

وكتب : لو استعار الخادم — أدام الله نعمة المجلس — أنفاس البشر^(٤)
كلاما، وأغصان الشجر أقلاما، وبياض النهار أطراسا، وسواد الليل أنقاسا،
ما عبر عن الوجد الذي عبرت عنه عبراته، ولا عن الشوق الذي لا يستشير مثله معبدا^(٥)

(١) المراد بالسمنار هنا، الدليل والهادي . وأصل معناه : المتوسط بين البائع والمشتري، أو هو
الشفير بين المحين أنظر القاموس .

(٢) كذا في كلا الأصلين . ولعله : « الحبيب »، فان تشبيه كتابه بشخص الرقيب غير مناسب لما
أراده من الاستبشار به، والتهلل لوروده؛ ويدل على ذلك أيضا قوله : « لعين محبه »؛ ولم تقف على
هذا البيت فيما لدينا من المظان .

(٣) الظاهر أن هنا كلاما سقط من النسخ إذ لا مناسبة بين معنى البيت وبين ما سبقه من الكلام؛
ولم تقف على هذه الرسالة فيما راجعناه من المظان .

(٤) أنقاس : جمع نقس بكسر النون، وهو المداد .

(٥) هو أبو عباد معبد بن وهب؛ وقيل : ابن قطني مولى ابن قطر؛ متفق معروف غني في أول دولة
بني أمية ومات في أيام الوليد بن يزيد . الأغاني ج ١ ص ٣٦ طبع دار الكتب .

إذا هزجت في الثقل الأول نبرأته^(٢)، أسفا على ما عَدِمه في هذه الطريق، من ذلك
الحيا الطليق، والخلق الذي هو بكل مكرمة خليق، والصفات التي يحسن بها كلُّ
حُسنٍ ويليق، ويُعذر كلُّ جفنٍ يسفح ذخيرته شوقا إليها ويريق

قفا أوخذنا في العدل أي طريق * فما أنا من سكر الهوى بمُقيق

أما والهوى إن الهوى لألية * يعظمها في الحب كلُّ مشوق

لو آت الهوى مما تصح هباته * لقاسمتُ منه قلب كلِّ صديق

وما زار ناظرَ خادمه الكرى إلا تمثّل له مولاه طيفا بهم أن يتعلّق بأذياله، وقيل
تمويه ناظره على قلبه في وصاله

وودّ أن سواد الليل مُدّ له * وزاد فيه سواد القلب والبصر^(٣)

ولقد وجدَ طعمَ الحياة لبعده مرّا، وقال بعده للذّي آعين والقلب: مرّا

وها هو يرجو في غدٍ [وعد] يومه * لعلّ غدا يأبى لمتنظّر عذرا^(٤)

وإلى الله سبحانه وتعالى يرغب أن يجعله بالسلامة مكفوفًا، وصرف الحدّثان

عن صاحبه مكفوفًا، وعنان الصروف عن فئائه مصروفًا، وفؤود الرجاء على أرجائه^(٦)

مكفوفًا؛ وأن يمتنع الوجه بوصفه الذي هو أشرف من كلِّ وجهٍ موصوفًا^(٧)

(١) يقال: هزج المعنى بكسر الزاي المعجمة وهزج بتشديدها، إذا طرب بتشديد الراء وترنم؛
والذي في كلا الأصلين: «رجمت»؛ وفيه قلب وتصحيف.

(٢) كذا في (ب) والذي في (أ) «مراته»؛ وهو تحريف.

(٣) في كلا الأصلين: «السمع»؛ وهو غير مستقيم؛ والتصويب عن سقط الزند، والبيت لأبي العلاء المعري

(٤) لم ترد هذه الكلمة في (أ) ولا يستقيم البيت بدونها.

(٥) في الأصول: «يأتى»؛ وهو تحريف.

(٦) في (أ): «مكفوفًا» بالنون؛ وهو تحريف.

(٧) في كلا الأصلين: «الوجد» بالبدال؛ وهو تحريف.

- مَنْ كَانَ يُشْرِكُ فِي عِلَاقِ فَإِنِّي * وَجَّهْتُ وَجْهِي نَحْوَهُ حَنِيفًا
 (١) وَقَدْ كَانَ يَنْتَظِرُ كِتَابًا يَشْرَفُهُ وَيَسْتَفْهَهُ، وَيَسْتَحْدِمُهُ عَلَى الْأَمْرِ وَيَصْرِفُهُ؛ وَيَجْتَنِي ثَمَرَ
 السَّرُورِ غَضَّ الْمَكَاسِرِ وَيَقْطَعُهُ؛ فَتَأَخَّرَ وَلَمْ يُحْدِثْ لَهُ التَّأخِيرُ ظَنًّا، وَلَا صَرْفَهُ [عَنْ]
 أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ مَوْلَاهُ لَا تُحْدِثُ لَهُ الْأَيَّامُ بَخْلًا بِفَضْلِهِ وَلَا ضِنًّا
 ٥ وَلَوْ تُصَرَّفَ السَّحْبُ الْغَزَارُ عَنْ الثَّرَى * لَمَّا أَنْصَرَفْتُ عَنْ طَبْعِكَ الشِّيمِ الْحُسْنَى
 وَهُوَ يَنْتَظِرُ مِنَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ مَا يَكُونُ عَمَلُهُ بِحَسْبِهِ، وَيَثْبُتُ لَهُ عَهْدُ الْخِدَامِ بِنَسْبِهِ
 وَمِنْ عَجَبِي أَنِّي أَحَقُّ إِلَيْهِمْ * وَأَسْأَلُ عَنْهُمْ مَنْ أَرَى وَهُمْ مَعِي
 وَتَطْلُبُهُمْ عَيْنِي وَهُمْ فِي سَوَادِهَا * وَيَشْتَاقُهُمْ قَلْبِي وَهُمْ بَيْنَ أَضْلَعِي .
 وَكُتِبَ أَيْضًا : كَتَبْتُ وَالْعِبْرَاتُ تَمْحُو السُّطُورَ، وَيُوقِدُ مَأْوَاهَا نَارَ الصَّدُورِ
 ١٠ وَيَهْبِكُ وَجَدًا كَانَ تَحْتَ السُّتُورِ، وَيُرْسِلُ مِنْ بَيْنِ أَضْلَعِي نَفْسَ الْمُوتُورِ
 قَدْ ذَكَّرْنَا عَهْدَكُمْ بَعْدَ مَا طَا * لَيْلًا مِنْ بَعْدِهَا وَشَهْوَرُ
 عَجَبًا لِلْقُلُوبِ كَيْفَ أَطَاقْتُ * بَعْدَكُمْ! مَا الْقُلُوبُ إِلَّا صُخُورُ
 وَمَا وَرَدَتْ الْمَاءَ إِلَّا وَجَدَتْ لَهُ عَلَى كِبْدِي وَقَدًّا لَا بَرْدًا، وَلَا تَعَرَّضْتُ لِنَفْحَاتِ
 النَّسِيمِ إِلَّا أَهْدَى إِلَيَّ جَهْدًا، وَلَا زَارَنِي طَيْفُ الْخِيَالِ إِلَّا وَجَدَنِي قَدْ قَطَعْتُ طَرِيقَهُ
 سُهْدًا، وَلَا خَطَفَ لِي الْبَارِقُ الشَّامِيُّ إِلَّا بَارَاهُ قَلْبِي خُفُوقًا وَوَقْدًا
 ١٥ وَأَيْسَرُ مَا نَالَ مَنَى الْغَلِيدِ * لَوْلَا أَحْسَسُ مِنَ الْمَاءِ بَرْدًا

(١) فِي (١) : « وَمِنْ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي (١) : « وَهَيْبِكُ » بِالْبَاءِ الْمَوْحَدَةِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) « خَطَفَ لِي » أَي لَمَعَ لَمَعَانًا يَخْتَفِ الْبَصِيرُ .

فسق الله داره ما شربت [من] الغام، وأيامنا بها وبدور ليالى تلك الأيام تمام^(١)
 ذم الليالى بعد منزلة الآوى * والعيش بعد أولئك الأقوام^(٢)
 وكان قد وصل منه كتاب كالطيف أو أقصر زورا، وكالحب أو أظهر جورا،
 والربيع أو أبهر نورا، والنجم أو أعلى طورا، والمساء الزلال أو أبعده غورا، فنترت
 عليه قبلى، وجعلت سطوره قبلى بل قبلى، ووردت منه موردا^(٣)
 أهلا به وعلى الإطراء أنشدته * لو بلى من غلى أبلت من على^(٤)
 إلا أنه - أبقاه الله - ما عززه بثان، ولا آنس غريبه، وإني وإياه غريبان^(٥)
 وكم ظل أو كم بات عندى كتابه * سمير ضمير أو جنان جنان
 وأرغب إليه - لازالت الرغبات إليه - ، وأسأله - لا خيم السؤال
 إلا لديه - ، أن يلاطف بكتابه قلبي، ويمثل لي بمثاله أيام قربي

(١) عبارة كلا الأصلين : « ما شربت الغام » بسقوط « من » والسياق يقتضى إثباتها ، كما
 فى مسالك الأبصار؛ يشير الكاتب بهذه العبارة الى قول الشريف الرضى :
 سقى منى وليالى الخيف ما شربت * من الغام وحيهاها وحيك
 انظر ديوان الشريف الرضى .

(٢) البيت لجرير انظر ديوانه ص ١٢٤ طبع المطبعة العلمية وقد روى البيت فيه هكذا
 * ذم المنازل بعد منزلة الصبا * الخ البيت .
 (٣) فى ديوان جرير : « الأيام » والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

(٤) قبلى بكسر القاف وفتح الباء ، أى تجاهى ، ويجوز ضبطه بضم القاف وسكون الباء ، أى قصدى
 تقول : أنا أقبل قبلك ، أى أقصد قصدك .
 (٥) قبلى ، هو جمع قبلة بكسر القاف .

(٦) يريد أنه ينشد كتابه ، أى يطلبه على أطائه إياه ، وقلة جدواه فى شفاء غلته ، كما يدل عليه غجز
 البيت . وفى كلا الأصلين : « وعن الظلماء » ؛ وهو تحريف إذ المعنى عليه غير ظاهر .
 (٧) عززه : من التعزير ، وهو التقوية والإعانة .

والله لولا أنني * أرجو اللقا لقصيت نحيي
هذا وما فارقتكم * لكنني فارقت قلبي .

وكتب جواب كتاب ورد عليه :

شكرت لدهري جمعه الدار مرة * وتلك يد عندي له لا أضيعها
وطلعة مولانا يطالع عبده * وكل ربوع كان فيها ربوعها
فؤاد سقاها لا يعود غليله * وعين رأته لا تفيض دموعها
ورد على الخادم كتاب المجلس - أعلى الله سلطانه وأثبتته ، وأرغم أنف عدوه
وكتبته ، وأصماه بسهام أسقامه وأصمته ، ولا أخل الدنيا من وجوده ، كما لم يخل
أهلها من وجوده ، ولا عطل سماء المجد من صعوده ، كما لم يعطل أرضها من
سعوده - وهو كتاب ثان يثنى إليه عنان الثناء ، ويصف لي حسن العهد
على الثناء ، ويستنهض الأدعية الصالحة في الأطراف والآناء ، ويشير الخادم
بأنه وإن كان بعيد الدار فإنه بمثابة المقيم في ذلك الفناء ، وأن هذه
الخدمة التي أنعم الله عليه بها وثيقة الأساس على الدهر شامخة البناء ،
فقام له قائما على قدميه ، وسجد في الطرس ممثلا سجد قلبه ، وأسترعى الله العهد على
أنه تعالى قد رعى ما أودعه في ذمة كرمه ، وصارت له نجران علاقة خير صرف إليها
وجهه فكأنها قبله ، ودعا بني الآمال إلى اعتقاد فضل مالِكها فكأنما يدعوهم إلى

(١) في (١) : «وما قد فارقتكم» ، و«قد» زيادة من الناسخ إذ بها يخلل الوزن ، وهذا الشعر ينسب
إلى العيني من أهل مصر ، أو هو لظافر الحداد انظر خريدة القصر لعقاد الدين الأصفهاني المأخوذ منه بعض
أجزاء بالصوير الشمسي محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٥٥ ، وأدب ، والعيني الذي ينسب إليه
هذا الشعر غير المحافظ بدر الدين محمود العيني صاحب عقد الجمان في أخبار أهل الزمان .

(٢) كذا في (ب) ؛ وقد وردت هذه الكلمة في (١) مهملة الحروف من النقط ، ونجران في عدة
مواضع ، منها نجران في مخاليف اليمن من ناحية مكة .

مَّله ؛ والله يُوزِعُه شكرَ هذا الأفتقادِ على البعاد ، ولا يُخِلُّه من هذا الرأى الجميل الذى هو مَلجأُ الأستناد ؛ وعَقْدُ الاعتقادِ ؛ والخدام لا ينفك متطلعا لأخبار المولى فترده مُفَضِّلَةً ومُجْمِلَةً ، ومُفَصَّلَةً ومُجْمَلَةً ؛ ويعرف منها ما يعرف به موقع اللطف بالمولى فى أحواله ، ومكان النجح فى آماله ؛ وأنه بحمد الله فى نعمة منه — لا غير الله ما به منها ، ولا صرَّفها عنه ولا صرَّفه عنها — فيجدد لله الشكر والحمد ، ويبلغه ما يبلغه منها المراد والقصد ؛ ونسأل الله ألا ينجي الدولة الناصرية منه ناصرا لسلطانها ، وعينا لأعيانها ؛ وسيفا فى يد الإسلام يناضل عن حقِّه ، وفرعا شريفا يشهد مرآه بشرف عرقه ؛ والرأى أعلى فى إجرائه على ما عود من هذا الإنعام ، وزيادته شرفا بالأستنهاض — إن صلح له — والاستخدام .

١٢٥

ومن جواب آخر : ورد كتاب المجلس — أدام الله واردات الإقبال على آماله ، و [لا] سَلَبت الأيام نعمتى جميلة وإجماله ، ولا أنخط قدر بدره عن درجتي تمامه وكِماله ، وأحسن جزاءه عن ميثاق الفضل الذى نهض بإجماله — ووقفت منه على ما لا يجِدُ الشكرُ عنه محيدا ، وأنست به القلب الذى كان وحيدا ، وعددت يوم وصوله السعيد عيدا ، ووردت منه بئرا معظلة وحالت قصرا مشيدا ؛ ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، وتلك الغاية ليست فى وسعى ، ولا تعلم نفس إلا ما طرقت سمعها ، وتلك المحاسن ما طرقت ثلثها سمعى ، ولا تتناول يد إلا ما وسعه ذرعها ، وهذه الأوابد الأبعاد ما طالها ذراعى ولا أستقل بها ذرعى .

(١) افتقده وتفقده : طلبه عند غيبته .

(٢) فى (١) : « وسلبت » بسقوط « لا » ولا يستقيم الكلام بدونها .

(٣) فى كلا الأصلين : « ميقات » ؛ وهو تحريف .

(٤) فى (١) : « وأنست » ؛ وهو تحريف .

(٥) تعطيل البئر ؛ ألا تورد كما فى أساس البلاغة ؛ يريد أنها صافية الماء . غلبة المورد قلة الزحام عليها .

ومن آخر : خَلَدَ اللهُ أَيَّامَ المَجْلِسِ ، وَعَضَّدَ المَلَّةَ الحَنِيفِيَّةَ مِنْهُ بِجَاهِهَا ،
وَالأَرْكَانَ الإِسْلَامِيَّةَ مِنْ سَيْفِهِ بِسَائِدِهَا وَبَانِيهَا ، وَأَمَّتَعِ الدَّوْلَةَ المَحْمُودِيَّةَ بِعِزِّمَتِهِ الَّتِي
حَسُنَتْ الكِفَايَةُ بِهَا ، فَلَا غُرُوَّ أَنْ تَحْسُنَ الكِفَايَةُ فِيهَا ، وَلَا عَدِمَتْ الدُّنْيَا نَصْرَةَ
بِأَيَّامِهِ النَّصِيرَةِ ، وَالدُّنْيَا نَصْرَةَ بِأَعْلَامِهِ النَّصِيرَةِ ؛ المَمْلُوكُ يَقْبَلُ التَّرَابَ الَّذِي يَوْمًا يَسْتَقِرُّ
بِحَوَافِرِ سَيْلِهِ ، وَيَوْمًا يَسْتَقِرُّ بِحَوَافِرِ خَيْلِهِ — فَلَا زَالَ فِي يَوْمِ السَّلْمِ جُودُهُ سَحَابًا صَائِبًا ،
وَيَوْمِ الحَرْبِ شَهَابًا ثَاقِبًا — وَيُنْهَى أَنَّهُ وَرَدَتْ عَلَيْهِ المَكْتُوبَةُ الَّتِي اسْتَيْقِظَتْ بِهَا آمَالُهُ
مِنْ وَسْنَاهَا ، وَأَفَادَتُهُ مَعْنَى مِنَ الجَنَّةِ فَإِنَّهَا أَذْهَبَتْ مَا بَالنَّفُوسِ مِنْ حَزَنِهَا ، وَتَلَقَّى المَمْلُوكُ
قُبْلَهَا بِالسُّجُودِ وَالتَّقْبِيلِ ، وَتَحَلَّى بِعَقُودِ سَطُورِهَا فَهِيهَا بَعْدَ هَذَا شَكْوَى التَّعْطِيلِ ؛
وَآكْتَحَلَ مِنْ دَاءِ السَّهْدِ بِيَأْتِمِدِّهَا ، وَأَدَارَ عَلَى الإَيَّامِ كَأَسَ مَرَقِدِهَا ، وَأَسْمَعَتْهُ نَغْمَ النَّعِيمِ
الَّتِي هِيَ أَعْجَبُ إِلَى النَّفْسِ مِنْ نَغَمَاتِ مَعْبِدِهَا ، وَأَطَالَتِ الوُقُوفَ عَلَيْهَا رِكَابَ طَرْفِهِ
[فَمَا وَقُوفَ رِكَابِ طَرْفِهِ] بِرُقَّةٍ شَهْمِدِهَا ؛ وَضَرَعَ إِلَى مِنْ يَشْفَعُ وَسَائِلَ المَتَضَّرِّعِينَ ،

(١) الحوافر جمع حافرة ، وهي الأرض المحفورة ، كما قاله الأزهري .

(٢) القبيل بضم القاف وسكون الباء الموحدة : الوجه انظر اللسان .

(٣) الإئتمد بكسر الهمزة والميم : الكحل الأسود . ويقال إنه معرب . قال ابن البيطار في المتهاج :

هو الكحل الأصفهانى ، ويؤيده قول بعضهم : ومعادنه بالمشرق . وهو هنا مذكور على سبيل الاستعارة
والتشليل .

(٤) يريد أنه بهذه الرسالة قد أنام الأيام عن محاربه وأغفلها عن الكيدله .

(٥) النكلمة عن (ب) وسالك الأبصار .

(٦) البرقة والبرقاء : أرض غليظة مختلطة بحجارة ورمل ، وجمعها برق بضم الباء وفتح الراء وبراق

بالكسر انظر اللسان . وفي معجم البلدان لياقوت ج ١ ص ٥٧٩ طبع جوتنجن أن (برقة شهمد) لبني دارم
وذكر في ج ١ ص ٩٤٢ في الكلام على (شهمد) نقلًا عن نصر أن شهمد جبل أحمر حوله أبارق كثيرة
في ديار غنى ؛ ونقل عن غيره أن شهمد موضع في ديار بني عامر . وقد أشار الكاتب بهذه العبارة إلى قول طرفة
ابن العبد في مطلع معلقته :

نخولة أطلال برقة شهمد * تلوح كجاق الوشم في ظاهر اليد

ويملأ مواقع آمال المتوقّعين ؛ أن يغلّ عنه كل يد للخطوب بسبيطه ، ويفكّ به كل رِبْقَةٍ ^(١) للأيام بأعناق بنيتها محيطه . ^(٢)

ومن آخر : رفع الله عماد الإسلام ببقاء المجلس ، وبسط ظلّه على الخلق ، وملّك يده الكريمة قصب السبق ، وجمع بتديره بين ناصيتي الغرب والشرق ؛ وألّف لقدرته طاعتي الجهر والسر ، وصرف بعزمته زمامي النهى والأمر ، وأحرز بحدّه مسرّي الأجر والنصر ، وقطّ بفتكته شوكتي النفاق والكفر — وردت على المملوك مكتبة كريمة رفعها حيث تُرفع العائم ، ومدّ اليد إليها كما تُمدّ إلى الغائم ؛ وفضّها ، بعد أن قضى باللّم فرضها ، واستمطرت نفسه سماءها فأرضت أرضها ؛ وكاد المملوك يتألمها لولا أن دمع الناظر إلى العين سبّقه ، على أنه دمع قد تلون بتلون الأيام في فراقه ، فلو فاض لعصفر الكتاب وخلقه ؛ فلا أعدمه الله المولى حاضراً وغائباً ، ومشافها ومكتبها ، وأحله في جانب السعادة ويعزّ على المملوك أن يحلّ من مولاه جانباً . ^(٣)

ومن آخر : ورد كتابه ووقفت على ما أودعه من فضيل خطّ وفصيل خطاب ، وعقائل عقول ما كتبا لها من الأكنفاء وإن كانا من الخطّاب ، وآثار أفلام ^(٤)

(١) عبارة كلا الأصلين « كل ربة لاناام » الخ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى ، وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا ، ويعينه قوله : « محيطه » .

(٢) هذه الكلمة في (١) مهملة الحروف من النقط .

(٣) القط : القطع عامة .

(٤) يقال : عصفت الثوب ، أي صبغته بالعصفر ، وهو نبات سلافته الجريال ، وبذره القرطم وهو ريفي وبري ، وكلاهما ينبت بأرض العرب .

(٥) خلقه بتشديد اللام : طلاه بالخلوق ، وهو طيب يتخذ من الزعفران وغيره .

(٦) وأحله ، أي وأحل المملوك ؛ يريد الدعاء لنفسه بأن ينزله الله في جانب السعادة ، أي جانب المكتوب إليه .

(٧) في كلا الأصلين : « وان كانت » وسياق العبارة يقتضى ما أثبتنا ؛ فان الخطاب جمع خاطب ، كما في اللسان .

- تُناضل عن المِلَّةِ نضالَ النَّصالِ، وكأنَّها فضلٌ سبقي لما تحوزُه من حقِّ السَّبِقِ وَخَصْلِ^(٢)
 الخِصالِ ؛ فأعيَدَ الإسلامَ مِن عَدَمِهِ، ولا عَدَمَ بَسْطَةِ نَلمِهِ، وثبوتَ قَدَمِهِ ؛ فإنه
 الآنَ عَيْنُ الآثارِ، وأثرُ الأعيانِ، وخاطرُ الحِفظِ إلا أن الخُطوبَ تصحبُ فيه خِواطِرَ
 النَّسيانِ ؛ ولينَ أهْتَصَرَ الدهرَ سَطَوا^(٣)، وأختَصَرَ خُطَوا^(٤)؛ وإنه سيفٌ يمانٍ إن قَدَمَ
 عهدا، فقد حَسَنَ فِرَندا^(٥)، وخشَنَ حدابا، وأجرى نَهرا، وأورى شَرا؛ وأخضَرَ نَخمِيلَه ،
 وقَطَعَ الأيَّامَ جَمِيلَه ؛ وضارَبَ الأيَّامَ فَأَجفَلتَ^(٦) عن مضارِبِه ضرائِبُها^(٧)، وشَرَدتَ عن
 عزمِه غرائبِها ؛ ولبسَها حتى أَنهجتَ بوالِيا^(٨)، ثم آخَنتَ منها أَياما وأبى أن يلبسَها
 لِيالِيا ؛ لا جرمَ أن صحيفتَه البِيضاءَ شَعارَ شِعْرِهِ، وروضةَ علمِه الغنَاءَ قد جلتَ أنوارُ
 نُورِهِ، وزواهرَ زهيرِه ؛ فالزَمانُ لا يعدو عليه بزَمانِه تَعُدو، ولا يَجاوزُ أوقاتَه
 إلا مُوسُومَةً مَحاسنِه ولا يعدو؛ حتى يَمُتَ^(١٠) إليه عَدُوُّ يَلتَفِتُ^(١١) أَمسَ، ويروى اليَومَ

- (١) يريد ، السبق الى الإسلام الذي كان من مفاخر بعض الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ، كعلي
 ابن أبي طالب وأبي بكر وغيرهما .
 (٢) الخِصال : الخطر الذي يتراهن عليه في الرمي ؛ يقال : أحرز فلان خِصْلَه ، والمعنى أنه غلب .
 والخِصال : مصدر خالصه ، إذا راهته في الرمي .
 (٣) في كلا الأصلين : «سطورا» وهو تحريف ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أمبئنا ؛ واهتصر الدهر
 جذبه وأماله ؛ ومن نعوت الأسد المهتصر .
 (٤) واختصر خطوا : آية عن الوثب ، فإن الوثاب يقل الخطو الى غايته .
 (٥) فرند السيف : جوهره .
 (٦) أجفلت : نفرت وأسرعت في الحرب . وفي كلا الأصلين : « وأحفلت » بالخاء المهملة
 وهو تصحيف .
 (٧) الضرائب : جمع ضريبة ، وهى فعيلة بمعنى مفعولة . وإنما ثبتت فيه التاء مع أنه بمعنى المفعول
 لأنه صار في عداد الأسماء .
 (٨) يقال : أنهج الثوب ، إذا أخذ في البلى .
 (٩) في كلا الأصلين : « الخنا » وهو تحريف لا يظهر له معنى .
 (١٠) في كلا الأصلين : « عليه » وهو تحريف .
 (١١) يلتفت ، أى ينصرف عنه ويعرض .

أَنَّ قَرَابَتَهُ مِنْ فَضْلِهِ أَمَسَّ ؛ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّي لَأَرَى لَهُ وَلَا أَرَى فِيهِ ، وَأُسَدُّ عَنْهُ
كُلَّ خَرَقٍ تَعَجَّزَ عَنْهُ يُدْرِيهِ ؛ ضَنَا بِالصَّدُورِ أَنْ تَخْلُوَ مِنْ صَدْرٍ كَقَلْبِهَا ، وَمَحَامَاةً عَنْ
حَقُوقِ تَقْدِيمَتِهِ الَّتِي أَوْجَبَهَا أَنْ تُعَارَضَ بِسَلْمِهَا .

ومن آخر : وصل كتاب الحضرة بفعل مستقره النعمة في الصدور ،
وأخرجني ظلمات خطه إلى نور السرور ؛ ووقفت وكأني واقف على طليل من
الأحبة قد بكى عليه السحاب بطله ، وأبتسم له الروض عن أخبار أهله وآثار منهلته ؛
فلم أزل أرفف مسك سطورهِ ولباسها ، وأزده العين والقلب بين حسنها وجناها ؛
وأطلق عنان شوق جعلت الأقلام له نجما ، وحسبت النفس ليلا ، والكتاب طيفا ،
والوقوف عليه حلما ؛ إلى أن قضت النفوس وطرا ، وجمت الخواطر خطرا ،
وقرنت بما ظنه سخا بما ظنه مطرا ؛ هذا على أنه قريب العهد بيد النعماء ، فإن هرب
فمن ماء إلى ماء .

ومن آخر : فلما وقف على الكتاب جدد العهد بآئمه ما لم يصل إلى اليد
[التي] بعثته ، وشفى القلب بضمه عوضا عن الجوانح التي نفتته^(٢)
وأيन المطامع من وصله * ولكن أعلل قلبا عيلا .

ومن آخر : وصل كتابه ، وكان من لقاءه طيفا إلا أنه أنس بالضحي ، وأثار
حرب الشوق وكان قطب الرحي

تخطى إلى الهول والقفور دونه * وأخطاره لا أصغر الله ممشاه .

(١) في كلا الأصلين : « وقرنته » ؛ والهاء زيادة من النسخ .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من (١) ؛ والسياق يقتضى إثباتها ، كما في (ب) .

ومن كلامه رحمه الله يصف بلاغة كتاب، قال : كتابٌ إلى نحري
ضمته، وذَكَرْتُ به الزمنَ الذي ما ذمته، وأكبرتُ قدره حينَ تسلمته [استلمته] ^(١)
والتقطتُ زهره حينَ لَحَّته استلحته، وامترج بأجزاءِ نفسى حينَ لحظته حفظته ؛
وجمعتُ بينه وبين مستقره من صدرى ، واستطلتُ به مع قصره على حادثات
دهرى ، وجعلتُ سحره بين سحرى ونحرى ، واستصأتُ به ورشفته فهو نهارى وهو
نهرى ؛ فإن أردتُ العطرَ بلا أثرٍ أمسكتُ مسكه بيدي ، وإن أردتُ السكرَ بلا إثمٍ
أدرتُ كأسه فى خلدى ؛ فله أناملُ رفته ، ما أشرفَ آثارها ! وخواطرُ أملتُه ،
ما أشرقَ أنوارها ! ولم أزل متقلبا منه بين روضةٍ فيها غدير ، وليلةٍ فيها سمير ؛
وإمارةٍ لها سرير ، ومسرةٍ أنا لها طليقُ أسير ، ونعمةٍ أنا لها عبدٌ بل بها أمير ؛
حتى أدبرتُ عنى جيوشُ الأسي مفلولة ، وقصرتُ عنى يدُ الهممِ مغلولة ؛ ومُلئتُ منى
مسامعُ المكارمِ حمدا ، وخواطرُ الصنائعِ ودا ؛ وحطَّ الأملُ بربعى رحله ، وأنبَتَ
الربيعُ بينائى بقله ؛ وليستُ من الإقبالِ أشرفَ خلعه ، ووردتُ من القبولِ أغزرَ
شِرعهُ ، وأنجمتُ من رياضِ الرجاءِ أرجى نُجمه .

وقال أيضا من آخر : هذا من عفوِ الخواطر ، فكيف إذا استدعى
المجلسُ خطيةً خطه بقاءتُ تعسل ، وحشدَ حشودَ بلاغته فأنت من كل حديب ^(٢)
تنسِل ! ^(٣)

- (١) هذه الكلمة ساقطة من (١) وقد أثبتناها عن (ب) إذ السياق يقتضى إثباتها ؛ ويرشد إليها أيضا ما يأتي فى الجملتين اللتين بعدها ، والمراد بالاستلام هنا ، التقبيل ، تشبها له بالجرم الذى يستلحه الحجيج .
- (٢) السجر بفتح السين وسكون الحاء المهملة وفتحها : الرثة ، أراد ما يحاذيها من الصدر .
- (٣) الخطية : رماح تنسب الى الخط ، وهو مرفأ السفن بالبحرين تنسب إليه الرماح لأنها تحمل إليه من الهند فتباع به .
- (٤) غسل الرمح غسلًا وعسلانا : اشتد اهتزازهُ وأضطرب .
- (٥) الحدب بفتح الحاء : العالظ المرتفع من الأرض . وتنسل : تسرع .

ومن آخر : ورّع في رياض بلاغته التي لم يقتطفهن من قبله غارس
ولا جان ، وأجّسلى الحور المقصورات في الطروس التي لم يطمهن^(١) إنس قبله
ولا جان ؛ وغنى بتلك المحاسن غنى خيرا من المال ، وأعتقد^(٢) فيها كنوزا إذا شاء
أنفق منها الجمل ، وإذا شاء أمسك منها الجمال .

وقال أيضا : كتاب أشتمل على بديع المعاني وباهرها ، وزخرت بحار
الفضل إلا أنني ما تعبت في آستخراج جواهرها ؛ بل سبحت حتى تناولتها ،
وجنحت إلى فما حاولتها ؛ وأقتبست من محاسن أوصافه ، وبدائع أصنافه ؛
نكا استقلت أجسادها بالارواح ، وزهيت جيادها بما فيها من الغرر والأوضح ؛
فيا لله من بدائع وروائع ، ولطائف وطرائف ! فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ،
وما يقرط^(٣) الأسماع ويقرط^(٤) الألسن ؛ فكأنه طرف طرف صوبه مدار ، وعلم علم
منصوب في رأسه نار ؛ صحح السحر وإن كان ظنا ، وفضح الدر إذ كان أبرع
معنى ، وأسنى حسنا ، وأدنى مجنى ، وأغنى مغنى ؛ فما ضره تأخير زمانه ، مع تقدم
بيانه ؛ ولا من سبقه في عصره ، مع أنه قد سبق في شعره .

١٧٧

(١) الطم : الافضاض ، وبابه نصر وضرب .

(٢) اعتقد : أحرز وأقنى .

(٣) يقرط الأسماع ، أى يحلى به الأسماع كما تحلى الآذان بالأقراط ، وهو جمع قرط بضم القاف ،
وهو ما يعلق من الحلى في شحمة الأذن . (ويقرط الألسن) من التقريط ، وهو التقطيع ؛ أو هو من تقريط
الفرس ، وهو إلجامة ؛ والمراد أن ما في هذا الكتاب من البلاغة يقطع الألسن عن معارضته ويلمع الأفواه
عن مساجلته ؛ وفي الأصول : « يقرط » بالفاء الموحدة في كلا اللفظين ؛ وهو تصحيف لا يظهر له معنى .
(٤) كذا في كلا الأصلين ؛ ولم نجد من معاني هاتين الكلمتين ما يناسب سياق ما هنا ؛ ولعل صواب العبارة :
« فكأنه قطر قطر » أى فالأولى مصدر قطر الماء ، بقطر ، إذا سال . والثانية بمعنى المطر ، كما تدل على ذلك
بقية الجملة .

ومن آخر : والله هو من كتاب لما وقفت عليه الغلة شفاها ، وقرأت
 ورددتها كل ماء غيره شفاها ، ووطأ مضاجع أنيها بعد أن كان الشوق يقرب^(٢)
 الجنوب على شفاها ، فلا عدم ودها الذي به عن كل مودة سلوة ، ولا برحت^(٣)
 كفاية الله محلها في الذرا وتعلو قدرها في الدرره ، ولا فقد مما ينعم به أي نعمه ،
 ولا مما ينشيه أي نشوه .

ومن آخر : كتاب كريم تبسم إلى ضاحكا ، وظهر مدأده أنه قد جلا
 سطره على حالكا ، فما هو إلا سواد الحدقة منه أنبعثت الأنوار ، وما هو إلا سويداء^(٤)
 ليلة الوصل آشتلت على دجى تحته نهار ، فله هو من كتاب استغفر الدهر ذنب
 المشيب بسواده ، وأستدرك الزمان غلظه بسداده .

ومن آخر : كتاب تقارعت الجوارح عليه فكادت تتساهم ، فقالت اليد :
 أنا أولى به ، شددت على مولاه ومولاي عقد خنصرى ، ورفعت أسمه فوق متبرى ؛
 وقبضت عليه قبضتى ، وبسطت في بسط راحته وقت الدماء راحتي ؛ وقالت العين :
 أنا أولى به ، أنا وعاء شخصه ، والى يرجع القلب في تمثيله ونصه ؛ وأنا سهرت بعد^(٥)
 رحيله وحشة ، وأنا إذا ذكر هجير القلب علته رشة بعد رشة ؛ فقال القلب :
 طمعما في حقي لأنى غائب ، وهل أنت لى يا يد إلا خادم ؟ وهل أنت لى
 ١٥

(١) السفاه بفتح السين المهملة : الجهل .

(٢) فى (١) : « نقلت » ؛ وهو تصحيف .

(٣) السفاء : الشوك ؛ وفى كلا الأصلين : « شفاها » بالشين المعجمة ؛ وهو تصحيف .

(٤) سويداء : تصغير لسوداء ، ولعله صغرها لوصفهم ليلة الوصل بالقصر عادة .

(٥) النص هنا : الإظهار .

(٦) فى كلا الأصلين : « عليه » ؛ وهو تحريف لا تستقيم به الجملة ؛ وعلته : من العلل بفتحين

وهو الشرب الثانى .

يا عين إلا حاجب؟ أنا مستقره ومستودعه، ومرتعه ومشرعه، وأنا أذكره وبه
أذكركما، وأحضره وخدمته أحضركما؛ فاليدُ أستخدمها مرّةً في الكتابة إليه،
ومرّةً في شدّ الخنصر عليه؛ ومرّةً في الإشارة إلى فضله، ومرّةً في الدعاء بكلِّ
صالحٍ هو من أهله؛ والعينُ أستخدمتها في ملاحظة وجهه آثبا، وفي توقُّع لقائه غائبا،
وفي المهد شوقا إلى قربه، والمطالعة لما يخرج أمرى بكتبه من كتبه؛ فهناك
سأمتا وأستجرتا،^(٢) وألقنا وأستأخرنا؛ وكدتُ أرشِفُ نفسه لِنقله إلى سويداه،
لولا أن سواد العين قال: أنا أحوج إلى الاستمداد من هُداة.

ومن كلامه رحمه الله تعالى ما رُكِبَ نصف قرآنه على نصف بيت

نحو قوله:

وَصَلَّ كِتَابُ مَوْلَايَ بَعْدَ مَا * أَصَاتِ الْمُنَادِي لِلصَّلَاةِ فَأَعْتَمَا^(٤)

فلما استقرتُ لدى، «تجلى الذي من جانب البدر أظلمها» فقرأته، «بعين إذا
استمطرتُها أمطرتُ دما» وسألتُه، «فسألتُ مصروفا عن النطق أنجما» ولم يردَّ
جوابا، «وماذا عليه لو أجاب المتيا» ورددته قراءة، «ففعولتُ دون الحلم أن
أتحلما» وحفظته، «كما يحفظ الحرُّ الحديث المكتما» وكترتُه، «فمن حيثما واجهته
قد تبسما» وقبلته، «فقبلتُ درّا في العقود منظما» وقمتُ له، «فكنتُ بمفروض

(١) عبارة الأصول: «في ملاحظة وجهه غائبا، وفي توقُّع لقائه آثبا»؛ وظاهر أن في نهايتي
هاتين الجملتين تقديمًا وتأخيرا؛ وسياق الكلام يقتضى العكس كما أثبتنا.

(٢) استجرتا: انقادتا؛ يريد أنهما وافقتاه على دعواه؛ والذي في كلا الأصلين: «استخرنا»
بالحاء المهملة والنون؛ وهو تصحيف لا يظهر له معنى.

(٣) في كلا الأصلين: «نفسه» بالفاء الموحدة؛ وهو تحريف؛ والنقص بالكسر المداد.

(٤) في كلا الأصلين: «أصاب» بالباء الموحدة؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى؛ وأصوات:
نادى؛ وهو من الصوت.

(٥) هذه اللام ساقطة من (أ)؛ والسياق يقتضى إثباتها، كما في (ب).

الحبسة قيماً» وأخلصت لكتابه، «وليس على حكم الحوادث محباً» ^(٢) ولم أصدقته،
«ولكنه قد خالط اللحم والدم» وأزخت وُصوله، «فكان لأيام المواسم موسماً»
وداويت عليل «حشاً ضرماً ما فيه من النار ضرماً» وشفيت غليل «فؤاد أمتيه»
وقد بلغ الظلم «فأما تلك الأيام التي «حماها من اللوم المقام على الحمى» والليالي
العذاب التي «ملأن نحر الليل بيضا وأنجما» ^(٤) [فإني لأذكرها، «بصبرٍ كما قد صرمت
قد تصرماً»] وأرسل الزفرة «فلوصاغت رضوى لرض وهدماً» وأرسل العبرة،
«كما أنشأ الأفق السحاب المديماً» وأخطب السلوه، «فأسأل معدوما وأقيل معدما» ^(١١)

(١) كذا في كلا الأصلين وصبح الأعشى ج ١ ص ٢٧٨ وارتباط هذا الشطر بما قبله من النثر غير ظاهر؛
ولعله: «ولست» بزيادة تاء الضمير يقول: إني لأملك رد الحوادث التي تعوقني عن أن أكتب إليه
بما عندي له من الشوق. وإذن يكون الارتباط واضحاً.

(٢) ولم أصدقه، أي لم أغشه بالصدق بفتح الصاد والدال، كما يفشى الدر. والذي في صبح الأعشى
ج ١ ص ٢٧٨ «ولم أصدقه» بالقاف المثناة وهو تصحيف.

(٣) كذا في تذكرة الصفدى المحفوظ منها بعض أجزاء مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٢٠
أدب. والذي في كلا الأصلين وصبح الأعشى: «حماها على اللوم» الخ. ولم تقف فيما لدينا من كتب
اللغة على تعديده هذا الفعل ب «على».

(٤) البيض: جمع أبيض، ومن معانيه الرجل النقي العرض؛ والظاهر أن ذلك هو المراد هنا؛ يريد
وصف خلانه وجلسائه بنقاء أعراضهم من الدنس والعيوب؛ وأنهم كالنجوم في عار الشرف وبعد المنزلة.
(٥) هذه التكلفة ساقطة من كلا الأصلين وصبح الأعشى؛ وقد نقلناها عن تذكرة الصفدى؛ إذ لا يستقيم
الكلام بدونها.

(٦) في كلا الأصلين: «وأرسلت» بصيغة الماضي وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا لبوافق ما بعده
وما قبله.

(٧) في (١): «فأصاغت» وهو غير مستقيم؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا كما في (ب) وتذكرة الصفدى.

(٨) رض: من الرض، وهو الدق والكسر.

(٩) أنشأ الأفق السحاب، أي وقع.

(١٠) المديم بتشديد الياء: من ديم السحاب، أي دام مطره. ويقال: دوم بتشديد الواو، وهو
الأصل كما يستفاد من اللسان.

(١١) أقفل: من القفول، وهو الرجوع.

فأما الشكرُ فإنما « أفصَّ به مسكا عليك محتمًا » وأقوم منه بفرض « أراني به دون البرية أقومًا » وأوقى واجبَ قرض ، « وكيف تُوقى الأرض قرضًا من السماء » .

وقال أيضا : ^(١) وصل كتابُ الحاضرة بعد أن عدتُ الليالي لطلوع صديعه ^(٢)

« وقد عشتُ دهرًا لا أعدُّ الليالي » ، وبعد أن أنتظرتُ القيظَ والشتاءَ لفصلِ ربيعِهِ
 « فما للنوى ترمي بليلي المراميا ! وأستروحتُ إلى نسيمِ سحرِهِ ، « إذا الصيفُ ألقى
 في الديار المراسيا » ومددتُ يدي لاقتطافِ ثمَرِهِ ، « فقله ما أحلى وأحلى المجانبا ! » ^(٣)
 ووقفتُ على شكواه من زمانِهِ ، « فبتُّ لشكواه من الدهر شاكيًا » وعجبتُ لعَمَى الحظِّ
 عن مكانِهِ « وقد جمع الرحمن فيه المعانبا » وتوقَّعتُ له دولةً يعلوبها الفضل
 « إذا هزَّ من تلك الرياح عواليا » ورتبةً يرتقي صهوتها بحكم العدل « فربَّ مرقاق
 يُعتدِّن مهاويا » وإلى الله أرغب في إطلاعِ سعوده ، « زواهر في أفق المعالي زواهايا »
 وفي إنهاضِ عثراتِ جدوده ، « فقد أعرثتُ بعدَ النهوضِ المعاليا » .

وقال أيضا :

وصل من الحاضرة

كتابٌ به ماء الحياة وتقعَةُ الـ * حيا فكأني إذ ظفرتُ به الخضرُ

ووقفَ عبدُها منه على

عقودِ هي الدر الذي أنت بجره * وذلك ما لا يدعى مثله البحرُ

(١) كذا في (ب) ؛ ولم يرد من هذه الكلمة في (أ) غير الحرف الأول ، وهو الواو .

(٢) الصديق : الصبح .

(٣) في (أ) : « المحاميا » وفي (ب) « الحاميا » ، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا انظر تذكرة

الصفدي وصبح الأعشى ج ١ ص ٢٧٩ وأراد بقوله : « وأحى المجانبا » وصف مجانبا بالصيانة وانها

ممنعة غير مبتذلة .

ورَتَعْتُ مِنْهُ فِي

(١) رِيَاضٍ [يَدٍ] تُجْنَى وَعَيْنٍ وَخَاطِرٍ * تَسَابَقَ فِيهَا النُّورُ وَالزَّهْرُ وَالثَّمَرُ^(٢)
وَكَرَعْتُ مِنْهُ فِي حِيَاضٍ

تَسْرُجَانِيهَا إِذَا مَا جَنَى الظُّمَاءُ * وَتُرْوَى بِمَجَارِيهَا إِذَا بَجَلِ القَطْرِ
وَمَا زِلْتُ مِنْهُ أَنْشُدُ

كَأَنِّي سَارٍ فِي سَرِيرَةٍ لَيْسَلَةٍ * فَلَمَّا بَدَأَ كَبُرْتُ إِذْ طَلَعَ الفَجْرُ
وَوَاقٍ عَلَيَّ مَا كُنْتُ أُعْهَدُ

نَخَلْتُ بِأَنَّ العَيْنَ مِنْ سُبْحِ كَفِّهِ * فَمِنْ ذِي وَمِنْ ذِي [فِيهِ] يَنْتَثِرُ الدَّرُّ^(٣)
وَأَسْتَرْجِعُ فَائِتَ الدُّنْيَا مِنْ مَوْرِدِهِ

١٠ وَمَا كَانَ عِنْدِي بَعْدَ ذَنْبِ فِرَاقِهِ * بَأْتِي أَرَى يَوْمًا بِهِ يَعْبُدُ الدَّهْرُ
وَنَفْسٌ عَنِ النَّفْسِ بِأَبْيَضِ ثَمَادِهِ، وَعَنِ العَيْنِ بِأَسْوَدِ إِثْمَدِهِ^(٤)
بِهِ لَهَا سَبْحٌ طَوِيلٌ فَهَذِهِ * عَلَيَّ خَاطِرٌ بَرْدٌ وَفِي خَطَرٍ بَدْرٌ^(٥)
وَجَدَدٌ إِلَيْهِ أَشْوَاقًا جَدِيدُهَا

يَمْتَرُ بِهِ ثَوْبُ الجَدِيدِينَ دَائِمًا * فَيَبْلِي وَلَا تَبْلِي وَإِنْ بَلَى الدَّهْرُ

١٥ وَذَكَرَ أَيَّامًا لَا يَزَالُ يَسْتَعِيدُهَا

وَهِيَهَاتَ أَنْ يَأْتِيَ مِنَ الدَّهْرِ فَائِتٌ * فَدَعِ عَنكَ هَذَا الأَمْرَ قَدْ قُضِيَ الأَمْرُ .

(١) هذه الكلمة ساقطة من (١) ؛ وقد أثبتناها عن (ب) وتذكرة الصفدى وصبح الأعشى ج ١

ص ٢٧٦ إذ بها يستقيم البيت .

(٢) النمر يضم الاء والميم جمع ثمار بالكسر كما في المصباح ؛ وهذا الجمع يجوز فيه إسكان عينه المضمومة كما هنا .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من (١) ؛ واستقامة الوزن تقتضيها ؛ وقد أثبتناها عن (ب) وتذكرة الصفدى .

٢٠

(٤) كذا في كلا الأصلين . والذي وجدناه فيما لدينا من كتب اللغة أن الثماد بكسر أوله : الماء القليل

كالثمد بالتحريك ، فكأنه يريد تشبيه الكتاب بالماء في أنه يشفى الظمأ ويتقع الغلة .

(٥) أراد بالخطر هنا : الامر المخوف .

وكلامُ القاضي الفاضل — رحمه الله — كثيرٌ، بأيدي الناس منه عدَّةُ مجلِّداتٍ، أخبرني من أتق بقوله من القضاة الحكام الأعيان أنه يزيد على خمسين مجلِّداً قد جُمِعَتْ، أما ما لم يجمعه الناس فكثير جداً، وقد نقل بعض من أرخ، أنه وجد للقاضي الفاضل مسوداتٍ كتب صدرت عنه وأجوبةً تزيد إذا جُمِعَتْ على مائة مجلِّد، ولا يحتمل الحال أن نورد له أكثر مما أوردناه، ورسائله المختارة كثيرةٌ قد يكون فيها أجود مما اخترناه ونحوه، وإنما أوردنا له ما حضر في هذا الوقت، إذ لم يمكن البحث عن كلامه والأستقصاء، وإن كان كلُّ رسائله مختارةً رحمه الله .

ذكر شيء من رسائل الشيخ الإمام الفاضل ضياء الدين أبي العباس أحمد ابن الشيخ الإمام العابد القدوة أبي عبد الله محمد بن عمر بن يوسف بن عمر بن عبد المنعم الأنصاري القرطبي رحمه الله، — وكانت وفاته بقنا من أعمال قوص في سنة اثنتين وسبعين وستمائة —

كتب إلى شيخنا الإمام العلامة تقي الدين محمد ابن الشيخ الإمام الحبر مجد الدين أبي الحسن علي بن وهب بن مطيع القشيري المعروف بابن دقيق العيد رحمه الله تعالى : تخدم المجلس العالي صفات يقف الفضل عندها، ويقفو الشرف مجدها، وتلتزم المعالي حمدها، وسمات يتسم ثغر الرياسة منها، وتروى أحاديث السيادة عنها؛ الصدرى الرئيسى المفيدى؛ معانٍ استحققتها بالتميز، واستوجبها بالتهريز، وسبكتها الإمامة لها فألفتها خالص الإبريز؛ ومعالٍ أقرتته في سويدائها، وأطلعتة في سماها،

١٢٩

(١) كذا في (ب) والذى في (أ) « ومن كلام » وقوله : « من » زيادة من النسخ .
 (٢) كذا في كلا الأصلين ؛ وقد ورد هذا النسب في بعض المصادر ساقطاً منه هذا الجذ الثالث وهو عمر انظر كتاب الطالع السعيد لكمال الدين الإدقوى ص ٤٤ طبع الجمالية في ترجمة محي الدين أحمد بن محمد ابن أحمد حفيد ضياء الدين أبي العباس ابن القرطبي .

وألبسته أفضل صفاتها وأشرف أسمائها؛ العلامى الفاضلى التقوى؛ نسب أختص

به اختصاص التشرىف، لا تعريفا له فالشمس تستغنى عن التعريف؛ لا زالت

إمامته كافلة بصون الشرائع، واردة من دين الله وكفالة أمة رسول الله أشرف

الموارد وأعذب الشرائع، آخذة بأفاق سماء الشرف فلها قمرها والنجوم الطوالع،

قاطعة أطاع الآمال عن إدراك فضله وما زالت تقطع أعناق الرجال المطامع، صارفة

عن جلالة مكاره الأيام صرفا لا تتعورده القواطع، ولا تعترضه الموانع؛ وينهى ورود

عذارته التى «لها الشمس خذت والنجوم ولائد» وحسنائه التى «لها الدر لفظ

والدرارى فلائد» ومشرفته التى «لها من براهين البيان شواهد» وكريمته التى «لها

الفضل ورد والمعالي موائد» ووديعته التى «لها بين أحشائى وقلبي معاهد»

وأيته الكبرى التى دل فضلها * على أن من لم يشهد الفضل جاحد

وأنتك سيف الله للهدى * وليس لسيف سله الله غامد

١٠

(١) فى (١) : «لا تشرىفا» وفى (ب) : «تشرىفا» بسقوط «لا» ؛ وما أثبتناه هو المناسب

لسياق الكلام .

(٢) الشرائع جمع شريعة ؛ وهى مورد الشاربه التى يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون ، والعرب

لاتسميها شريعة حتى يكون الماء عدلا لا انقطاع له ، ويكون ظاهرا معينا لا يسق بالرشاء . ولا تكرر بين

١٥

ما هنا وما سبق لاختلاف المعنى .

(٣) أشار بهذه العبارة إلى قول جرير :

أخذنا بأفاق السماء عليكمو * لنا قمرها والنجوم الطوالع

(٤) أشار بهذه العبارة إلى قول البيهتى المجلد :

طمعت بليلى أن تربع وإنما * تقطع أعناق الرجال المطامع

٢٠

(٥) فى (١) : «حدث» وفى (ب) «هدب» ؛ وهو تحريف فى كلتا النسخين .

(٦) الدرارى : الكواكب العظام التى لا تعرف أسماؤها ، قاله الفراء .

(٧) فى كلا الأصلين وكتاب الطالع السعيد ص ٥٨ طبع الجمالية : «موارد» ؛ وهو تحريف لحصول

التكرار به مع قوله : «ورد» .

فلمثلها يحسن صوغ السوار ، ولفضلها يقال : "أناة أيها الفلّك المُدار" وإنما
 في العلم أصل فرع نابت ، والأصل علة النشأة والقرار ، وفرع أصل ثابت ، والفرع^(١)
 فيه الورق والثمار ؛ هذه التي وقفت قرائح الفضلاء على استحسانها ، وأوقفتني على^(٢)
 قدم التعبد لإحسانها ، وأيقنت أن مفترق الفضائل مجتمع في إنسانها ، وكنت أعلم
 علمها بالأحكام الشرعية فإذا هي في الثرآبن مقفّعة ، وفي القوائد أخو حسناتها ؛
 هذه وأبيك أم الرسائل المبتكرة ، وبنّت الأفكار التي هدّبتها الآداب فهي في سهل
 الإيجاز البرزة^(٣) وفي صون الإيجاز المخدّره ، والمليئة ببدايع البداهة ، فتي تقاضاها
 متقاض لم تقل : "فَنظَرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ" ؛ والبدية التي لم توجه إليها الآمال فكراها
 لأستحالة غير مسبوق بالشعور ، ولم تسم إليها مقل الخواطر لعدم الإحاطة بغيب
 الصدور قبل الصدور ، والبدية التي فصل البيان كلماتها تفصيل الدرر بالشذور ؛
 إن كلمتها يمتد في صدورها وأعجازها ، ويختال في سطورها وإعجازها ، وتنتال عليها^(٤)
 أغراض المعاني بين إسهابها وإيجازها ؛ فهي فرائد آتت من أفكار الوائلي^(٥)
 والإيادي ، وقلائد آتت من الدراري ، ولطائم^(٦) فُضت عن العنبر الشحري^(٦)
 والمسك الدراري ؛ لا جرم أن غواصي الفضائل ظلوا في غمراتها خائضين ، وفُرسان

(١) كذا في (ب) ، والذي في (أ) « وأصل فرع » وهو مكرّم مع ما قبله .

(٢) كذا في كلا الأصلين ؛ وأوقفه بالهمز لغة رديئة كما في اللسان ؛ وقد نقلها ابن السكيت عن الكسائي

وقيل : وقفه وأوقفه سواء .

(٣) البرزة : البارزة المحسن . وفي (أ) : « البررة » براين مهملتين ؛ وهو تصحيف .

(٤) تنتال : تتابع .

(٥) اللطائم : أوعية المسك ، الواحد لطيمة .

(٦) الشحري : نسبة إلى الشحر ، وهو صقع بساحل بحر الهند من ناحية اليمن قال الأصمعي :

هو بين عدن وعمان ، واليه ينسب العنبر الشحري « ياقوت » . والداري : نسبة إلى دارين ، وهي فرضة

بالبحرين فيها سوق كان يحمل إليها المسك من ناحية الهند « اللسان » مادة « دور » .

الكلام أضحوا في حَلَبَاتِهَا رَاكِضِينَ، وَأَبْنَاءَ الْبَيَانِ تُكَلِّمُ عَلَيْهِمْ آيَاتُهَا «فَطَلَّتْ أَعْنَاقَهُمْ
لَهَا خَاضِعِينَ» .

ما إن لها في الفضل مثل كائن * وبيانها أحلى البيان وأمثل

فالعجز عنها معجز متيقن * ونبيها بالفضل فينا مرسل

• ما ذلك إلا أن ما يأتي به * وحي الكلام على اليراعة ينزل

بزغت شمساً لا ترعى غير صدره فلكا، وانقادت معانيها طاعة لا تختار سواه مليكا،

وانتبدت بالعراء فلا تخشى إدراك الإنكار ولا تخاف دركا، وندت شواردها

فلا تقتنصها الخواطر ولو نصبت هذب الجفون شركا

فالأصائل^(٢) في عليائها سمر * إن الحديث عن العلياء أسمار^(٣)

• وللبصائر هاد من فضائلها * يهدي أولى الفضل إن ضلوا وإن جاروا

بادي الإبانة لا يخفى على أحد * «كأنه علم في رأسه نار»

أنجب بها من كليم جاءت كغمام الظلال على سماء الأنهار! وسرت كعليل النسيم

عن أندية الأسحار، وجليت محاسنها كأؤلؤ الطل على خدود الأزهار، وتجلت كوجنة

الحسنة في فلک الأزرار، وأهدت نفحة الروض متأود الغصن بليل الإزار، فأحيتنا

• بذلك النفس المعطار، وحيثنا بأحسن [من] كأسى لمى وعقار، وآسى ريحان وعذار؛^(٤)

(١) المعجز بكسر الجيم وفتحها مصدر ميمي بمعنى العجز .

(٢) الأصائل، جمع أصيل، وهو المحكم الرأي . وفي تحاب الطالع السعيد ص ٥٩ : « فلا فاضل »
والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٣) الأسمار بفتح الهمزة جمع سمر بفتح السين والميم، وهو معروف؛ ويجوز أن يقرأ : « إسمار »
بكر الهمزة على احتمال أن أسمر فلان بالهمزة لغة في سمر كما في اللسان عند قول عبيد بن الأبرص :

فهن كنبراس التبيط أو ال * فرض بكفت اللاعب المسمر

(٤) كذا في (ب) والطالع السعيد؛ ومكان هذه الكلمة في (١) باء موحدة بعدها ألف؛ ولا يفهم
لها معنى .

ولؤلؤى حَبِّبٍ وثغرا، وَعَقِيقُ شَفِيَّةٍ وَخَمْرٍ، وَرَبِيعَى زَهْرٍ وَنَهْرٍ، وَبَدِيعَى نَظْمٍ وَنَثْرٍ،
وَلَمْ أَدْرِ مَا هِيَ أَنْغُورٌ وَلَا نَدَى؟ أَمْ شَدُورٌ قَلَانِدٌ؛ أَمْ تَوْرِيدٌ خَدُودٌ، أَمْ هَيْفٌ قَدُودٌ؛
أَمْ نَهْودٌ صَدُورٌ، أَمْ عَقُودٌ نَحُورٌ؛ أَمْ بَدُورٌ أَتْلَفَتْ فِي أَضْوَائِهَا، أَمْ شَمُوسٌ أَشْرَقَتْ
فِي سَمَائِهَا؟

جَمَعْنَ شَتِيَّتَ الْحَسَنِ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ * فَخَيْرِنَ أَفْكَارِي وَشَيْبِنَ مَفْرَقِي
وَغَاظَهَا قَلْبِي بُوْدٌ مُحَقَّقِي * وَوَاصَلَهَا ذَكَرِي بِجَمْدِ مَصَدَّقِي
وَمَا كُنْتُ عَشَّاقًا لِذَاتِ مُحَاسِنِي * وَلَكِنْ مِنْ يَبْصَرِ جَفْوَنِكَ يَعْشَقِي
وَلَمْ أَدْرِ وَالْأَلْفَاظُ مِنْهَا شَرِيفَةٌ * إِلَى الْبَدْرِ تَسْمُو أَمْ إِلَى الشَّمْسِ تَرْتَقِي

إِنَّمَا هِيَ جَمَلَةٌ إِحْسَانٌ يُلْقِي اللَّهُ الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى قَلْبِهَا، أَوْ رَوْضَةٌ بَيَانٌ «تُوْتِي أَكْلَهَا
كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا»؛ أَوْ ذَاتُ فَضْلٍ أَشْتَمَّتْ عَلَى ذَوَاتِ الْفَضَائِلِ، وَجَنَّتْ ثَمَرَ
الْعُلُومِ فَأَجْنَتْهَا بِالضَّحَى وَالْأَصَائِلِ؛ أَوْ نَفْسٌ زَكَتْ فِي صَنِيعِهَا، وَنَفَتْ رُوحَ الْقُدُسِ
فِي رُوعِهَا؛ فَسَلَكْتَ سُبُلَ الْبَيَانِ دُلًّا، وَعَدَمْتَ مَمَائِلًا فَاحْضَتْ فِي أُنْبَاءِ الْمَعَالِي مَثَلًا؛
وَسَرَتْ إِلَى حَوْزِ الْأَمَانِيِّ وَالْأَنَامِ نِيَامٍ، فَوَهَبَ لَهَا وَاهِبُ النِّعَمِ أَشْرَفَ الْأَقْسَامِ؛
بِحَادَتِ فِي الْإِنْفَاقِ، وَلَمْ تُمَسِّكْ خَشِيَّةَ إِمْلَاقِ، وَقَيَّدَتْ نَفْسَهَا فِي طَلْقِ الطَّاعَةِ بِجَاءِهَا
تَوْقِيعُ التَّفْضِيلِ عَلَى الْإِطْلَاقِ

أَنْ لِي مَعْزَاهَا أَخَا الْفَهْمِ إِنَّمَا * إِلَى الْفَضْلِ تُعْزَى أَمْ إِلَى الْمَجْدِ تُنْسَبُ
هِيَ الشَّمْسُ إِلَّا أَنْ فَكَّرَكَ مَشْرِقُ * لِإِبْدَائِهَا عِنْدِي وَصَدْرِي مَغْرِبُ
وَقَدْ أَبْدَعَتْ فِي فَضْلِهَا وَبَدِيعِهَا * بِجَاءِهَا لِيْنَا وَهِيَ عِنْقَاءُ مَغْرِبِ

(١) فِي طَلْقِ الطَّاعَةِ «أَي فِي قَيْدِهَا» وَأَصْلُ الطَّلْقِ بِالْتَحْرِيكِ، الْقَيْدُ مِنْ جَلُودِ .

(٢) شَبَّهَ هَذِهِ الرِّسَالَةَ بِالْعِنْقَاءِ الْمَغْرِبِ، وَهِيَ الَّتِي أَغْرَبَتْ فِي الْبِلَادِ وَنَأَتْ وَلَمْ تَحْسُمْ وَلَمْ تَرَ؛ وَالْمُرَادُ أَنْ

هَذِهِ الرِّسَالَةُ غَرَبِيَّةٌ فِي بِلَاغَتِهَا وَحَسَنِ بَيَانِهَا، وَلَا عَهْدَ لِلْكِتَابِ بِأَمْثَالِهَا .

- فَأَعْرَبُ عَنْ كُلِّ الْمَعَانِي فَصِيحُهَا * بِمَا عَجَزَتْ عَنْهُ نَزَارٌ وَيَعْرَبُ
 وَمَذْأَشْرَقَتْ قَبْلَ التَّنَاهِي بِأَوْجِهَا * عَفَا فِي سَنَاهَا بَدْرُتَمَّ وَكُوكَبُ
 تَنَاهَتْ عِلَاءً وَالشَّيْبَابُ رَدَاؤُهَا * فَمَا ظَنُّكُمْ بِالْفَضْلِ وَالرَّأْسِ أَشْيَبُ
 لئن كَانَ تُغْرَى بِالْفَصَاحَةِ بِاسْمَا * فَتُغْرِكُ بِسَامِ الْفَصَاحَةِ أَشْنَبُ
 وَإِنِ نَاسَبْتَنِي بِالْمَجَازِ بِلَاغَةً * فَأَنْتِ إِلَيْهَا بِالْحَقِيقَةِ أَنْسَبُ
 وَمَذْ وَرَدَتْ سَمْعِي وَقَلْبِي فِيهَا * لَتُؤَكَّلُ حُسْنَنَا بِالضَّمِيرِ وَتُشْرَبُ
 وَإِنِّي لِأَشْدُو فِي الْوَرَى بِثَنَائِهَا * كَمَا نَاحَ فِي الْغَضَنِ الْجَمَامُ الْمَطْرَبُ
 وَتَشْهَدُ أَبْنَاءَ الْبِيَانِ إِذَا أَنْتَدَوْا * بِأَنِّي مِنْ قَسِ الْإِيَادِي أَخْطَبُ
 وَإِنِّي لَتَسْدِينِي إِلَى الْمَجْدِ عَصَبَةٌ * كَرَامٌ حَوْتَهُمْ أَوَّلُ الدَّهْرِ يَثْرَبُ
 وَإِنِّي إِذَا خَانَ الزَّمَانُ وَفَاءَهُ * وَفِيَّ عَلَى الضَّرَاءِ حُرٌّ مَجْرَبُ
 إِبَاءٌ أَبَتْ نَفْسِي سِوَاهُ وَشِمِيَّةٌ * قَضَى لِي بِهَا فِي الْمَجْدِ أَصْلٌ مَهْدَبُ
 وَنَفْسٌ أَبَتْ إِلَّا اهْتَرَازًا إِلَى الْعِلَاءِ * كَمَا أَهْتَرَّ يَوْمَ الرَّوْعِ رِيحٌ وَمِقْضَبُ
 وَلِي نَسَبٌ فِي الْأَكْرَمِينَ تَعَرَّفَتْ * إِلَيْهِ الْمَعَالَى فَهُوَ رِيَانٌ مَخْصَبُ
 تَمَّتْهُ أَصُولٌ فِي الْعِلَاءِ أَصِيلَةٌ * لَهَا الْمَجْدُ خَدْنٌ وَالسِّيَادَةُ مَرْكَبُ
 تَلَاقَ عَلَيْهِ الْمَطْعَمُونَ تَكْرَمًا * إِذَا أَحْمَرَّ أَفْقٌ بِالْمَجْرَةِ مَجْدَبُ
 مِنَ الْيَمِينِيِّينَ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ * إِلَى الْعَزِيْبِيَّتِ فِي الْمَعَالَى مَطْنَبُ

(١) في كلا الأصلين : « حولهم » ؛ وهو تحريف .

(٢) المقضب : السيف القاطع .

(٣) في بعض المصادر « عريان » ؛ وما أثبتناه هو المناسب لما بعده من الوصف .

(٤) المراد بوصف هذا النسب بالإخصاب ، كثرة ما يعد فيه من الكرام وأصحاب المفاخر .

(٥) احمرار الأفق كناية عن الجذب . والعرب تقول : سنة حمراء إذا كانت شديدة ؛ وذلك لأن آفاق

السماء تجمز فيها . والمجرة : البياض المعترض في السماء ، والنسران عن جانبيها .

قروا تَبَعًا بِيضَ المواضِي صَحَاءَهُ ^(١) * وَكُومَ عِشَارٍ بِالْعَشِيَّاتِ تُضَهَبُ ^(٣)
 فِرْحَلَهُ الْجُودُ الْعَمِيمَ وَمَنْصُلٌ ^(٤) * لَهُ الْغَمْدُ شَرْقٌ وَالذَّوَابُّ مَغْرِبٌ
 وَهُمْ نَصَرُوا وَالِدِينَ عَزَّ نَصِيرُهُ ^(٥) * وَأَوَّوْا وَقَدْ كَادَتْ يَدُ الْدِينِ تُقْضَبُ
 وَخَاضُوا غَمَارَ الْمَوْتِ فِي حَوْمَةِ الْوَعْيِ * فَعَادَ نَهَارًا بِالْهَدَى وَهُوَ غَيْهَبٌ
 أَوْلَيْكَ قَوْمِي حَسْبِي اللَّهُ مِثْلِيَا * عَلَيْهِمْ وَأَيُّ اللَّهِ تَلِيٌّ وَتُكْتَبُ

(١٣١)

هذه اليتيمة أيدك الله ملحتها الإحماض ، وتحليلتها الألفاظ في أبعاض الاعتراض
 لتسرح مقل الخواطر في مختلفات الأنواع ، ويتنوع الوارد على القلوب والأسماع ،
 وإلا فلا تماثل في الأدوات ، وان وقع التماثل في الذوات ، كالجمع بين السوريات في

(١) ضحاه ، أي في وقت ضحائه ، والضحاء : إذا امتد النهار وركب أن ينتصف . وفي كلا الأصلين .
 « ضحاة » وهو تحريف .

(٢) الكوم : النياق العظيمة الأسنمة ؛ واحده كوما . بفتح الكاف .

(٣) في كلا الأصلين وغيرهما من المصادر : « تهضب » بتقديم الهاء على الضاد ، ولم نجد من معانيه
 ما يناسب السياق . « وتضيب » بالبناء للجھول : من قولهم ضيبه بالنار كمنعه ، إذا لوجه وغيره ، كما في القاموس
 وشرحه ، وهم يمدحون الشواء الذي لم يتم نضجه لما في ذلك من التعجيل بقرى الأضياف أنشد الكلابي
 خير الشواء الطيب الملهوج * قد هم بالنضج ولما بنضج

أو لعله من ضهب اللحم بتشديد الهاء ، أي قطعه ، واذن يكون صواب البيت : « بالعشى تهضب » بإفراد
 العشى ليستقيم الوزن .

(٤) المنصل : النسيب .

(٥) في كلا الأصلين : « همم » بالباء ؛ وهو تحريف .

(٦) كأن الكاتب يريد تشبيه رسالته إذا نسبت إلى رسالة ابن دقيق العيد بإحماض الأبل بعد أن
 تسأم الحلو من النبات ؛ كما يرشد إلى ذلك سياق الكلام الآتي ؛ والأحماض مصدر أحضت الأبل إذا
 أكلت الحمض وهو ما ملح وأمر من النبات ؛ وهو كفا كفة الأبل تأكله عند سآمتها من الخلة .

(٧) في (١) « تجاهم » ، وفي (ب) « وتحكيم » ، وهو تحريف في كلتا النسختين .

(٨) كذا في الطالع السعيد ؛ والذي في كلا الأصلين : « بتقل » الخ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

(٩) في كلا الأصلين : « وينوع » ؛ وهو تصحيف .

١٠

١٥

٢٠

٢٥

- السراج والشمس ، وآشتمال الإنسانية^(١) على القلابة والنفس ، والتوارد الإدراكي بين
 كليّ بالعقل ، وجزئيّ بالحس ؛ وكالعناصر في افتقار الذوات اليها ، وان تميّزت الحرارة^(٢)
 عليها ؛ وكالمشاركة الحيوانية في البضعة اللسانية ، واختصاص الناطقية بالذات
 الإنسانية ؛ فسيّدنا ثمر الروض ونسيمه ، وسواه ثراه وهشيمه ، وزهره وأنداؤه ، وغيره
 شوكة وغثاؤه ؛ والبدر وإشراقه ، وسواه هلاليته ومُحافه ؛ اشتراك في الأشخاص ،
 وامتيّاز في الخواص ؛ ومشابهة في الأنواع والأجناس ، ومغايرة في العقول والحواس ؛
 كالورد والشقيق ، والقهرمان والعقيق ؛ تماثلاً في الجواهر والأعراض ، وتغايراً^(٣)
 في تمييز الأغراض ؛ فسيّدنا من كلّ جنس رئيسه ، ومن كلّ جوهر نقيسه ؛ وأما
 حسناء المملوك على مذهبه في تسمية القبيح بالحسن ، والحسن بالقبيح ، والضرير بالبصير
 والأخرس بالفصيح ؛ فما صدّت ولا صدّت يميني كاسها . ولا شدّت في مذهب
 ولائه عن أطراد قياسها ، ولا زوّت عن وجه جلالته وجه إيناسها ، ولا جهلت أنه
 في العلوم الشرعية ابن أنسها ، وفي المعاني الأدبية أبو نواسها ؛ ولا خفي عنها أن سيّدنا
 مجرى اليمين ، وفي وجه السيادة إنساناً المقلّة وغرة الجبين ، والدرّة في تاج الجلالة^(٤)
 مجرى اليمين ، وفي وجه السيادة إنساناً المقلّة وغرة الجبين ، والدرّة في تاج الجلالة^(٥)

- (١) كذا في الطالع السعيد ؛ والذي في كلا الأصلين : « في » ؛ وهو غير مستقيم .
 (٢) أشار بهذه العبارة الى ما هو معروف في كتب المعقول من أن الماهيات الكلية انما يدركها
 العقل دون غيره ؛ وذلك لأنها ليس لها وجود في الخارج ، وأما جزئيات هذه الماهيات وأفرادها فإنها
 تدرك بالحس لوجودها الخارجي .
 (٣) يقال فيه أيضاً « الكهرمان » بالكاف ؛ والكهرم بحفعر . انظر تاج العروس مستدرك مادة
 « كهم » .
 (٤) أشار بهذه العبارة الى قول عمرو بن كلثوم في معلقته :
 صدّدت الكأس عنا أم عمرو * وكان الكأس مجراها اليمينا
 (٥) أشار بهذه العبارة الى قول عمرو بن كلثوم في البيت السابق في الحاشية رقم ٤ من هذه الصفحة
 « وكان الكأس مجراها اليمينا » ؛ والمعنى أنه أولى من سواه بالتقديم .

والشُدْرَةُ في العقد الثمين ؛ وأنه الصدرُ الذي يَأْرُزُ العِلْمُ إلى صدرِه ، وتُقْتَرَحُ عَقَائِلُ
 المعاني مِنْ فكرِه ، وتَأْتِمُّ الهداةُ ببدْرِه ، وتَتَمَعَّى الهدايةُ إلى سرِّه ، وأنها في الإيمان
 بحمديته أم عمارة لا أم عمرِه ؛ وأنه غايةُ فخارِها ؛ ونهايةُ إثثارِها ، [وآيةُ نهارِها]^(٥)
 ومستوطنُ إفادتها بين شمس فضائله وأقمارِها ؛ فكيف تصدّ وفيه كليةٌ أغراضها ،
 ومنه عليةٌ جملتها وأبعاضها ، وفي محله قامت حقائق جواهرها وأغراضها ؛ لكنها
 توارت بالحجاب ، ولادت بالاحتجاب ؛ وقُربِ بالمجلس الكمالِ ليكمل ما بها من
 نقصِ كمالٍ وكمالِ عيب ، وتجمّع بين حقيقتي إيمان الشهادة والغيب ، وتعرض على الرأي
 التقويّ سليمةَ الصدرِ نقيّةَ الحبيب ، وأشهدُ أنها جاءت تمشي على استحياءٍ وليست
 كبت شعيب ؛ هذا ولم تشاهد وجهَ حسنائه ، ولا عاينت سَكينةَ حسنيه وهند^(٦)
^(٧)

(١) يَأْرُزُ : يأوى ويلجأ ؛ وفي كلا الأصلين : « بارد » ؛ وفي الطالع السعيد : « يَأْرُزُ » وهو

تصحيف في جميعها .

(٢) تقترح : تستنبط أو أنها تتبدع من غير سبق مثال ؛ وفي الطالع السعيد « تقترح » والمعنى يستقيم

على كلتا الروايتين .

(٣) تتمى : تتسبب ؛ وفي الطالع السعيد : « وتنتهى » بالهاء ؛ والمعنى يستقيم على كلا الوجهين .

(٤) أم عمارة : هي نسبة بنت كعب إحدى نساء بنى مازن بن النجار ؛ وكانت ممن شهدوا بيعة العقبة

الثانية هي وأسماء بنت عمرو بن عدى أم منيع إحدى نساء بنى سلمة ، انظر سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٥٥
 ط بولاق والمراد وصف هذا الإيمان بأنه ثابت لا يقبل الشك لأنه عن مشاهدة وعيان كإيمان أم عمارة .

(٥) لم ترد هذه العبارة في (أ) وقد أثبتناها عن (ب) وكتاب الطالع السعيد ص ٦٢ طبع الجمالية .

(٦) أشار بهذه العبارة الى قوله تعالى في سورة القصص : « فجاءته إحداهما تمشي على استحياء »

الآية انظر تفصيل هذه القصة في كتب التفسير .

(٧) يريد السيدة سَكينة بنت الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهم ؛ وكان قد تزوجها مصعب بن

الزبير ثم مات عنها ، ثم تزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام ؛ وآخر من تزوجها زيد

ابن عمرو بن عثمان بن عفان ؛ وكانت وفاتها سنة سبع عشرة ومائة (وفيات الأعيان) . أما هند فهي بنت أسماء

ابن خارجة وكان قد تزوجها الحجاج بن يوسف الثقفي بعد بشر بن مروان ؛ وكانت سَكينة وهند من أجل

نساء العرب وأظرفهن .

أسمائه ، ولا قابلت نير فضله وبدر سمائه ؛ أقسم لقد كان يصرفها الوجل ، ويقيدها
 الخجل ؛ عالمة أن البحر لا يساجل ، والشمس لا تُماثل ؛ والسيف لا يُحاشن ، والبدر
 لا يحاسن ؛ والأسد لا يُكتم^(١) ، والطود لا يُزحم ؛ والسحاب لا يبارى ، والسيل لا يُجارى ؛
 وأتى تبغ الفلك هامة المتطاول ، ”وأين الثريا من يد المتناول“ ؛ تلك عوارف
 استولت على المعالي آستيلاءها على المعالم ، وشهدت لها الفضائل بالسيادة شهادة النبوة
 بسيادة قيس بن عاصم ؛ ولا خفاء بواضح هذا الصواب ، عند مقابلة البداية بالجواب ؛

فالشمس أَوْضَحُ مِنْ ضِيَاءِ الْأَنْجِيمِ * مَا الْبَيْنُ الْأَعْلَى كِدَاجٍ مَظْلِمٍ
 يَا مُثْرِيَا مِنْ كُلِّ عِلْمٍ نَافِعٍ * أَيْقَاسُ مَثَرٍ فِي الْعُلُومِ بِمَعْدَمٍ
 أَوْ كَفَتْ فَضْلَكَ فِي رِذَاذِ غَمَائِي * مَا لِلرِّذَاذِ يَدٌ بِنَوْءِ الْمُرْزَمِ^(٤)
 وَأَنْصَبَ بِمُحْرُكٍ فِي رِبْعِ خَوَاطِرِي * مَا لِلرِّبْعِ وَفَيْضٍ بِحَيْرٍ أَعْظَمِ^(٦)
 وَسَلَّتْ سَيْفَ الْعِلْمِ أَيْضَ مَخْدَمًا * كَالْبَرْقِ يَلْمَعُ فِي غَمَامٍ مُنْجِمِ^(٨)
 فَلَتَ حَدَى مِعْضَمٍ فِي رَاحَتِي * مَا لِلْكَهَامِ وَحَدَّ أَيْضَ مَخْدَمِ^(٧)

- (١) يكتم : يشد على فيه ، وهو من كتم البعير أى شذفاه عند هياجه لئلا يعرض أو يأكل . أو هو
 من كتمه الخوف : اذا أمسك بفيه ، وهو على المثل .
- ١٥ (٢) أشار بهذه العبارة إلى قوله صلى الله عليه وسلم في قيس بن عاصم المنقري : ”هذا سيد أهل
 الوبر“ (الأغانى) ج ١٢ ص ١٥١ طبع بولاق .
- (٣) كذا ورد هذا الفعل في كلا الأصلين بالألف ؛ والذي وقفنا عليه فيما لدينا من كتب اللغة أنه
 يتعدى بنفسه لا بالهمز ، يقال : وكفت العين الدمع أى أسالته قاله الخيامي . أما أو كفت بالألف فلم
 نقف عليه إلا لازما يقال : أو كفت البيت والسطح بالمطر ، أى هطل وقطر .
- (٤) المرزم : من أرزم الرعد إذا اشتد صوته .
- ٢٠ (٥) الربيع : النهر الصغير .
- (٦) المنجم : السريع المطر ؛ وفي (١) : «متخم» بناء مشناة بعدها خاء فوقية ؛ وهو تصحيف .
- (٧) المعضد : السيف الذى يتمن فى قطع الشجر .
- (٨) المخدم بكسر أوله من السيوف : القاطع .

يا سابقاً جهدي مصلي عفوهِ * ما للسكيت يد بعفو مطهم^(٣)
 بد السوابق في العلوم وحازها * بالكسب منه والترات الأعظم
 العلم علم محمد وكفى به * وعلى الباب المبلغ فاعلم
 ما كنت أول مجيم عن مورد * عدبت موارده لقرن مجيم^(٤)
 سابت سابقاً شأوت بيانهم^(٥) * ببديع نثر أو بليغ منظم
 وسقيت بالكأس الكبيرة منهما * لما سقوا بالأصغر المتسلم
 حتى اذا سابقته وهو ابن بحر^(٦) * أو أبو بحر إليه يتعمى
 طارت فضائله إلى عليائها * يجنح فتحاء ونسر قشعم^(٧)
 وسما به العلم الأجل محله * حتى توقل في المحل الأعظم
 ومشى حضاراً فاثبت مقصراً * أتجول خيلي في مقر الهيثم^(٨)
^(٩)
^(١٠)

(١) في (١) : « عهدي » بالعين المهملة ؛ وهو تحريف . والمصلي من الخيل ، الذي يجي بعد السابق ؛ سمي بذلك لأن رأسه يلي صلا المتقدم . والصلا : منحدر الوركين .

(٢) السكيت : العاشر من خيل السباق .

(٣) المطهم : الحسن التام كل شيء منه على حدته ، فهو يارع الجمال .

(٤) القرن من القوم : سيدهم . والمجيم اسم فاعل من الإجمام وهو التقدم ؛ ويستعمل في التأخر أيضاً فهو من الأضداد ؛ ومثله الاجمام بتقديم الحاء فانه يستعمل في المعنيين أيضاً . مستدرك التاج مادة (جيم) .

(٥) في كلا الأصلين : « شادت » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به البيت ؛ وشأوت : غلبت .

(٦) في كلا الأصلين : « فهو » بالفاء . والسياق يقتضى الواو ؛ فان الجملة بعدها في موضع الحال .

(٧) الفتحاء العقاب اللينة الجناح لأنها اذا انحطت كسرت جناحها وغزتها وذلك لا يكون إلا من اللين .

(٨) توقل ، أى صعد بتشديد العين ؛ وأصله من التوقل في الجبل وهو التصعيد فيه .

(٩) الحضار : مصدر حاضرة ، أى سابقة في العدو ، وهو هنا على الاستعارة يريد المسابقة في التفضل

والذي في (١) « خطارا » وهو تحريف ؛ وفي (ب) « مطارا » ؛ وهو وان صح حمله على أنه مصدر

مبني بمعنى الطيران الا أنه غير ملائم لقوله قبل : « ومشى » .

(١٠) الهيثم : فرخ النسر .

١٠

١٥

٢٠

٢٥

لا عار إن عَضِلت بدائهُ فكَرتي * بابتن المقفَع أو بنجِل الأهُم^(١)

يا أعلمَ الفضلاءَ لستُ مقاولاً * فُصِحَى بناتِكَ باللسانِ الأَعْجِمِ^(٢)

لو حاولتُ فِكرى مساواةً لها * يوماً لجاءت بالغرَابِ الأَعْصِمِ^(٣)

أَقْتَصِرُ فَلِيبِيانِ في بحر فضائله سَبَحٌ طَوِيلٌ ، وَلِلسَعْيِ في غاياته مُعْرَسٌ وَمَقِيلٌ ،

وَلِلْحَامِدِ بَبْشِينَةِ محاسنه صَبَابَةٌ جَمِيلٌ ، وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ كَثِيرَ عَزَّةٍ وَدَّهٍ ، إِلَّا أَنِّي

في حلبة الفضل لستُ مِن فُرسانِ ذلك الرَّعِيلِ ؛ لا سِيَّما وقد وردتُ مَشْرَعَ أَلْفاظه

التي راقت معانيها ، ورقت حواشيها ، وأدنت ثمرات الفضل من يمين جانبيها ؛

بجاءت كالنسيم العليل ، والشذا من نفحة الأصيل ، والشراب البارد والظلّ الظليل

طبعٌ تَدَقَّقُ رِقَّةً وسلاسةً * كالماء عن متن الصفاة يسيلُ

١٠ كالمقلة الحسناءِ زانِ جفونها * كَحَلٍّ وأخرى زانها التكهيلُ

والروضة الغناءِ يحسُنُ عَرْفُها * وتزاد حُسنا والنسيمُ عليلُ

والخاطرُ التقويُّ كَجَلٍّ ذاته * علمها وليس لكامل تكميلُ

والله تعالى يبقيه جامعا للعلوم جمع الراحة بنانها ، رافعا له رفع القناة سنانها ، حافظا

له حفظ العقائد أديانها ، والقلوب إيمانها

١٥ (١) نجل الأهم ، هو عمرو بن سنان بن سمي بن سنان بن خالد بن مقرب ؛ والأهم هذا لقب لقب به أبوه

لأن قيس بن عاصم المقرئ ضرب به بقوسه فهمم فاه وقد وفد عمرو بن الأهم هو والزرقان بن بدر على رسول

الله صلى الله عليه وسلم ؛ وهو الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان من البيان لسحرا » وبنو

الأهم : أهل بيت بلاغة في الجاهلية والإسلام ، وكان يقال : « الخطابة في آل عمرو (زهر الآداب

ج ١ ص ٥ و ٦ طبع الرحمانية .

٢٠ (٢) أراد يدانته ، رسائله ؛ وفي كلا الأصلين : « بيانك » ؛ وهو غير مطابق لما قبله من الوصف .

(٣) الغراب الأعصم : الذي في جناحيه ريشة بيضاء ويقال هذا للشيء الذي يعز وجوده .

(١) يُضِيحِي نَدِيمًا لِلْعَالِي كَأَنَّهُ * نَدِيمًا صَفَاءٍ مَالِكٌ وَعَقِيلٌ
وَيَصْبِحُ ظِلُّ الْفَضْلِ مِنْ فِئَةِ ظِلِّهِ * عَلَى كَنَفِ الْإِسْلَامِ وَهُوَ ظَلِيلٌ
وَيَنْشَأُ أَبْنَاءُ الْعَالَمِ وَكُلُّهُمْ * بِحَسَنَاتِهِ فِي الْعَاشِقِينَ جَمِيلٌ
دَلَالَتُهُ فِي الْفَضْلِ مِنْ ذَاتِ نَفْسِهِ * وَلَيْسَ عَلَى شَمْسِ النَّهَارِ دَلِيلٌ

وكتب - رحمه الله تعالى - رسالة إلى صاحب شرف الدين الفاضلي (٢)
عند ما ورد عليه كتاب يذكر أن رسول الخليفة وصل يلتبس إجابة المليك المعز (٣)
أول ملوك الترك إلى صالح المليك الناصر صلاح الدين يوسف - وقد كان الناس (٤)
يذكرون أن الملك الناصر يريد أن يهجم بعساكره على الديار المصرية، وأنه لا يجيب
إلى الصلح، [فلما] جاء الرسول بذلك ظهر للناس خلاف ما ظنوه - : (٥)

(١) مالك وعقيل، هما نديما جذيمة الأبرش، وكان بضرب بهما المثل في طول الاجتماع؛ وهما اللذان عناهما متم بن نورة بقوله في رثاء أخيه مالك :
وكنا كندمانى جذيمة حقبه * من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
زهر الآداب (ج ٣ ص ١٦٠) طبع الرحمانية .

(٢) شرف الدين الفاضلي، هو هبة الله بن صاعد وزير الملك المعز، ووزير ابنه الملك المنصور بعده؛ والفاضلي نسبة إلى الملك الفاضل إبراهيم بن العادل لأنه كان في خدمه أولا، وكان في صباه نصرانيا ثم أسلم؛ مسالك الأبصار ج ٧ من النسخة المأخوذة بالتصوير الشمسي المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٦٨ تاريخ وذكر ابن إياس في كتابه ج ١ ص ٩٣ أن الأمير سيف الدين قطز المعزى نائب السلطنة بالديار المصرية في عهد الملك المنصور ابن الملك المعز قد قبض على الشيخ شرف الدين هذا وصادر أمواله وصلبه على باب القلعة وولى مكانه في الوزارة زين الدين يعقوب بن الزبير .

(٣) هو عز الدين أيك الجاشنكير الصالحى، تولى السلطنة بالديار المصرية في سنة ثمان وأربعين وستائة، ولقب بالمعز؛ وقتل في سنة خمس وخمسين وستائة انظر تاريخ أبي الفدا (ج ٣ ص ١٩١ و ٢٠٠) طبع الأستانة .

(٤) هو الملك الناصر يوسف صاحب حلب ابن الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر غازي ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب؛ وقد قتله هولاء كوك ملك التتر في سنة تسع وخمسين وستائة، انظر تفصيل ذلك في تاريخ أبي الفدا (ج ٣ ص ٢٢٠، ٢٢١) طبع القسطنطينية .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من (أ)؛ والسياق يقتضى إثباتها

١٣٣

- لِأَمْرِكُ أَمْرُ اللَّهِ بِالنَّجْحِ عَاضِدٌ * فَصُلِّ أَمِيرًا فَالدهر سيفٌ وساعدٌ
 وَقُلْ مَا أَقْتَضَتْ عَلَيْكَ فَالْعَزَّ قَائِمٌ * بِأَمْرِكُ وَالْمَجْدُ الْمُؤْتَلُ قَاعِدٌ^(١)
 وَنَمَّ وَاذَعَا فَالْجَدُّ يَقْظَانُ حَارِسٌ * لِمَجْدِكَ وَالْعَادِي لِبَاسِكُ رَاقِدٌ
 فَمَا تُبْرِمُ الْأَيَّامُ مَا اللَّهُ نَاقِضٌ * وَلَا تَقْضِ الْأَيَّامُ مَا اللَّهُ عَاقِدٌ
 ٥ وَقَدْ بَرَزَتْ بِكَرِّ الْمَكَارِمِ وَالْعَمَلَا * وَفِي جِيدِهَا مِنْ رَاحَتِكَ قَلَائِدٌ
 خَفَّتْ بِهَا الْأَمْلَاكُ وَهِيَ مَوَاهِبُ * وَسَارَتْ بِهَا الرِّبَاكُنُ وَهِيَ مُحَامِدٌ
 وَزُفَّتْ لَهَا النِّعَاءُ وَهِيَ مَصَادِرُ * رَفَعْنَا لَهَا الْأَمْدَاحَ وَهِيَ مَوَارِدُ^(٢)
 فَتَرَّهَا الْإِحْسَانُ وَهِيَ لَائِي * وَنَظَّمَهَا الْإِفْضَالُ وَهِيَ فِرَائِدٌ
 فَلَا زَلَّتْ مَحْرُوسَ الْعَلَا يَا بَنَ صَاعِدِ * وَجَدُّكَ فِي أَفْقِ السِّيَادَةِ صَاعِدٌ
 ١٠ تُسْتَرُّ بِكَ الدُّنْيَا وَيَتَمَجُّ الْوَرَى * وَتُسْتَوَكِّفُ النُّعْمَى وَتُحْوَى الْمَقَاصِدُ

وَرَدَ كِتَابٌ كَرِيمٌ ، وَنَبَأٌ عَظِيمٌ ، لَمْ تُجْرِي يَنْبُوْعَهُ جِيَادُ الْأَقْلَامِ ، وَلَمْ تَجِدْ بِنُوَيْهِ عَهَادِ
 الْأَيَّامِ ، وَلَمْ تَظْفَرْ بِمَثَلِهِ أَعْيَادُ الْإِسْلَامِ ، فَتُبْلَى عَلَى عَذَابَاتِ الْمَنَابِرِ ، وَجُلِّيَ عَلَى أَمَاقِ
 الْأَبْصَارِ وَأَحْدَاقِ الْبَصَائِرِ ، وَكَانَتْ بَشْرَاهُ الْبِكْرَ الْعَوَانَ ، لِمَا أَبْتَدَأَتْ بِهِ مِنَ الْبِشَارَةِ^(٣)
^(٤)
^(٥)

(١) في (١) : «الموشك» ؛ وهو تحريف .

- ١٥ (٢) كذا في كلا الأصلين . ولم تقف على هذا الجمع للذخ فيما بين أيدينا من كتب اللغة ؛ كما أن الذي
 يستفاد من كتب الصرف عند الكلام على « أفعال » أن هذه الصيغة لا تطرد جمعا « لفعل » بفتح أوله
 وسكون ثانيه إذا كان صحيح الفاء والعين .

(٣) المراد بعذابات المنابر ، أعاليها ؛ والعذبة بفتح العين والذال من كل شيء . طرفه .

(٤) العوان : النصف في سننها من النساء وغيرهن ؛ وفي كلا الأصلين : « القرآن » وهو تحريف

- ٢٠ لا يظهر له معنى .

(٥) في كلا الأصلين : « ابتدلت » وهو تحريف . أراد بهذه العبارة أنها بكر لانها لم تسبق بمثلها ؛

وعوان ، لانها تلد البشائر .

ولما تَلَدُهُ من البشائر، وطليعة المسارِّ التي واجهت آمالَ ووجه السعد سافر، ومقدمة
 الأمن التي لا يُسرَّ بها إلا مؤمن ولا يساء بها إلا كافر؛ وتحيّة الله التي أحيت قلوب
 العباد، ومنة الله التي سكنت لها السيوفُ في الأعقاد، ونعمة الله التي عمّت كلَّ
 حاضر وباد؛ ورحمة الله التي رحم بها هذه الأمة وما زال بالمؤمنين رحيمًا، وفضل
 الله على هذه الملة وكان فضل الله عليها عظيمًا؛ وسعادة سارت بها الأيام الى المقام
 المعزّي بين الخبب والتقريب، ومركب عزِّ قدمته عناية الله تقدمه الخبيب، وكتابًا
 عنايته هذا عطاء الله، وعنوانه «نصر من الله وفتح قريب»^(٤)، وسلم جلال وجه
 الإسلام برد لباسه القشيب، وسلامة جنت يمين الإيمان ثمر غصنها الرطيب،
 وعز ألبس الملك خلع شبابه بعد ما خلع غبار الوقائع [عليه] رداء المشيب، وشمس
 سعادة منذ طلعت في أفقها لم تجح للغيب، ولطف خفي قعد له كل حمد وقام به
 كل خطيب، ومملكة تسمعهما الأيام: قفا نضحك بمسار الإنعام لا قفا نبيك
 من ذكرى حبيب، وغنيمة باردة حازتها يد الملك ولسان السنان غير ناطق وكف

السيف غير خضيب

بتسديد رأي لو رأته أمية * لما اختلفت يوما بقتل شيب^(٧)
^(٨)

- ١٥ (١) في كلا الأصلين: «وأمنية»؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .
 (٢) كذا في (ب)؛ والذي في (أ) «الأمة» وهو وإن صح به المعنى إلا أن فيه تكراراً مع ما سبق
 في الجملة التي قبلها . (٣) عنايته: أى مقصده . (٤) سلم بالرفع معطوف على قوله: «نصر» .
 (٥) هذه الكلمة ساقطة من كلا الأصلين؛ والسياق يقتضى إثباتها .
 (٦) في كلا الأصلين: «بتسديد»؛ ولم نقف فيما لدينا من كتب اللغة على معنى له يناسب السياق؛
 ولعل صوابه ما أثبتنا إذ به يستقيم الوزن والمعنى .
 (٧) في كلا الأصلين: «اختلفت»؛ وهو تحريف .

٢٥ (٨) شيب: هو أبو الضحاك شيب بن يزيد بن نعيم الشيباني الخارجي؛ وكان خروجه في زمن الحجاج
 مع صالح بن مسرح من بنى امرئ القيس؛ وقد بايعته الخوارج بعد قتل صالح؛ وكان بلقب أمير المؤمنين
 وكان موته غرقاً في نهر دجيل، وهو دجيل الأهواز لا دجيل بغداد في سنة ١٧٧ أو ٧٨ على اختلاف
 في الرواية؛ وكانت ولادته في سنة ٢٥ أو ٢٦ انظر كتاب ماخص تاريخ الخوارج وغيره من كتب التاريخ .

- الى غير ذلك من فكرة صاحبيّة شرفيّة سَكَنَ المُلْكُ تحت ظلالها ونام ، وقعد بأمرها وقام ، وتحركت لها العزائم ، وسكنت لها الصوارم ، وأسْتُنزِلَت العُصْمُ ودُعِرَت العواصم ، رهميم إذا سمّت سامت السماء وإذا هَمَّتْ أَهَمَّتْ الغنائم ، وعزّ تحت ظل ظلاله الشرف مقيم وفي خدمته المجد قائم ، وعزيم آستيقظ له جفن النصر والسيف في جفنه نائم ، وسيف حزم على عاتق المُلْكِ منه نِجَادٌ وفي يد جبار السموات منه قائم ، وآراءٍ آسْتَفْتَحَ عقائلها فَأَنْجَبَتْ^(١) ، ورعى غرض إصابتها فَأَكْثَبَتْ^(٢) ، (أى أصابت) وأَعْمَلَ رائدَها فاستيقظت له ألهمم والأنام نيام ، وجلس في صدور رِياستها والعالمون قيام ، وتدير أْحِكِمَ بإبرام النقض ونقض الإبرام ، ودُعِرَ به رابض الأسد وأُنسَ به نافر الآرام ، وأجال به خيله في مسارى الأرقم ، ومقرّ الهيثم ، وأمضاه في مضايق خطبه فأغناه
- ١٠ عن سنّ السنان وشفة اللهدم ؛ هذا ولما صدقتْ عزائمُ الملكة التي نظم الله قلادةً مُلكيها فليس لها انتثار ، ولمعتْ كواكب أسلها في ليل الرَّحَجِ وسماء الغبار ، وبنت حوافر خيلها سورا من تراكم التّع المثار ، وحصنتها يد الله بما أظهرته من

(١) في كلا الأصلين : « فأنجبت » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السجع الذي التزمه

الكاتب في جميع رسالته .

- ١٥ (٢) الذى وقفنا عليه فيما لدينا من كتب اللغة أن الإكْتاب هو المقاربة والمداناة ، وهو من الكتب بالتحريك بمعنى القرب فعمل تفسيره هنا بالإصابة منظور فيه الى مراد الكاتب .
- (٣) لم يرد في هذه الرسالة كلها ما يصح جعله جوابا (لأ) هذه ، والظاهر أن بعض عباراتها قد سقطت من الأصل ؛ ولم نقف عليه فيما راجعناه من المظان .
- (٤) الأسسل : الرماح ؛ وإنما سميت الرماح أسلا تشبيها لها بالأسل ، وهو نبات من الأغلاث يخرج قصبانا دقاقا ليس لها ورق ولا شوك الا أن أطرافها محدّدة وليس لها شعب ولا خشب ؛ وشبهت الرماح به في طولها واعتدالها واستوائه ودقة أطرافه .
- ٢٠

١٣٤

كامن الغيب وأخفته من طلائع الأقدار، وحضنتها رعاية الله وله من القدر أعوان^(١)
ومن الملائكة أنصار

فعمت عموم الليل والليل مظلم * وجاءت مجىء الصبح والصبح مشرق
ومدت غماما من سناك خيلها * بسأل المواضي المشرفيات يبرق

في كتاب إذا سارت سوابقها ملأت عرض الغبراء، وإذا نُشرت خوافقها
سترت وجه الخضراء؛ وكادت تدعّر الآساد بمواضي حتوفها، وتسكن المنايا تحت
ظلال سيوفها؛ لاسيما إذا أنجمت أنجم عواليها، ولعلت بروق مواضيها؛ وجاءت
خيلها كالصخر الأصم والطود الأشم أعجازها وهوادياها؛ من كل كميته حلو في الإزار،
بين الشقرة والأحمر، كأنه وردية العقار

يُحسّ وقع الرزايا وهي نازلة * فيُنهب الجرى نفس الحادث المكر^(٥)
وكل أشقر كأنما قد أديمه من لهب النار، معارٍ رداء الحسن، وأحق الخليل

(١) في (١) «وأخفته»؛ وهو تحريف.

(٢) في كلا الأصلين: «وحضنتها» بالصاد؛ وهو مكر مع ما قبله في أول الجملة السابقة. وحضنتها
بالضاد المعجمة: أي حفظتها وكفلتها وهو مستعار من حضانة المرأة للصبي، أي تربيته وحفظه.

(٣) أنجمت: ظهرت.

(٤) قال ابن الأعرابي: الكمنة كمتان: كمنة صفرة، وكمنة حمرة؛ والكमित من الخليل يستوى
فيه الذكر والمؤنث؛ ولونه الكمنة، وهي حمرة يدخلها قنوء. وقال سيبويه: سألت الخليل عن كमित، فقال:
هو بمنزلة جميل (بضم الجيم)؛ وقال: إنما هي حمرة يخالطها سواد ولم تخلص، وإنما حقروها لأنها بين
السواد والحمرة ولم تخلص لواحد منهما فيقال: أسود أو أحمَر، فأرادوا بالتصغير أنه منهما قريب.

(٥) البيت لأبي العلاء المعري انظر سقط الزند.

(٦) الأشقر من الدواب: الأحمر في مغرة حمرة صافية يخرت منها السبب والمعرفة والناصية. وأما

في الإنسان: فهي الحمرة تلو بياضا.

بالركض المعار، لا تعلق به المذاكي يوم رهان ولا تشق له الحوادث وجه غبار
كأنما لبس ثوبا من خالص النضار

عتاق لو جرت والريح شأوا * لفاتته وأوثقه إسار^(٣)

غدت ولها مجول من لجين * وراحت وهي من علق نضار

وكل أدهم كريم التجار، غدى اللبان الغزار، كأنما فصلت ثيابه من سواد الليل
وصيغت مجوله من بياض النهار

بأغر يتسم الصباح بوجهه * حسنا ويسفر عن حياء مسفر

خلع الظلام عليه فضل رداه * وثنى من التحجيل ثوب مقصر

وكل أشهب أفرغ في قالب الكمال، وجيه الأبو عوجي الخال، إن مشى ضاق
بزهوه فسبح المجال، وإن سعى رأيت البرق ملجما بالثريا مسرجا بالهلال، كأنما
انتعل خد الجنوب وأشمئل بشوب الشمال^(٥)

(١) المعار: «المسمن» بتشديد الميم المفتوحة، يقال: أعرت الفرس: أى أسمته. أشار بهذه

العبارة الى قول الشاعر:

أعروا خيلكم ثم اركضوها * أحق الخيل بالركض المعار

(٢) المذاكي من الخيل: التى تم سنها وكنت قوتها.

(٣) أراد بالريح هنا معنى الهواء فأعاد عليها ضمير المذكر مع أن التأنيث هو الأكثر فيها؛ وإنما آثر

التذكير دفعا للالتباس، فانه لو أنت الهاء لم يعلم مرجعها أهو العتاق، أم الريح.

(٤) كذا ورد هذا اللفظ فى كلا الأصلين؛ والذى وقفنا عليه فيما لدينا من كتب اللغة أن جمع اللبان

ألبان، كسبب وأسباب؛ ففعل المراد باللبان هنا: ذوات اللبان، وواحدة لبون (اللسان تقال عن المحكم).

(٥) الوجيهى: نسبة الى الوجيه، وهو اسم فرس من خيل العرب نجيب تنسب اليه كرام الخيل

وكان لعنى بن أعصر. والأعوجى: نسبة الى أعوج، وهو اسم فرس سابق ركب صغيرا فاعوجت قوائمه،

واليه تنسب كرام الخيل أيضا فيقال: الأعوجيات وبنات أعوج؛ وكان هذا الفرس للال بن عامر.

(٦) هذه الباء ساقطة من كلا الأصلين؛ واللغة تقتضى إثباتها.

مِنَ الْجِيَادِ الَّتِي لَمْ تَبْدُ فِي رَهَجٍ * إِلَّا أَرْتَكِ بِيَاضَ الصَّبْحِ فِي غَسَقِ
وَلَا جَرِينَ مَعَ النَّجَاءِ فِي طَلْقٍ^(١) * إِلَّا أَحْتَقَرَتِ أَلْتَمَاعُ الْبَرَقِ فِي الْأَفْقِ

وَكُلُّ مَطْهَمٍ إِنْ رَكِضَ قَلِقَ السَّمَاطُ لِرَكِضِهِ ، وَخِلَتْ بَعْضُهُ مِنْفَصِلًا عَنْ بَعْضِهِ
وَإِنْ مَشَى رَأَيْتَ الطُّودَ فِي سَمَائِهِ وَالرِّيَّاحَ فِي أَرْضِهِ ؛ وَإِنْ خَطَا ظَنَّتَهُ يَرْتَعُ فِي رَوْضِ
الْمَجْرَةِ وَيَكْرَعُ فِي حَوْضِ الْغَامِ ، وَخَلَّتَهُ الْأَشْمَمُ مِنْ أَبِي شَمَامٍ^(٢) ، هُمُ جَهَّةُ الْأُمَامِ
وَصَوْتُهُ حَرَكَةُ الْبَلْغَامِ ، كَأَنَّهُ قِطْعَةٌ مِنْ سَمَاءٍ أَوْ ظِلَّةٌ مِنْ غَمَامِ

جَرَى وَالرِّيْحَ فِي طَلْقِ رِهَانٍ^(٣) * فَقَامَتْ دُونَهُ وَمَضَى أَمَامَا

وَمَدَّ مِنَ السَّنَابِكِ ثَوْبَ غَيْمٍ * وَلَمْ أَرَقِبَلَهَا ثَوْبًا غَمَامَا

عَلَيْهَا كُلُّ كَمِيٍّ لَابَسَ الْحَرْبَ وَلَا بَسْتَهُ ، وَمَارَسَهَا وَمَارَسْتَهُ ؛ وَكَتَبَتْ عَلَيْهِ الْمَوَاضِي
فِي صَدْرِهِ كِتَابًا أَعْجَمْتَهُ أَطْرَافُ الْأَسَلِ ، وَجَنَى ثَمْرَ الْحَدِيدِ أَحْلَى عِنْدَهُ مِنَ الْعَسَلِ
وَسَارَ إِلَى مَهْجِ الْأَبْطَالِ كَسَيْفِ الْقَضَاءِ وَحَثَ الْأَجَلَ ؛ لَهُ حُنُكَةُ الْأَشْيَبِ وَنَجْدَةُ
الْغَلَامِ ، وَصَنَعَةُ الضَّرْبِ الْقَدِّ وَالطَّعْنِ الثُّؤَامِ ، وَالْفَتَكَاتُ الَّتِي تُطْلَعُ صَبْحَ الصَّوَارِمِ

(١) النجاء : ریح انحرفت و وقعت بین ریحین ، أو بین الصبا والشمال . والطاق بفتح تين : الشوط الواحد في جرى الخيل .

(٢) شمام : اسم جبل لباهلة ، كما في ياقوت . وقال ابن بري : هو جبل بالعالية ، وهذا الجبل له رأسان ، يقال لها : ابنا شمام قال لبيد :

فهل نبئت عن أخوين داما * على الأحداث إلا آخى شمام

(٣) في كلا الأصلين : « جرى » ؛ والفاء زيادة من النسخ .

(٤) الى هنا انتهت النسخة المشار إليها بحرف (ب) .

(٥) الحث : الإجمال ، وإضافته إلى الأجل من إضافة المصدر إلى مفعوله . أو لعله : « وحتم » بفتح الحاء وسكون التاء .

في ليل القتام ، والفعلات التي لها فتكات الأورق^(١) في النقد وصولات الأسد في السوام

يمشى الى الموت على الكعب معتقلا * أظمى الكعوب كمشى الكاعب^(٣) الفضل
يُحسِنُ في بحار الدروع سبج الفوارس ، بين بدور اليب ونجوم القوانس ؛ من
كل سابعة لاتصل إليها ألسنة الحداد ، كأنها أثواب الأرقام خيطت بأعين الجراد ؛
كفيلة بحماية الأنفس وصيانة المهج ، تثير مسالك لا يسبها في دياجي الرَّهَج ، إنما هي
البحر ولا حرج^(٧)

إذا ما مشوا في السابغات حسبتهم * سيولا وقد سالت بهم الأباطح

وكل أبيض هندي تألفت من الملح أبعاضه ، البرد جسمه والبرق إياضه ؛ المفارق
مغاربه والأجفان مطالعه ، والأنفس موارده والمنايا متابعه ؛ لو أثمر لأنت رعوسا
ولو تفجر لسال نفوسا ، ولو تكشفت صافي حديده لرأيت فيه عبوسا

١٣٥

(١) في الأصل : «الأوراق» ؛ والألفز زيادة من التاخي. والمراد بالأورق هنا : الذئب ، فان لونه الورقة ، ويقال للذئبة : الوراق ؛ قال في اللسان مادة (ورق) مانصه : وكذلك شبهت العرب لون الذئب بلون دخان الرمث ، لان الذئب أورق قال رؤبة :

١٥ فلا تكوني يا ابنة الأثم * ورقا. دمي ذئبها المدي

اه وانقد بفتحيتين : صفار الغنم ، واحده نقدة .

(٢) الأظمى من الرماح : الأسمر ؛ وهو من المعتل اللام ، وليس من المهموز .

(٣) الفضل بضمين : المختالة التي تفضل من ذيلها ، كما في اللسان مادة (فضل) .

(٤) في الأصل : «تحت» ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

٢٠ (٥) اليب محركة : الترسه ، أو هي جلود يجرز بعضها الى بعض تلبس على الروس خاصة .

(٦) القوانس : جمع قونس ، وهي أعلى بيضة الحديد .

(٧) أشار بهذه العبارة الى قولهم : «حدث عن البحر ولا حرج» والمراد أنه لا لوم على من يطيل

في وصف هذه الدروع مهما توسع في ذلك ، لشبهها بالبحر في بريقها واطراد منها .

(١) سَلِيلُ النَّارِ دَقٌّ وَرَقٌّ حَتَّى * كَأَنَّ أَبَاهُ أَوْرَثَهُ السُّلَالَةَ
وَدَبَّتْ فَوْقَهُ حَمْرُ الْمَنَابِيَا * وَلَكِنْ بَعْدَ مَا مُسَخَّتْ نِمَالًا

وَكُلُّ أَسْمَرَ إِذَا اتَّحَى فَهُوَ صَاحٍ وَإِذَا أَنْثَى فَهُوَ نَشْوَانٌ ، وَإِذَا وَرَدَ دَمُ الْقَلْبِ فَهُوَ
ظِلْمَانُ الْقِنَاءِ رِيَّانُ السَّنَانِ ؛ إِذَا خَطَبَ النَّوَاصِي وَخَطَّ ، وَإِذَا كَتَبَتْ الْمَوَاضِي نَقَطَ ؛
وَإِذَا قَصُرَتْ يَدُ الْقِرْنِ طَالَ ، وَإِذَا صَلَبَتْ نَارَ الْحَرْبِ الْعَوَالِي صَالَ
تَوَهَّمُ كُلُّ سَابِغَةٍ غَدِيرًا * فَرْتَقُ يَشْرَبُ الْحَلَقَ الدَّخَالًا (٢) (٣) (٤)

وَكُلُّ صَفْرَاءٍ رَقَشَاءٍ الْأَدِيمِ ، كَانَهَا أَرْقَمُ الصَّرِيمِ ؛ لَهَا فَلَكٌ بِالرَّزِيَّةِ دَائِرٌ ، وَسَهْمٌ
بِالْمَنِيَّةِ طَائِرٌ ، إِنْ رَكِبَ فَهُوَ مَقِيمٌ وَإِنْ نَزَلَ فَهُوَ سَائِرٌ ؛ مَعَ عِزَائِمَ بَنَتْ عَلَى الدَّوَلَةِ
سُورًا ، وَجَعَلَتْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالدَّوَلَةِ الْمُعْزِيَّةِ حِجَابًا مُسْتَوْرًا ؛ عَلَى أَنَّهَا
غَنِيمَةٌ لَمْ تَحْتَجْ إِلَى الْإِيحَافِ وَالْإِيضَاعِ ، وَطَلَبَةُ أَلْفَاها عَلَى طَرَفِ الثَّمَامِ وَحَبْلِ الذَّرَاعِ ؛
وَعِنَايَةٌ جَاءَتْ عَلَى آخْتِيَارِ الْمُرَادِ وَمُرَادِ الْآخْتِيَارِ ، وَنِعْمَةٌ كَرَّتْ هِيَ وَالتَّوْفِيقُ فِي قَرْنٍ (٥) (٦) (٧) (٨)

(١) "سليل النار" يريد أن هذا السيف قد ولدته النار لأنه أخرج بها من معدنه ؛ وطبع سيفًا بواسطة
والشعر لأبي العلاء المعري انظر شرح التنوير على سقط الزند ج ١ ص ٢٧ ، ٢٨ طبع بولاق .

(٢) وخط : طعن طعنا نافذا ؛ وبابه وعد .

(٣) قال في شرح التنوير على سقط الزند ج ١ ص ٢٩ طبع بولاق في تفسير هذه الكلمة : رنق الطائر :

إذا حام حول الماء ليشرب اه والبيت لأبي العلاء المعري .

(٤) الدخال : المتداخل بعضه في بعض انظر شرح التنوير على سقط الزند . والذي في الأصل :

«الخلق الدجالا» ؛ وهو تصحيف .

(٥) الرقشاء : المنقوشة ؛ يريد القوس .

(٦) الصريم : القطعة من معظم الرمل .

(٧) في الأصل : «عليها» ؛ والسياق يقتضي حذف الهاء .

(٨) يقال : هوله على طرف الثمام : إذا كان هين المتناول ، كما يقال : هو على حبل الذراع : إذا

كان ممكنا مستطاعا .

وجرت والسعادة في مضمار، ومنحة رَكَضَتْ بها الى المقام المعزى سوابق الأقدار
ومعنى خفى من نعم الله لم تاجه عقائل الأفكار، واذا سبقت عناية الله فليس لأمر
حتمه الله رافع، واذا لحظت السعادة أمراً وقفت دونه آمال المطالب وتقطعت
خلفه أعناق المطامع، وأستولت يمينه على آفاق سماء الشرف فلها قراها والنجوم
الطوالع، وهذه مواهب لا تدركها دقائق الأسطرلاب ولا درج الشمس ولا رصد
الطوالع

لعمرك ماتدرى الضوارب بالحصا * ولا زاجرات الطير ما الله صانع.

وينهى أن حاملها من عقدت عليه الملوك خناصرها، وأختص منها بالصحبة
ناصرها؛ وله فضل لا يزداد عن منهل العلم سوامه، ولا تُجهل في مسالك الشرف

١٠ (١) في الاصل: «يمين»؛ وهو غير مستقيم؛ والصواب ما أثبتنا، فانه يشير بهذه العبارة إلى قول جرير:

أخذنا بأفاق السماء عليكوا * لنا قراها والنجوم الطوالع

(٢) الأسطرلاب بفتح الهمة وضم الطاء: ميزان الشمس، وبه يعرف مقدار الساعات وأخذ

الأرصاد ومطالع الكواكب.

(٣) الظاهر أن هذا الكلام من قوله: «وينهى» إلى قوله فيما سيأتي: «من أبقها صبحا»؛

١٥ ليس من تمة الرسالة السابقة؛ وانما هو بعض رسالة أخرى سقط أولها من الأصل الذي بين أيدينا؛
ويدل على ذلك أمران: أحدهما، أن المکتوب اليه بالرسالة السابقة هو صاحب شرف الدين الفائزى
وزير الملك المعز كما تقدم، أما هذه الرسالة ففيها ما يدل على أن المکتوب اليه خير صاحب شرف الدين،
فانه يقول فيها: «وقد صير الجنب الزينى لما يحاوله» الخ ولم يتصل: الجنب صاحب شرف الدين،
أو الفائزى نسبة الى أحد ألقاب شرف الدين؛ والظاهر ان الزينى نسبة الى زين الدين يعقوب بن الزبير
وزير الملك المنصور نور الدين على ابن الملك المعز أيبك التركمانى؛ وزين الدين هذا قد تولى الوزارة لللك
المنصور بعد صاحب شرف الدين الفائزى كما تقدم بيان ذلك فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٦٣ من هذا
الجزء نقلا عن ابن إياس. الأمر الثانى، اختلاف الغرض فى كلتا الرسالتين فانه فى الرسالة الأولى ينهى
الصاحب شرف الدين بالصلح بين الملك الناصر والملك المعز؛ وفى الرسالة الثانية يوصى بخير لإنسان.

أعلامه؛ وله نفس سَمَّتْ حَتَّى أَخَذَتْ سَمَاءَ السِّيَادَةِ بِمِثْلِهَا، وَهَمَّةٌ إِذَا رَأَيْتَ ذَاتَهَا
الْكِرِيمَةَ تَوَسَّمَتِ الرَّيَّاسَةَ فِي جَبِينِهَا، وَأَبْوَةٌ لَا تَنْجُرُ مِنَ الْمَعَالِي إِلَّا فِي ثَمِينِهَا؛ وَقَدْ أَكَلَتْهُ
السَّنَةُ بِلِ السَّنَوَاتِ، وَتَرَادَفَتْ عَلَيْهِ الْمَلَمَّاتُ بِلِ الْمُؤَلَّمَاتِ؛ وَقَدْ صَيَّرَ الْجَنَابَ الزَّيْنِيَّ
لَمَّا يَحَاوِلُهُ ذَرِيْعُهُ، وَوَرَدَ الْمَنْهَلُ الرَّحْبَ وَإِنَّهُ لَعَذْبُ الشَّرِيْعَةِ، وَقَدْ أَصَابَ بِهِ
مَوْلَانَا طَرِيقَ الْمَصْنَعِ فَأَلْبَسَهُ ثِيَابَ الصَّنِيعَةِ؛ وَمَوْلَانَا أَوْلَى مِنْ أَوْلَاهُ شَرَفَ جَلَالِهِ
وَنَظَرَ إِلَيْهِ بَعِيْنٌ كَرِيْمَةٌ يَقَابِلُ بِهَا مَا يَقَابِلُهُ مِنْ كَرَمٍ خَلَالِهِ؛ فَإِلْبَرِيْنُ قَدْ يَسْتَبِيْهِ إِلَّا عَلَى
نُقَادِهِ، وَالغَيْثُ قَدْ يُخْلِفُ إِلَّا عَلَى رُقَادِهِ، وَالْمَاءُ قَدْ يَأْجُنُ إِلَّا عَلَى وَرَادِهِ؛ وَسَيِّدُنَا
مَصْعَبِيُّ الْهَمِّ وَهَذَا ابْنُ قَيْسِ رُقِيَّاتِهِ، وَمَهْلَبِيُّ الشِّيمِ وَهَذَا حَبِيْبُ أَبْنَائِهِ، وَوَأَثِقِيُّ
الإِحْسَانِ وَهَذَا فِي الْجَلَالَةِ ابْنُ [أَبِي] دُوَادِهِ وَفِي الْأَدَبِ ابْنُ زِيَادَتِهِ؛ فليضعه حيث

(١) كذا في الأصل؛ ولم نقف فيما لدينا من كتب اللغة على أنهم عدوا الإخلاف مرادا به الإحمال
وقلة المطر بهذا الحرف؛ ولعله ضمن قوله: «يخلف» معنى «يجل» فسوغ له هذا التضمين ذكر «على» .
(٢) يريد عبيد الله بن قيس الرقيات، وهو شاعر من بني عامر بن لؤي؛ وذكر ابن سلام في كتاب
طبقات الشعراء (ص ١٣٧ طبع ليدن) أنه نسب إلى الرقيات لأن جدات له توالين يسمين رقية. وفي الأغاني
(ج ٤ ص ١٥٥ طبع مطبعة بولاق): أنه لقب بالرقيات لأنه شب بثلاث نسوة سمين جميعا رقية: منهن
رقية بنت عبد الواحد، وابنة عم لها يقال لها: رقية، وامرأة من بني أمية يقال لها: رقية. وكان عبيد الله
منقطعاً إلى آل الزبير، فدمح مصعباً، ومجها عبد الملك؛ وهو القائل:

إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء

(٣) في الأصل: «أبياته»؛ وهو تصحيف، فإن الذي وقفنا عليه في كتب التراجم أن حبيبا هذا
من أبناء المهلب لا من شعرائه الذين مدحوه.

(٤) ابن أبي دواد: هو القاضي أبو عبد الله أحمد بن أبي دواد الإيادي؛ وكان أصله من قرية بقتسرين
واتجر أبوه إلى الشام، وأخرجه معه وهو حدث، فنشأ أحمد في طلب العلم، وخاصة الفقه والكلام حتى بلغ
ما بلغ؛ قال أبو العيينة: ما رأيت رئيسا قط أفصح ولا أنطق من ابن أبي دواد؛ وتولى القضاء في زمن المعتصم
والوائق إلى أن أصيب بالفالج في زمن المتوكل؛ وكانت وفاته سنة أربعين ومائتين اه ملخصا من وفيات الأعيان.

(٥) ابن الزيات: هو أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن أبان بن حزة المعروف بابن الزيات؛ وكان من
أهل الأدب والفضل، عالما بالنحو واللغة كاتباً شاعراً؛ وقد استوزره المعتصم ثامن خلفاء بني العباس، وأقره
ابنه الواثق هارون على ما كان عليه في أيام أبيه المعتصم بعد أن كان متسخطا عليه؛ ولما قام المتوكل بالأمر
قبض على ابن الزيات، واستصفى أمواله، وحجسه في الثور حتى مات في سنة ثلاث وثلاثين ومائتين اه
ملخصا من وفيات الأعيان. والذي في الأصل: «ابن زياده» بالدال؛ وهو تحريف.

وضعت السيادة صدرا، ويُطاعه كما أطلعت الفضائل بدرا، وليصرف إليه عناية تعلق
بها الحمد علاقة غيلان بمية^(١)، والحكم بأمية^(٢)؛ وهو يعلم - أدام الله أيامه - أن المناصب
عرائس، والصنائع قلائدُها، والولايات مآذب، والمكارم موائدُها، والليالي - كما
علمت - حبالى، والسيئات والحسنات ولائدُها؛ وخير من ليس ثوبَ نعمة كاهل
هذا الإمام، وإن الحسنه إليه لأشرف مواهب الأيام، فأغتنمها فإنها غاية الأغتنام؛
وأعيد مولانا بالله أن يجعل نظره إليه لمحا، أو يضرب عنه الذكر صفحا، أو يكون
مولانا روضةً ثم لا يجِدُ هذا الصدرُ منها نفحا، ومطلع آفاق الشرف ثم لا يستوضح
هذا المنتس من أفقها صباحا .

ومثل صدر هذه الرسالة لبعض الكتاب المتقدمين^(٣) :

- ١٠ الحمد لله مقلب القلوب، وعالم الغيوب؛ الجاعل بعد عسير يسرا، وبعد عداوة
وداء، وبعد تحارب اجتماعا، وبعد تباين اقترابا؛ رافقه منه بعباده ولطفًا، وتحننا
عليهم وعطفًا؛ لئلا يستتمهم^(٤) التتابع، في التدابر والتقاطع؛ وليكونوا بررة إخوانا،
وعلى الحق أعوانا؛ لا يتنكبون منهجا، ولا يركبون من الشبهة ثجبا؛ بغير دليل يهديهم
- (١) غيلان : هو أبو الحارث غيلان بن عقبه بن نهيس بن مسعود بن حارثة، وهو المعروف
بذى الرمة؛ وكان من نخول الشعراء، وهو أحد عشاق العرب المشهورين؛ وصاحبه مئة بنسة مقاتل
ابن طلحة بن قيس بن عاصم المنقري، وكان كثير التشبيب بها في شعره، وكانت وفاته سنة سبع عشرة ومائة هـ
ملخصا من وفيات الأعيان ترجمة ذى الرمة .
- (٢) يريد الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، وهو والد مروان ثالث خلفاء بني أمية .
- (٣) كذا وردت هذه العبارة في الأصل؛ ولم يرد فيما سبق صدر رسالة تصح المماثلة بينه وبين ما أورده
هنا لبعض الكتاب المتقدمين . ولعله قد سقط من الأصل الذى بين أيدينا .
- (٤) في الأصل : « يستتم بهم » والباء زيادة من النسخ اذ لم نجد في لدينا من كتب اللغة أن هذا الفعل
تعدي بالحرف والتتابع بالياء المثناة : التهافت؛ أو هو اللجاجة . ويريد بقوله : « لئلا يستتمهم » الخ أن
اللاجاجة في الخصومة تستأصلهم بتمامهم ولا تبقى على أحد منهم .

قصده المسالك ، ولا مرشد يذودهم عن درك المهالك ؛ أحده على نعمه التي لا يحصى
 الواصفون إحصاءها ، ومنه التي لا تحمل الخلق أعباءها ؛ حمدا يتجدد على ممر الأزمان
 والدهور ، ويزيد على فناء الأحقاب والعصور ؛ وإن أحق ما أستعمله العاملون
 وحق به التالون ، وآثره المؤمنون ، وتعاطى بينهم المسلمون ؛ فيما ساء وسر ، ونفع
 وضر ؛ ما أصبح به الشمل ملتئا ، والأمر منتظما ، والفتق مرتيقا ؛ والسيف مغمودا
 ورواق الأمن ممدودا ؛ فحقت به الدماء ، وسكنت معه الدهماء ، وأنقمع به الأعداء ؛
 واتصل به السرور ، وأمنت معه الشرور ؛ وليس بذلك أولى ، وإلى إحراز الثواب
 به أدنى من الصالح الذي أمر الله تبارك وتعالى به ، وخص وعم ورغب ^(١) .

ولنعد الى كلام الشيخ ضياء الدين بن القرطبي

فمن ذلك ما كتب به أيضا الى صاحب شرف الدين الفائزى جوابا عن كتاب
 شفاعة يوصى على أخيه نجم الدين ، فأجابه الشيخ : يخدم الجنب الشرفى - رفع الله
 قدره بين أوليائه ، وأطاب ذكره في مقام عليائه ؛ وأطال عمره مقترنا بعزه ، وأقره
 في كنف سلامته وكهف حرزه - وردت الأوامر المطاعة ، والمقابلة بالسمع والطاعة ؛
 في حق أخى المملوك مولانا نجم الدين ، فتلقى راية طاعتها بيمينه ، وأقرها من تعظيمه
 في اسرة جبينه ، وأحلها من شرف الأمثال في مستودع دينه ؛ وقابل حاملها بأوفر
 ترحيبه ، وأقرب تقريبه ؛ وواجهه بإجلال الأخوة ، وخلال البنوة ؛ وأحلّه كنف
 قلبه ، وأودعه بين شغاف القلب وخليه ، وأعادته الى معهود ولائه وحسبه ؛ وقزله
^(٢) .

(١) فى الأصل : « له » باللام ؛ وهو تحريف .

(٢) الظاهر أن لهذا الكلام بقية قد سقطت من الأصل الذى بين أيدينا ؛ ولم تقف عليها فى راجعناه

(٣) فى الأصل : « وجلال » بالجم ؛ وما أثبتناه هو المناسب لقوله : « البتة » .

(٤) الشغاف : غشاء القلب وغلافه ، وهو جلدة ألبسها . والخلب : حجاب الكبد .

في كل شهر عشرة دنانير وهي نهاية قدرته، وأعلمه أنها أعود نفعاً من ولايته وأقرب عوناً من إمرته؛ وعاهد الله ألا يتعرض لجنديّة أبداً، ولا يمدّ لطلب ولاية يداً؛ ولا يقف بين يدي الأمراء بعدها، ولا يتجاوز بجلالة أبويه حدّها، ولا يهمل شرف نسبه التي لم تُصاعر^(١) [لها] الأيام^(٢) حدّها؛ وأخذ عليه عهدود الله والمملوك في الوفاء مهما عهدّها؛ وقد توجه إلى المَشَارِعِ الصّاحبيّة التي استعذب وردها والمكارم الشرفيّة التي أَلْفَ حمدّها، والصنائع الإحسانيّة التي وجد في مرارة الفقر حلّوها وفي حرارة الغربة بردّها؛ وعوّد عَشَّ الفضل الذي منه درج، وبيت الكرم الذي إليه دَخَلَ^(٣) ومنه نَجَرَ^(٣)، وسماء الإحسان التي أطلعت نجم إمامته فعرّج عليها وإليها عرّج، وبحر المعروف الذي إذا أظنبت لسان شئائه قالت شواهد بيانه: «حدثت عن البحر ولا حرج»؛ ومولانا يضعه تحت كنفه، ويرفعه لله ولسلفه، ويقابله الجناب الشرفي بما عرفه من شرفه؛ ويعينه على جاريه الذي هو مادّة رفقه، وأول ما أجراه الله على يد مولانا من رزقه؛ بكتاب يُجزل له العزّات ويُمَيِّها^(٤)، ويسكن رُوح الحياة في جسد فاقته ويقيمها؛ فهو ذو ضراء لا تسدّها إلا القناعه، وذو فاقه لا ترفعها إلا السعة التي تمدّ بابه؛ والله يجعل مولانا وقاية لمن لجأ إليه، وإعانة لمن اعتمد عليه؛ إن شاء الله تعالى.

(١) صاعر خذّه وصعره بتشديد الهمزة: أماله كبرا؛ وقرئ: (ولا تصاعر خذك للناس).

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل؛ والسياق يقتضيها. والضمير عائد الموصول وفي قوله: «خذّها»

يعود إلى «الأيام».

(٣) عبارة الأصل: «الذي منه دخل واليه نرج» والصواب العكس كما أثبتنا.

(٤) في الأصل: «وبيعتها»؛ وهو تحريف.

١٣٧

وكتب إليه أيضا شفاعَةً في بعض الأعيان فقال :

ويُنهي أن الله تعالى متولى سرائر عباده ، ومجازيهم على مخالفة أمره وإن كان
على وفق مراده ؛ أعدّ دارى ثوابه وعقابه ، وحدّ أولى العقوبة من ألم عذابه ؛ ثم
عمت رحمته فشفع في العصاة ، وعفا عن الجناة ؛ فقال : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ
عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ ﴾ ثم بدلت عوارف الإحسان ، وعواطف الحنان ؛
حتى شفع الى خلقه ، فى العفو عن حقهم وحقه ؛ صفة كريم رحمانيه ، وصلة عفو
إحسانيه ، وصنائع الطاف ربانيه ، فشفع الى الصديق فى مسطح ، فقال :
﴿ وَلَا يَأْتِلْ أَوْلُوا الْفَضْلَ مِنْكُمْ وَالسَّعَةَ أَنْ يُؤْتُوا أَوْلِيَ الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَيَلِصَفَحُوا ﴾ فقدم موجبات العطف بما قدم من القرابة
والمسكنة والمهاجرة ، ثم تلقاها من أجر الآخرة بكرم المجازاة وربح المعاملة ، وحسن
جزاء المنعم ، تعريفًا بمواقع الإحسان ، وتكريماً لنوع الإنسان ؛ ومملوك مولانا فلان
الذى أنزل حاجته بعبدك^(١) ، وقصده قبل قصيدك ؛ وأسكن حريمه مجاوراً لحريمه
وتسفع به الى صدر الزمن وكريمه ، واستوهبه الذنب وإن كان معترفاً بعظيمه ؛ والصنع
الجميل ثمرة الأيام ، والفضل أثبتته ألسن الأقاليم ؛ ولله لحظات تلحظ عباده ويرحم^(٢)
الراحمين ، ويجزى المتصدقين ، ولا يضيع أجر المحسنين ؛ وإن مولانا عقلاً الشرف^(٣)
وذو الفضل الأنف^(٣) ، والعارف فى صنائع الإحسان كيف تؤكل الكتيف ؛ وقد أحلته

(١) فى الأصل : « لعبدك » باللام ؛ والسياق يقتضى الباء كما أثبتنا .

(٢) فى الأصل : « عقائل » ؛ وهو غير مستقيم ؛ والمراد بقوله : « عقال الشرف » أن الشرف محتبس
عليه لا يفارقه ؛ وهو مستعار من عقال البعير ؛ وهو الحبل الذى يعقل به عن النهوض .

(٣) الفضل الأنف : أى الذى لم يسبق اليه ؛ وهو استعارة من قولهم : « روضة أنف » أى أنها
لم ترع ، « وكأس أنف » أى أنها لم يشرب بها قبل ذلك .

على ملاءة أياديك، وألبسته ملاءة معاليك، وأحلتته بضمن الله كنف ناديك؛ وأنت
الكريم أخلاقا ونسبا، والطيب أعرافا وأبا، والصدر الذي إذا سامته الأيام خبطة
ضيم ابى، وإذا أوطأته مهانة وخسفا نبا؛ وأحق من قبل هذه الشفاعة كرمك^(٣)
وأولى من رعاها شيمك، والمعالي جنود الشرف وأحق علم رفيع عليها علمك؛ والله^(٤)
تعالى يبقيه للأنام ملاذا، وللأمل معادا، ويهب عزمه مضاء وقلمه نفاذا؛
إن شاء الله تعالى .

وكتب الى قاضي القضاة تاج الدين بن خلف :

يُجِدُّمَ الْجَنَابَ التَّاجِيَّ - أَدَامَ اللهُ شَرَفَ الْمَلَّةِ بَبِقَائِهِ ، وَأَعْلَى كَلِمَةَ الْأُمَّةِ بَعْلَانِهِ
وَأَجْرَى أَلْسِنَةَ الْأَقْلَامِ بِنَثَانِهِ ، وَرَفَعَ أَلْوِيَةَ أَوْلِيَائِهِ بَوْلَانِهِ - وَيُنْهِي وَرُودَ مَشْرِفَتِهِ أَلْتِي
تَجَلَّتْ فِي سَمَاءِ السِّيَادَةِ حُسْنًا ، وَسَهَّتْ لَفْظًا وَجَزَلَتْ مَعْنَى ، وَغَدَا لِسَانَ الْإِحْسَانِ
عَلَيْهَا يُثْنِي ، وَعِنَانَ الْفَضَائِلِ إِلَيْهَا يُثْنِي ؛ وَقَدْ أَخَذَتْ بَرْقَابَ الْمَعَانِي ، وَأَطْرَبَتْ إِطْرَابَ
الْمَثَانِي ، وَبَعَثَتْ رُوحَ الْحَيَاةِ إِلَى رُوحِ الْأَمَانِي ، وَثَنَتْ إِلَى فَضْلِهَا الْأَوَّلِ عِنَانَ الثَّانِي
فَحَى هَلَا بِالْمَكْرُمَاتِ وَبِالْعِلَا * وَحَى هَلَا بِالْفَضْلِ وَالسُّؤْدُدِ الْمَحِيضِ^(٦)

(١) الملامة بفتح الميم : القدرة والغنى ، وهو مصدر ملؤ الرجل فهو مليء : أى صار ثقة غنيا .

(٢) فى الأصل : « بها » ؛ وهو تحريف .

(٣) فى الأصل : « لومك » بلام بعدها واو ؛ وهو تحريف .

(٤) فى الأصل : « وقع » ؛ وهو تحريف .

(٥) فى الأصل : « إليه » ؛ وهو غير مستقيم .

(٦) يقال : حى هلا بكذا بلا تنوين : أى عليك به ؛ ويقال فيه أيضا : حى هلا بالنتوين وحى هل

بفتح الجزأين تكهسة عشر ؛ وكلها يراد به الحث .

(١) لا جرم أن المملوك سجد لله ثم لجلالة ذلك الاستغفار ، وقبول كلمات الاعتذار ؛
وعلم أن مولانا لبس حلة التواضع لتمام شرف الأصطناع ، وليحوز أقسام السيادة
بالصدرِ الرَّحْبِ وَالْحُلُقِ الواسعِ (٢)

سجّية نفس شرف الله مجدها * بما شاء من فضل لديها ومن حلم
وسؤدد آباء وكسب سيادة * تضم إلى عز العلاء شرف العلم
هذا مع إساءتنا التي تسود وجوه الأمل ، ويقضى كفرها - لولا إيمان مولانا -
بإحباط العمل ، على أنها ملازمة المعلولات للعلل

١٣٨

وما كنت جاني فتنة غير أنها * إذا وقعت أردت مسيئاً ومحسناً
ولو رشقتني مضميات سهامها * لالفت لها حكا من الله بينا
وإن جلال الله يشهد أنني * بدلت من الوسع الذي كان ممكنا
وحذرت حتى لم أجد متحرراً * وأسمعت لكن لم أجد ثم أذنا (٥)
وكانت صعباً تقتضيها مشيئة * وهل لقضاء الله رد إذا دنا (٦)

وأما إشارة مولانا إلى الحاجب الذي هو لمولانا أشرف من حاجب بن زراره
بما أودعه أثناء تلك الكلم من لطيف الإشارة وشريف العبارة ؛ فجزء مولانا على
الله في جبره لقلب المملوك المنصدع ، وصلة أمله المنقطع .

(١) لعله : « لإجابة » كما يدل عليه قوله بعد : « وقبول » الخ .

(٢) الواسع بفتح الواو : الواسع .

(٣) في الأصل : « تحية » بالناء المثناة والخاء المهملية ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٤) في الأصل : « متحرراً » ؛ وهو تحريف إذ لم نقف عليه فيما بين أيدينا من كتب اللغة .

(٥) الأذن بضم الهمزة وتشديد الدال : جمع آذن ، وهو المستمع ؛ يقال : اذنت إليه وله : إذا

استمعت إليه معجباً بما يقول .

(٦) في الأصل : « طباعاً » ؛ وهو تحريف لا يتضح به المعنى ؛ والفعل قبلها تام لا يحتاج إلى منصوب

إذ معنى الكون هنا : الوقوع والحصول .

(٧) هذه الباء ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضى إثباتها .

وكتب إلى صاحب قاضي القضاة بدر الدين السنجاري -

وهو يوم ذلك متولى الحكم والوزارة بالديار المصرية :

لا زال الإسلام يستضيء ببدره، والإيمان يَأْرُزُ^(١) إلى صدره، والشرف يتضاءل
عند قدر جلالته وجلالة قدره، والآمال والآجال مصرفة بين بسطة نعمته وسطوة
قهيره، هذه على ذكره وهذه على شكره، والمكارم والمحامد تتعلق وتتألق هذه بنشره
وهذه ببشره، والعزم والرأي إذا قُلَّ أو قال أستغاث وأستضاء هذا بنصره وهذا بفكره
ولا غرو أن تثني الوزارة جيدها * إلى ناظم في جيدها عقد نخره
إلى أحوذي الرأي إن ناب معضل^(٢) * أراك جلي الأمر إيحاء سره
إذا أستغزر الذهن الذكي تضاءلت * له فكرنا قيس^(٣) الذكاء وعميره^(٤)
^(٥)

- ١٠ (١) في الأصل : « بارز » ؛ وهو تحريف . ويأرز : يأوى ويلجأ .
(٢) فال الرأي يفيل كيبيع : ضعف وأخطأ . والذي في الأصل : « اذا قل أو قال » بالقفاف
في كلتيهما ؛ وهو تصحيف .
(٣) الأحوذي : هو الذي يسوق الأمور أحسن مساق لعلمه بها .
(٤) في الأصل : « الدهر » ؛ وهو تحريف .
١٥ (٥) يريد : قيس بن زهير بن جذيمة العبسي صاحب الحروب بين عبس وذبيان بسبب الفرسين :
داحس والغبراء ؛ وكان فارسا شاعرا داهية ، يضرب به المثل فيقال : « أدهى من قيس » اه ملخصا
من شرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون . وعمرو : هو ابن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم ؛
ويكنى أبا عبد الله ؛ أسلم بأرض الحبشة عند النجاشي ، ثم قدم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
مهاجرا ؛ واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على غزوة ذات السلاسل ؛ وبعثه أبو بكر رضي الله تعالى
عنه إلى الشام فتولى ما تولى من فتحها ؛ وولاه عمر رضي الله تعالى عنه فلسطين ، ثم كتب إليه أن يسير إلى
مصر فسار إليها وفتحها ، وولاه عمر إياها ؛ وقد شهد صفين مع معاوية بن أبي سفيان ؛ وقد ولاه معاوية
مصر أيضا فلم يزل بها واليا إلى أن مات بها يوم الفطر سنة ثلاث وأربعين ، ودفن بالمقطم مقبرة أهل مصر ؛
انظر طبقات ابن سعد في القسم الثاني من الجزء السابع ص ١٨٨ طبع ليدن . وكان عمرو بن العاص
يضرب به المثل في السياسة والدهاء .

- فِيُطَلِّعُ رَأْيَا وَاضِحًا مِنْ سَدَادِهِ * كَمَا أَنْشَقَّ بُرْدُ اللَّيْلِ عَنْ ضَوْءِ بَغْرِهِ
 إِلَى سَوْدُودٍ أَجْرَتْ مَعَالِيَهُ خَيْلَهُ * سَوَابِقُ غُرًّا فِي بَهِيَّاتِ دَهْرِهِ
 وَكَمْ سَابِقٍ أَجْرَى إِلَى غَايَةِ الْعَمَلَا * وَلَكِنْ طَوَى سَبْقًا مَلَاءَةَ حُضْرِهِ
 بِجَلْمٍ تَجَلَّى فِي أَسْرَةِ وَجْهِهِ * وَجُودٍ تَجَلَّى مِنْ طَلَاقَةِ بَشْرِهِ
 يَمِينًا لَقَدْ أَضْحَتْ جَلَالُهُ قَدْرَهَا * عَلَى شَرَفِ الْمَقْدَارِ مِنْ دُونِ قَدْرِهِ
- سَطَّرَهَا الْمَمْلُوكُ بَعْدَ مَا لَبَسَتْ الْوِزَارَةَ حَلَّةَ نَخْرِهَا ، وَسَجَّتْ ذَيْلَ اقْتِحَارِهَا ، وَبَدَأَ
 مَعْصَمَ شَرْفِهَا فِي حَلِيَةِ سَوَارِهَا ، وَتَجَلَّتْ مَعَانِيهَا بَيْنَ شَمْسِ فَضْلِهَا وَأَقْمَارِهَا ، وَجَنَيْنَا
 الْغَضَّ مِنْ زَهْرِهَا ، وَالطَّيِّبَ مِنْ ثَمَرِهَا ، وَحَمِدْنَا جَمِيلَ تَأْثِيرِهَا وَحَمِيدَ آثَارِهَا
 وَحَيَّتْ عَلَى بَعْدِ الْمَدَى نَفَثَاتُهَا * بِأَطْيَبَ مِنْ رَنْدِ الرَّبَا وَعَمْرَارِهَا
- وَأَجْتَسَلَى الْمَمْلُوكُ حَسَنَاءَ إِحْسَانِهَا فَمَا ضَارَعَتْهَا الْبَدُورُ مَذْفَارَقَتْ سَرَارَهَا ، وَلَا
 الْأَنْجُمُ وَلَوْ نَظَمَ الْفَلَكَ أَنْوَارَهَا ، وَلَا الرُّوضَةَ وَقَدْ عَقَدَتْ الْغَائِمُ إِزَارَهَا ، وَلَا أَطْلَالَ
 مِيَّةٍ وَقَدْ دَبَّحَتْ يَدَ الْأَنْوَاءِ أَزْهَارَهَا ، وَلَا أَرْدَانُ عِزَّةٍ وَقَدْ أَوْقَدَتْ بِالْمَنْدَلِ الرَّطْبَ
- (١) فِي الْأَصْلِ : «عز» ؛ وَهُوَ تَصْحِيفُ صَوَابِهِ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا يَرُشِدُ إِلَيْهِ قَوْلُهُ بَعْدَ : «فِي بَهِيَّاتِ» .
 (٢) الرَّنْدُ : الْأَسَى ؛ أَوْ هُوَ الْعُودُ الَّذِي يَتَبَخَّرُ بِهِ ؛ وَقِيلَ : إِنَّهُ شَجَرٌ مِنْ أَشْجَارِ الْبَادِيَةِ طَيِّبِ الرَّائِحَةِ
 يَسْتَاكُ بِهِ ، وَلَيْسَ بِالْكَبِيرِ ، وَلَهُ حَبٌّ يُسَمَّى الْغَارِ . وَالْعَرَارُ : التَّرْجَسُ الْبَرِّي .
 (٣) يَرِيدُ تَسْبِيهِ النَّبْتِ وَالْأَزْهَارِ حَوْلَ الرُّوضَةِ بِإِزَارِ عَقْدَتِهِ الْغَائِمِ عَلَيْهَا ، كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ :
 حَتَّى تَعَمَّ صَلَعُ هَامَاتِ الرَّبَا * مِنْ نَوْرِهِ وَتَأَزَّرَ الْأَهْضَامُ
 وَالَّذِي فِي الْأَصْلِ : «أَزْرَارَهَا» وَالرَّاءُ الْأَوَّلَى زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ .
 (٤) عِبَارَةٌ الْأَصْلُ : «دَبَّحَتْ يَدَ النُّوَارِ» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .
 (٥) الْمَنْدَلُ وَالْمَنْدَلَى : الْعُودُ الَّذِي يَتَبَخَّرُ بِهِ . قَالَ الْأَزْهَرِيُّ : وَهُوَ عِنْدِي رِبَاعِي لِأَنَّ الْمِيمَ أُصْلِيَّةٌ
 وَقَدْ أَشَارَ بِهِذِهِ الْعِبَارَةُ إِلَى قَوْلِ كَثِيرٍ :
- بِأَطْيَبَ مِنْ أَرْدَانِ عِزَّةٍ مَوْهِنَا * وَقَدْ أَوْقَدَتْ بِالْمَنْدَلِ الرَّطْبَ نَارَهَا
 وَالرُّوْيُ فِي هَذَا الشَّعْرِ مَرْفُوعٌ ، وَقَوْلُهُ : «أَوْقَدَتْ» مَبْنِيٌّ لِلْجَهْوَلِ ، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ قَبْلَ هَذَا الْبَيْتِ :
 فَارُوضَةٌ بِالْحَزْنِ طَيِّبَةُ الثَّرَى * يَمِجُ النَّسْدَى جَنْجَاتُهَا وَعَمْرَارَهَا
 الْأَغَانِي ج ١٤ ص ٥٩ طبع بولاق وإنما خالف الكاتب هنا حركة الروي في شعر كثير لاقتضاء
 السجع نصب الراء .

نارها» ، صلة جاءت كبرد الشباب ، وبرد الشراب ، اقتضابا قبل السؤال ، وابتداء الآمال ، والمملوك يحضر عقيها ليحتلى وجه المنعم قريبا ، ويحتنى غصن النعم رطيبا ومتى لم أقم بشرك لنا * س خطيبا فلا وقيت الخطوبا

وكتب الى الصاحب تاج الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين (٢) على بن محمد المعروف بابن حناء: (٣)

رفع الله قدر الجناب الصاحب التاجي في شرف الأقدار ، وأجرى بإرادته وسعادته سوابق الأقدار ، وألبسه حلية الشرف التي هي على رأس رياسته تاج وفي معصم سيادته سوار ، وحلة النعم التي ينكمش لأجلها رذن المساء وينسحب بمثلها ذيل المسار ، وأمضى عزائم آرائه التي اذا سطت يوم البأس نفذت نفوذ

١٠

(١) في الأصل : «الشتاء» ؛ وهو تحريف .

(٢) كذا في الأصل ؛ والذي وجدناه في المصادر التي بين أيدينا أن الصاحب بهاء الدين جد الصاحب تاج الدين ؛ وأما أبوه فهو نجر الدين بن الصاحب بهاء الدين . فقد ورد في «آب المنهل الصافي المحفوظ» منه نسخة مخطوطة بدارالكتب المصرية تحت رقم ١١١٣ تاريخ في ترجمة الصاحب تاج الدين هذا : أنه محمد بن محمد بن علي بن محمد بن سليم الصاحب تاج الدين أبو عبد الله بن الصاحب نجر الدين بن الصاحب بهاء الدين بن حناء المصري وزير الديار المصرية ؛ وكان مولده في سنة أربعين وستائة ؛ وتفقه وبرع ونظم وثر ، وحدث بمصر ودمشق ، وانتهت إليه الرياسة في عصره بالقاهرة ؛ وتوفي في سنة سبع وسبعائة . وفي كتاب أعيان العصر وأعيان النصر المأخوذ منه بالتصوير الشمسي بعض أجزاء محفوظة بدارالكتب المصرية تحت رقم ١٠٩١ تاريخ : ان الصاحب تاج الدين هذا قد تولى الوزارة بالديار المصرية مرتين ؛ ورأى من العز والوجاهة ما لم يره جده الصاحب بهاء الدين . وانظر (مستدرك التاج) مادة «سلم» فقد نص فيه على ان

٢٠

تاج الدين حفيد الصاحب بهاء الدين .

(٣) كذا ورد هذا الاسم بالهمز في مستدرك التاج مادة (سلم) .

(٤) الانكماش : التقلص .

(١)
 السهم ومضت مضاء الغرار ، وإذا سرت في ليل الخطب هدت هداية النجم
 ووضحت وضوح النهار ، وأرضى همته التي إذا همت أغنت عن الأبيض المرهف
 والأسمير الخطار ، وإذا أمت شأت ناصية الحنفاء وبدت قاصية الخطار ؛ وأرهف
 أقلامه التي إذا أجزاها أثبتت خال النفس ، في وجنة الطرس ، وطرزت بالظلماء
 أردية الشمس ؛ وإذا هزها أنست هز العوامل ، وأصابت من الأمر الكلي
 والمفاصل ، وإذا أمضاها لنعمة أولنقمة فلجاني لعاب الأفاعى القواتل ، وللعافى
 أرى الجنى أشتارته أيد عواسل ؛ ولا زال ربه مربعا للجلال ومصيفا ، ومرتعا لسوام
 الآمال وخريفا ، ومشرعا وارد الظلال وريفا ؛ وحرما آمنة تجي إليه ثمرات الحمد
 وتجنى منه ثمرات الرد ، وتقف المعالى عليه "وقوف مطايا الشوق بالعلم الفرد" ؛
 فإنه الربع الذى وقفت به الآمال وقوف غيلان بدارميّه ، وعكفت [عليه] المحامد

(١) الغرار بالكسر : حد السيف والرمح .

(٢) فى الأصل : « شابت » ؛ وهو تحريف . وشأت : سبقت ؛ والمضارع يشأ وكيدعو .

(٣) الحنفاء والخطار بتشديد الطاء المهمله : اسما فرسين لحذيفة بن بدر الفزارى ؛ وفى الأصل :

« الحيفا » بالياء المثناة ؛ وهو تحريف .

(٤) كذا ورد هذا اللفظ فى الأصل ؛ ولعله يريد بقاصية الخطار : الغاية التى يتمى إليها فى جريه .

(٥) فى الأصل : « أرقى » بقاف مثناة بعدها ياء ؛ وهو تحريف . والأرى : عسل النحل . يشير

بهذه العبارة الى قول أبى تمام فى صفة القلم :

لعاب الأفاعى القاتلات لعابه * وأرى الجنى أشتارته أيد عواسل

واشتارته : جنته واستخرجته من الوقبة .

(٦) العلم : الجبل ، والمراد بالعلم الفرد هنا : جبل فرد شرق الحاجر يقال له : أبان ، فيه عيون ونخيل ومياه .

(٧) غيلان : اسم ذى الرمة الشاعر . وفى الأصل : « عليان » ؛ وهو تحريف . وانظر الحاشية

رقم ١ من صفحة ٧٤ من هذا الجزء .

(٨) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل ؛ والسياق يقتضها .

(٩) فى الأصل : « التجافل » ؛ وهو تحريف لا معنى له .

عكوف توبة على حب الأخيلية^(١) ، والحناب^(٢) [الذي] فاءت ظلأله وفاضت مواهبه
وجاءت مذانبه^(٣) ، وجادت سخائبه ، وجلت شيمه وتجلت غياهبه ، في روض
المعالى الذي فاحت نسائمه ، وناحت حمائمه ، ومنشأ المجد حيث شاب
فأرخيت ذوائبه وشب فقطعت تمائمه ، وبيت الرياسة الذي اذا دنوت حباك
بإكرامه واذا نأيت حيتك مكارمه ، وصدر السيادة الذي خضعت له الأعناق
هينة "لأبلج لا تيجان إلا عمائمه"

ولا زال بدرا في سماء سيادة * يشار إليه في الورى بالأنامل
بسيط مساعى المجد يركب نجمده * من الشرف الأعلى وبذل الفواضل
إذا سليل أغنى السامعين جوابه^(٤) * وان قال لم يترك مقالا لقائل
ممدد أيام الحياة فكأها * لطلب علم أو لقاصد نائل
وينهى ولاء محبوبا بسويداء قلبه ، موضوعا بين شغافه وخليه ، وشاء مسموعا
في محافل الأنام ، معلنا في صحائف الحمد بألسنة الأقلام ، جديدا على ذهاب الليالى
واختلاف الأيام ، ودعاء سابق أراعىل الرياح ، ووضعت أنوار إجابته ووضح^(٥)

(١) الأخيلية : هى ليل بنت عبد الله بن الرجال وقيل : ابن الرحالة بن شداد بن كعب بن معاوية ،
وهو الأخيل ، وهى من النساء المتقدمات فى الشعر من شعراء الإسلام ، وكان يهواها توبة بن الحمير بن
حزم بن كعب بن خفاجة بن عمرو بن عقيل الأغانى ج ١٠ ص ٦٧ طبع مطبعة بولاق . وقد أوردتها
أبو الفرج أخبارا كثيرة فانظره .

(٢) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل .

(٣) المذانب : مسايل الماء الى الأرض . أو هى الجدول تسيل عن الروضة بمائها إلى غيرها ،
وأحد مذنب بكسر الميم وفتح النون .

(٤) فى الأصل : «سال» بالألف ؛ وهو تحريف .

(٥) فى الأصل : «مقلبا» بالقاف والباء الموحدة ؛ وهو تصحيف .

(٦) أراعىل الرياح : أوائلها .

الصباح، وطار الى ملائ القبول بقادمة كقادمة الجناح؛ وتحيمة اذا واجهت وجه
 الجهام أمطر، واذا هزّت أعطاف الكهام أثرب^(١) أرق من النسيم السحري، وأعطر
 من العنبر السحري؛ وأصفى من ماء المناقع^(٢)، وأحلى من "جنى النحل ممزوجا بماء
 الوقائع"^(٣) يرى ذلك في شرع المروءة واضحا واجبا...؛ تحية من أولى النعمة فشكرها
 وعرف العارفة وما أنكرها، وآمن بيده البيضاء من غير سوء ومد آمن بها
 ما كفرها؛ كيف لا وقد أمتج بجها لحمه ودمه، وسبح بحمدها قلبه وفمه، ووجرت
 شيم حمده على أعرق جياها والخير من سبقت به إلى شكر المنعم شيمه؛ لا سيما
 وقد جنى الطيب من ثمارها، وورد العذب من أنهارها؛ فلا أعدم الله مولانا صنائع
 الإحسان الذي آنعدت عليه كلمة الإجماع، وأنشده لسان المحامد عن شرف
 الأصطناع

﴿١٤٠﴾

(٦)

فلو صورت نفسك لم تردها * على ما فيك من كرم الطباع

ولا زال اللطف صدى صوته إذا دعا، والنجح قرين مساعيه أئى سعى، وحاكم
 الفضل يصدق دعواه حوز كل فضيلة كيف ادعى؛ حضر المملوك مهنتا نفسه
 بهنائه، ساعيا في خدمته سعى الأجلد في هوائه، والنجم في سمائه؛ من ملازمة

(١) الكهام من السيوف : الكليل الحد .

(٢) المناقع : مجامع الماء . وفي الأصل : « النقايع » وهو تحريف إذ لم نجد من معانيه ما يناسب السياق .

(٣) الوقائع جمع وقعة وهى مكان صلب يمسك الماء وكذلك النقرة فى الجبل يستنقع فيها الماء

وماؤها يضرب به المثل فى الصفاء فىقال : « أصفى من ماء الوقائع » ؛ وقوله : « جنى النحل » الخ عجز بيت

لدى الرمة ، وصدوره : ولنا سقاطا من حديث كأنه * الخ كما فى كتاب نهاية الأرب ج ٢ ص ٧٠ .

(٤) الظاهر أن هنا جملة ساقطة من الأصل بها يتم السجع الذى التزمه الكاتب فى رسالته هذه وغيرها

من رسالته وان كان المعنى يستقيم بدونها . ولم نقف عليها فيما راجعناه من المظان .

(٥) فى الأصل : « شهادها » وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقضيه السجع الذى التزمه الكاتب

فى رسالته . (٦) البيت لأبى تمام حبيب بن أوس الطائى . (٧) الأجلد : الصقر .

وجهه الذى ألقى الله عليه محبةً منه فاستنار ، وأكتسى حلة الحياة فألبسته حلة الوقار ، وأجتلته المقل فرأت رونق الخضر عليه باديا ، وأتمت به الهداة فألفته نجما فى سماء السيادة هاديا ، وقالت الأمانى فى ظلّه فأنشأ جوده قائلا :

* نزلت على آل المهلب شاتيا ^(١)

- ٥ ورأيتُه والناس مومنون من ليث عليه مهابة فكانوا الكروان ^(٣) أبصرن بازيا ^(٤) ، أمهة الجلالة ، وجلالة الأصاله ، وأصاله الشرف ، وشرف الفضل الأنف ، ورياسة ورثها خير سليفٍ لخير خلف ، وشيم علمته فى المعالى كيف تؤكل الكتف ، فصادف ركابه العالى قد استقل ، وحل من داره العز حيث حل ، فأقام رجاء أن يعاين أسرة جبينه ، ويقبله كتقبيل الندى فى يمينه ، وحين جنبحت الشمس الى مستقر الأنوار وطوى الفلك بيد القدرة رداء النهار ، وأشرف اليوم من خشية طيه على شفا جرف ^(٥) هاربا وثوب داعى العصر وحيعل ^(٦) ، وعاین زير الفلك فى وجه السماء كعين الأقبل ^(٧) ؛

(١) تمام البيت : « غريبا عن الأوطان فى زمن المحل » الأمالى لأبى على القالى ج ١ ص ٤١

طبع دار الكتب المصرية . ولم يعين أبو على قائل هذا الشعر .

(٢) كذا فى الأصل ؛ والظاهر أن صواب العبارة : « من كتب اليه مهابة » ؛ كما يرشد اليه قوله : « من »

١٥ ولم يقل : « الى » . والكذب بفتح الحاء : القرب ؛ واذن فقوله : « مهابة » بقرأ بالنصب أى : « من مهابة » .

(٣) الكروان بكسر الكاف وسكون الراء : جمع كروان بفتحهما : وهو طائر طويل الرجلين

أعبر دون الدجاجة فى الخلق ، وله صوت حسن ؛ يـكـون بمصر ، وهو من طيور الريف والقرى ولا يكون فى البادية .

(٤) يشير بهذه العبارة الى قول ذى الرمة فى بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعري :

٢٠ من آل أبى موسى ترى الناس حوله * كأنهم الكروان عاين بازيا

والبازى : ضرب من الصقور .

(٥) عبارة الأصل : « من حاشية طيفه » ؛ وهو تحريف .

(٦) التثويب : ترديد الصوت .

(٧) الأقبل ، من القبل بفتح الحاء : وهو فى العين : إقبال سوادها على الأنف ، أو هو مثل الحول .

ثَنَى عِنَانَهُ إِلَى مَثْوَى قَرَارِهِ ، وَأَثْنَى يَسَابِقِ أَدْهَمَ لَيْسِلِهِ بِأَشْهَبِ نَهَارِهِ ؛ وَعَلَى الرِّغْمِ
 أَخْفَقَ مَسْعَاهُ ، وَلَمْ يَقِلْ قَلْبُهُ الشُّوقَ الَّذِي دَعَاهُ ؛ لَكِنْ سَارَ وَأَقَامَ خَالِصٌ وَلَأَنَّهُ
 وَعَادَ بَعْدَ مَا أَوْدَعَ الْحَفِظَةَ مَرْفُوعَ دَعَائِهِ ؛ فَعَرَفَ اللَّهُ مَوْلَانَا بَرَكَاتِ هَذَا الشَّهْرِ الَّذِي
 سَارَتْ بِهِ إِلَى إِحْسَانِهِ مَطَايَا أَيَامِهِ ، وَجَعَلَهُ مَثَبًا لِحَسَنَاتِهِ مُمَحِّيًا لِأَنَامِهِ ، وَحَلَّاهُ بِالْمَقْبُولِ
 مِنْ صِيَامِهِ وَالْمَشْهُورِ مِنْ قِيَامِهِ ؛ وَأَرَاهُ صَدْرَ بَرِّهِ أَثْلَجَ ، وَوَجْهَ بَدْرِهِ أَبْلَجَ ، وَثَغْرَ
 أَبْتَسَامِهِ عَنْ رِضْوَانِ الْقَبُولِ أَفْلَجَ ؛ وَرَقَاهُ دَرَجَ تَضَاعُفِ حَسَنَاتِهِ ، وَلَقَاهُ مِنْ كَرَمِ اللَّهِ
 مَذْخُورَ إِحْسَانِهِ وَمَوْعُودَ هَبَاتِهِ ؛ وَأَرَاهُ الْأَمَلَ فِي بَيْتِهِ ، وَأَرَانَا فِيهِمْ مَا رَأَيْنَا فِيهِ ؛ فَهُوَ
 غَابَ الْعِلْمُ وَهُمْ أَغْصَانُهُ وَشَجَرُهُ ، وَمَطَّهْمُ السَّابِقِينَ وَهُمْ حُجُولُهُ وَغُرْرُهُ ؛ وَإِنِّي لِأَلْمَحِ مِنْ
 مَخَائِلِ شَرَفِهِمْ وَشَرَفِ مَخَائِلِهِمْ ، وَشَمَائِلِ شَيْهَمِهِمْ وَشَيْمِ شَمَائِلِهِمْ ؛ نَجَابَةٌ تَضَعُهُمْ مِنَ الرَّيَاسَةِ
 فِي أَنْفِهَا ، وَمِنَ السِّيَادَةِ بِمَكَانِ شَنْفِهَا ؛ فَهَمُ جَذْوَةٌ فَضْلٍ مُبْرِقَةٍ ، وَدَوْحَةٌ عِلْمٍ مُورِقَةٍ
 وَنَبْعَةٌ سِيَادَةٍ مُعْرِقَةٍ ، وَشَمْسٌ مَعَالٍ فِي أَفْقِ كُلِّ شَرْفٍ مُشْرِقَةٍ ؛ سَمَتْ بِهِمْ أَصَالَةٌ
 النَّسَبِ ، وَفَضِيلَةُ الْأَدَبِ الْمَكْتَسَبِ ، وَجَمَعُوا بَيْنَ شَرَفِ الْعُمُومَةِ وَالخُؤُولَةِ فِي كَرَمِ
 الْمُنْتَسَبِ ؛ فَلِلْعَلَا أَلْسُنُ تَثْنَى مَحَامِدَهَا عَلَى الْحَمِيدِ مِنْ فَعْلِهِمْ وَشَيْهَمِهِمْ ، وَلِلنَّدَى مَوَاهِبُ
 عُزَيْتٍ مَذَاهِبَهَا إِلَى الْعَلِيِّينَ مِنْ كَرَمِهِمْ وَهَمِيمِهِمْ ؛ لَا زَالَتْ مَحَاسِنُهُمْ قَلَانِدَ الْأَجْيَادِ
 وَأَيَّامُهُمْ مَوَاسِمَ الْأَعْيَادِ ، وَحَرَمَهُمْ الْخَضْبُ بِالْمَكَارِمِ سِوَاءِ الْعَاكِفِ فِيهِ وَالْبَادِ ؛
 إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) فِي الْأَصْلِ : « يَقْبَلُ » ؛ وَالْبَاءُ زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ . (٢) مُمَحِّيًا بِتَشْدِيدِ الْخَاءِ الْمَهْمَلَةِ ،
 مِنْ مَحَابِ تَحْيَةٍ ؛ أَيْ بِالْفِعْلِ فِي مَحْوِهِ . (٣) عِبَارَةُ الْأَصْلِ : « بِالْتَقْبِيلِ فِي » الْخِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفُ
 صَوَابِهِ مَا أُثْبِتْنَا كَمَا يَرُشِدُ إِلَيْهِ قَوْلُهُ بَعْدَ : « وَالْمَشْهُورِ مِنْ » الْخِ . (٤) فِي الْأَصْلِ : « بَاغٌ » ؛
 وَفِي حُرُوفِهِ قَلْبٌ لَا يَظْهَرُ بِهِ الْمَعْنَى . وَالغَابُ : الْأَجَامُ ؛ وَهُوَ مِنَ الْبَاءِ ، وَقَدْ جَعَلَتْ جَمَاعَةُ الشُّجْرَةِ غَابَةً لِأَنَّهُ
 مَأْخُوذٌ مِنَ الْغِيَابَةِ . (٥) فِي الْأَصْلِ : « لِأَتْلَحُ » ؛ وَلَمْ نَقِفْ عَلَى هَذَا الْفِعْلِ فِيمَا لَدَيْنَا مِنْ كُتُبِ
 اللُّغَةِ . (٦) عِبَارَةُ الْأَصْلِ : « مَحَابَةُ بَعْضِهِمْ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كَلَامِ اللَّفْظَيْنِ لَا يَظْهَرُ لَهُ
 مَعْنَى . (٧) عِبَارَةُ الْأَصْلِ : « عَذَبَتْ مَوَاهِبَهَا عَلَى » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي الْكَلِمَاتِ الثَّلَاثِ ؛
 وَسِمَاقُ الْكَلَامِ يَقْتَضِي مَا أُثْبِتْنَا .

وكتب الى القاضي شمس الدين الأصفهاني الحاكم — وكان بالأعمال القوصية — رحمهما الله تعالى — :

أوضح الله صنائع المجلس في بهيم الآمال غررا ، ونظم أياديه في أجياد الأيام
 دررا ، وصفى مشارع أمانيه إن كان مَشْرَعُ الأمانى كِدرا ، ولا زال الإسلام
 يشدو بجمده مفتخرا ، والأيامُ تتلو مجده سُورا ، والشرعُ المحمديُّ يكون بمضائه
 في ذات الله متصرا

فقد نشرت يمينك أودية العلاء * تُحَلِّي بلادَ الله بالدين والعلم^(١)
 وأمضيت أمر الله في شرع أحمد * وقيدت شكر الله في مطلق الحكم
 وتُرضى كلا الخصمين في السخط والرضا * كأنك تُعطي الخصم ما كان للخصم
 الى غير ذلك من محاسن وضحت وضوح النجم في الليل البهيم ، وسرت الى الحمد
 سرى المُجدِّ الى الشرف الصميم ، وحدثت عن مساعيه بفاعت بالثر البديع والدر
 النظيم ، وأثنت عليه ثناء وارِفِ الروض على واكفِ الوبل بألسنة النسيم
 وهزّت جناحي فضله وجلاله * الى درك العلياء من غاية المجد
 وقالت معاليه لى المجد كله * فما آبنة ذى البردين والفرس الوردي^(٢)

(١) في الأصل : « في الدين » ؛ وهو تحريف .

(٢) ذو البردين : عامر بن أحيمر بن بهدلة بن عوف ؛ لقب بذلك لأن الوفود اجتمعت عند
 عمرو بن المنذر بن ماء السماء فأخرج بردين وقال : ليقيم أعز العرب فليلبسهما ، فقام عامر ، فقال له :
 أنت أعز العرب ؟ قال : نعم ، لأن العزكه في معد ، ثم نزار ، ثم مضر ، ثم تميم ، ثم سعد ، ثم كعب ،
 فن أنكرك ذلك فليناظر ؛ فسكتوا ؛ فقال : هذه قبيلتك ، فكيف أنت في نفسك وأهل بيتك ؟ فقال : أنا
 أبو عشرة ، وأخو عشرة ، وعم عشرة ؛ فأخذ البردين وانصرف (سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون
 لجمال الدين بن نباتة) وقد أشار بهذا الشطر إلى قول قيس بن عاصم المنقري لزوجته منقوسة بنت
 زيد الفوارس الضبي — وكانت قد آتته في الليلة الثانية من بنائه بها بطعام ، فقال : أين أكيلى ؟ فلم تفهم
 ما يريد فأنشأ يقول :

أيا آبنة عبد الله وآبنة مالك * ويا آبنة ذى البردين والفرس الوردي

إذا ما صنعت الزاد فاتسمى لنا * أكيلا فإني لست آكله وحدي

الأغاني ج ١٢ ص ١٥٠ طبع بولاق .

فلا عدمه الإسلام إماما فاضلا، وحقًا فاضلا، وساعيا إلى غايات الفضائل
 واصلا، وفاعل حسناتٍ صير الحاصل من ثنائه باقيا والباقي من عمله الصالح
 حاصلًا؛ المجلس — أدام الله أيامه — يعلم أن الأيام مستنى بجدّ شبّاتها، ورمّتى عن
 قوس أذاتها، وجنتى الحنظل من شجراتها، والمر من ثمراتها، وأضرمت من نار ألمي
 مالم تطفئه مقلتي بفيض عبراتها

كأنى لم أطلع بأفق سمائها * ولم أتقلب في ثياب سمائها

ولم أكن منها في سويداء قلبها * مخايل من هدى العلا وهدايتها

— أستغفر الله — فإنها استرجعت ما لم يكن مستحقًا، وأبقت إن شاء الله

لمجلسه السامى ما كان حقًا، وأسكته — أدام الله نعمته — وفلك السعادة شرقًا

ومطلع الشمس أفقًا، وأحلتها من كنف السيادة قلبًا ومن رأس الرياسة فرقًا

وتطلع له الآمال خير غمامة * فتلمعه برقًا وتوكفه ودقًا

وتبقيه للدين الحينى عصمة * وللهدى والإضلال إن أهما فرقًا

وتبرزه في صدر كل فضيلة * كما بدّ شأوا الفاضلين بها سبقًا

حضر مملوك مولانا الولد [وقد] رفع من المحامد الشمسية لواء، والتزم العبودية

والإخلاص ولآء، وعمّر الألفية ودادا والأندية ثناء؛ وقال: أحسن مولانا حين

أساءت الأيام، وأولى نعمة حاتمة وإنها أشرف الإنعام

(١) في الأصل: « وسقته »؛ وهو تحريف .

(٢) في الأصل: « ومحلّه »؛ والسياق يقتضى ما أئبتنا .

(٣) لم ترد هذه الكلمة في الأصل؛ وقد أثبتناها لأن ذلك هو الأكثر في كلامهم؛ فان في جملة

الماضى المثبت الواقعة حالا أربع صور مرتبة في الكثرة، وهى: جاء زيد وقد قام أبوه، ثم جاء زيد قد قام

أبوه، ثم جاء زيد وقام أبوه، ثم جاء زيد قام أبوه وهذا خلاف مذهب البصريين، فإن مذهبهم لزوم

« قد » لهذه الجملة مطلقا ظاهرة أو مقدرة انظر شرح الأشونى ج ٢ ص ١٦٩ طبع بولاق .

ومالاً لا أُنْبِي عليه بصالح * وأشكركه والشكرُ بعضُ حقوقه
وأملأ من حسن الثنا كلَّ مَسْمَعٍ * وإني لأخشى بعدُ إثمَ عقوقه

- ثم سار وقلبي يتبعه ، ودمعي يشيعه ، ولساني يستحفظه الله ويستودعه ، وعليه
من الديون ما أحاط به إحاطة الجفون بمقلها ، والأعماد بمنصلها ؛ لتوالي هذه
المغارم التي طمَّ جُداها ، والمظالم التي عمَّ رداها ، والمحنة التي ملكتني يداها ؛ من
خراج طمى بحر ظلمه ، وزاد على حدِّ الجور رسمه وخَصِصَتْ من بين هذا العالم
بوسمه ؛ للزوم قام بوصفي فتبعه لازمه ، ومعنى وجب لذاتي فاستحال عدمه ؛ وقد
كان المملوك وولده فيما سلف يهودان بما يجردان لتناع ومعتراً وغنى ومضطرباً ؛
صيانةً للأعراض من أعراض اللوم ، ورغبةً في صلة حمد الأُمس بفائد اليوم ؛
وسجيةً نفس تأنف من علاقة الدم ؛ وإن كان هذا فيما لا يجب فالقياس فيما يجب
أنبعثُ النفس اليه من حتم المروءة أمضى ، والدين بأداء الواجب أقضى ؛ لانه

(١) المنصل بضم الصاد وفتحها : السيف .

(٢) عبارة الأصل : « ضم جِداها » ؛ وفي كلا اللفظين تحريف لا يستقيم به المعنى . والجاء بضم الجيم
والمثد : مبلغ حساب الضرب ، كقولك : ثلاثة في ثلاثة جداولها تسعة ؛ يريد بقوله : « طمَّ جِداها » أنه
قد زاد مبلغ حساب هذه المغارم .

١٥

(٣) في الأصل : « جدل » ؛ وفيه تصحيف وزيادة لام .

(٤) يريد أن هذا الخراج قد لزمه لزوم الوسم للوسوم ؛ والوسم : أثر الكي . والذي في الأصل :
« برسمه » بالراء ؛ وهو مكرر مع ما قبله .

(٥) الفائت : المستفاد ؛ يقال : فادت لفلان فائدة ، أى حصلت .

(٦) وردت هذه العبارة في الأصل هكذا : « فالقياس انبعاث النفس اليه فيما يجب أمضى من حاتم
المروءة والدين أمضى بأداء الواجب » الخ وفيها تقديم وتأخير لا يظهر بهما المعنى ؛ واستقامة الكلام تقتضى
اثباتها على هذا الوجه . وقوله : « انبعاث » فاعل « ليجب » ؛ وقوله : « من حتم » بيان لـ « بما » ؛
وقوله : « أمضى » خبر المبتدئ في أول الجملة .

٢٠

(١) مؤيد بيارام الشرع، وقد صح هذا القياس بجامعة الأصل والفرع؛ لكن ضاقت يد القدرة عن نفاذها، واعتاضت من وابل الثروة بزادها؛ وإذا توافرت القرائن أفادت فوق ما تفيد غلبت الظنون من مدار الشرعيات عليها، وانهاء غالب الأحكام إليها؛ وقد كان المملوك حرّك عزائم سيّدنا قاضي القضاة - شرف الله قدره، وأدام على الإسلام أمره - إلى تحريمها العلوم الكريمة بما هي عالمه، وحكمها بما هي حاكمه؛ ليكون له مستند يدفع أقوال المتعترضين، ويصرف اعتراض المتعترضين؛ وإثلاً يقف له واقف فيجري قلمه الشريف بأمرٍ جازم يجب الوقوف على مثاله، والمسارة إلى أمثاله؛ فيعز آستدراك الأمر بعد إحكامه، ويكون السعي في معارضته كالتقص لأحكامه؛ فكتب بما يقف مولانا عليه، وتشير مروءته وديانته إليه؛ ويقرر مع نائبه ما يقف عنده، ولا يتجاوز حدّه؛ غير ذا كره عن مولانا منعاً ينفر عنه الرواه، ولا مشع بكتاب سيّدنا قاضي القضاة؛ بل يكون كالشافع، إذا صمّ الخضم أعترز بما هو لهذه المصالح كالجامع؛ ليكون المملك في إرضائه بحسب الإمكان ويرى الخضم ما أخذه بعد اليأس نوعاً من الإحسان؛ فالنفوس إذا منعت كلّ المنع طلبت كلّ الطلب، وتعلقت في درك أغراضها بكل سبب؛ وإذا أخذت بالكلام

(١٤٢)

(١) في الأصل: «صابت» بالصاد المهملة والباء الموحدة؛ وهو تحريف.

(٢) في الأصل: «تحريك» بالكاف؛ وهو تحريف.

(٣) «إكون» أي ليحصل ويثبت، فالفعل هنا تام لا يحتاج إلى منصوب، ويحتمل جعله ناقصاً،

واسمه ضمير يعود إلى «تحريمها»، وخبره قوله: «مستندا» بالنصب.

(٤) في الأصل: «بما» والباء زيادة من التامع؛ إذ لم نقف فيما لدينا من كتب اللغة على أن

«قرّر» يتعدى بالباء.

(٥) في الأصل: «الدوات» بالذال المعجمة؛ وهو تحريف.

(٦) في الأصل: «مشيع» بالياء المثناة؛ وهو تصحيف.

(٧) عبارة الأصل: «الممالك في إرضائهم»؛ وهو غير مستقيم؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا.

(١) الدين، وعوملت بالسهل اللين؛ بعد درء سورتها بالمنع، ودفع شهوتها بالدفع؛ اتسق
 حكم الأشياء وانتظم، وانشعب صدع هذا الجرح والتأم؛ وجرى الأمر على سداد
 بحفظ النظام وحفظ الحرمة والحفظ للشارع، ولذلك قال: «أقبلوا ذوى الهيئات
 عثراتهم» لا سيما مع شهادات ضرورتهم؛ بسط الله يمين سيدنا فى المعالى كما بسط
 لسانه فى المعالم، وقيد عليه لسان المحامد كما أطلق يده بالمكارم؛ وعليه تحية الله
 التى توالى عليه نفحاتها، وتهدى إلى آماله العالى [من] مقترحاتها. (٤)
 (٥)

وكتب إلى شهاب الدين محمود متولى سمهود من عمل قوص -

وكان بينهما مودة، فاستدعاه للسلام عليه - فكتب :

إلىنا فإننا قد حللنا بأرضكم * على فرط شوق لابن عثمان دائم

وزرناك محمودا كما زار أحنف * لنيل الأمانى ربع قيس بن عاصم

١٠

(١) فى الأصل : «اللين» باللام، وهو محريف لتكرره مع ما أتى بعده فى الجملة الآتية .

(٢) فى الأصل : «بالمهل» ؛ وهو تحريف . (٣) السورة : الحدة . (٤) عبارة الأصل :

«يد المكارم» بسقوط الهاء والباء؛ والسياق يقتضى إثباتهما . (٥) هذه الكلمة ساقطة من

الأصل؛ والسياق يقتضى إثباتها . والهاء فى قوله : «مقترحاتها» تعود إلى «آماله» .

١٥

(٦) سمهود، ويقال سمهوط : قرية كبيرة على شاطئ غربى النيل بالصعيد دون فرشوط (باقوت)

وقال فى تاج العروس : المشهور فى هذه القرية أنها بفتح السين وبالذال فى آخرها .

(٧) الأحنف : هو الضحاك، وقيل : صفير بن قيس بن معاوية بن حصين بن عبادة، ينتهى نسبه إلى سعد

ابن زيد مناة بن تميم؛ ويكنى أبا بجر؛ وهو الذى يضرب به المثل فى الحلم، وكان من سادات التابعين؛ وأدرك

عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصحبه؛ وروى عن عمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم، وروى عنه الحسن

٢٠

البصرى وأهل البصرة؛ وشهد مع على رضى الله تعالى عنه وقعة صفين؛ وخرج مع مصعب بن الزبير إلى

الكوفة، فات بها سنة سبع وستين وقبل سنة إحدى وسبعين (وفيات الأعيان) ترجمة الأحنف بن قيس .

(٨) هو قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد، ينتهى نسبه إلى سعد بن زيد مناة

ابن تميم؛ ويكنى أبا على؛ وكان شاعرا فارسا كثير الغارات مظفرا فى غزواته حليما؛ أدرك الجاهلية

والإسلام فساد فهما؛ وهو أحد من وأد بناته فى الجاهلية؛ وأسلم وحسن إسلامه، وأتى النبي صلى

٢٥

الله عليه وسلم وصحبه فى حياته، وعمر بعده زمانا، وروى عنه عدة أحاديث، وهو الذى قال فيه

رسول الله صلى الله عليه وسلم : «هذا سيد أهل الوبر» (الأغانى ج ١٢ ص ١٤٩ طبع بولاق)

أخبار قيس بن عاصم .

ولسنا بغاةً للندى والتماسه * وان كنتَ معروفَ الندى والمكارم
ولكن وفاءً بالإخاء لمن وقى * وقد خان حتى حدَّ سيفي وقأمني
وجدتك ذخرى والزمانُ محاربي * كما كنتَ عَوْنِي والزمانُ مسالِمِي
فلا غرو أن أنبي اليك أعنتي * كما قد ننتَ يميناي خنصرَ خاتمِي

يُهدى الى المجلس السامى الشرفى تحيةً الله التى تجلها أنفاس النسيم معطرةً بعرف
الرياض ، مكللةً بأندية الكرم الفياض ؛ تغاديه فى السحر والمقييل ، وتراوجه
فى الطفل والأصيل ، وتشاهد محاسنه المقل أحسن من محاسن بئينة فى وجه جميل ؛
وأثنيته التى تنتظم فى الأجياد انتظام القلائد ، وترد على الأسماع ورود الهيم على
عذاب الموارد ؛ ويوليه من حبه مزية الاختصاص ، ومن مولاته السوانح التى
لا تمتد إليها يد الاقتناص ؛ فهو نسيم الأنس ، ومسرة النفس ، وذخر اليوم والأمس ؛
مصعبى الهيم ، مهلبى الشيم ، حاتمى الكرم ؛ فاق أخلاقا ، وراق أعراقا ؛ وسما
نفسا ، وطلع فى سماء الشرف شمسا

وَأَلْفَيْتُهُ فى نَفْسِهِ وولائِهِ * وحسنِ معانيهِ كما أنتظم الدرُّ
وضاع شذا أنفاسه فانتشقتُهُ * على النأى منه مثلما آبتسم الزهرُ
ولاحت معاليه بأفاق مجده * كما لاح فى ليل التمام لنا بدرُ

(١) فى الأصل : « مجاشفه » ؛ وهو تصحيف .

(٢) الظاهر أن هذه الجملة والى بعدها مقدمتان من تأخير ؛ واستقامة الكلام تقتضى تأخيرهما
عن الجملتين اللتين بعدهما ، أى بعد قوله فيما سياتى : (يد الاقتناص) . والألفية : جمع شاة .

(٣) الهيم : الإبل العطاش . وفى الأصل : « الهيم » بسقوط الياء .

(٤) عبارة الأصل : « وله لأولى » ؛ وهو تحريف لا يظهر له معنى ؛ وسياق الكلام يقتضى

ما أثبتنا .

(٥) فى الأصل : « النسيم » ؛ وهو تحريف .

(١) لا حُرْمَ إِيثَانِي إِلَيْهِ، وَإِيثَارَ تَسْلِيمِي عَلَيْهِ، مَعَ أَنِّي كُنْتُ أَعْهَدُ لَهُ خُلُوعًا حُلُوعًا مَعَ اللَّهِ وَوَقْفَةً عَلَى بَابِهِ، وَالتَّجَاعَةَ فِي جَنَاحِ اللَّيْلِ إِلَى جَنَابِهِ، وَدَمْعَةً يَرْسُلُهَا إِذَا اسْتَرْسَلَ فِي مَحْرَابِهِ، وَضِرَاعَةً يَتَابَعُهَا خَشُوعُهُ، وَزَفْرَةً يَشْتَمِلُ عَلَيْهَا قَلْبُهُ وَتَفَرِّقُ عَنْهَا ضُلُوعُهُ

فِيالْتِ شِعْرِي هَلْ أَقَامَتْ بَشِينَةً * عَلَى عَهْدِهَا أَمْ قَدْ ثَمَّتْهَا الشَّوَاغِلُ
 (٢) وَهَلْ ذَلِكَ الْوَدَّ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا * بَوَادِي الْخَزَامِيِّ مِثْلُ مَا كَانَ أَوَّلُ

وَكُتِبَ إِلَيْهِ — رَحِمَهُمَا اللَّهُ — يَسْتَدْعِي مِنْهُ ثَلَاثَةَ أَسْمَاءٍ وَمِثْلِيَّاتٍ (٣)

١٢٢

— وَقَدْ أوردنا بعض هذه الرسالة في الفن الأول في السواقي، وتُوردها في هذا الموضوع بجملة تكون متتابعة يتلو بعضها بعضاً — :

وَالسَيْفُ يَنْدَبُ فِي الْوَعْيِ فِيهِزَّهُ * نَدْبُ الْكَمِيِّ إِلَى مِضَاءِ غِرَارِهِ
 ١٠ وَالْحَرْأُولَى بَانْتِدَابٍ خَلَالِهِ * لِمُؤَمَّلٍ فِيهِ قِضَاءُ أَوْطَارِهِ

فلذلك حرّكت العزائم العاليسة المولوية الشرفية — أدام الله علاها، ورفع لواها وأودع أسماء الأنام ثناها؛ ولا زالت مرفهة السرائر، منورة الضمائر، سائرة في قطب المعالي سير الفلك الدائر، آخذة بحظها من شرف المفخر، جامعة بين درك إحسان

(١) عبارة الأصل : « لا جرم إثنائي » ؛ وهو تصحيف في كلا اللفظين .

(٢) لم يلتزم هنا ألف التأسيس وهي التي يكون بينها وبين الروى حرف متحرك ، ويجب على الشاعر التزامها اتفاقاً . انظر الحاشية الكبرى للدمهوري على متن الكافي ص ١١٧ طبع بولاق .

(٣) كذا في الأصل والسفر الأول من هذا الكتاب ص ٢٨٩ طبع دار الكتب المصرية ، وضبط فيه بفتح الميم وتشديد الياء ، ولم نقف فيما لدينا من كتب اللغة على لفظ « المليات » بالمعنى الذي يريد الكاتب في هذه الرسالة ؛ فإنه يريد بالمليات : أوان من خزف يستخرج بها الماء من السواقي كما يفهم من وصفها الآتي وتسمى هذه الأوان بالقواديس ؛ كما في مستدرك التاج مادة « قدس » .

الله في اليوم الأول واليوم الآخر - تحريك الطسمية عزائم الأسود بن عفار^(٢)
 وبعثها إلى إنالة الأمل أتبعات الهمم العريية يوم ذى قار، وأستجشت عزائمها^(٣)
 استجاشة رسول الله صلى الله عليه وسلم عزائم الأنصار، واستجدها استجد العمانية^(٤)
 بالهاشمية يوم الدار، واستجثتها سرعة الإجابة استجثت أدهم الليل أشهب النهار؛ فإنها

(١) كذا في الأصل ؛ ولعله : «الجديسية» نسبة الى جديس ؛ فان الذى حرّك الأسود بن عفار
 للذود عن شرفه وشرف قومه ، هى عفيرة أخته ، وهما من جديس لا من طسم ؛ وقد بينا ذلك فى الحاشية
 التى تليها .

(٢) كذا فى الأصل ومستدرك التاج والكمال لابن الأثير (ج ١ ص ٢٥٤ طبع ليدن) بالعين المهملة
 والذى فى تاريخ الطبرى القسم الأول (ص ٧٧١ طبع أوربا) : «ابن عفار» بالغين المعجمة . وأشار بهذه
 العبارة الى ما كان بين طسم وجديس - وهما قبيلتان من العرب البائدة - وذلك أن ملك طسم كان قد سام
 جديس أنواع الذل ، وأمر ألا ترف فتاة من جديس الى زوجها حتى يفتض هو بكارها ، فزفت فتاة من
 جديس الى زوجها ، وقبل زفافها أتى بها الى ملك طسم ، فافتضا ، وكانت اسمها عفيرة ، وهى الشموس أخت
 الأسود بن عفار هذا ، فخرجت على قومها فى حالة تثير الحمية فى نفوسهم وتحرضهم على أن يقوموا فى وجه
 هذا الظالم ليحفظوا شرفهم ، وأعرضهم ؛ فخطب الأسود بن عفار فى قومه وأتمروا بطسم وملكهم ليفنؤهم
 عن آخرهم ويخلصوا من ظلمهم ، فصنعوا طعاما ، ودعوا اليه ملك طسم وقومه ودفنوا سيوفهم فى الرمل
 فلبسوا حضروا وجلسوا الى الطعام أخذتهم سيوف جديس فلم يبق منهم أحدا . انظر تفصيل هذه القصة
 فى الكامل لابن الأثير (ج ١ ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ طبع ليدن) وغيره من كتب التاريخ .

(٣) ذوقار : ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط ؛ وبه كانت الوقعة المشهورة بين
 بكر بن وائل والفرس ، وهو أول يوم انتصف فيه العرب من العجم ، وهذه الوقعة من مفاخر بكر بن وائل
 (ياقوت) فى الكلام على ذى قار وانظر تفصيل هذه القصة فى كتب التاريخ .

(٤) يريد دار عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه التى حوصر فيها وقتله التواربها فى الثامن عشر من
 ذى الحجة سنة خمس وثلاثين . انظر ذلك مفصلا فى كتب التاريخ . ويشير بقوله : «استجد العمانية بالهاشمية»
 الى كتاب قيل : ان عثمان بعث به الى على رضى الله تعالى عنهما يستجده على من حاصره جاء منه : أما بعد
 فقد بلغ السيل الزبى ، وتجاوز الحزام الطيين ، وطمع فى من لا يدفع عن نفسه ؛ الى أن قال : فأقبل إلى على
 أى أمر بك أحببت

فان كنت ما كولا فكن خير آكل * والا فأدركنى ولما أمرت

«تمام المتن شرح رسالة ابن زيدون للصفدى» .

لَّتِي تَتَيْتُ عَلَيْهَا خِنِصَرَ الْأَعْتَادِ ، وَصَرَفْتُ إِلَيْهَا عَقِيدَةَ الْأَعْتَادِ ، وَجَعَلْتُهَا مِنَ الْقَلْبِ
 فِي سَوِيدَائِهِ وَمِنَ الْمُقَلَّةِ فِي السَّوَادِ ، وَاعْتَمَدْتُ عَلَيْهَا أَعْتَادَ بَكْرِ عَلَى الْحَارِثِ بْنِ عُبَادٍ ؛
 لَا جَرَمَ أَنَّهَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَعَالَى سَاعِيَةٌ لِأَمَالِي مَتَى اسْتَسَعَيْتُهَا ، وَصَدَى صَوْتِي مَتَى دَعَوْتُهَا
 وَفَاتِحَةُ كِتَابِ الْحَامِدِ مَتَى تَلَوْتُهَا ؛ وَأَعِيدُهَا بِاللَّهِ أَنْ تَنْكُبَ عَنْ قَضَائِهَا ، أَوْ تَقْفَ دُونَ غَايَةِ
 اقْتِضَائِهَا ؛ وَإِنَّمَا لِأَوْرُقٍ فَوْعًا مِنْ أَفْنَانِ السَّلْمَةِ ، وَأَعْرَقُ أَصْلًا فِي الْوَفَاءِ مِنْ أَصْلِ
 السَّلْمَةِ ، وَأَرَشِقُ سَهْمًا فِي كِتَابَةِ سَلِيمِهِ ، وَأَوْتِيقُ فِي حِفَاظِ الْمُوَدَّةِ مِنْ ابْنِ شَبْرَمَةَ ؛ يَقِينٌ

- (١) في الأصل : « الاعتذار » بالذال المعجمة والراء ؛ وهو تحريف .
- (٢) كذا ضبطه العلامة الشنقيطي بضم العين في إحدى نسخ القاموس مادة " نعم " وهذه النسخة
 محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٩ لغة ش . وضبط كذلك بالقلم في شرح التبريزي على ديوان
 أي تمام المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٠ أدب ش عند قول أبي تمام :
 كم وقعة لك في الهوى مشهورة * ما كنت فيها الحارث بن عباد . والحارث بن عباد : هو أحد فرسان
 بني بكر بن وائل ورؤسائهم ؛ وكان قد اعتزل الحروب التي وقعت بينهم وبين بني تغلب ، وهي المماسة بحرب
 السوس . ثم شهدا بعد ذلك لما قتل مهلهل بن ربيعة ابن أخيه بجيرا ، وقال مهلهل حين قتله : " بؤبشع
 نعل كليب " فغضب عند ذلك الحارث بن عباد وقال :
- ١٥ قريبا مربط النعامة مني * لقمحت حرب وائل عن حيايل
 الأبيات - والنعامة : فرسه - فأتوه بها ، فركها وولى أمر بكر وشهد حريمها ، وكان أول يوم شهده
 يوم قضة ، وهو يوم تحلاق اللحم ، وإنما قيل له : تحلاق اللحم ، لأن بني بكر حلقوا رهوسهم ليعرف بعضهم
 بعضا ، وقاتل يومئذ الحارث بن عباد قتالا شديدا ، فقتل في تغلب مقتلة عظيمة ، وفي هذا اليوم أسر الحارث
 ابن عباد مهلهل بن ربيعة ثم أطلقه اه ملخصا من تاريخ ابن الأثير (ج ١ ص ٣٩٤ ، ٣٩٥ طبع ليدن) .
- ٢٠ (٣) عبارة الأصل : « أن تكتم عن نصابها » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى ؛ ولعل صوابه
 ما أثبتنا إذ هو مقتضى السياق .
- (٤) هو من ورق الشجيري كوعد يعد والأكثر في هذا الفعل « أورك » بالألف ، قاله الأصمعي .
- (٥) السلة : شجرة ذات شوكة يدبغ بورقها وقشرها وورقها يسمى القرظ ، ولها زهرة صفراء فيها حبة
 خضراء طيبة الريح تؤكل في الشتاء وتحضر في الصيف . وقال أبو حنيفة : السلم سلب العبدان طولاً شبه
 القضبان وليس له خشب وإن عظم وله شوكة دقاق طوال حادة . والكلام هنا على الاستعارة .
- ٢٥ (٦) السلة بكسر اللام : الصخرة ؛ يريد أنه ثابت العهد على الأيام ثبوت الصخر . (٧) سلة
 بكسر اللام : بطن من الأنصار . (٨) لعل المراد بابن شبرمة : سعيد بن الضمر بن شبرمة الحارثي الكوفي ،
 من محدثين انظر مستدرک التاج . وفي الأصل : « ابن أبي شبرمة » ؛ وقوله : « أبي » زيادة من النسخ .

أَحَطْتُ بِأَبْنَائِهِ ، إِحَاطَةً رَسُولِ ابْنِ دَاوُدَ يَوْمَ إِبْنَائِهِ ؛ فَلَا أُشْكُ فِي شَرَفِ نَفْسِهَا ^(٢)
 وَسُمِّيَتْ نَجْمًا وَوُضُوحَ شَمْسِهَا ، وَزِيَادَةَ يَوْمِهَا فِي الْوَفَاءِ عَلَى أُمِّهَا ، كَمَا لَا تُشْكُ ^(٣)
 الْإِيَادِيَّةَ فِي فِصَاحَةِ قُسِّهَا ، وَلَا الْعَامِرِيَّةَ فِي عِلَاقَةِ قَيْسِهَا ؛ وَقَدْ تَوَجَّهَ إِلَيْهِ حَامِلُهَا
 لِجَمَلِ السَّهَامِ الَّتِي أَسْهَمَتْ لَهُ مِنَ الْمَوَالِيَةِ أَوْفَرَ أَقْسَامِهَا ، وَنَشَرَتْ رِدَاءَ ذِكْرِهِ عَلَى أَفْتَدَةِ ^(٤)
 قَلْبِهَا وَأَلْسِنَةِ أَقْلَامِهَا ؛ عِنْدَ اشْتِدَادِ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا ، وَجَرَّ ثِقَلِ السُّوَاقِ عَلَيْهَا ؛
 وَحَرَكَةِ الْحَرِّ الَّتِي حَلَّتْ شَمْسُهُ بُرْجَ حَمَلِهَا ، وَتَوَالَتِ جِيُوشُ جَنُودِهِ بَيْنَ صُدُورِ طُبَاهَا ^(٥)
 وَأَطْرَافِ أَسْلِحِهَا ؛ تَجَقَّفَ أُنْدَاءُ الثَّرَى ، وَتُعِيدُ عِنَبَ الْأَرْضِ عَثِيرًا ، وَتُسَيِّبُ مَفَارِقَ ^(٦)
 نَبَاتِهَا ، وَتُدْنِقُ الْمَمَاتُ أَكْبَادَ حَبَابَتِهَا ؛ فَاسْتَنْصَرَ الْعَزَائِمَ الْعَالِيَةَ الْمَوْلُويَّةَ الشَّرِيفِيَّةَ فِي إِطْفَاءِ لَهَبِهِ ^(٧)
 وَأَقْتَضَيْنَا إِعَانَتَهُ قَبْلَ أَنْتِضَاءِ قُضْبِهِ ، وَبَعَثْنَا لِحَلِّ الْهَمَةِ الشَّرِيفِيَّةِ قَبْلَ سَطُوتِهِ عَلَى قُضْبِهِ ^(٨)
 وَقُضْبِهِ ؛ لِتَجَرَّى جِدَاوُلُهَا عَلَى صَفْحَةِ الثَّرَى مُسْتَفِيضِهِ ، وَتُجْنِي ثَمَرَاتُ رِيَاضِهَا مِنْ ^(٩)

(١) أراد رسول ابن داود: الهدهد؛ وقصته مع نبي الله سليمان بن داود صلى الله عليهما وسلم مشهورة.

(٢) في الأصل: «ان في شرف» وقوله: «ان» زيادة من الناسخ.

(٣) في الأصل: «أمها»؛ وهو تحريف.

(٤) الموالية، من والى فلان فلانا: إذا أحبه وصادقه.

(٥) الحمل من بروج السماء: أول البروج، وأول هذا البرج الشرطان — وهما قرنا الحمل —

ثم البطين ثلاثة كواكب، ثم الثريا، وهي ألية الحمل؛ هذه النجوم على هذه الصفة تسمى حملا. قال في اللسان: وهذه المنازل والبروج قد انتقلت؛ والحمل في عصرنا هذا أوله من أنشاء الفرج المؤخر اه كلامه؛ والحمل من البروج الربيعية.

(٦) عبارة الأصل: «عبر الأرض عنبرا»؛ وهو تصحيف في كلا اللفظين لا يستقيم به المعنى؛

والعثير: الغبار.

(٧) في الأصل: «صمات» بالصاد؛ وهو تحريف لا يظهر له معنى.

(٨) في الأصل: «انتضاء» بالقاف؛ وهو تحريف.

(٩) القضب كل نبات يقتضب فيؤكل طريا أو نضرا.

(١) أنداء همته أريضة، وتغازل مقل النفوس لحظات أزهارها، وتفتن أفنان فنونها
 بنوح بلبلها وهزارها، ويوح شذا الروض عن سرها وآثارها، هذا مع أنها خطبت
 حسن إحسانه، وتقلدت جميل بره وجزيل أمتانته، والربيع منعم العذار، موشى
 الإزار، قد لبس رداء شبابه، وماس في خضر تراه وخضيل ربابه، يهز أعطاف
 سنائه، ويخطر في برد هوائه وبرد مائه، فكلك وجنات نوره يبرد أندائه، والثرى
 عبرى الأديم، سحرى النسيم، رندى الشميم، موشق بقلائد غدرانه، مغازل بعيون
 زجسه بسام بغير أحوانه، لا يغرد ذبابه ولا يطرب، ولا يصير بسجراته الجندب،
 تطلع شمسه محتجبة في ضبابها، مقنعة من سحابها، جارية في أنشاء حبيكها، جائلة
 في أدنى فلحها، تسعى فتسرع، وتكاد أن تغرب حين تطلع، والجو معقود الأزرار، فاختي

- ١٠ (١) الأريضة : المعجبة للعين .
 (٢) الأفنان : الأغصان ؛ واحده فنن ، كسبب . ويريد بالفنون : ضروب النبات ، واحده فن .
 (٣) كذا في الأصل ؛ ولم تقف فيما بين أيدينا من كتب اللغة على تعديده «باح» بهذا الحرف ؛ ولعله
 ضمن يوح : معنى يكشف فسوخ له هذا التضمين ذكر « عن » .
 (٤) في الأصل : «أسرارها» ؛ وهو تحريف لتكرره مع ما قبله .
 ١٥ (٥) في الأصل : «ذبابه» بالذال المعجمة ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى . والرباب : السحاب .
 (٦) في الأصل : « شبابه » ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه آخر الجملة الآتية . إذ به يتم السجع
 الذى التزمه الكاتب في رسالته .
 (٧) في الأصل : « لا يفر » وفيه تصحيف ونقص .
 (٨) في الأصل : « ولا يصير بسجراته » ؛ وهو تصحيف في كلا اللفظين . والصرير والصرصرة :
 صوت الجندب .
 ٢٠ (٩) في الأصل : « ضياؤها » ؛ وهو تحريف .
 (١٠) حبك الشمس : طرائقها ، الواحد حبيكة .
 (١١) الفاختي ، نسبة الى الفاخمة ، وهى ضرب من الحمام المطوق لأن لونها يشبه الفخمت : وهو
 ضوء القمر .

الإزار، غيمه منسكب، ونوره منسحب؛ وليله يضم أطراف نهاره، ويلف وجهه
 في حاشية إزاره؛ ينفى القذاة عن مائه، ويجمع الحواس على جلاوته، ويعيشى المقل
 من ضوء سنائه

فلو أن ليلي زارني طيف أنسها * وماء شبابي قاطر في ذوائبي
 ضمت عليها البرد ضمة آلف * وألصقت أحشائي بها وترائي
 ولكن أتتى بعد ما شاب مفرقي * وودعت أحبابي له وحبائي
 والحاجة داعية إلى ثلاثة أسهم، كأنها هقعة الأنجم؛ ممتدة امتداد الرمح، مقومة
 تقويم القدح؛ غير مشعثة الأطراف، ولا معقدة الأعطاف، ولا مسوسة الأجواف؛
 تحاسن الغصون بقوامها، والقُدود بتمامها؛ وتخالف هيفها بامتلاء خصوصها،
 وتساوي [بين] هواديا وصدورها؛ معتدلة القدود، ناعمة الحدود؛ مع مليات
 أخذت النار فيها مأخذها فاسودت، وتناولت عليها مدة الحفاف فاشتدت؛ وترامت
 بها مدة القدم، كأنها في حيز العدم؛ صلاب المكاسر، غلاظ المآزر؛ تشبه أخلاقه
 في هيجاء السلم، وتحيكي صلابه آرائه في نفاذ الرأي ومضاء العزم؛ تكظم على الماء
 بقبضها، فتجود على الأرض بقبضها؛ تمتد يداؤها في اقتضاء إرادتها، وتطلع
 (١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧) (٨)

- ١٥ (١) في الأصل: «ينفر الدوات»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يرشد إليه سياق الكلام.
 (٢) في الأصل: «ملوايه»؛ وهو تحريف لا يظهر له معنى.
 (٣) الهقعة: ثلاثة كواكب فوق منكب الجوزاء كالأثافي إذا طلعت مع الفجر أشد حر الصيف.
 (٤) لم ترد هذه الكلمة في الأصل؛ وقد أثبتناها عن السفر الأول من هذا الكتاب ص ٢٨٩
 الطبعة الأولى بدار الكتب المصرية.
 (٥) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٩٤ من هذا الجزء.
 (٦) في الأصل: «وتجلى»؛ وهو تحريف.
 (٧) في الأصل: «لغبطها» وفي السفر الأول من هذا الكتاب: «بقبضها»؛ وهو تصحيف في كليهما.
 (٨) الأيد: القوة.

طلوع الأنجم في فلک إدارتها ، وتعانق أخواتها معانقة التشيع ، فأحر التسليم أول
التوديع ، على أنها تؤذن بمحائق الاعتبار ، وتجرى بحرئى الفلك المدار في فناء الأعمار

تمر كأنفاس الفتى في حياته * وتسعى كسعى المرء أثناء عمره

يفارق خلّ خلّه وهو سائر * على مثل حال الخلل في إثر سيره

ويعلمه التدوار لو يعقل الفتى * بأن مرور العمر فيه كمره

فمن أدركت أفكاره سرّ أمرها * فقد أدركت أفكاره سرّ أمره

ومن فاته الإدراك أدركه الردى * إذا جرعت أنفاسه كأس مره

هذه آخر خطّوات القلم ، ومنتهى خطّرات الكلام ؛ فقم في سرعة وصولها

وتعجيل رسولها

١٠ بعزم [غدا] يئسى مروان عزمه * براهط إذ جاشت عليه القبائل^(١)

غير معتمد عليه ، ولا مفوض أمر إليه ؛ فلم أعتد عليه أعتاد الصوفه ، وإنما هو
العماد عند أهل الكوفة ؛ وإنما هو حمار سير ، وذنب طير ؛ يحمل ورقة مطوية عن^(٢)

(١) راهط : موضع في الغوطة من دمشق . (ياقوت) ومنعه من الصرف باعتبار أنه علم على البقعة .

وأشار بهذا الى وقعة مرج راهط المشهورة وكانت بين عساكر مروان بن الحكم أحد خلفاء بني أمية وأتباع
١٥ عبد الله بن الزبير ، وهم القيسية ، وكان النصر فيها لجنود مروان .

(٢) كذا في الأصل ؛ ولم نجد من معاني هذه الكلمة ما يناسب السياق ؛ ولعل صواب العبارة :

” اعتماد آل صوفة “ ، وآل صوفة : قوم كانوا يخدمون الكعبة ويتسكون ؛ قال في الأساس : ولعل
الصوفية نسبو اليهم تشبيها بهم في النسك والتعباد ؛ يريد الكاتب بهذه العبارة : أنه لم يعتمد على هذا الرسول
اعتماد المفوض اليه في كل أمر ، كاعتماد أهل النسك والعبادة على خالقهم وتسليمهم اليه في جميع الأمور .

(٣) العماد عند أهل الكوفة : هو المسمى بضمير الفصل عند البصر بين مثل « هو » في قولك :

٢٠ « زيد هو القائم » ؛ وتسميته عمادا لأنه يحفظ ما بعده حتى لا يسقط عن الخبرية كالعماد في البيت الحافظ
للسقف من السقوط كما نص على ذلك في كتب القواعد ؛ وأن الكاتب يقول : إن هذا الرسول لا يصلح
إلا لأن يحمل ما يكلف بحمله ، ولا يصلح لأن يفوض اليه أمر آخر يحتاج الى فطنة ودقة نظر ، فهو كضمير
العماد الذي ليس له فائدة في الجملة لا كونه عمادا لما يليه .

عليه، مزويّة عن فهمه، "كما يحمل الزند الشرار إلى العظم" والله تعالى يُحَلِّه من
السعادة أشرف آفاقها، ويحرسه في طفل الشمس وإشراقها
ويجريه من أطافه نحو غاية * تَبَلَّغَه الألطاف حلومذاقها
ويُلَيْسَه فخر السيادة والعلا * كما لبست أسماء^(١) فخر نطاقها
إن شاء الله تعالى .



ذكر شيء من إنشاء المولى [القاضي الفاضل البارع الأصيل]^(٢)
الأجل محيي الدين عبد الله [بن عبد الظاهر]^(٢) رحمه الله تعالى

كان رحمه الله من أجل كتاب العصر، وفضلاء مصر، وأكبر أعيان الدول
والذي افتخر بوجوده أبناء عصره على الأول؛ له من النظم الفائق ما راق صناعة
وحسنا، ومن النثر الرائق ما فاق بلاغة ومعنى؛ فقصائده مدونة مشهورة، ورسائله
بأيدي الفضلاء ودفاترهم مسطورة؛ وكلامه كاد يكون لأهل هذه الصناعة وعليهم^(٤)

(١) أسماء : هي بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما؛ وكانت تلقب بذات النطاقين، وأصح
الأقوال في تعليل ذلك اللقب أنه كان لها نطاقان تلبس أحدهما وتحمل في الآخر الزاد إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه وهما في الغار. وقيل لأنها شقت نطاقها ليلة خروج رسول الله صلى الله
عليه وسلم إلى الغار، فجعلت واحدة لسفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والأخرى عصاما لقربه؛ وروى عن
عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج مع أبي بكر مهاجرين صنعنا لها سفرة في جراب
فقطعت أسماء من نطاقها وأوكت به الجراب فذلك كانت تسمى ذات النطاقين (تاج العروس) وتوفيت أسماء
بعد قتل ابنها عبد الله بن الزبير بليال، وكان قتله يوم الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خات من جمادى الأولى سنة
ثلاث وسبعين كتاب الطبقات الكبير لابن سعد ج ٨ ص ١٨٦ طبع ليدن .

(٢) هاتان العبارتان لم تردا في (١) وقد أثبتناهما عن (ج) .

(٣) في (١) : "مبينة" .

(٤) كذا في (ج) والذي في (١) «كاد أن يكون» بزيادة «أن» والذي اخترناه هو الأكثر
في خبر «كاد» فإن اقتران خبرها «بأن» قليل؛ بل نص بعضهم على أن ذلك مخصوص بالشعر؛ ومنه قول الشاعر:
* كادت النفس أن تفيض عليه * الخ البيت .

حجّه ، وطريقته في البلاغة أسهل طريق وفي الفصاحة أوضح حججه ؛ وهو رحمه الله
 ممن عاصرتَه ولسوء^(١) الحظ لم أشاهد محيّاه الوسيم ، ولم أفز بالنظر إلى طلاقه وجهه
 الكريم ؛ والذي أوردته من كلامه هو ممّا نقلته من خطّه ، وتلقّيته ممن سمعه من
 لفظه ؛ فمن كلامه — رحمة الله عليه — ما كتبه عن السلطان الملك الظاهر ركن الدين
 بيبرس الصالحى — رحمه الله — إلى ملك الغرب ، كتب :

تحيات الله التي تتابع وفودها وتتوالى ، وتشرق نجومها وتتلالا ، وتتفق إسرافا
 ولا تخاف من ذى العرش إقلا لا ؛ تخصّ الحضرة السنّية السّريّة ، العالمية العاديّة
 المستنصريّة ؛ ذخيرة أمير المؤمنين ، وعصمة الدنيا والدين ، وعُدّة الموحدّين ؛
 لا زالت سماؤها بالعدل مُغدّقة الأنواء مُشرّقة الأنوار ، ورياضها بالفضل مُورقة
 الأغصان مُونقة الثّمار ؛ ولا برحت ضوأل الأمانى في أبوابها تُنشد ، وقصائد القُصود
 في اتصافها تُنشد ؛ وسرى الآمال عند صباح أمرها يُحمد ، وأحاديث الكرم عن جودها
 تُرسل والى وجودها تُسند ؛ وسلامه الذى يكثر نسيم الروض الأنيق ، ويفاخر جديده
 عتيق^(٣) المسك وأين الجديد من العتيق ؛ يغاديان تلك الأنداء^(٤) المباركة مُغاداة الغوادى

(١) في (١) : «عاجزته» بالجيم والزاى ؛ وهو تحريف .

(٢) القُصود : جمع قصد ؛ وهذا الجمع ذكره بعض الفقهاء ، وإنما جمع القصد مع أنه مصدر —
 والمصدر لا يثنى ولا يجمع — نظرا لاختلاف أنواعه ، ويدل كلامهم على أن جمع المصدر موقوف على
 السماع ، فإن سمع الجمع عللوا باختلاف الأنواع ، وإن لم يسمع عللوا بأنه مصدر أى باق على مصدرية
 وعلى هذا فجمع القصد موقوف على السماع اه ملخصا من المصباح .

(٣) عتيق المسك : قديمه ؛ وفي كلا الأصلين : «فتيق» بالفاء وهو وإن كان صحيح المعنى الآن
 مقابلته في العبارة بالجديد مرتين يرجح ما أثبتنا . وفتيق المسك بالفاء : فعيل بمعنى مفعول ، وهو من فتق
 المسك بغيره : إذا أخرج رأخته بشئ يدخله عليه .

(٤) الأنداء : جمع النادى ، وهو القوم المجتمعون ؛ وفي حديث أبي سعيد : «نكأ أنداء نخرج علينا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم» .

(١) من وابل المطر، ويراوحانها مَرَاوِحَةَ الرَّقَّةِ لِلأَصْلِ والبُكَرَةِ؛ حيث العزة القعساءُ يمتدُّ رواقها، والنعمةُ الغرَاءُ تُخَصِّفُ أَوْراقها، والديمةُ الوَطْفَاءُ يتوالى إغداقها، ويتتالى إغراقها؛ وحيث العدل منشور الجناح، والحق مشهور السلاح، والإنصاف مبرور الأقسام إطالِبُه باقٍ لا يزاح؛ سَجِيَّةٌ توارث توارث الفخار، ومزية تستأثر بالهداية أستثنار النجوم بالأنوار، وشيم تُستصحب أستصحب الأهله للإبدار؛ فلذلك يتلقف الأمل إليها تَلَقَّفَت السارى الى تبلُّج الصباح، ويرتاح الى تَلَقَّى إحسانها آرتياح الظامئ إلى ارتشاف الماء القراح؛ ويحتمي بها فى المطالب آحتماء الليث بالغابه، ويستمدد إسعافها أستمداد الحديقة من السحابه؛ ويهز عدلها كما هز الكمي المرهف، وينبئه فضلها تنبيه النسيم جفن الزهر الأوطف؛ فيناجى بالجؤور، ويتمس لها حسن الصنع الذى لا يزال مبتسم الغور؛ فما قص عليه من مناجاته، وطوى عليه طوية مفاوضات؛ أن القاضى زين الدين بن حباسة من بيت أسلف سلفه جميلا، وغدا هو على مكارمه دليلا؛ وكان له غلام قد سير معه جملة... والأحتفال الحفى مسؤل

(١) لعله: «بوابل» فإن السياق يقتضى الباء.

(٢) تخصف أوراقها: أى تصل أجزاءها اتصالا لا انقطاع فيه، وخصف الورق: هو أن يوصل

بعضه ببعض للاستتار به.

(٣) الوطفاء من السحب: المسترخية لكثرة ماؤها؛ أو هى الدائمة السح الخفيفة.

(٤) الأوطف: المسترخى. والمصدر الوطف بالتحريك؛ يريد تشبيه الزهر فى سكونه بالجفن الذى

غشيته سنة من الكرى فاسترخى.

(٥) فى كلتا النسخين: «بالأجور» بتقديم الهمزة؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى. والجؤور:

جمع (جأر) بسكون الهمزة مصدر جأر يجأر: اذا دعا وتضرع؛ وانما جمع المصدر هنا نظرا لاختلاف

أنواعه؛ وقد سبق الكلام فى جمع المصدر فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ١٠٢ من هذا السفر

(٦) كذا وردت هذه العبارة فى كلا الأصلين؛ وهى غير واضحة المعنى، والظاهر أن لها بقية تتم معناها

سقطت من الأصول التى بين أيدينا؛ ولم نقف عليها فيما راجعناه من المطان.

(٧) الحفى بشد يديا: المبالغ فى البر والإكرام. وفى (ج) «الحفى» بالخاء المعجمة؛ وهو تصحيف.

في تقدّمٍ يوجب النجاح دأبيه، ويغدو الفلاح مُراوِحَه ومُغادِيَه؛ وأعتناءً يستخاص
 حَقَّه من عليه أعتدى، ويرى من قبسه نورا يجد به هدى؛ فيبارقة يضىء لديه
 الخالك، وبلمحة يهتدى "بحيث آهتدت أم النجوم الشوابك"؛ وما هو إلا رسم^(١)
 يرسم به وقد قرب البعيد، وآب الشريد؛ وخاف الخائف، وكفّ الجانف؛ وجمعت^(٢)
 الضوّال، وضاق على الخترل واسع المجال؛ مهابة قد سكنت القلوب، وسياسة قوَى
 الطالبُ بها وضعف المطلوب، وعزّة لا يزال الرجاء يُنبئ إليها فيما ينوب؛ وأى
 مطلب تُناجى فيه الآلاء المباركة فلا يُصحب قيادَه، ويُستسقى له مُزَنٌ ولا تُعاهد
 عِهادَه؛ وأى ذاهبٍ لا يُسترجع به ولو أنه عشيات الحمى، وأى فائتٍ لا يُردّ ولو أنه
 زمن الشيبه المعسول اللبّي، وحسبُ العاني أن يحطّ برحابها رحالَه، أو أن يوفد إلى
 أبوابها آمالَه؛ وقد تبادرت إليه المناجح متسابقه، وأنتظمت لديه المصالح متناسقه؛
 فحينئذ يُفعم إناءً تأمليه، ويُستوعب الإحسان لجملة قصده وتفصيله؛ ويناديه^(٣)

٢

(١) الشوابك: من شبكت النجوم إذا دخل بعضها في بعض واختلطت، وكذلك اشتبكت وتشابكت
 وأم النجوم: الحجرة وهذا عجز بيت لتأبط شرا، وصدرة: «رى الوحشة الأنس الأنيس ويهتدى»
 بحيث اهتدت الخ انظر ديوان الحماسة. ومعنى الشطر الثاني من هذا البيت أنه يستغنى عن الدليل في أسفاره كما
 تستغنى الحجرة؛ والعرب تقول: هو أهدى من النجم.

(٢) الجانف، من الجنف بفتح الجيم والنون: وهو الميل والخور.
 (٣) الخترل: الخائن؛ يقال: اختزل الوديعه: إذا خان فيها. والاختزال في الأصل: الاقطاع.
 (٤) تعاهد بالبناء للجھول، من المعاهدة: وهى المعاقدة والمخالفة. والعهاد، جمع عهد: وهوى
 المطر بعد المطر؛ أو هو أول مطر الوسمى.

(٥) يشير بهذه العبارة إلى قول الصمة بن عبد الله بن طفيل القشيري:
 وليست عشيات الحمى برواجع * عليك ولكن خل عينيك تدمعا
 ديوان الحماسة (باب النسيب).

(٦) هذه اللام ساقطة من كلا الأصلين؛ وقد أثبتناها ليصح الإعراب بالكسر في قوله: «وتفصيله»؛
 كما هو مقتضى السجع الذى التزمه الكاتب في رسالته.

السعد من تلك البقعة المباركة ، فيوافيه التوفيقُ بصحائف القبول تحملها الملائكة ؛
أمتع الله ببركاتها التي أمتد رواقها ، وأنار آخالك إشراقها ؛ ولا زالت يراوحها تسليمٌ
عطر النفحة ، وتصافحها تحياتٌ جميلة الصفحة ؛ بمنه وكرمه .

وكتب رسالة صَيديَّة^(١) عن السلطان الملك الظاهر

إلى الأمير عز الدين الحلِّي^(٢) نائب السلطنة بالقلعة :

هذه المكتبة إلى المجلس لا توارت شمسُ أنسه ، ولا أذيلت ثمار غرسه
ولا برح غده في السعد مُربيا على يومه ويومه على أمسه ؛ تتضمن إعلامه بأنا
نخرجنا إلى الصيد المبارك بجنود تملأ السهل والجبل ، وتستحي الشمس منها فتستتر
في سحابها من كثرة الجبل ؛ تسيير على الأرض منها جبال ، وتأوى الرمال منها إلى
أورف ظلال ؛ وتوجهنا إلى جهة الطرانة^(٣) وإذا بحشود الوحوش قد توافدت ، وعلى
مناهل المناهج قد تواردت ؛ والأجل يسوقهم^(٤) ، والبيد تعقمهم^(٥) ، والمنايا تعوقهم ؛

(١) في (١) : «إلى» ؛ وهو غير مستقيم .

(٢) هو عز الدين أيدم بن عبد الله الحلِّي الصالح النجدي ؛ كان من أكابر الأمراء وأحظاهم عند
الملك ، ثم عند الملك الظاهر بيبرس ، وكان يستنبيه في غيبته ؛ وكانت وفاته في سنة سبع وستين وستائة
تاريخ العيني المسمى بعقد الجمان المأخوذ منه نسخة بالتصوير الشمسي محفوظة بدار الكتب المصرية تحت
رقم ١٥٨٤ تاريخ النجوم الزاهرة المأخوذ منه نسخة بالتصوير الشمسي محفوظة بدار الكتب المصرية
تحت رقم ١٣٤٣ تاريخ .

(٣) الطرانة مشددة الراء : اسم لوادي هيب ، وهي كورة من حوف رمسيس ، وتعرف بيرية
شهاب ، وبيرية الأسقط ، وميزان القلوب ، وبها قبر أبي معاذ الكبير (مستدرك التاج) .

(٤) الحشود : الجموع ، وهو جمع حشد بفتح الحاء وسكون الشين ،

(٥) تعقمهم : أى تنويهم ، وتنجانى عنهم .

ولم تزل أيدى الخليل تجمعهم في صعيد، وتطوى بهم سطورا في طروس اليد؛ حتى
أحاطت بهم إحاطة الفلك بالنجوم الزواهر، والأجفان بالعيون النواظر؛ وجردت
السيوف فظنتها غُدرا، ورُميت النبال فحسبتُها شُررا؛ وعزلت^(١) الرماح بالسهم
وحيتها السلام^(٢) بالسلام، وسكنتُ نهارا من العجاج في ظلام؛ وضافت عليها الأرض
بما رَحبت، وأدركت المنية منها ما طلبت؛ وراستها المنايا، وأهدت إليها رياحين
تَحايا؛ فمن صريعٍ وصديقٍ وطريحٍ وطريد، وجريحٍ ومقبلٍ وشريد، وقائمٍ وحصيد؛
ولم تسلم في هذا اليوم غيرُ غزاة السماء فإنها استترت بالغيوم، وخافت أن يكون
اللال قد نُصب نَحْما لصيدها وصيد غيرها من النجوم؛ والموتُ^(٣) أسرَ كلَّ مَهابةٍ
مَهابة، ونال الحتف من كلِّ طلائِب^(٤) طلابه؛ وقتكت الطَّب بالظبي، وقالت السهام
لأجياها: مَرحبا؛ وثَبينا الأعتة والشفار قد أُنهلت، والظهورُ قد أُثقلت؛
والكنس^(٥) خاوية على عروشها، واليُدُ قد أوحشت من وحوشها؛ وما نشتمل عليه
من محبة المجلس وإيثاره، ونجده من الوحشة له مع دنو داره؛ وسروره بما عساه لنا
يتجدد، وحبوره بما يرد من جهتنا وهذا لا نشك فيه ولا نتردد؛ أوجب أن نخصه به
ونتحفه، ونصفه له على جليته إذ كُنا بالتخصيص به لن نصفه؛ وقد بعثنا إليه منه
قسما، ولم نس عند ذكرنا أنفسنا له أسما.

١٥

(١) لعله: «وعززت» بالبناء للجهول من التعزيز؛ وهو التقوية والإعانة. أولعل المراد بقوله:

«وعزلت الرماح» الخ: أن العمل في الصيد كان بالسهم دون الرماح فشبّه ترك العمل بها بالعزل.

(٢) السلام: الحجارة، واحده سلمة بكسر اللام.

(٣) في كلا الأصلين: «وللوقت»؛ وهو تحريف.

(٤) الطلا بالفتح: من أولاد الوحش من حين يولد إلى أن يتشدد.

٢٠

(٥) الكنس: جمع كناس بكسر الكاف، وهو موج الوحش من الظباء والبقر تكئن فيه من الحر.

وفي كلا الأصلين: «والكناس» بصيغة المفرد؛ وما أثبتناه هو مقتضى السياق.



وكتب عن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون
إلى صاحب اليمن جواب كتاب عزى فيه السلطان عن ولده الملك الصالح
علاء الدين على^(١) - وكان الكتاب الذى ورد فى ورق أزرق، وسيه فى كيس
اطلس أزرق، والعادة أن يكون فى كيس أطلس أصفر - :

أعز الله نصرته وأحسن بتسليته الصبر على كل فادح، والأجر على كل مصاب
قرح القرائح، وجرح الجوارح، وأوفد من تعازيه كل مسكين طاحت به من تلقاء
صنعاء اليمن الطوائح، وكتب له جزاء المصبر عن جار من دمع طافح، على جار
لسويداء القلب صالح؛ المملوك يخدم خدمة لا يدود المواصلة بها حادث، ولا يؤخرها
عن وقتها أمر كارت، ولا تنقصها عن تحسينها وترتيبها بواعث الاختلاف^(٢)
ولا اختلاف البواعث؛ ويطلع العلم الكريم على ورود مثال كريم لولا زرقه طرسه؛
وزرقه لبسه، لقال: "وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ"؛ يتضمن ما كان
حدث من رزء تلافاه الله بنناسيه، وتوآفى هو والصبر فتوى التسليم تبين عاسيه^(٣)

(١) كذا فى كلا الأصلين وتاريخ العيني المعروف بعقد الجمان؛ والذى فى ابن إياس (ج ١ ص ١١٧)
(نور الدين) مكان (علاء الدين) فعله لقب آخر له. وكانت وفاة الملك الصالح هذا فى سنة سبع وبمانين وستمائة
بعد أن مرض بالدوسنطارية الكبدية؛ وكان أبوه قد عهد إليه فى الأمر من بعده، وخطب له معه على المنابر
فلم مات جعل أبوه الولاية من بعده الى ابنه الملك الأشرف خليل نظر تاريخ العيني المأخوذ منه نسخة
بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٨٤ تاريخ.

(٢) طاحت به: أى أسرع به، وهو مستعار من قولهم: «طاح به فرسه» إذا أسرع به كالسهم.

(٣) كذا فى صبح الأعشى ج ٧ ص ٣٥٧. وفى كلا الأصلين: «صائح»؛ وهو تحريف.

(٤) فى كلا الأصلين: «تحيها»؛ وهو تحريف لا يظهر به المعنى.

(٥) العاسى: الشديد الظلمة، يقال: عسا الليل: إذا اشتدت ظلمته؛ قال فى شرح القاموس:

«والعين أعرف».

وقمرين قاسيه؛ فشكرنا الله على ما أعطى وحمدناه على ما أخذ، وما قلنا : هذا جرعٌ
 قد آتبه إلا وقلنا : هذا تثبتٌ قد آتبد^(١) ، ولا توهمنا أن فلذة كبدٍ قد آخطفت
 إلا وشاهدنا حولنا من ذريتنا — والحمد لله — فلذ ؛ وأحسنا الاحتساب ، ودخلت
 الملائكة علينا من كل باب ، ووفانا الله أجر الصابرين بغير حساب ؛ ولنا — والشكر
 لله — صبرٌ جميلٌ لا نأسف معه على فائت ولا نأسى على مفقود ، وإذا علم الله حسن
 الاستئمامة إلى قضائه والاستكانة إلى عطائه عوض كل يوم ما يقول المبشر به :
 هذا مولى مولود ، وليست الإبل بأغظ أجدادا ممن له قلب لا يبالي بالصددمات
 كثرت أو قلت ، ولا بالتباريح حقرت أو جلت ، ولا بالأزمات إن هي توات
 أو تولت ، ولا بالجفون إن ألقمت ما فيها من الدموع والهجوع وتخت ؛ ويخاف
 من الدهر من لم يحلب أشطره ، ويأسف على الفائت من لا تتابه الخطوب الخطره ؛
 ١٠ على أن الفادح بموت الولد المملك الصالح — رضى الله عنه — وإن كان منجيا^(٢)
 والناجح بشجوه وإن كان مبجيا ، والناجح بذلك الأسف وإن كان لنار الأسي مذجيا ؛
 فإن وراء ذلك من تثبت الله ما ينسفه نسفا ، ومن إلهامه الصبر ما يجدد لتمزيق
 القلوب أحسن ما به يرفأ ؛ وبكتاب الله وبسنة نبيه صلى الله عليه وسلم عندنا حسن
 اقتداء نضرب به عن كل رثاء صفحا ، وما تكنا مع الله — والمنة لله — نعطى لمن يؤنب
 ١٥ ويؤبن أذنا ولا نغيرها لمن ينجي ؛ إذ الولد الذهاب مرّ في رضوان الله تعالى سالكا

(١) آتبد : أى ترك الحزن والجرع ؛ من النبذ وهو الطرح والرمى .

(٢) كذا فى كلا الأصلين ؛ ولم نجد فى لدينا من كتب اللغة أنه يقال : « أنكاه » من « نكأ » المهورز
 ولا « أنكاه » من « نكى » المدتل اللام ؛ والظاهر أن الكاتب أراد المجانسة بين قوله : « منجيا »

وقوله بعده : « مبجيا » . ونكأ الجرح بالهزم : أى قرفه وقشره . وهو هنا على الاستعارة .

(٣) النأج بالميم : الصأخ ؛ يقال : نأج يأنج : إذا صاح .

(٤) أبته : أثنى عليه بعد موته .

طريقا لا عِوَجَ فيها ولا أَمْتًا، ^(١) وأنتقل سائرًا بازا صالحًا وما هكذا كلُّ الموتي نعيًا
ولا نعتًا ؛ وان كان نفعنا في الدنيا فيها نحن بالصدقات والترحم عليه نفعه، وان
كان الولد عمل أبيه - وقد رفع الله روح ولدنا في أعلى عليين تحقّق أنه العمل الصالح
«وَأَعْمَلُ الصَّالِحِ يُرْفَعُهُ» ؛ وفيما نحن بصدده من اشتغال بالحروب، [ما] يُهَيِّئُونَ مَا يَهْوُلُونَ
من الكروب ؛ وفيما نحن عاكفون عليه من مكالمات الأعداء [ما] بين المرء وبين قلبه
يُحْوِلُونَ، ومُلهٍ عن تَحْيِيلِ أسف في الخاطر يَحْوِلُونَ

إذا اعتاد الفتي حَوْضَ المنايا * فأهْوُونَ ما يَمْتَرِبُهُ الوُحُولُ ^(٤)

ولنا بحمد الله ذَرِيَّةٌ ذَرِيَّةٌ، وعقودٌ والشكر لله كلُّها ذَرِيَّةٌ ^(٥)

إذا سيدٌ منهم خلا قام سيدٌ * قَوَّوْهُ لِمَا قال الكرام فَعُولُ ^(٦)

١٠ (١) الأمت : ما ارتفع من الأرض ؛ وقوله : « لا عوج فيها ولا أمتا » أى لا انخفاض فيها
ولا ارتفاع (اللسان) .

(٢) كذا في صبح الأعشى ج ٧ ص ٣٥٨ . والذي في كلا الأصلين : « نفعه » بالهاء .

(٣) هاتان الكلمتان لم تردا في كلا الأصلين ؛ وقد أثبتناهما عن صبح الأعشى اذ لا يستقيم الكلام

بدونهما .

١٥ (٤) الوحول بالحاء المهملة ، جمع وحل بسكون الحاء : كفلس وفلوس ؛ وأما بالتحريك فجمعه أوحال
كما في المصباح ؛ والوحل بالسين لغة رديئة كما ذكره الجوهري والصاغاني ، واقتصر على ذكر الوحل
بالتحريك (التاج) وفي (ج) "الوجول" بالميم ، وهو تصحيف ؛ والبيت لأبي الطيب المتنبي .

(٥) درية بفتح الدال وتشديد الراء : نسبة الى الدر ، وهو اللين . والمراد بهذه الكلمة ما يلزمها
من معنى الانتساب ومشابهة الدرية لابنها وأمها في الأخلاق والصفات .

٢٠ (٦) البيت للسهمول بن عادية من قصيدته المشهورة ؛ وفي بيت السهمول : « منا » فغيرها الكاتب

بقوله : « منهم » تبعاً لسياق الكلام .

- ما منهم الا من نظر سعده ومن سعده يُتَظَرُّ، ومن يحسن أن يكون المبتدا وأن تسدَّ حاله بكفالتيه وكفاليته مسدَّ الخبر^(١) «والشمس طالعة إن غيب القمر» لا سميًا من الدين به إذ هو صلاحه أعرف، ومن إذا قيل لبناء ملك هذا عليه قد وهى قيل: هذا خير منه من أعلى بناء سعدي أشرف^(٢)، وعلى كلِّ حال لا عديم إحسان المولى الذى يتنوع في بره، ويعاجل قضاء الحقوق قساعف مرسومة في توصيله طاعة بجره وبره، وله الشكر على مساهمة المولى في الفرح والترح، ومشاركته في الهناء إذا سَنَحَ، وفي الدمع إذا سَفَحَ، وما مثل مكارم المولى من يعزب مثل ذلك عن علمها، ولا يعزى الى غير حُكْمِها وحلمها، وهو — أعزه الله — ذو التجارب التى مَحَضَتْ له من هذه وهذه الزبده، وعَرَضَتْ عليه منهما الهَضْبَةَ والوَهْدَةَ، والرغبة الى الله تعالى في أن يجعل تلك المصيبة للرزايا خاتمه وكما لم يجعلها للظهور قاصمة فلا يجعلها لعرا الشكر فاصمه^(٣)، وان يجعلها بعد حمل هذا الهم وفصاله على عليه فاطمه، وأن يحبب البنا كلَّ ما يلهى عن الأموال والأولاد من غزى وجهاد، وأن يجعلنا ليس يُجِدَ لدينا على مفقود تأدبا مع الله غير السيف فإنها تُعرَف بالحداد، وألا تُقَصَفَ رماحنا إلا في فؤدٍ أو في فؤاد، ولا تُحوَّلَ

١٥ (١) يشير بهذه العبارة الى ما ذكره النحاة من وجوب حذف الخبر وسدَّ الحال مسدَّه، وذلك اذا كان المبتدا مصدرا بعده حال لا تصلح ان تكون خبرا كقولك: ضربني العبد مسينا؛ انظر تفصيل ذلك في كتب القواعد والمعنى أن معاينة صفاته الكريمة تغنى عن الإخبار بها.

(٢) أشرف على الشيء: أى أطل عليه. وقوله: «من أعلى» متعلق به، وفي هذا اللفظ تورية عن الملك الأشرف صلاح الدين خليل ابن الملك المنصور سيف الدين قلاوون، وكان أبوه قد عهد اليه بالملك بعد وفاة أخيه الملك الصالح على المتقدم ذكره؛ وجلس على سرير الملك يوم الأحد سادس ذى القعدة سنة تسع وثمانين وستمئة بعد وفاة أبيه قلاوون؛ والملك الأشرف هو الثامن من ملوك الترك على الديار المصرية (تاريخ ابن إياس) ج ١ ص ١١٩، ١٢١.

(٣) فى (١): «فاحمه»؛ وهو تحريف.

سروج خيلنا من ظهر جوادٍ في السرايا إلا إلى ظهر جواد ، وألا تُشَقَّ لدينا إلا
 أ كجاد أ ككاد ، ولا تُجَزَّ غير شعور ملوك التتار تُتَوَّج بها رؤوس الرماح ويصعد بها
 على قِمَمِ الصَّعاد ؛ والله يشكر لولوى سعى مرثيه التي لولا لطف الله بما صبرنا به لأقامت
 الجنائز، وأستخفت النحائر، وهوت بالنفوس في أستعمال الجائز من الأسف وغير
 الجائز، ولا شغل الله لب المولى [بفادحه]، ولا خاطره بسانحة من الحزن ولا بارحه
 ولا أسمع به غير المسرات من هواتف الإبهاج صادحه بما منه وكرمه .



ومن إنشائه رحمه الله تقليد السلطان الملك الأشرف صلاح الدين
 خليل بولاية عهد السلطنة من أبيه السلطان الملك المنصور — سقى الله
 عهدهما صوب الرحمة — وهو :

الحمد لله الذى لم يزل له السمع والطاعة فيما أمر ، والرضا والشكر فيما هدم
 من الأعمار وما عمّر ، والتفويض فى التعويض إن غابت الشمس وبقى القمر

(١) أراد بالأكاد : الجاحدين ؛ ولم نجد هذا الجمع فيما راجعناه من كتب اللغة ، كما اننا لم نجد
 فى كتب القواعد مايسوغه ؛ فإن صيغة أفعال مطردة فى جمع الأسماء الثلاثة دون الصفات ، وأما غير ذلك
 فسماعى . ولعل الكاتب أراد المجانسة بين «أ كجاد» و «أ ككاد» .

(٢) فى كلا الأصلين : «تجر» بالراء المهملة ؛ وهو تصحيف .

(٣) فى إحدى النسختين : (تنوح) وفى الأخرى : «توج» وهو تصحيف فى كليهما .

(٤) الصعاد : جمع صعدة ، وهى القناة التى تنبت مستوية فلا تحتاج الى ثقيف .

(٥) كذا فى (ج) وصبح الأعشى ؛ والذى فى (أ) «بها ميزنا» ؛ وهو تحريف لا يتضح به المعنى .

(٦) فى كلتا النسختين : «واستخقت» ؛ وهو تصحيف . والنحائر : جمع نحيزة وهى الطبيعة ، يريد

هنا : طبيعة الصبر والاحتمال .

(٧) كذا فى (ج) وصبح الأعشى ج ١٠ ص ١٦٦ ؛ والذى فى (١) : «الحمد» مكان «السمع» .

(٨) فى كلتا النسختين : «فى التفويض» بالفاء ؛ وهو تحريف .

- نحمده على أن جعل سلطاننا ثابت الأركان ، نابت الأغصان ، كل روضة من رياضه ذات أفنان ؛ لا تُزعزعه ريح عقيم ^(١) ، ولا يُخرجه رزء عظيم عن الرضا والتسليم ، ولا يُعتبَط من جملته كريم إلا ويُعتبَط من أسرته بكريم ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تزيد قائلها لله تفويضا ، وتُجزل له تعويضا ^(٢) وتُحسِّن له على الصبر الجميل في كل خطبٍ جليلٍ تحريضا ؛ ونشهد أن محمدا عبده الذي أنزل في التسليمة به : « وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ » والنبيُّ الذي أوضح الله به المناهج وبين السبل ؛ صلى الله عليه وعلى آله ما تجاوزت المحابر والمنابر ^(٣) في البكر والأصل ؛ وما بددت عقود ونظمت ، ونسخت آيات وأحكمت ونقضت أمور وأبرمت ، وما عزمت آراء فتوكلت وتوكلت فعزمت ؛ ورضى الله عن أصحابه الذين منهم من كان للخليفة نعم الخليفة ، ومنهم من لم يدرك أحد في تسويد النفس الحَصيفة ولا في تبيض الصحيفة مُدّه ولا نصيفه ، ومنهم من يسره الله ^(٤)

(١) الريح العقيم : هي غير اللاح ، أى لا تأذ ، بمطر إنما هي ريح الإهلاك ، كما قاله أبو اسحاق الزجاج . وقيل : لا تلقح الشجر ولا تنشى سحبا ، عادلوا بها ضدها وهو قولهم : ريح لائح : أى أنها تلقح الشجر وتنشى السحاب .

- ١٥ (٢) اعتبط الموت فلانا : أخذه شابا صحيحا من غير علة ، كأعبطه .
 (٣) فى احدى النسختين : « عن » ؛ وفى الأخرى : « عز » ؛ وهو تحريف فى كليهما .
 (٤) فى كلتا النسختين : « والبكر » بالواو مكان « فى » ؛ وهو تحريف .
 (٥) يقال : عزم الرأى بالبناء للفاعل : أى عزم عليه ، وهو من قبيل القلب للبالغة ، كما يقولون : هلك الرجل ، وإنما هو أهلك بالبناء للجهول ؛ ويدل على أن الفعل هنا مبنى للفاعل قوله : « فتوكلت » بالبناء للفاعل أيضا وفى قوله « توكلت » إسناد مجازى وهو المسمى بالمجاز العقلى .
 ٢٠ (٦) يقال : حصف الرجل وزان « كرم » حصافة فهو حصيف : اذا كان جيد الرأى محكم العقل .
 (٧) أشار بهذه العبارة الى قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تسبوا أصحابي فإن أحدكم لو أنفق ما فى الأرض جميعا ما أدرك مدأ أحدهم ولا نصيفه » ؛ والنصيف كأمير : نصف الشيء ، كالعشير والتمين فى العشر والتمن .
 قال فى التاج : « ومته الحديث » وأورد الحديث السابق .

لتجهيز جيش العسرة^(١) فعرف الله^(٢) ورسوله^(٣) معروفه ، ومنهم من عمل صالحا أرضى ربه فأصلح في ذريته الشريفة ؛ وبعد ، فإن من الطاف الله بعباده ، وأكتنّف عواطفه ببلاده ؛ أن جعلنا كلما وهى للملك ركن^(٤) شديد شديدا ركنًا عوضه ، وكلما آعترضت للقادير جملة بدلنا آية مكان آية وتناسينا تجلدا تلك الجملة المعترضه ؛ فلم نُحوج اليوم لأمسه وإن كان حميدا ، ولا الغارس لغريسه وإن كان ثمره يانعا وظله مديدا ؛ فأطاعنا في أفق السلطنة كوكب^(٥) سعيد كان حُسن الاستخلاف مُعدّا ، ومن لقبيل المسلمين خير ثوابا وخير مرّدا ، ومن يبشّر الله به الأولياء المتقين ويُنذر به من الأعداء قوما لُدّا ، ومن لم يبق [إلا به]^(٦) أنسنا بعد ذهاب الذين نجّهم [وبقى]^(٧) كالسيف

(١) جيش العسرة : هو الجيش الذى سار به رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك . قال ابن عرفة : سمى بذلك لأنهم ندبوا اليها فى حمّارة القبط فعسر ذلك عليهم وظلّ ، وكان إبان إيناع الثمرة الخ (تاج العروس) وكان عدد ذلك الجيش ثلاثين ألفا ؛ وكان من جهز هذا الجيش عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه فانه أنفق عشرة آلاف دينار وأعطى ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقربها ، ونحسين فرسا ؛ وجاء أبو بكر رضى الله تعالى عنه بكل ماله ، وغيرهما من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ؛ وكانت هذه الغزوة آخر غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجد بتبوك جيش الروم الذى أراد قتاله . انظر تفصيل ذلك فى كتب السيرة ؛ وتبوك : موضع بين وادى القرى والشام .

(٢) كذا فى كلا الأصلين ؛ ولم نجد فيما بين أيدينا من كتب اللغة تعدية « اكتنّف » بالباء ؛ والذى وقفنا عليه انه يقال « اكتنّفه » بلا واسطة حرف ؛ ولعله ضمنه معنى الإحاطة ؛ فسوّغ له هذا التضمين تعديته بهذا الحرف ؛ وأولعه : « لبلاده » باللام .

(٣) إلى هنا انتهى ما وجد من النسخة المشار اليها ب (ج) .

(٤) هذه العبارة ساقطة من الأصل . وقد أثبتناها عن صبح الأعشى (ج ١٠ ص ١٦٧) إذ لا يستقيم الكلام بدونها .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من الأصل وصبح الأعشى ؛ واستقامة العبارة تقتضى إثباتها ؛ فإنه يشير بها الى قول عمرو بن معد يكرب الزبيدي :

ذهب الذين نجّهم * وبقيت مثل السيف فردا

كما فى ديوان الحماسة ؛ وفاعل « بقى » ضمير يعود على « من » .

فَرَدَا، وَالَّذِي مَا أَمْضَى حَدَّهُ [فِي] ضَرْبِيَّةِ إِلا قَدَّ الْبَيْضَ وَالْأَبْدَانَ قَدًّا، وَلَا جَهْزَ
رَايَةَ كَتَيْبِيَّةٍ إِلا

أَغْنَى غَنَاءَ الذَّاهِبِينَ * وَعُدَّ لِلْأَعْدَاءِ عَدًّا^(٥)

وَلَا بَعَثَهُ جَزَعٌ فَقَالَ : « كَمْ مِنْ أَخٍ لِي صَالِحٍ » إِلا لِقَيْسِهِ وَرَعٌّ فَقَالَ : « وَخُلِقْتُ
يَوْمَ خُلِقْتَ جَلْدًا » ؛ وَهُوَ الَّذِي يَقْوَعِدُ السَّاطِنَةَ الْأَدْرَى وَقَوَانِينَهَا الْأَعْرَافَ ، وَعَلَى
الْأَوْلِيَاءِ الْأَعْطُفُ وَبِالرَّعَايَا الْأَرْأَفُ ، وَالَّذِي مَا قِيلَ لِإِنْبَاءِ مُلْكٍ : هَذَا عَلَيْهِ قَدٌ وَهِيَ
إِلا وَقِيلَ : هَذَا بِنَاءٌ مِثْلُهُ مِنْهُ أَسْمَى مُلْكًا وَأَشْرَفَ ، وَالَّذِي مَا بَرِحَ النَّصْرُ يُتَنَسَّمُ مِنْ مَهَابٍ

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل وصيغ الاغنى ؛ والسياق يقتضى إثباتها . والضريبة : ما ضربته
بالسيف ، وإنما دخلته التاء وان كان بمعنى مفعول لأنه صار في عداد الأسماء .

- (٢) البيض بفتح الباء : جمع بيضة ، وهي من الحديد ما يلبس على الرأس في الحرب ، وقيل لها البيضة
تشبيها لها ببيضة النعام . قاله أبو عبيدة في كتاب الدروع ، وقال : البيضة اسم جامع لما فيها من الأسماء
والصفات التي من غير لفظها ، ولها قبائل وصفائح كتبائل الرأس تجمع أطراف بعضها الى بعض بمسامير يشدها
طرفي كل قبيلتين ؛ قال : وربما لم تكن من قبائل وكانت مصممة مسبوكة من صفيحة واحدة فيقال لها : صماء .
(٣) في الأصل : « جهر » بالراء ؛ وهو تصحيف .

- (٤) البيت لعمر بن معد يكرب من القصيدة التي سبقت الإشارة إليها في الحاشية رقم ٥ من صفحة ١١٣
من هذا السفر وروايته في ديوان الحماسة : « أغنى » بضم الهمزة وكسر النون مستندا الى ضمير المتكلم ،
وانما أسند هنا الى ضمير الغائب تبعاً لسياق الكلام .

- (٥) روايته في الحماسة : « أعد » بضم الهمزة والذال المشددة وفتح العين مستندا الى ضمير المتكلم
وأسنده الكاتب هنا الى ضمير الغائب لما قدمنا في الحاشية التي قبل هذه . ويريد بقوله : « وعد للأعداء »
أخ أن الأعداء يقولون فيه : خذوا فلانا فإنه يعدّ بألف انظر شرح التبريزي على ديوان الحماسة (ج ١ ص
٩٣) طبع بولاق عند شرحه لهذا البيت .

(٦) هذان الشطران من القصيدة التي سبقت الإشارة إليها في الحاشيتين رقم ٤ ، ٥ من هذه الصفحة
لعمر بن معد يكرب ، وأولها صدر بيت ، والثاني بحز بيت آخر ؛ والبيتان هما :

كَمْ مِنْ أَخٍ لِي صَالِحٍ * يَوَّأْتُهُ بِيَسْدَى لِحْدَا

أَلْبَسْتَهُ أَنْوَابَهُ * وَخُلِقْتَ يَوْمَ خُلِقْتَ جَلْدَا

تأمله والفلاح ، ويتبسم ثغره فتتوسم الثغور من تبسمه النجاح ، ويتقسم نوره على
 البسيطة فلا مصر من الأمصار إلا وهو يشرب إلى ملاحظة جبين عهده الوضاح
 ويتفق اشتقاق النعوت فيقول التسلي للتملي سواء الصالح والصلاح ؛ والذي ما برح
 لشعار السلطنة إلى توفله وتقله أتم حنين ، وكأما كوشفت الإمامة العباسية بشرف
 مسماه فيما تقدم من زمن من سلف من حين ، فسمت ووسمت باسمه أكابر الملوك
 [وأخيرا السلاطين] فخطب كل منهم مجازا لا كهذه الحقيقة بـ «خليل» أمير المؤمنين ؛
 والذي كم جلا بهاء جبينه من بهيم ، وكم غدا الملك بحسن رأيه ويمين آرائه يهيم
 وكم أبرأ مورده العذب هيم عطاش ولا ينكر الخليل اذا قيل عنه : إنه إبراهيم ؛
 ومن تشخص الأبصار لكاله يوم ركوبه حسيه ، وتلقى البنان سلاحها ذهلا
 وهي لا تدري لكثرة الإيماء إلى جلالة إذا يبدو مسيره ؛ والذي ألهم الله الأمة
 بجوده ووجوده صبورا جميلا ، وآتاهم من نفاسة كرمه وحراسة سيفه وقلبه تأمينا
 وتأميلا ، وعظم في القلوب والعيون ، بما من بره سيكون ، فسمته الأبوّة الشريفة
 ولدا وسماه الله : خيلا ؛ ولما تحتم من تفويض أمر الملك إليه ما كان إلى

(١) توفل فلان في مصاعده الشرف : اذا صعد فيها ، وهو مستعار من التوفل في الجبل : أى التصعيد فيه .

(٢) عبارة صبح الأعشى : « من زمن سلف ومن حين » ؛ والمعنى يستقيم بها أيضا .

(٣) لم ترد هذه العبارة في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن صبح الأعشى ؛ وأخير : جمع أخير ، وهذه لغة
 بنى عامر ؛ يقولون : هذا أخير من هذا وأشر منه بالألف فهما ؛ وسائر العرب تسقطها منهما فنقول : هذا
 خير من هذا وأشر منه (المصباح) .

(٤) الرأى هنا بمعنى المرأى والمنظر ؛ فلا تكرر بينه وبين قوله بعد : « آرائه » ، والذي في صبح الأعشى :

« رواه » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا ؛ والرواء : حسن المنظر .

(٥) إبراهيم ؛ أى إبراء هيم ؛ والإبراء من البرء : وهو الشفاء . والهيم بكسر الهاء : العطاش ؛ ولا يخفى

ما في قوله : « إبراهيم » من التورية .

(٦) كذا في صبح الأعشى ج ١٠ ص ١٦٨ ؛ والذي في الأصل : « أبا » ؛ وهو غير مستقيم .

- وقته المعلوم قد تأخر، وتحين حينه ففكّل بزيادة كز. زيادة الهلال حين بادر تمامه فأبدر؛
 اقتضى حُسن المناسبة لنصائح الجمهور، والمراقبة لمصالح الأمور، والمصاغبة لمناجح^(٣)
 البلاد والثغور، والمقاربة من فواتح كل أمر ميسور؛ أن نفوض إليه ولاية العهد^(٤)
 الشريف بالسلطنة الشريفة المعظمة، المكرمة المنفخمة المنظمة؛ وأن تبسط يده
 المنيفة لمصاقتها بالعهد، وتحكيمها في العساكر والجنود، وفي البحور والثغور
 وفي التهامم والنجد؛ وأن يعقد بسيفها وقلمها كل قطع ووصل، وكل فرع وأصل
 وكل نصر ونصل؛ وكل ما ينجي سرحا، ويهيم منحا، وفي المثيرات في الإعداء^(٥)
 على الأعداء تقعا وفي المغيرات صبجا؛ وفي المنع والإطلاق، وفي الإرفاد والإرفاق^(٦)
 وفي الخميس إذا ساق، وفي الخمس إذا أنساق^(٧)، وفي السيوف "إذا بلغت التراقي وقيل:
 من راق"، وفي الرماح إذا ألفت الساق منها بالساق؛ وفي المعاهدات والهَدَن

- (١) كذا في صبح الأعشى ج ١٠ ص ١٦٨؛ والتحين: الانتظار والطلب؛ والذي في الأصل:
 «وتحرر»؛ وهو تحريف إذلم نجد هذه الصيغة فيما راجعناه من كتب اللغة بالمعنى المناسب لسباق ما هنا.
 (٢) عبارة صبح الأعشى: «فكّل زيادة» بدون باء.
 (٣) المصاغبة: المقاربة والمواجهة.
 (٤) في الأصل: «المقارنة» بالنون؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا بقرينة ذكر «من» بعده.
 (٥) الإعداء بكسر الهمز: مصدر أعداه إذا حمله على العدو بتخفيف الواو، وهو الجرى.
 (٦) الإرفاد بكسر الهمزة: الإعطاء، والاسم الرفد بكسر الراء. والإرفاق بالكسر أيضا: النفع، يقال:
 أرفق فلان فلانا ورفقه: أى نفعه.
 (٧) إذا ساق: أى إذا ساقه، فالمفعول محذوف، وهو ضمير يعود الى «الخميس».
 (٨) أراد بالخميس: خمس ما يغنمه الجيش في الحرب، وهو المذكور في قوله تعالى في سورة الأنفال:
 واعلموا أنما غنمتم من شئ، فإن لله خمسة وللرسول.

وفي الفداء بما عُرض من عَرَضٍ وبالبدن للبدن^(١) ، وفيما ظهر من أمور الملك
وما بطن ، وفي جميع ما تستدعيه بواعثه في السر والعلن ، وتستدعيه نوافثه من كبت^(٢)
وكتب متفرقين أو في قرن ، عهدا مباركة^(٣) عودته وتأممه ، وفواتحه وخواتمه ، ومناسمه^(٤)
ومواسمه ، وشروطه ولوازمه

[على عاتق الملك الأغر نجاهه * وفي يد جبار السموات قائمه^(٥)]

لاراد لحججه ، ولا ناقص لبرمه ، ولا داحض لما أثبتته الأقلام من مكنون علمه .
ويزيده مر الليلي جادة^(٦) * وتقادم الأيام حسن شباب^(٧)

(١) « وبالبدن للبدن » أي أنه متحكم في الفداء بالأسير لأسير مثله ، كما كانت تلك عاداتهم في تبادل
الأمري ؛ والذي في الأصل وصبح الأعشى : « بالبدن » البلاء مكان اللام ؛ وهو غير ظاهر ، اذ ليس فيما
سبق ما يصح تعليقه به .

(٢) تستدعيه : تستحفظه ، والمراد بالنوافث هنا : الحوافظ ، والنوافث في الأصل : الرواق جمع
نافثة من نقت الراق في العقدة فننا وهو دون النفل . والكبت : مصدر كبت عدوه يكتبه : أي رده بفيظه
وأذله ؛ والظاهر ان المراد بالكبت والكبت في هذه العبارة : الحرب والكتابة ، إذ هما من أسباب
حفظ الملك .

(٣) العود بضم العين وفتح الواو ، جمع عود بضم العين : وهي الرقية يرق بها الانسان من فزع أو جنون
لأنه يعاذ بها وهي التي تكتب وتعلق على الإنسان من العين ونحوها ، وأصلها : الرقية بما فيه « أعوذ »
ثم عمت .

(٤) المناسم جمع منسم بكسر السين ، وهو هنا بمعنى الأثر والعلامة ، يريد أن هذا العهد مباركة آثاره .
(٥) لم يرد هذا البيت في الأصل ؛ وقد أثبتناه عن صبح الأعشى ومسالك الأبصار قسم ٢ ج ٨ من
النسخة المأخوذة بالتصوير الشمسي المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦٨ ٢٥ تاريخ ؛ وهو من قصيدة
لأبي الطيب المتنبي يمدح بها سيف الدولة عند منصرفه من حصن بردويه .

(٦) برم الأمر وإبرامه : إحكامه .

(٧) البيت لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق ويستعطفه على قومه ،
ورواية البيت : « ويزيدها » بضمير المؤنث ، مراد به القصيدة .

- وَتَلَزَمَ السَّنُونَ وَالْأَحْقَابَ ، إِسْتِدَاعَهُ حَتَّى الدَّرَارِيِّ وَالْأَعْقَابِ ؛ فَلَا سَاطَانَ
 ذَا قَدْرٍ وَقَدْرَهُ ، وَذَا أَمْرٍ وَإِمْرَهُ ؛ وَلَا نَائِبَ فِي مَمْلَكَةٍ قَرَبَتْ أَوْ بَعَدَتْ ، وَلَا مَقْدَمَ
 جَيُوشٍ أَتَمَّتْ أَوْ أُنْجِدَتْ ؛ وَلَا رَاعِيٍّ وَلَا رَعِيَّةَ ، وَلَا ذَا حَكْمٍ فِي الْأُمُورِ الشَّرْعِيَّةِ ؛
 وَلَا قَلَمَ إِتْشَاءٍ وَلَا قَلَمَ حِسَابٍ ، وَلَا ذَوِي أُنْسَابٍ وَلَا ذَوِي أَسْبَابٍ ؛ إِلَّا وَكُلُّ
 دَاخِلٌ فِي قَبُولِ عَقْدِ هَذَا الْعَهْدِ الْمِيمُونِ ، وَمَتَمَّسِكٌ بِحَكْمِ آيَاتِ كِتَابِهِ الْمَكْنُونِ
 وَالتَّسْلِيمِ لِنَصِّهِ الَّذِي شَهِدْتُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ ؛ وَأَمْسَتْ بَيْعَتُهُ بِالرِّضْوَانِ
 مَحْفُوفِهِ ، وَالْأَعْدَاءُ يَدْعُونَهَا تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ، فَلْيَشْكُرُوا الصَّنْعَ الَّذِي بَعْدَ أَنْ كَانَتْ
 الْخُلَفَاءُ تُسَلِّطْنَ الْمُلُوكَ قَدْ صَارَ سُلْطَانُهُمْ يَقِيمُ لَهُمْ مِنْ وُلَاةِ الْعَهْدِ خَلِيفَةً بَعْدَ خَلِيفَةٍ ؛
 وَأَمَّا الْوَصَايَا فَأَنْتَ يَا وَلَدَنَا الْمَلِكَ الْأَشْرَفَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - بِهَا الدَّرِبِ
 ١٠. وَلِسَمَاعٍ شَدِيدِهَا وَحُدُودِهَا الطَّرِبِ ، الَّذِي لَلْغَوْلِ يَضْطَرِبُ ؛ فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا
 مَلَائِكُ سِدَادِكَ ، وَهَلَاكُ أَوْسَادِكَ ؛ وَبِهَا يُرَاشُ جَنَاحُ نَجَاحِكَ ، وَيَحْسُنُ اقْتِدَاءُ
 اقْتِدَادِكَ ؛ فَاجْعَلْهَا دَفِينِ جَوَانِحِ تَأْمَلِكَ وَوَعِيكَ ، وَنُصَبَ عَيْنِي أَمْرِكَ وَنَهْيِكَ .
 وَالشَّرْعَ الشَّرِيفَ فَهُوَ قَانُونُ الْحَقِّ الْمَتَّبَعِ ، وَنَامُوسُ الْأَمْرِ الْمُسْتَمَعِ ؛ وَعَلَيْهِ مَدَارُ
 إِيعَازِ كُلِّ إِيعَازٍ ، وَبِهِ يَتَمَسَّكُ مِنْ أَشَارِ وَأَمْتَارٍ ، وَهُوَ جَنَّةٌ وَالْبَاطِلُ نَارٌ (فَمَنْ زُحِرَحَ

- ١٥ (١) كذا في الأصل . والذي في صبح الأعشى : « للذراري » باللام مكان « حتى » ؛ والمعنى
 يستقيم على كلتا الروايتين .
 (٢) كذا في صبح الأعشى ج ١٠ ص ١٦٩ ؛ وفي الأصل : « واحد » ؛ وهو تحريف
 لا يستقيم به المعنى .
 (٣) الناموس : الوحي .
 ٢٠ (٤) في الأصل : « إيعاز » بالراء ؛ وهو تصحيف . والإيعاز مصدر أوعز إليه في الشيء . أي
 تقدم إليه فيه وأشار به .
 (٥) في الأصل : « امتاز وامتاز » ؛ وهو تحريف في كلتا الكلمتين ؛ والتصويب عن صبح الأعشى .

عَنِ النَّارِ وَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ) ، فلا تخرج في كلِّ حال عن لوازمه وشروطه ولا تتكَبَّ عن معلقه ومنوطه ؛ والعدل ، فهو مُثَمَّرٌ غروس الأموال ، ومُعَمَّرٌ بيوت الرعاء والرجال ، وبه تزكو الأعمار والأعمال ؛ فاجعله جامعَ أطرافِ مَرَامِكِ ، وأفضلَ أيامِ مواسِمِكِ ؛ وسمِّ به فعلك ، وسمِّ به فرضك ونفلك ؛ ولا تُفَرِّدْ به فلانا دون فلان ولا مكانا دون مكان ، وأقربته بالفضل ، (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) ؛ وأحسِن التَّخْوِيلَ ، وأجملِ التَّنْوِيلَ ، وكثِّرْ لمن حولك التَّمْوِينَ والتَّمْوِيلَ ؛ وضاعِفِ الخَيْرِ في كلِّ مُضَافٍ لِمَقَامِكِ ، ومستضيفِ بِإِنْعَامِكِ ، حتى لا تَعَدَمَ في كلِّ مكان وكلِّ زمان من النعماء ضيافةَ خَلِيلِ ، والثَّغُورِ ، فهَيِّ للمالكِ مَبَاسِمُهَا فاجعل نواجذها تَفْتَتِرُ عن أحسن ثنايا الصَّوْنِ ، ومَرَاشِفَهَا شَنِيبَةَ الشَّفَاهِ بِحُسْنِ العَوْنِ ؛ ومنها بما يجي السَّرْحَ مِنْهَا ، وأَعِنَهَا بما يدفع المكاره عنها ؛ فإنها للنصر مَقَاعِدُ ، وبها حفظ البلاد من كلِّ مَارٍّ من الأعداء مارد ؛ وأمراء الجيوش ، فههم السُّورِ الوَاقِي بين يَدَيِ كلِّ

(١) كذا ضبط هذا الفعل في اللسان بكسر الراء وضما . وفي الأصل : «واقرضه» بالضاد ؛ وهو تحريف .

(٢) يقال : أجمل الصنعة ، أى حسنها وكثرها .

(٣) المستضيف : المستغيث .

(٤) يشير بهذه العبارة الى قصة سيدنا ابراهيم الخليل صلوات الله عليه — مع ضيوفه من الملائكة ؛ وقد ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم في غير موضع ، فقال تعالى في سورة الذاريات : (هل أتاك حديث ضيف لإبراهيم المكرمين) الآيات .

(٥) الشنبة بفتح فكسر من الشنب بفتحين : وهو برد الأسنان كما قاله التبريزي في شرح ديوان أبي تمام المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٥٠ أدب ش) عند قول أبي تمام في قصيدته في فتح عمورية :

كم نيل تحت سناها من سنا قر * وتحت عارضها من عارض شنب

والكلام هنا على الاستعارة والتمثيل .

(٦) في الأصل : «السقاد» بالسين والقاف ؛ وهو تصحيف .

- سور، وما منهم إلا بطلٌ بالنصر مشهورٌ كما سيفه مشهورٌ؛ وهم ذخائر الملوك وجواهر السلوك، وأخير الأكار الذين خلصوا من الشكوك؛ وما منهم إلا من له حرمتٌ سلفت، وحقوقٌ عرفت، ومواتٌ على استلزام الرعاية للعهود وقمتٌ؛ فكن لجنودهم متحجبا، ولمرابعهم مُحصبا، ولمصالحهم مرتبا، ولآرائهم مستصوبا وللاعتضاد بهم مستصجبا، وفي حمدهم مُطنبا، وفي شكرهم مُسهببا، والأولياء المنصورين الذين هم كالأولاد، ولهم سوابقُ أمتٍ من سوابق الإيجاد؛ وهم من علمت أستكانةً من قربنا، ومكانةً من قلبنا، وهم المساهمون فيما ناب، وما برحوا للدولة الظفر والناب؛ فأسهم لكل منهم من احترامك نصيبا، وأدم لهم آرتياحك، وألن جماحك وقوبهم سلاحك، تجد منهم ضروبا، وتر كلاً منهم في أعدائك ضروبا؛ وكأنا نوصيك بجيوش الإسلام، كذلك نوصيك بالجيش الذي له المنشآت في البحر كالأعلام؛ فهو جيش الأمواه والأمواج، المضاف إلى الأفواج من جيش الفجاج؛ وهو الجيش السلياني في إسراع السير، وما سميت شوانيه غربانا إلا ليجمع بها لنا

(١) في صبح الأعشى ج ١٠ ص ١٧٠ : «خدمات» ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٢) انظر الحاشية رقم ٤ من صفحة ١٢٣ من هذا السفر .

(٣) في الأصل : «لجنوهم» ؛ وهو تحريف .

(٤) المراد بالإيجاد : الولادة .

(٥) يريد بالأستكانة هنا : السكون والاطمئنان ؛ وأصل الفعل «استكن» على افتعل من السكون ،

فزيدت الألف بعد الكاف فقليل : «استكان» وفي المصباح مادة سكن نقلا عن ابن القطاع : أن ذلك

كثير في كلام العرب ؛ وقال ابن سيده : وأكثر ما جاء إشباع حركة العين في الشعر، كقوله : «ينباع من

ذفرى غضوب» الخ أى ينبع ، مدت فتحة الباء بألف كما نقل عنه في اللسان مادة «سكن» .

(٦) لعله «إلى» كما تقتضيه تعدية «استكان» .

(٧) عبارة الاصل : «وألن لهم آرتياحك وأدم جماحك» ؛ وسياق الكلام يقتضى العكس كما أثبتنا .

(٨) الشوانى جمع شونة بفتح الشين ؛ وهى مركب يعد للجهاد في البحر ، لغة مصرية .



ما أجمع لسليمان صلى الله عليه وسلم من تسخير الريح والطير، وهى من أديار مصرية على شبح البحر الأسوار، فإن قذفت قذفت الرعب في قلوب الأعداء وإن أقلعت^(١) قلعت منهم الآثار؛ فلا تحله من تجهيز جيشه، وسكن طيش البحر بطيشه؛ فيصبح لك جيشان كل منهما ذوكر وفتر، هذا في برّ بحر وهذا يجر برّ؛ وبيوت العبادات فهى التى الى مصلى سميك خليل الله تنتهى محاربيها، وبها لنا ولك وللساميين سرى الدعوات^(٢) وتأويها؛ فوقها نصيبها المفروض غير منقوص، ومُرّ برفعها وذكر اسم الله فيها حسب الأمر المنصوص؛ وأخواتها من بيوت الأموال الواجبات^(٣) الواجبات من حيث أنها كلّها بيوت لله هذه للصلاة وهذه للصلاة؛ وهذه كهذه في رفع المنار، وجمع المبار، وإذا كانت تلك مما أذن الله أن تُرفع ويدكر فيها اسمه، فهذه تُرفع ويدكر فيها اسمه حتى على الدرهم والدينار؛ فاصرف اليها أجتهدك فيما يعود [عليها] بالشمير، كما يعود على تلك بالتنوير؛ وعلى هذه بإشجانها بأنواع الصروف، كإشجان^(٤) تلك باستواء الصفوف؛ فإنها إذا أصبحت مصونة، احتملت بحمد الله المعونة

(١) أقلعت : أى سارت الى الأعداء؛ والذي يستفاد من كتب اللغة أن تفسير الإقلاع بالسير تفسير مجازى، فقد ذكر ابن برى أنه ليس في قولهم «مقلعة» ما يدل على السير من جهة اللفظ، إنما يفهم ذلك من نحوى الكلام، لأنه قد أحاط العلم بأن السفينة متى رفع قلعها فإنها سائرة، فهذا شىء حصل من جهة المعنى لا من جهة أن اللفظ يقتضى ذلك الخ (اللسان) وأيضاً فإسناد الإقلاع الى السفن إسناد مجازى، وهو المسمى بالمجاز العقلى، فقد ذكر ابن برى أيضاً أن الإقلاع ليس فعلها، وإنما هو فعل أصحابها يقال أقلع القوم سفنهم : إذا رفعوا قلعها عند المسير .

(٢) التأويب : السير بالهار؛ وعكسه الإسآد والسرى : وهما السير عامة الليل .
(٣) الواجبات : الغنيات، وهو من قولهم : وجد المال يجده وجداً بتثليل الواو : إذا صار غنياً .
(٤) الإشجان بالهمز : الماء، كالشحن؛ وفي القاموس وشرحه أنه يقال : أشحن المدينة بالخليل :

أى ملاها .

(٥) فى الأصل : « كامتحن » ؛ وهو تحريف .

وَكَفَلَتْ بِالْمُؤْنَةِ وَالزِّيَادَةِ عَلَى الْمُؤْنَةِ ، فَتُكَلِّمُ هَذِهِ لِكُلِّ وَلِيِّ دُنْيَاهَا كَمَا كَلَّمَتْ تِلْكَ
لِكُلِّ وَلِيِّ دِينِهِ ؛ وَحُدُودَ اللَّهِ ، فَلَا يَتَعَدَّهَا أَحَدٌ ، وَلَا يَرَأْفُ فِيهَا وَلَدٌ بِوَالِدٍ وَلَا وَالِدٌ
بِوَلَدٍ ؛ فَأَقَمَهَا وَقَمَّ فِي أَمْرِهَا حَتَّى تَنْضَبِطَ أَمَّ الضَّبِطِ ، وَلَا تَجْعَلَ يَدَ الْقَتْلِ مَغْلُولَةً إِلَى
عُنُقِهَا وَلَا تَبْسُطَهَا كُلَّ الْبَسْطِ ، فَلِكُلِّ مِنَ الْجَنَائِثِ وَالْقِصَاصِ شَرْطٌ شَرْطُهُ اللَّهُ
وَحُدُّ حَدِّهِ فَلَا يَتَجَاوَزُ أَحَدٌ ذَلِكَ الْحَدَّ وَلَا يَخْرُجُ عَنْ ذَلِكَ الشَّرْطِ ؛ وَالْجِهَادِ
فَهُوَ الدَّيْنُ الْمَأْلُوفُ مِنْ حِينَ نَسَأْتَنَا وَنَسَأْتِكَ فِي بَطُونِ الْأَرْضِ وَعَلَى ظُهُورِ الْخَيْلِ
فِيهِ عَلَى الْأَعْدَاءِ كُلِّ الْمَيْلِ ، وَصَبَّحَهُمْ مِنْ فَتَكَاتِكَ بِالْوَيْلِ بَعْدَ الْوَيْلِ ، وَأَرْمِهِمْ
بِكُلِّ شَمْرِيٍّ (١) قَدْ شَمَّرَ مِنْ يَدِهِ عَنِ السَّاعِدِ وَمِنْ رِمْحِهِ عَنِ السَّاقِ وَمِنْ جَوَادِهِ
الدَّيْلِ ؛ وَأَذْهَبَ بِهِمْ فِي ذَلِكَ كُلِّ مَذْهَبٍ ، وَأَيْنَ بِنُجُومِ الْخِرْصَانِ كُلِّ غَيٍّ وَغَيْبٍ (٢)
وَتَكَثَّرَ فِي غَزْوِهِمْ مِنَ اللَّيْلِ بِكُلِّ أَدْهَمٍ وَمِنْ الشَّفَقِ بِكُلِّ أَحْمَرَ وَأَشْقَرٍ [وَمِنَ الْأَصِيلِ (٣)
بِكُلِّ أَصْفَرٍ] (٤) وَمِنَ الصَّبِيحِ بِكُلِّ أَشْهَبٍ ، وَأَتَتْهُبُ أَعْمَارَهُمْ وَأَجْعَلُهَا آخِرًا يُسَلَّبُ (٥)
١٠

(١) الشمري يفتح الشين وتشديد الميم المفتوحة ؛ ويقال أيضا بكسر الشين والميم المشددة كذلك : الرجل
الماضي في الأمور .

(٢) كذا في صبح الأعشى ج ١٠ ص ١٧٢ ومسالك الأبصار قسم ٢ ج ٨ من النسخة المأخوذة
بالصورير الشمسي المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٦٨ تاريخ . والذي في الأصل : « على
الذي » وقوله : « على » زيادة من النسخ وليست محرفة عن لفظ : (عز) كما يتوهم فان التشمير لا يكون
عن الذيل وإنما يكون للذيل عما تحته ؛ ولم نجد فيما راجعناه من كتب اللغة انه يقال : « شمر عن ذيله »
والذي وقفنا عليه قولهم : « شمر ذيلا وأذرع ليللا » بدون « عن » ، والكلام هنا على طريق التمثيل
والمراد المضاء والجد في السير .

(٣) في صبح الأعشى ومسالك الأبصار : « وأنز » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .
٢٠ (٤) الخرصان بكسر الخاء : أسنة الرماح ، واحده خرص بكسر فسكون ، ويضم أوله أيضا .
(٥) التكثر : طلب الكثرة ، كما يفهم من أساس البلاغة فقد ورد فيه : « تقلل من العلم لتحفظ وتكثر
منه لفهم » .

(٦) لم ترد هذه العبارة في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن صبح الأعشى ج ١٠ ص ١٧٢ ومسالك
٢٥ الأبصار . (٧) في الأصل وصبح الأعشى : « واستهت » ؛ ولم نجد فيها لدينا من كتب اللغة .

وأول ما يُنهب؛ وزجوا أن يكون الله قد خبأ لك من الفتوحات ما يستنجزها لك صادق وعده، وأن ينصر بك جيوش الإسلام في كل إنجاد وإتهام وما النصر إلا من عنده؛ وبيت الله المحجوج من كل فج، المقصود من كل نهج؛ يسر سبيله، ووسع الخير وأحسن تسبيله، وأوصل من برك لكل من الحرمين ما هو له، لتصبح ربوعه بذلك ما هو له؛ وأحبه ممن يرد فيه بالحادٍ بظلم، وطهره من كل مكس وغرم؛ ليعود نفعك على البادية والعاكف، ويصبح واديه وناديه مستغنيين بذلك عن السحاب الواكف؛ والرعايا، فهم للعدل زروع، وللاستثمار فروع، ولاستلزام العمارة شروع؛ فتي جادهم غيث أنجب الزراع نباتهم، وامتت بالصلاح أوقاتهم، وصلحت بالثناء أوقاتهم، وكثرت للجنود مستغلاتهم، وتوافرت زكواتهم، وتنورت مشكاتهم "والله يضاعف لمن يشاء"؛ هذا عهدنا للسيد الأجل الولد الملك الأشرف صلاح الدنيا والدين، نفي الملوك والسلاطين، خليل أمير المؤمنين — أعزنا الله ببقائه — فليكن

(١) التسبيل : أن تجعل الشيء في سبيل الخير .

(٢) هو بسكون الواو لغة في هو بفتحها ؛ وقد حكى هذه اللغة الكسائي عن بنى أسد وتميم وقيس ، كما أن بعضهم يحذف الواو إذا كان قبل « هو » ألف ساكنة فيقول : حناه فعل ذلك .

(٣) المكس : ما يأخذه أعوان السلطان ظلها عند البيع والشراء ، قال الشاعر :

وفي كل أسواق العراق إتاوة * وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم

(٤) كذا في الأصل وصحح الأعشى بالسين والتاء ؛ ولم نجد هذه الصيغة فيما راجعناه من كتب اللغة

غير أن في شرح الأشموني وحاشيته عند قول ابن مالك في باب التصريف :

والتاء للتأنيث والمضارعة * وتاء الاستفعال والمطاوعة

ما يفيد أن هذه الزيادة مطردة ، حيث قال : وأما زيادتها حشوا فلا تطرد إلا في الاستفعال والافتعال

وفروعهما الخ والذي في مسالك الأبصار : « ولاستتمام » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٥) الشروع : مصدر شرع في الأمر إذا أخذ فيه ، وقد وصف الرعايا به على طريق المبالغة .

بعروته متمسكا، وبفحته متمسكا^(١)، وليتقلد سيف هذا التقليد، ويفتح مُعَلَّق كل فتح منه بخير إقليد،^(٢) وها نحن قد كثرتنا لديه جواهره فدونه ما يشاء تخليته : من تويج مفرقٍ وتختيم أناملٍ وتسوير زنيدٍ وتطويقي جيد، ففي كل ذلك تجييلٌ وتمجيد؛ والله تعالى يجعل استخلافه للتقنين إماما، ولالدين قواما، وللجاهدين اعتصاما، وللعتدين أنقصاما، ويطغى بمياه سيوفه نار كل خطب حتى تُصبح كما أصبحت نار سميّه صلى الله عليه وسلم بردا وسلاما؛ إن شاء الله تعالى .

وكلامه رحمه الله كثير ورسائله مشهورة، وبهد الناس من إنشائه ما لو استقصيناها لطال وانبسط، وقد قدمنا في كتابنا هذا من كلامه في باب التهاني بالفتوح ما تجده في موضعه

١٠ ونختم كلامه بشيء من أدعية الملوك، وهي :

ويمكن الله له في الأرض، وجعل طاعته واجبة وجوب الفرض، وأيد آراءه بالملائكة في الحَلِّ والعقد والإبرام والنقض .

آخر : وأنجز له من النصر صادق وعده، وجعل الملوك من عبيده والملائكة من جنده، ومثعه بما وهبه من الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده .

١٥ آخر : وحفظه بمعقبات من أمره، وحسى حى الدين بقصار بيضه وطوال شميره، وجعل قدر مملكته في الدهر كلياى قدره، وألبس أولياءه من طاعته ما يجزون أذيال نخره .

(١) المتمسك : المتطيب بالمسك .

(٢) الإقليد : المفتاح؛ وهى لغة يمانية، وقيل معزب .

آخر : ولا زالت الدنيا بعدله مخضرة الوهاد والرِّبا ، والامال بفضله قائلا لها
 النجح : مرحبا ، والأقدار لنصره مسددة السهام مرهفة الطُّبا ، والأيام لا تعدم من
 جميل أثره وجيل تأثيره فعلا مطربا ، ووصفا مطيبا . وجعلت ملكه موصولا
 بجميل لا يُحَلَّ عقده ، وحرمة محروسا بسيف التوفيق لا يُنسل حده . ولا زالت
 راياته ألسنة تنذر أعداءه بالفرار ، وتبشر أوليائه بالقرار ، وآراؤه أعلاما عالية المنار
 واضحة الأنوار . وأنجزله عِدائِهِ في عُدائِهِ ، وجعل النصر والتوفيق مصاحبين
 لآرائه وراياته . وأناله النصر الذي يغنيه عن الحيلة والحول ، وعقد السعد بعرا^(١)
 ما يمضيه من الفعل والقول ، وبوأ أوليائه جنة من النصر ما فيها غائلة وجنة من
 العز ما فيها غول . وقصم بمهاتبه كل جبار عنيد ، وعصم كل من يأوى من رجائه
 إلى ركن شديد . وآتاه من التأييد سلطانا نصيرا ، وجعل جيشه أكثر قوَى وأقوى
 نفيرا . ولا زالت الآمال بسحابه مخضرة الرِّبا والوهاد ، والتأييد بتمكينه مناديا في كل
 ناد ، والدنيا بملكه مسرورة الأسرار حالية الأجياد ، والأقدار لأمره متكفلة بالنفاد.^(٢)
 وطرز بأيامه ملابس السير ، وأحل أمره أعلى هَضَباتِ النصر والظفر ، وحلَّ أجياد
 الممالك من عدله وبذله بأشرف الدرر ، ولا يرح القدر يوافق قُصوده فيقول للقدر :

(١) في الأصل : « يعزى بما » ؛ وهو تحريف .

(٢) المراد بالأسرار هنا : خطوط الوجه والجهة ، الواحد سر يكسر السين وضمها ؛ وإنما أسند السرور
 إليها لظهور أماراته فيها . يقال : برقت أسارى ووجهه اذا تهلل من الفرح .

(٣) كذا في الأصل بالبدال المهملة ؛ والذي يستفاد من كتب اللغة أن هذه الكلمة تأتي بمعنى النفاذ
 بالذال المعجمة : أى الجواز والمضى ؛ فقد جاء في اللسان مادة « نفذ » بالمهملة في تفسير حديث ابن مسعود :
 « إنكم مجموعون في صعيد واحد ينطقكم البصر » ما نصه : يقال : نفذنى بصره اذا بلغنى وجاوزنى . ثم قال :
 وأنفدت القوم اذا خرقتهم ومشيت في وسطهم ، فان جرّتهم حتى تخلفهم قلت : نفستهم بلا ألف ه
 ثم ذكر هذا الكلام نفسه بالذال المعجمة في مادة « نفذ » .

(٤) المقصود : جمع قصد ، وهذا الجمع ذكره بعض الفقهاء ، وقد أوضحنا ذلك في الحاشية رقم ٢ من
 صفحة ١٠٢ من هذا الجزء فانظره .

«لَقَدْ جِئْتَ عَلَى قَدْرٍ». وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ كَمَا أَتَمَّهَا، وَعَمَّرَ بَعْدَهُ الْآفَاقَ وَعَمَّمَهَا، وَأَوْضَحَ مَنَاجِحَ كَرَمِهِ لِمَنْ قَصَّدهَا وَأَمَّمَهَا، وَأَنْجَزَ عُدَاتِهِ فِي عُدَاتِهِ فَأَصَمَّهَا وَأَصَمَّهَا. وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبِي يَهُ مِنْ قَبْلِهِ، وَحَمَى حِمَى الدِّينِ بِنَصْرِهِ وَفَضْلِهِ، وَكَسَا الدُّنْيَا بِمُلْكِهِ حَلَّةَ نَخَارٍ مُعَامَّةً بِإِحْسَانِهِ وَعَدْلِهِ، وَجَعَلَ أَقَالِيمَ الْأَرْضِ مَعْمُورَةً بِسُلْطَانِهِ مَعْمُورَةً بِعَطَائِهِ وَبِذَلِهِ.

- ذَكَرَ شَيْءٌ مِنْ إِنْشَاءِ الْمَوْلَى الْمَاجِدِ السَّالِكِ مِنْ طَرِيقِ الْفَضْلِ
- وَالْفَضَائِلِ أَوْضَحَ الطَّرِيقَ وَأَنْجَحَ الْمَسَالِكَ، الْمَفْصِيحَ بِلِسَانِ بَرَاعَتِهِ وَالْمُوضِحَ بِأَنْوَارِ بِلَاغَتِهِ مَا أَبَهَمَ وَأَسْتَبْهَمَ مِنْ لَيْلِ الْعَيِّْ الْحَالِكِ، الْمُتَصَرِّفَ بِقَلْبِهِ وَكَلِمَهُ لَوْثُوقَ مُلُوكِ الْإِسْلَامِ بِدِيَانَتِهِ وَأَمَانَتِهِ وَأَصَالَتِهِ وَنَزَاهَتِهِ فِي الْأَقَالِيمِ وَالثُّغُورِ وَالْحِصُونِ وَالْمَمَالِكِ، الْعَامِرِ بِفَضْلِهِ وَفَضَائِلِهِ وَالغَامِرِ بِجُودِهِ وَنَائِلِهِ بَاطِنٌ وَظَاهِرٌ مِنْ أَمَلِهِ وَأُمَّ لَهْ مِنْ زَائِرٍ وَقَاطِنٌ وَمَارٌّ وَسَالِكٌ؛ فَيَنْفَصِلُ هَذَا عَنِ بَابِهِ وَهُوَ بِجُودِهِ مَعْمُورٌ، وَهَذَا عَنِ مَجْلِسِهِ وَقَبْلَهُ بَوْلَانُهُ لِمَا أَوْلَاهُ مِنْ إِحْسَانِهِ مَعْمُورٌ؛ وَهَذَا وَهُوَ يُنْفِقُ الْجَمَلَ مِنْ مَالِهِ، وَذَلِكَ وَهُوَ يَجُودُ عَلَى الْمُعْدَمِ مِنْ فَضْلِ نَوَالِهِ؛ وَالْآخِرُ وَقَدْ امْتَلَأَ صَدْرُهُ سُرُورًا، وَأَشْرَقَ وَجْهُهُ بِهَجَّةٍ وَنُورًا؛ وَأَنْطَلَقَ لِسَانُهُ مِنْ عِقَالِهِ بَعْدَ تَقْيِيدِهِ، وَأَنْبَسَطَ أَمَلُهُ لَطَلَبِ الْفَضَائِلِ لِمَا ظَفَرَ بِمَعْدِنِهَا بَعْدَ تَعْقِيدِهِ؛ فَتَجَدَّدَ وَقَدْ أَعْتَلَقَ مِنْهُ جَمَالًا وَأَعْتَنَقَ جَمَالًا، وَأَنْفَقَ الدَّرَرَ بَعْدَ ضَيْتِهِ بِالْأَصْدَافِ فَهُوَ لَا يَخْشَى عُدْمًا وَلَا يَخَافُ إِقْلَالًَا؛ وَالْمَوْلَى الْمَعْنِيُّ

(١) متعلق هذا الفعل محذوف للعلم به وهو قوله: «على أبيه من قبل» أخذنا من الآية الكريمة، وإنما حذفه ليم السجع الذي التزم في هذه الأدعية، وليست هذه العبارة مكررة مع ما يأتي، لأنه دعاء آخر.

(٢) في الأصل: «لوقوق» بقافين؛ وهو تحريف.

(٣) في الأصل: «تقييده»؛ وهو تحريف لتكرره مع ما قبله في آخر الجملة السابقة.

(٤) كذا في الأصل؛ ولم نجد في أراجعتنا من كتب اللغة أنه يقال: «اعتلقه» بمعنى علقه بتشديد اللام

أى حفظه، كما هو المراد هنا؛ والذي وقفنا عليه أنه يقال: «اعتلقه» أى أحبه؛ ولعل المؤلف قصد المجانسة بين هذا اللفظ وقوله بعده: «واعتنق».

بهذه المعالي التي آبتسمت ثغورها ، وتحلّت نحورها ؛ والمكارم التي جادت سحابها
 وامتدّت مذانها ، وترادفت مواهبها ، واتسعت مذاهبها ؛ والفضائل التي لحنها به
 الكريم تُعزى لفضله العميم تنسب ، والسيادة التي شادها لنفسه لأستغنائها عمّا
 مهدته له آباؤه النجيب ، والمراد بهذه الأوصاف التي

خَلِيَتْ وَالْحُسْنَ تَأْخُذُهُ * تَتَّقِي مِنْهُ وَتَنْتَخِبُ^(٢)

هو لسان الدولة ويمينها ، وسفير المملكة وأمينها ؛ وجامع أشتات الفضائل ، وناظم
 أخبار الأواخر وسير الأوائل ؛ وسيد الرؤساء وجليس الملوك ، ومؤلف كتاب نظم السلوك ؛
 المولى المالك علاء الدين عليّ ابن المولى المرحوم فتح الدين محمد ابن المولى المرحوم
 محي الدين عبد الله بن عبد الظاهر ، ذو الفضائل والمآثر ، والنسب العريق والأصل
 الطاهر ، والسبب الوثيق والفضل الباهر ؛ فهذه نبذة من أوصافه أثبتناها ، ولمعة
 من محاسنه أوردناها ، أسام لم تزده معرفة وإنما لذّة ذكرناها ؛ وله — أعزّه الله
 وأوفر نعمه لديه ، وأتمّ نعمته عليه كما أتمها على أبيه ؛ وأرانا في نجله الكريم ما رأينا
 في سلفه وفيه ، وأنطق الواصف لمحاسنهم ببلء فيه — من الرسائل البليغة ، والتقاليد
 البديعة ؛ والعهود التي عاهدتها البلاغة ألا تُعدّها فوفت بعهدتها ، وأقسمت
 معانيها أنها لم تقصد سواه من قبل لعلمها أنّ غيره لا يوفّيها حقّ قصدها ؛ وسنورد
 إن شاء الله من كلامه ما هو بالنسبة الى مجموعه نبذة يسيره ، ونرصع في كتابنا هذا من
 فضائله لمعة خطيره ؛ ونرفع بما نضعه فيه من كلامه قدر هذا التصنيف ، ونطرز به

(١) المذائب : مسایل الماء ، واحده مذنب بكسر الميم وفتح النون . وفي الأصل : « مذاهبها » ، وهو

تحريف لتكرره مع ما يأتي بعده .

(٢) البيت لأبي نواس .

أردانَ هذا التأليف ، ولا نحتاج إلى التعريف بمكانه وتمكّنه من هذه الصناعة فالشمس تستغنى عن التعريف ؛ ونحن الآن نعتذر من التقصير في الانتهاء إلى وصف محاسنه ، ونعترف بالعجز عن إدراك كنه مناقبه الشريفة وميامنه ؛ ونأخذ في ذكر كلامه لنحو ذنب التقصير بحسن الإخبار ، ونسأل الصفح عن اختصارنا واجب حقه ونرجوا قبول كلمات الاعتذار

فمن إنشائه ما كتبه عن الخليفة المستكفي بالله أبي الربيع سليمان —
جمل الله به الدين ، وأيد ببقائه الإسلام والمسلمين — للسلطان الملك المظفر
ركن الدين بيبرس المنصوري في سؤال سنة ثمان وسبعائة ، ابتدأه بأن قال :

هذا عقد شريف أنتظمت به عقود مصالح الممالك ، وأبتسمت ثغور الثغور
بيعته التي شهدت بصحتها الكرام الملائك ؛ وتمسكت النفوس بحكم عقده النضيد
ومبرم عهده النظيم ، ووثقت الآمال ببركة ميثاقه فتقرأه الألسنة مستفتحة فيه بقول
الله الكريم : (إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) الحمد لله الذي جعل
الملة الإسلامية تأوى من سلطانها إلى ركن شديد ، وتحوى من مبايعة مظفرها كل
ما كانت ترومه من تأبيد التأبيد ، وتروى أحاديث النصر عن ملك لا يمل من
نصرة الدين الحنيفي وإن ملّ الحديد من الحديد ؛ مؤتى ملكه من يشاء من عباده
ومؤتى مقاليد الملوك بجمع أهل عناده ؛ وما يجي من لم يزل بعزائمه ومكارمه

(١) لعله يريد « بالإخبار » : أن ذكر شيء من كلامه إخبار عن فضله وتمكّنه من ناصية البلاغة .

• أولعل صوابه « الاختيار » .

(٢) في صبح الأعشى ج ١٠ ص ٦٩ : « عقده » بكسر العين .

(٣) في صبح الأعشى : « من متابعة » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٤) يقال : هو ملي بهذا الأمر : أى مضطلع به « الأساس » .

مرهوبا مرغوبا، ومُوليه [ومُوليه] ^(١) من غدا محبوبًا من الأنام بواجب الطاعة محبوبًا
وباسط أيدي الرغبات لمن حَكَمَ له كمالٌ وصفه ووصف كماله بأن يكون مسئولًا مخطوبًا
ومفوض أمره ونهيه إلى من طالما صَرَفَ خَطِيئَه عن حمى الدين أخطارًا وخطوبًا؛
والحمد لله مجرى الأقدار برفع الأقدار، ومُظهِرِ سرِّ الملك فيمن أضحى عند الإمامة
العباسية بـجُسن الاختيار من المصطفين الأخيار، جامع أشتات الفخار، ورافع لواءِ
الاستظهار، ودافع لآوائ الأضرار، ^(٣) ^(٤) بجميل الالتجاء إلى ركنِ أمسى بقوة الله تعالى على
المنار وافي المبار، بادى الآثار الجميلة في الإيثار؛ والحمد لله على أن قلد أمور السلطنة
الشريفة لكافليها وكافيها، وأسند عقدها وحلها لمن يدرك بكرم فطنته وسليم فطرته
عواقب الأمور من مبادئها، وأيد الكائب الإيمانية بمن لم تزل عواليه تبلغها من ذرا
الأمانى معالمها؛ يحمده أمير المؤمنين على إعلاء كلمة الإيمان بأعيان أعوانها، وإعزاز
نصرها بأركان تشييدها وتشييد أركانها؛ ويشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
شهادة [لا] تبرح الألسن ترويتها، والقلوب تنويناها، والمواهب تجزل لقائلها تنويلا
وتنويناها؛ ويشهد أن محمدا عبده ورسوله أكمل نبي وأفضل مبعوث، وأشرف مورث
لأجل موروث؛ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة تمم بركاتها ونتم ^(٥) وتحص حسناتها
وتعم؛ ورضى الله عن عمه العباس بن عبد المطلب جد أمير المؤمنين، وعن أبنائه
الأئمة المهديين؛ الذين ورثوا الخلافة كبرا عن كابر، وسمت ووسمت بأسمائهم ونعوتهم

(١) لم ترد هذه الكلمة في الأصل؛ وقد أثبتناها عن صبح الأعشى ج ١٠ ص ٦٩

(٢) في الأصل: «ومعرض» بالعين والراء؛ وهو تحريف.

(٣) الاستظهار: العاق والغلبة.

(٤) اللاواء: الشدة والمحنة.

(٥) في صبح الأعشى: «والإيثار» بالواو مكان «في»؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا.

(٦) يقال: نتم المسك إذا سطعت رائحته؛ وهو هنا مستعار للاتشار والظهور.

- ذُرَا المنابر؛ أما بعد، فإن الله تعالى لما عَدَّقَ لمولانا أمير المؤمنين مصالِحَ الجمهور
وعَدَّدَ له البيعةَ في أعناق أهل الإيمان فزادتهم نورا على نور؛ وأورثه عن أسلافه الطاهرين
إمامة خير أمه، وكشَفَ بِمُصَابِرته من بأس العدا غمامَ كُلِّ عُمَّه؛ وأنزل عليه السكينةَ
في مواطن النصر والفتح المبين، وثبته عند تزلزل الأقدام وثبت به قلوب المؤمنين؛
وأفاض عليه من مهابة الخلافة ومواهبها ما هو من أهله، وأتمَّ نعمته عليه كما أتمَّها
على أبويه من قبله؛ بايع الله تعالى على أن يختار للتمليك على البرايا، والتحكيم
في الممالك والرعايا؛ من أسس بنيانه على التقوى، وتمسك من خشية الله سبحانه
بالسبب الأقوى؛ ووقف عند أوامر الشرع الشريف في قضائه وحكمه، ونهض
لأداء فريض الجهاد بمعالى عزيمه وحزمه؛ وكان المقام الأشرف العالی المولوي
السلطاني المملكي المظفري الركني، سلطان الإسلام والمسلمين، سيد الملوك
والسلطين؛ ناصر الملة الحمديّة، محي الدولة العباسيّه (أبو الفتح بيبرس) قسيم
أمير المؤمنين — أعز الله تعالى ببقائه حمى الخلافة وقد فعل، وبلغ في دوام دولته
الأمل — هو الملك الذي انعقد الإجماع على تفضيله، وشهدت مناقبه الطاهرة
باستحقاقه لتحويل الملك [إليه] وتخويله؛ وحكم التوفيق والاتفاق بترقيه إلى كرسي
السلطنة وصعوده، وقضت الأقدار بأن يليق إليه أمير المؤمنين أزقة عهوده؛
والذي كم خفقت قلوب الأعدى عند رؤية رايات نصره، ونطقت السنة الأقدار
بأن سيكون مليك عصره وعزيز مصره؛ وأهترت أعطاف المنابر شوقا للافتخار
بأسمه، واعتزت الممالك بمن زاده الله بسطة في علمه وجسمه؛ وهو الذي ما برح

(١) عَدَّقَ: أى جمع.

(٢) لم ترد هذه الكلمة في الأصل؛ وقد أثبتناها عن صحب الأعشى ج ١٠ ص ٧٠.

مذ نسا يجاهد في الله حق جهاده، ويساءد في كل معركة بمرهفات سيوفه ومتلفات صعادته، ويبدى في الهيجاء صفحته للصفاح فيقيه الله ويقيهه ليجعله ظله في الأرض على عباده وبلاده، فيردى الأعداء في مواقف تأييده فكم عقر من خد ملوك الكفر تحت سنايك جياده؛ ويشفي بصدور سيوفه صدور قوم مؤمنين، ويسقي ظمأ أسنته فيروها من مورد ورود المشركين؛ ويطلع في سماء الملك من غرر رأيه نيرات لا تأفل ولا تغور، ويظهر من مواهبه ومهابته ما تحسن به اتمالك وتحصن به الثغور؛ فما من حصن أغلقه الكفر إلا وسيقه مفتاحه، ولا ليل خطب دجا إلا وغرت الميمونة صباحه، ولا عز أمل لأهل الإسلام إلا وكان في رأيه المسدد نجاحه، ولا حصل خلل في قطر من الممالك إلا وكان بمشيئة الله تعالى وبسداد تدبيره صلاحه؛ ولا آتفق مشهد غزو إلا والملائكة بمضافته فيه أعدل شهود، ولا تجدد فتوح للإسلام إلا جاد فيه بنفسه وأجاد، «والجود بالنفس أقصى غاية الجود» كم أسلف في غز والأعداء من يوم أعر مجل، وأنفق ماله آبتغاء مرضات الله فحاز النصر المعجل والأجر

(١) الورود جمع وريد؛ وهو عرق في العنق، ويقال له: حبل الوريد، وهما وريدان؛ والظاهر أنه أراد بالورود هنا: العروق التي فيها الدم لا جمع وريد بالمعنى المعروف، فان كلام أهل اللغة يدل على أن الوريد من العروق ما جرى فيه النفس ولم يجر فيه الدم. قال أبو الهيثم: الوريدان تحت الودجين، والودجان: عرقان غليظان عن يمين ثغرة النحر ويسارها؛ والوريدان يبدان أبدا من الانسان؛ والوريد من العروق: ما جرى فيه النفس ولم يجر فيه الدم الخ قال الأزهرى: والقول في الوريدين ما قاله أبو الهيثم وفي المصباح نقلا عن الفراء: الوريد: عرق بين الخلقوم والعلباوين، وهو ينبض أبدا؛ فهو من الأوردة التي فيها الحياة ولا يجرى فيها دم، بل هي مجارى النفس بالحركات.

(٢) في الأصل: «من في سماء»؛ وقوله: «من» زيادة من الناسخ.

(٣) في الأصل: «صبح الأعشى»: «استغلقه»؛ ولم نجد فيما لدينا من كتب اللغة انه يقال:

استغلق الباب بمعنى أغلقته.

(٤) كذا في الأصل؛ والذي في صبح الأعشى (ج ١٠ ص ٧١): «طرف»؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا.

- المؤجل؛ وأحيا من معالم العلوم ودواري المدارس كل دائر، وحثه إيمانه على عمارة بيوت الله تعالى الجامعة لكل تالٍ وذاكر، "أَمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمْنٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ"؛ وهو الذي ما زالت الأولياء تتخيل مخايل السلطنة في أعطافه معني وصوره، والأعداء يرومون إطفاء ما أفاضه الله عليه من أشعة أنواره "وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَتِمَّ نُورُهُ"؛ طالما تطاولت إليه أعناق الممالك فأعرض عنها جانبا، وتطفلت عليه فعدا لها رعاية لذمة الوفاء بجانبها؛ حتى أذن الله سبحانه لكلمة سلطانه أن ترفع وحكم له بالصعود في درج الملك الى المحل الأعلى والمكان الأرفع، وأدى له من المواهب ما هو على اسمه في ذخائر الغيوب مستودع؛ فعند ذلك استخار الله تعالى سيدنا ومولانا أمير المؤمنين (المستكفي بالله) - جعل الله الخلافة [كلمة] باقية في عقبه، وأمتع الإسلام والمسلمين بشرى حسبه ونسبه - وعهد إلى المقام العالی السلطاني بكل ما وراء سرير خلافته، وقده جميع ما هو متقلده من أحكام إمامته؛ وبسط يده في السلطنة المعظمة، وجعل أوامره هي النافذة وأحكامه [هي] المحككة؛ وذلك بالديار المصرية والممالك الشامية، والفراتية والحلبية والساحلية، والقلاع والثغور المحروسة والبلاد الحجازية واليمانية؛ وكل ما هو من الممالك الإسلامية الى خلافة أمير المؤمنين منسوب، وفي أقطار إمامته محسوب؛ وألقى إلى أوامره أزمة البسط والقبض

(١) كذا في صحيح الأعمش ج ١٠ ص ٧٢؛ والذي في الأصل: «وتطلعت»؛ وهو وإن كان

كان صحيح المعنى إلا أن قوله بعد: (عليه) يقتضى ما أثبتنا.

(٢) في صحيح الأعمش: «على قربه»؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا.

(٣) لم ترد هذه الكلمة في الأصل؛ وقد أثبتناها عن صحيح الأعمش.

(٤) في صحيح الأعمش: «والحلبية»؛ وهو أظهر، فإن الحلبية داخلية في الممالك الشامية التي سبق

والإبرام والنقض، والرفع والخفض، وما جعله الله في يده من حُكْمِ الأرض، ومن إقامة سنة وفرض، وفي كل هبة وتمليك، وتصرف في ولاية أمير المؤمنين من غير شريك؛ وفي تولية القضاة والحكام، وفصل القضايا والأحكام؛ وفي سائر التحكم في الوجود، وعقد الأولوية والبنود، وتجنيد الكتائب والجنود، وتجهيز الحيوش الإسلامية في التأيد لكل مقام محمود؛ وفي قهر الأعداء الذين نرجوا بقوة الله تعالى أن يملكه من نواصيهم، ويحكم قواضيه في استنزاهم من صياصيهم، واستئصال شأفة عاصيهم؛ حتى يحو الله بمصابيح سيوفه سوادَ خطوب الشرك المدلّمة، وتغدو سراياه في اقتلاع قلاع الكفر مستهمه؛ وترهبهم خيل بعوثة وخيالها في أليقظة والمنام، ويدخل في أيامه أهل الإسلام مدينة السلام بسلام؛ تقويضا تاما قائما منضدا منظما، محكما محكما؛ أقامه مولانا أمير المؤمنين في ذلك مقام نفسه الشريفة، وأستشهد الكرام الكاتبين في ثبوت هذه البيعة المنيفة؛ فليتقلد المقام الأشرف السلطاني - أعز الله نصره - عقد هذا العهد الذي لا تطمح لمثله الآمال، وليستمسك منه بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها ولا انفصال؛ فقد عول أمير المؤمنين على بين أرائك التي ما برحت الأمانة بها في العضلات تستشفي، وأستكفي بكفائتِك وكفالتِك في حياطة الملك فأضحى وهو بذلك (المستكفي)؛ وهو يقص عليك من أنباء الوصايا أحسن القصص، وينص لديك ما أنت أخذ منه بالغرائم إذا أخذ

(١) عبارة صبح الأعشى: «أمور الإسلام».

(٢) مستهمه بتشديد الميم: أي مهمة؛ قال في الأساس: سمعهم يقولون: استهم لي في كذا؛ ويجوز أن يقرأ: (مستهمه) بخفيف الميم؛ أي مقسمة، من الاستهام.

(٣) كذا ورد هذا اللفظ في الأصل وصبح الأعشى ج ١٠ ص ٧٣ بضمير الخطاب، ولا يخفى ما فيه من الالتفات لاختلاف الضمائر بين ما هنا وبين ما سبق، وكان التكنية في ذلك تأكيد اختصاصه بهذا العهد المذكور في الجملة السابقة.

- غيرك فيه بالرخص ، فإن نهبت على التقوى فطالما تمسكت منها بأوثق عروه ،
وإن هديت الى سبيل الرشاد فما زلت ترق منه أشرف ذروه ؛ وإن استرهفنا عزمك^(١)
الماضي الغرار ، وأستدعينا حزمك الذي أضاء به دهرُك وأنار وأستنار ؛ في إقامة^(٢)
منار الشرع الشريف ، والوقوف عند أمره ونهيه في كل حكم وتصريف ؛ فما
زلت - خلد الله سلطانك - قائما بسننه وفرضه ، دائبا في رضى الله تعالى
بإصلاح عقائد عباده في أرضه ؛ وما برح سيقك المظفر للأحكام الشرعية خادما ،
ولمواد الباطل حاسما ، ولأنوف ذوى الزبغ والبِدَع مُرغما ؛ وكل ما نوصيك به من
الخير فقد جُبت عليه طباعك ، ولم يزل مشتتا فيه ساعدك ممتدا إليه بأعك ؛ غير
أننا نورد لمعة اقتضاها أمر الله تعالى في الاقتداء بالتذكرة في كتابه المبين ، وأوجبها
نص قوله تعالى : ﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، ويندرج تحت أصولها
فروع يستغنى بدقيق ذهنه الشريف عن نصها ، وبفكره الثاقب عن قصاها ؛ فأعظمها
للثة نفعاً ، وأكثرها للباطل دفعا ؛ الشرع الشريف ، فليكن - أعز الله نصره -
عاملا على تشييد قواعد أحكامه ، وتنفيذ أوامر حكامه ؛ فالسعيد من قرن أمره
بأمره ، ورضى فيه بجلو الحق ومُره ؛ والعدل ، فليشر لواءه حتى يأوى اليه الخائف
وينكف برده حيف كل حائف ؛ ويتساوى في ظلة الغنى والفقير ، والمأمور
والأمير ؛ ويمسى الظلم في أيامك وقد تمدت ناره ، وعفت آثاره ؛ وأهم ما احتفلت
به العزائم ، وأشتملت عليه همم الملوك العظام ، وأشرعت له الأسنة وأرهفت من^(٣)
أجله الصوارم ؛ أمرُ الجهاد الذى جعله الله سبحانه حصنا للإسلام وجنّه ، وأشترى

(١) كذا ورد هذا الفعل في الأصل وصبح الأعشى بالسين والتاء ؛ ولم نجد هذه الصيغة فيما لدينا من

٢. كتب اللغة ، والذى وقفنا عليه أنه يقال : رهف وأرهفه ، أى رققه وأحده .

(٢) لم ترد هذه الكلمة في صبح الأعشى .

(٣) العظام صفة للهمم .

فيه من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، بجنده له الجنود وجمع له الكتاب وأقضى في موافقه على الأعداء من بأسك بالقواضي القواضب؛ وأغزهم في عقر الدار، وأرهف سيفك البتار، لتأخذ منهم للمسلمين بالثار؛ والنغور والحصون، فهي سرُّ الملك المصون، وهي معاقل النفوس "إذا دارت رحى الحرب الزبون"؛ فلنقلد أمرها لكفاتها، وتحصن حماها بمجآتها، وتضاعف لمن بها أسباب قوتها ومادّة أقاتها؛ وأمراء الإسلام، وجنود الإيمان، فهم أولياء نصرك، وحفظة شامك ومصرك؛ وحزبك الغالب، وفريقك الذي تفرق منه قلوب العدو في المشارق والمغرب؛ فيمكن المقام العالی السلطاني - نصره الله تعالى - لأحوالهم متفقدا وبسط وجهه لهم متوددا؛ حتى نتأكد لمقامه العالی طاعتهم، وتجدد سلطانه العزيز ضراعتهم؛ وأما غير ذلك من المصالح فابرح تديره الجميل لها ينفذ رأيه الأصيل بها يشير، ولا يحتاج مع عامه بغوامضها إلى إيضاحها «وَلَا يَنْبِئُكَ مِثْلُ خَيْرٍ» والله تعالى يخص دولته من العدل والإحسان بأوفر نصيب، ويمنح سلطانه ما يرجوه من النصر المعجل والفتح القريب؛ بيمنه وكرمه .



وكتب تقليدا مظفريا للأمير سيف الدين سار المنصوري بنبابة السلطنة

الشريفة في سنة ثمان وسبعائة، وهو :

الحمد لله الذي شيد ركن الإسلام بسيفه المتضى، وجدد لللك مزيد التأسيد بكافله الذى ما برح وفاؤه للوك الأواخر والأوائل مرتضى، وأنجز من وعوده الاتفاق والتوفيق ما كان من ذمة الدهر مقتضى، جامع شملي الأوامر والنواهي بتفويضا

(١) الزبون، من الزبن بفتح فسكون : وهو الدفع ومنه قيل : حرب زبون ، لأنها تدفع الأبطال

الى من تبيت العدا من مهايته على جمر الغضى ، ومُنيلِ المنى بمواهبه التي تحوز موادَّ
الآختيار وتجاوز أمد الرضا ، ومُلقي مقاليد التدبير الى من أضحى جميل التأثير اذا تصرف
في الرفع والخفض حكم القضا ، ومصرف أزقة الأمور في يد من خدا ثابت العزمات
في الأزمات ، فما أظلمَ خطبٌ إلا أنجلي بمصاييح آرائه وأضاه نحمده على أن عضد
دولتنا بالكافل الكافي الذي اختاره الله لنا على علم ، ومنح أيامنا موالاة الولي الذي
٥ جُمعت فيه خلتان يجبهما الله ورسوله : وهما الأناة والحلم ، ونشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له شهادة مشرقة الأنوار ، مغسدة سجبها بأنواء المنن الغزار ، ونشهد
أن محمدا عبده ورسوله الذي بعثه الله لإقامة شعائر الإيمان ، وخصّ ملته في الدنيا
والآخرة باليمن والأمان ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين منهم من أضحى بفضل
السبق للإيمان به صديقه وصديقه ، وأمسى لفرط الألفة أنيسه في الغار ورفيقه ؛
١٠ ومنهم من ضافره في إظهار النبوة ووازره ، وظاهره على إقامة منارها بإطفاء كل نائرة
وإخماد كل نائرة ؛ ومنهم من ساعد وساعف في تجهيز جيش العسرة ، وأحسن
وحسن مع إخوانه المؤمنين الصريحة والعشيرة ؛ ومنهم من كان سيفه الماضي الحد ،
ومهنده الذي كم قل بين يديه الجموع فما اعترض إلا قَطُّ ولا اعتلى إلا قَدْبٌ ، وسلم
١٥ تسليما كثيرا ؛ أما بعد ، فإن الله تعالى لما هنا لنا مواهب الظفر ، وهيا لنا من الملك
موادَّ إدراك المنى وبلوغ الوطر ، وأيدنا من أنصارنا بكل ذي فعلٍ أبر ووجهٍ أغر ؛
وشدَّ أزرنا بمضافرة سيف يزهي المملك بتقليده ، وأمَدنا بموازرٍ نتصرف المنى والمنون

(١) وازره : أعانه وقواه ، والأصل آزره بالهمز ، وفي القاموس وشرحه مادة «أزر» أن الموازنة

بالهمز أفصح ، وبالواو شاذ ؛ وقال الفراء : إنه عام .

(٢) النائرة : اسم فاعل من نارت الفتنة نور ، إذا وقعت وانتشرت .

(٣) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ١١٣ من هذا السفر .

(٤) القط : القطع .

بين وعده ووعيده ؛ وجب علينا أن نحوط دولتنا بمن لم تزل حقوق مودته بحسن
 الشناء حقيقته ، وعهود محبته في ذمام الوفاء متمكنة وثيقه ، وطريقته المثلى في المحاسن
 والإحسان مشهورة ولا نرى مثلاً لتلك الطريقه ؛ ونقلد كفالة ممالكنا للولى الذى
 ما برح يتلقى أمورنا بفسيح صدره ، ويتوقى حدوث كل ما نكرهه فينهض في دفعه بصائب
 رأيه وثاقب فكره ؛ وكان الجنب الكريم العالى الأميرى الكبيرى العالمى العادى
 الكافى المؤيدى الزعيمى الغياثى ^(١) المسندى المهدى المتأخرى المظفرى المنصورى
 السيفى ، معز الإسلام والمسلمين ، سيد أمراء العالمين ؛ سند الممالك ، مدبر الدول ،
 مقدم العساكر ، أمير الجيوش ، كهف الله ، حصن الأئمة ، نصره الملوك والسلاطين ،
 (سلار المنصورى) نائب السلطنة المعظمة ، وكافل الممالك الاسلامية ، — أعز الله
 نصره — هو واسطة عقد الأولياء ، وسيف الدولة الفاتك بالأعداء ، والذى
 أسلف في نصره الإسلام حقوقاً غدت مرقومة في صحف الفخار ، واستأنف
 في مصالح الأئمة المحمدية تدبيرات أظهر بها أسباب التأييد على الأعداء والاستظهار ؛
 كم أصلح بين سياسته ذات البين ، وكم أبهج ببركة تآتيه ^(٢) وتآنيه كل قلب وأقر كل
 عين ؛ وكم ساس من ملك فأضحى ثابت الأساس ، وجعل شعاره دفعا للباس ونفعا
 للناس ؛ ما عوهد إلا وأوفى ، ولا عوند إلا وعف وعفا ، ولا استسفى في طب
 معضلة إلا وشفى ، ولا استدرك تدبيره فارتط ^(٣) أمرى كان على شفا ؛ فما يومه في الفضل
 بواحد ، ولا أحد لمثل محاسنه الجميلة بواجب ؛ لعزماته في مواقف الجهاد السوابق

(١) في الأصل : « الغياثى » بالفاء والنون ؛ وهو تحريف لا معنى له .

(٢) التآنى للأمر : الترفق له والتلطف فيه .

(٣) الفارط : الفات ؛ يريد بهذه العبارة وصفه بالخزم وأنه لا يترك الأمور ينفذ الخلل إليها

ثم يستدركها بعد فواتها ، بل إنه يتوقى الخلل فيها بتدبيره قبل حصوله .

العُرَّ المحجَّله ، ولتديراته في مصالح العباد والبلاد المنافع المعجَّلة والمؤجَّله ؛ وهو الذي
 خافت مهابته الكتائب ، وأملت مواهبه الرغائب ، ولعبت سطواته للعدا خيالا في
 المراقِدِ وخيلا في المراقب ، وأمتطى من الشهامة كاهلها فأحجم عنه لما أقدم كلُّ
 مُحَارِبٍ ، وصدق من نعتَه بالسيف ، فلوم يُنعت به لقييل : هذا سيف يفتك
 بالضريبة ولا تُقلُّ له مضارب ؛ ولم لقي بصدرة الألوْف من التار — خذلم الله —
 والمنايا قد بلغت من النفوس المنى ، وأمضى سيفه في الحروب وما شككا الضنى ؛
 وحمل حملة فتوق بها كلُّ شمِّلٍ للكفار أجمع ، وقطع أعناق العدا في رضى الله تعالى
 ولا يُنكر السيف إذا قطع ؛ ووصل من العلياء إلى غاية تَزاحم الكواكب بالمناكب ،
 وتفرَّد بأمر الجيوش فأضحى بدر الكتائب وصدَرَ المواكب ؛ إذا جاش الجيشُ
 ثبت عند مشجر الرماح ، وإذا أظلم ليلُ النقع وصحَّت أسارى جبينه وضوح
 الصباح ، وإذا أقدم في كتيبة ” رأيت البربحرا من سلاح “ ، وإذا رفعت راياته يوم
 الوغى كبرت بالظفر على السنة الرماح ، وإذا كان في جمحفٍ كانت عزائمُه للقلب قلبا
 وصوارمه جناحا للجناح ، وإذا قدر في السلم عفا لكتنه في الحرب قليلُ الصفح بين
 الصفاح ؛ وهو الذى ما برحت أيدى انتقامه تهدم من أهل الشرك العمائر والأعمار ،
 وبروق سيوفه تذهب بالنفوس لا بالأبصار ، ويمنُ يمينه وصيحُ جبينه هذا يستهلُّ
 بالأنواء وذا الأنوار ؛ اقتضى حسنُ الرأى الشريف أن نوفي حقوق مودته التى
 أسلفها لنا فى كل نعى وبوسى ، وأن نضاعف علو مكانه من أخوتنا ليكون منا كهرون

(١) الرغائب : النفاس المرغوب فيها ، واحده رغبة .

(٢) كذا ورد هذا اللفظ فى الأصل ؛ يريد أن سطواته فى تشكها لا عدا فى النوم بالخيال وفى اليقظة

بالخيال تشبه فعل اللاعب حين يتشكل للناظر بأشكال مختلفة . أولعله : « ولقيت » بالبناء للجھول
 ٢ . أى سميت وعلى الأول فقوله : « خيلا » حال من سطوات وعلى الوجه الآخر فهو مفعول ثان ، وإنما لم
 يتعد إليه بالباء كما هو مقتضى اللغة لضمته معنى التسمية .

من موسى ؛ فلذلك رسم بالأمر الشريف العالى الموالوى السلطانى الملكى المظفرى
الركنى - لا بريح يوفى بعهود الأولياء ويفى ، ويمنح من أخلص النية فى ولائه البر
الحنى والفضل الحنى - أن تكون كلمة الجنب الكريم العالى الأميرى السيفى المشار
إليه - أعز الله نصره - نافذة فى كفالة الممالك الإسلامية ، متحكمة فى نيابة السلطنة
المعظمة ، وأوامره المطاعة فى إمرة الجيوش وحياسة الثغور التى غدت بدوام كفالته
متبسمة ؛ على أجمل عوائده ، وأكمل قواعده ؛ نيابة ثابتة الأساس ، نامية الغراس ؛
لا يضاهاى فيها ولا يشارك ، ولا يخرج شئ من أحوالها عن رأيه المبارك ؛ فليسط
نبيه وأمره فى التدبير والإحكام ، وليضبط الممالك حتى لا تسامى ولا تُسام ؛ ويُطلع
من آرائه فى سماء الملك نجوما بها فى المصالح يُتدى ، ويرفع من قواعده ما يخفض
به قدر العدا ؛ ويُضعف ما ألفتة الأمة من عدله ، وليجبر على أكرم عاداته من
نشر إنصافه وشمول فضله ، وليعضد جانب الشرع المطهر فى عقده وحله ، وتحريره
وحله ؛ ولينفذ كلمته على ما هو من ديانته مألوف ، وليستكثر من الاقتداء بأحكامه
فى النهى عن المنكر والأمر بالمعروف ؛ وأمراء الإسلام وجنوده ، فهم ودائع سره ،
وصنائع شكره ، وطلائع نصره ، وما منهم إلا من عُدى بلبان دره ، وغدا [من] شاء
عصره متقلدا لعقود دره ؛ فليستدم حنوه عليهم وإشفاقه ، وليوال إليهم بره وإرفاده
وإرفاقه ؛ والوصايا كثيرة لكنها منه تُستملى ، والتنبيهات على المصالح منه تستفاد
نقلا وعقلا ، وما زلنا نستضى فى المهمات بين آرائه التى جمعت للمصالح شملا ؛ فثله
لا يبدل على صواب وهو المتفرد بالسداد ، والخير بتفريح كرب الخطوب والسيوف

(١) كذا فى الأصل ، وهو جمع عادة كما فى المصباح ، ولم نجد فى غيره من كتب اللغة التى بين أيدينا .
(٢) اللبان بالكسر : الرضاع ، يقال : هو أخواه بلبان أمه ، ولا يقال : بلبن أمه .
(٣) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل والسياق يقتضى اثباتها .
(٤) فى الأصل : «سأه» ؛ وهو تحريف لا يظهر له معنى .

غامضة الجفون في الأغماد ؛ والله تعالى يمتعنا من بركة كفالاته بالخَلِّ المُوَافِي والأخ
المُوَاسِي ، ويشدُّ أزرَ سلطاننا من مضافته بمن أسمى جبل الخُلوم الرواسي ؛ إن شاء
الله تعالى .

ومن انشائه أيضا أعزه الله تعالى مقامة عملها في سنة اثنتين
وسبعمائة ، على لسان من التمسها منه ، فقال :

حَتَّى أَيْفُ الغرام ، وحليْفُ السَّقَام ؛ وقَتِيلُ العيون ، وصرِيحُ الجفون ؛
وفريسةُ الأسود ، والمصابُ بنبالِ الحَدَقِ السود ؛ عن قصته في هواه ، وقضيته التي
كان في أولها غناه ، وفي آخرها عناه ؛ قال : لم أزل في مدّة العمر أترقب حبيبا
أتلذذ بحبه ، وأتّعم بقربه ؛ وأحيا بانعطافه ، وأسكر من ريقه بسلافه ؛ وأستعذب
العذاب فيه ، وأرشف نحر الرضاب من فيه ، وأقتطف ورد السرور من وجنتيه
وأجتنيه ؛ وأكتسب به لطفًا ، وأكتسب بمصاحبتة ظرفًا ؛ حتى ظفرت يداي بمن
رق وراق ، ولطفت حدائق معانيه حتى كادت تخفى عن الأحداق

لطفت معانيه فهبّ مع الصبا * ورقيبه بهوبه لا يعرف

قد جمع أوصاف المحاسن والمعاني ، وفاق كلّ مليح فليس له في الحسن ثاني ؛
أما قوامه ، فقد ملك الفؤاد فأضحى ملكا عادلا ، وأستباح النفوس من اعتداله
فلا غرو إن أضحى لها قاتلا

(١) المُوَافِي ، من وافي يوافي : وهو بمعنى وافي ، يقال : وافي له بالعهد يفي ووافي يوافي كلاهما
بمعنى واحد انظر اللسان .

(٢) في الأصل : « الخلقوم » والقاف زيادة من النسخ . والخلوم ، جمع حلم بالكسر : وهو الأناة
وعدم الخفة . والرواسي : صفة للخلوم .

(٣) في الأصل : « غناه » بالعين ؛ وهو تصحيف .

عَجَبًا لِقَدِّكَ مَا تَرْتَحُّ مَاثِلًا * إِلَّا وَقَدْ سَلَبَ الْغُصُونَ شِمَائِلًا
وَأَمَّا لِحَاظُهُ فَقَدْ غَنِيَتْ عَنِ الْكُحْلِ بِالْكَحْلِ ، وَأَذَابَتْ حَبَّاتِ الْقُلُوبِ فِي حُبِّ تَلَكِ
الْمَقْلِ

وَإِذَا رَأَيْتَ الطَّرْفَ يَعْمَلُ فِي الْحِشَا * عَمَلِ الْأَسْتَةِ فَالْقَوَامُ مَثَقَّفُ
إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ وَجْهِ كَالْبَدْرِ فِي تَمَامِهِ ، يعلوه مِنْ شَعْرِهِ مَا يَصِيرُ بِهِ كَالْبَدْرِ تَحْتَ غَمَامِهِ
قَمَرٌ تَبْلُجُ وَجْهَهُ فِي حَنْدِسٍ * مِنْ شَعْرِهِ فَأَضَاءَ مِنْهُ الْحَنْدِسُ

وَمَقْبَلِ أَشْمَى مِنَ الرَّاحِ ، وَأَعْطَرَ مِنْ زَهْرِ الرِّبَا تَفْتَحَتْ أَكْأَمُهُ عِنْدَ الصَّبَاحِ
وَمَقْبَلِ عَذْبِ كَأَنَّ رِضَابَهُ بَرْدٌ وَرَاحٌ

وَخَدُّ أَمْسَى شَقِيقِ الشَّقِيقِ ، وَمَبْسِمٍ يُرَشِّفُ مِنْ شِفَاهِهِ الْعَقِيقِ الرَّحِيقِ
شِفَةَ كَحْمَرِ الْعَقِي * قِ وَمَبْسِمٍ مِثْلُ الْأَفَاحِ (١)

وَصُدِّغَ سَالٍ عَلَى خَدِّهِ الْقَانِي ، وَامْتَدَّ كَدَمِعِ حَبَّةِ الْأَسِيرِ الْعَانِي
صَبَّ لَهُ دَمْعٌ كَصُدُغِكَ سَائِلٌ * فَعَسَاكَ يَا مَثْرَى الْجَمَالِ تُوَايِسِي
وَخَصِرِ لَطْفِ وَدَقِّ ، وَعَلَاهُ كَثِيبُ رَدْفٍ فَأَتَمَلَهُ حَتَّى ضَنِي وَرَقَّ
يَا رَدْفَهُ رَفَقًا عَلَى خَصِرِهِ * بَيْنَمَا حَرَمَةٌ جِيرَانِ

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ حَسَنِ قَصْرِ عَنِ وَصْفِهَا قَلَمِي ، وَعَجَّزَ عَنِ حَصْرِهَا كَلَمِي ؛
وَأَشْفَقْتُ مِنْ شَرْحِهَا خَوْفًا أَنْ أُنَمَّ عَلَيْهِ ، أَوْ أَذْكَرَ مَا تَفَرَّدَ بِهِ مِنَ الْحَسَنِ فَأَكُونُ

(١) يريد بالشقيق : شقائق النعمان ، وهو زهر أحمر ، وإنما أضيف إلى النعمان لأن النعمان بن المنذر
حمى أرضاً فكثرت فيها هذا النبات ؛ وقيل : النعمان اسم للدم ، وشقائقه : قطعه ، فشبهت حمرة هذه الزهرة
بحمرة الدم .

(٢) الأفاحي بفتح الفاء وتشديد الهمزة : جمع أخوان ، وهو من نبات الربيع ، دقيق العيدان ، له نور
أبيض كأنه نقرجارية حديثة السن ؛ وهو المسمى بالبانونج والبانونك عند الفرس .

قد أشرتُ إليه ؛ وأنا قد تدرعتُ ثوبَ الكتان ، وتسترَّتُ حتى غاض مني الدمعُ
وأغضى الطرفُ وسكت اللسان

يقولون من هذا الذي مُتَّ في الهوى * به كَافَا يَا رَبِّ لَا عَلِمُوا الَّذِي
غَيْرَ آتَى قَدِ مَتَعَتْ بِذِكْرِ مَلَاَحْتِهِ فُوَادِي ، وَلَا بَدَأَ أَنْ أُوْرِدَهَا مَجْمَلَةً لِأَنَّهَا بَلْفِظْهَا
المُعَادَى

- حكاه من الغصن الرطيبِ وَرَيْقُهُ * وما الخمرُ إِلَّا وَجْتَاهُ وَرَيْقُهُ
هالالٌ ولكن أفقُ قلبي محله * غزالٌ ولكن سفحُ عيني عقيقه
بديعُ الثننى راح قلبي أسيره * على أن دمعي في الغرام طليقه
أقرَّ له من كلِّ حسنٍ جليله * ووافقته من كلِّ معنى دقيقه
من الترك لا يصيبه وجدُّ إلى الحمى * ولا ذكرُ باناتِ الغويرِ يُسْوَقه^(٣)
ولا حلَّ في حىِّ تلوح قبابه * ولا ساق في ركبٍ يساق وسيقه^(٤)
ولا بات صبا للفریق وأهله * ولكن إلى خاقان يعزى فريقه
يهدد منه الطرف من ليس خصمه * ويُسكر منه الریق من لا يذوقه
على خده جمر من الحسن مضم * يُسبِّ ولكن في فوادی حريقه
له ميسم ينسب المدام بريقه * ويُججل نوارَ الأقاحي بريقه

(١) في الأصل : « لالهد » ؛ وهو تحريف لا يظهر له معنى .

(٢) بلفظها : أى بذكرها ، فالمراد من اللفظ المصدر ، أى التلظظ .

(٣) الغوير : ماء لكلب بأرض السماوة بين العراق والشام ؛ وقال أبو عبيد السكوني : إنه ماء بين

العقبة والقاع في طريق مكة .

(٤) كذا في الأصل ؛ ولعل المراد بالوسيقى : الموسوق ، فعيل بمعنى مفعول أى الذى حمل عليه الوسوق

بفتح الواو وهو الحمل .

(٥) فريق بالتصغير : اسم موضع بهامة ، كما في معجم البلدان والقاموس ، وهو فيهما غير معترف بأداة

التعريف .

قال الراوى : فأعلمته ما خامر قلبي من هواه ، وبذلتُ نفسى آبتغاء لرضاه
بثتُ له سرى ونحن بروضةٍ * فمالت لتصغى للحديث غصونُ
فتلقى ضراعتى بالرحب والإقبال ، وسفر عن وجه الرضا فبشرتُ نفسى ببلوغ الآمال ؛
وقلت :^(١)

تذلتُ فى الشكوى إليه فرق لى * حنوا لدمعى فى الهوى وتذلى
غزال لبستُ السقم خلعة جفنه * على أنى فيه خلعت تجلى
تعلل بالأعدار حتى خدعتُه * بسحر الرق أفيده من متعلل
فراقب إغفاء الرقيب وهجمة الـ * سـمير وراعى حين غفلة عدلى
ووافى أبا الأشواق حلف صباية * أسير هوى من وجدته فى تامل
فلم أر روضا كان أحسن بهجة * - لعمر الهوى - من وجهه المتهلل
فأعظمت مسراه وقبلت خاضعا * ثرى خطوه شكرا لفضل التطول

وأنعطف على أنعطاف الغصن الرطيب ، وتمازجت قلوبنا حتى أشكل على^(٢)
أينا الحبيب ؛ وفزت منه ببديع جمال تلذبه النفوس ، ورشقت من رضابه أحلى
ما ترشقه الأفواه من شفاه الكؤوس

تعلقته صائدا للقلوب * بالحاظه سالبا للنهى
بديع الجمال إذا ما بدا * ترى فيه للعين مستنزها^(٣)
فكم فيه للعين من روضة * وكم فيه للنفس من مشتهى

(١) فى الأصل : « وقال » ؛ وما باق بعده من الشعر يقتضى ما أثبتنا .

(٢) فى الأصل : « أتيا » ؛ وهو تصحيف .

(٣) قال المطرزى فى المغرب : الاستزاه بمعنى التنزه غير مذكور إلا فى الأحاديث ٥١ .

يا حسنه لما أتى بوعد وعلى غير وعد ، ويا لذادة قريه ، ويا حراره ما ذفناه بعدها
من هجرٍ وصدبٍ ، فلم نزل على ذلك مدّةً أغفى الدهرُ عنا فيها ، أقضى حياةً طابت
تلذذا وترّيفها

رعى الله محبوباً نعمتُ بوصيله * وقد بعدتُ عنا الغداةَ عيونُ

٥ حتى شعرُ بنا الدهرُ الخؤون ، ورماني بسهم فرقةٍ أبعدتُ ألمني وجلبتُ ألمانون ؛
وعلم بما كتمناه الرقيب ، وعجز عن داء قلبي الطيب

لو كان للعشاق حظُّ في الهوى * ما كان يُخلقُ في الزمان فراقُ

فتجزّعتُ بعد الشهد علقما ، ولم أستطع أفتحُ من الحزن فماً ؛ وهمتُ في ساحة الشوق
والآلتباح ، وفضحتني الأدمع التي طال بها على المحبين الأفتضاح^(١)
^(٢)

١٠ لا جزى الله دمعَ عيني خيراً * وجزى الله كلّ خيرٍ لساني

تمّ دمعى فليس يكتم شيئاً * ووجدتُ اللسانَ ذا كتمانٍ

كنتُ مثلَ الكتابِ أخفاه طيُّ * فأستدلّوا عليه بالعنوانِ

فاذا هو مرُّ المذاق ، وأمنع الدمعَ فيقول : وهل خبايتي لأعظم من يوم الفراق

أبى الوجدُ أن يُخفيه قلبٌ متيمٌ * يكابده والدمعُ يبيديه والضنى

١٥ (١) يريد : أن أفتح ؛ فأن في هذه العبارة محذوفة ، وقد أجاز الأخفش حذفها مع رفع الفعل بعدها

وجعل منه قوله تعالى : (أفغير الله تأمروني أعبد) الآية ، « وتسمع بالمعيدي خير من أن تراه » برفع
« أعبد » و « تسمع » وظاهر شرح التسهيل موافقته حيث قال في قوله تعالى : (ومن آياته يريكم البرق) :

أن « يريكم » صلة أن حذف وبقي الفعل حرفوا ، وهذا هو القياس ، لأن الحرف عامل ضعيف تحذفه بطل
عمله اه . وأما حذف أن مع نصب الفعل بعدها فهو شاذ عند البصريين في غير المواضع المنصوص

عليها في كتب القواعد .

٢٠

(٢) في الأصل : « الأرتباح » بالراء ؛ وهو تحريف إذ لم نجد له معنى يناسب السياق . والالتباح

في الأصل : شدة العطش من اللوح بفتح اللام ، والمراد هنا الهيام والعشق لشبههما بالعطش في شدة الغليل .

وكم ذاب القلب حسره، وتفتتت الكبد في تلك الفترة؛ على حلوة أبت فيها حرنى،
وأفسح فيها المجال الذى ضاق به عطنى؛ فلم أظفر بحلوة فى لمحة بصر، ولا فزت
بذكر كلمة أفرج بها ما عرض من حصر

تعزضت من شوق إليه فأعرضا * ولولا الهوى لم أمنح الحب مبعضا
وُبُحْتُ إليه أن عندى رياضة^(١) * عليه وما تلك الرياضة عن رضا
قضى حبه أتى إذا عز في الهوى * أذل وإنى قد رضيت بما قضى
لقلبي من عينيه سُقمٌ وصحة * فكم مرة فى الحب داوى وأمراضا
مضى لى به عيشٌ بكيتُ لفقده * وهيات أن يرتد عيش إذا مضى

وبليت بريقب قد سلب الله من قلبه الإيمان، وسلطه على بغلظ الطباع وفضاظة
اللسان؛ كأنه شيطان لا بل هو بعينه، لكننه أربى عليه فى بهتانه ومينيه؛ يحاق^(٣) على
الكلمة الواحده، ولا يسمح بأن طرفى يمتد إلى تلك المحاسن التى غدت القلوب بها
واجده؛ يود لو غطى على بصرى، ويبدلنى مغيبي من محضرى؛ لا يفتر عن اللوم
والعدل، ولا يرى أن يقضى ساعاته إلا فى بذل الحيل؛ يرغب فى شتات شملى،
وانقطاع وصلى؛ وليس لى فى دفعه حيله، ولا فى الانتقام منه وسيله؛ وما زال
حتى أحال الحبيب عن وداده، وكدر ما صفا من حسن ظنه وأعتقاده؛ وأنا أروض

نفسا كادت تزوب، وأتسلى بأيام وصاله وأقول: لعلها ترجع وتؤوب

لئن ذقت مر الصبر أو ملح آدمعى * لقد أعدبت تلك المذاقات منبلى

(١) يريد بالرياضة هنا: ملازمة هواه والاعراض عن كل ما سواه، أخذنا من الرياضة عند
العباد وأهل التصوف.

(٢) فى الاصل: « وتلفت »؛ وهو تحريف.

(٣) يحاق، من المحافة بتشديد القاف: وهى المحاصمة والمنازعة لظهار الحق؛ وفى الأصل:

« يحاقق » بقاءين؛ وهو مما يجب فيه الإدغام.

فلم يقنع الدهر لى بذلك ، ولا رضى بالصد والعذل والهجر الذى هو أعظم
المهالك ؛ حتى قضى بالفرقة والبعد ، ورمتهى النوى بسهم فلم يخطئ ألفؤاد ؛ وكننت
أتعلل بالنظر ، وأقول : مشاهدة هذا الوجه القمرى عندى أكبر وطرب ؛ حتى

١٥

مِنَعْتُ الوصالَ والمشاهدة ، وَنَدَبْتُ قَلْبِي القريحَ بأدمع عيني الجامده

أحبابَ قَلْبِي لَقَدْ قَاسَيْتُ بَعْدَكُمْ * نَوَائِبًا صَبَّرْتَنِي فِي الهوى مَثَلًا

وَقَدْ تَعَجَّيْتُ أَنَّى بَعْدَ فِرْقَتِكُمْ * أَحْيَا وَأَيْسَرُ مَا لَاقَيْتُ مَا قَتَلَا^(١)

وَأَنْقَطَعْتُ عَنِّي الرِّسَالُ ، وَذَهَبَتْ لِدَاذُهُ مَا أَعْتَدْتُهُ مِنْ تِلْكَ الوَسَائِلِ

هَلْ مُخْبِرٌ عِنْدَكُمْ يَعْيشُ بِقَرِيهِ * مَيْتُ الرِّجَا وَالصَّبْرُ بَعْدَ إِيَّاسِ

أَحْبَابِنَا قَسِمًا بِسَاعَةِ وَصَلْنَا * لَمْ أَكْتَحِلْ مِنْ بَعْدِكُمْ نِعَاسِ

غَبِمَ فَعِنْدِي بِالفِرَاقِ مَا تَمَّ * فَتَنِي تَعُودُ بَعُودِكُمْ أَعْرَاسِي

وَدَوَى غَضَنُ السَّرُورِ بَعْدَ أَنْ كَانَ رَطِيبًا ، وَفَقَدْتُ لِنِدَاءِ أَلْمَى مَجِيبًا ؛ وَأَغْلَقْتُ

بَابَ الدَّعَى ، وَأَسْبَلْتُ هَوَاطِلَ أَدْمَعِي قَائِلًا لِلأَجْفَانِ : لَا تَحْشَى فَأَنْتِ مَنْفِقَةٌ

مِنْ سَعَى ؛ وَلَوْلَا التَّعَلُّلُ بِالذِّكْرِ ، وَالتَّأَمُّلُ فِي حَسَنِهِ الَّذِي تَشَكَّلُ فِي مِرَاةِ القَلْبِ

فَسَرَّ سِرًّا ؛ لَقَلْتُ :

كَأَنَّكَ قَدْ خَتَمْتَ عَلَى ضَمِيرِي * فَغَيْرُكَ لَا يَمِرُ عَلَى لِسَانِي

وَلِي عَيْنٌ تَرَاكَ وَأَنْتِ تَنَاسَى * كَمَا تَرُونُو إِلَيْكَ وَأَنْتِ دَانِي

وَأَقْرَبُ مَا يَكُونُ هَوَاكَ مِنِّي * إِذَا مَا غَابَ شَخْصُكَ عَنِ عِيَانِي

(١) في ديوان أبي الطيب المنبجي (ما قاسيت) والمعنى يستقيم عليه أيضا ؛ وهذا صدر بيت له من قصيدة

يملح بها سعيد بن عبد الله بن الحسين الكلابي المنبجي ؛ وتمام البيت :

* واليبين جار على ضعفي وما عدلا *

(٢) في الأصل : « والتأمن » بالنون ؛ وهو تحريف .

(٣) في الأصل : « بحسنه » بالباء ؛ وهو تحريف .

شَغَلتَ عن الوري بصرى وسمعى * كأنهما يَجِبُكَ مفردانِ
فها أنا لا أعاين ما بدا لي * سواك ولا أُصيخ لمن دعاني
ثم إنى فارقْتُ الحياه، وبذلتها راغبا في هواه ؛ ولم أزل كذلك الى أن ظهرت آثار
قريبه ، وسرى النسيم عَطِرا فعلمتُ قربَ ركبِهِ

وأذكرني ذاك الصبا زمن الصبا ^(١) * وما الشوقُ إلا ما تجدد بالذكرِ
فكاد قلبي يطير للقاءه ، ولولا تستره بَحِجْبِ الفؤاد لخرج من قوَّة برحائه ؛
وتذكرتُ كيف يكون اللقاء والاجتماع ، والرقباءُ قد أزمعوا على المنع والدِّفاع ،
وقلتُ : فارقني على غير رضا ، وجفاني من غير ذنب ، ونأى عني من غير وداع ؛
وها أنا في غيابهِ وحضورهِ ، وسخطهِ وسرورهِ ؛ لا أحولُ عن ودِّهِ ، ولا أرى
إلا الوفاءَ بمهدِهِ

هيهات ما وجدى عليك بزائل * فإلام يُطِنِبُ في الملامة عاذلي

ناشدتك العهد القديم ويومنا * يلوى الصريم وبانه المتمايل ^(٢)

هل تعلمن سوى هواك وسيلة * تدنى رضاك وقد جهلتُ وسائل ^(٣)

أدبتي حتى إذا تيمنتني * بحاسنٍ ومعاطفٍ وشمائل ^(٤)

وبحسِن وجهٍ لو تجلَّى في الدجى * سجد الصباحُ لضوئه المتكامل ^(٥)

ونواظِر سحارةٍ لحنونها * فضلُ الصناعة لا لساكنِ بابل

(١) الصبا بالفتح : ریح مهبا من مطلع الثريا إلى بنات نعش ؛ قاله ابن الاعرابي ، وتنبهتها صبيان
وصبيان ؛ وهي مؤنثة ، وإنما أراد هنا النسيم فأوردها بالنذكير .

(٢) عبارة الاصل : « وبانه المتمايل » وهو تحريف .

(٣) أراد بالمعاطف : مواضع الانشاء من البدن كالمخاضتين والجيد جمع معطف بفتح الميم وكسر
الطاء كما هو قياس اشتقاق اسم المكان من الفعل المكسور العين في المضارع .

(٤) يريد : صناعة السحر .

(٥) بابل : اسم ناحية منها الكوفة والحلة ينسب إليها السحر وانجر .

(١) ووقعت من قلمي بود قد جرى * مجرى دمي بجوانحي ومفاصلي

قاطعتي وسمعت قول حواسدي * وصرمت من بعد الوصال حبايلي^(٢)

ولرب ليل بث فيه مسهدا * فردا أسامر لوعتي وبلايلي^(٣)

أطوى على حرّ الغرام أضالعا * يطوين فيه على قداح النابيل^(٤)^(٥)

وهأنا أترقب وصله ، وأتوقع عدله .

أتراه من جور الصباية ينصف * ويرق للعاني عليه ويعطف

صب يرى السلوان عنه محرّما * فله إليه توله وتلهف

يا أهل كاظمة وحق هوكم^(٦) * قسا بكم وبغيركم لا يحلف

مشتاقكم ألف الصباية فيكم * فكأنه لسواكم لا يعرف

فعدوه منكم بالوصال تعلقة * ولكم بأن تعدوا الوصال ولا تفوا^(٧)

وحياتكم يرعاكم في بعدكم * ولقربكم في بعدكم يتشوف^(٨)

(١) في الأصل : « حوى » ؛ وهو تحريف .

(٢) الحبايل : الأسباب والعهود واحده حبال جمع حبل ، فحبايل جمع الجمع اللسان .

(٣) لعله « منه » أى من الغرام .

(٤) المراد بالقداح هنا السهام على طريق التجوز في استعمال اللفظ ، فان القداح في الأصل :

هى السهام قبل أن تراش وتركب فيها النصال ، واحده قدح بكسر القاف وسكون الـدال ، فاستعملها

في السهام ذات النصال مجاز مرسل باعتبار شأنها الأول .

(٥) النابيل : الراعى بالنبل ؛ والذي في الأصل : « البابل » بالباء في أوله ؛ وهو تصحيف اذ لم نجد له

معنى يناسب السياق .

(٦) كاظمة : جوعلى سيف البحر في طريق البحرين من البصرة ، بينها وبين البصرة مرحلتان ،

وفيها ركيا كثيرة وماؤها شروب ، وقد أكثر الشعراء من ذكرها .

(٧) نصب هذا اللفظ على الظرفية ، أى أنه يرعاكم ويتشوف لقربكم ما حيتهم ؛ ولا يجوز الإعراب

بالكسر على القسم لأن الفعل بعده لا يصلح أن يجعل جوابا له لعدم تأكيده باللام والنون .

(٨) عبارة الأصل : « ولبعدكم في قربكم » وفيها تقديم وتأخير مفسدان للبنى .

وليس لي ما أمّت به إلا صدق الغرام، والإقدام في حبه على ارتكاب الحمام
 جدّد عهد توأصل وتلاق * وأستبق لي رمقا فليس بيباق
 وآشفع إلى مارق من ترف الصبا * من وجنتيك برقة الأخلاق
 ما حقّ ذى قلب صفا لك وده * تقطيعه بقطعية وفراق
 مع داودا كيف استهنّت فكن أناال * موثوق^(٣) بي مولاي في الميثاق
 قال الراوى : فسمع شكواى وما أشكى ، وقابل رقتى بجفوة بها القلب أنكى^(٥)
 والطرف أبكى ؛ ولفق أعدارا ، وأقسمت عليه أن يزور فلم يرلقسمى إبارا
 هذا ما آتمق إيراده من كلامه - أدام الله علوه - في هذا الموضع ،
 وسنورد إن شاء الله من كلامه أيضا ماتقف عليه في آخر فن الحيوان في السفر
 الذى يليه إن شاء الله تعالى .

ذكر شيء من إنشاء المولى الفاضل

الصدر الكبير الكامل ؛ البارح الأصيل ، الأوحده النبيل ؛

تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني

هو الذى أتنق صناعة الأدب فى غرة شبابه ، وبرز على من آكتهل فى طلبها
 وشاب فى الترقى الى رتبها ، فما ظنك بأترابه ؛ وجارى ذوى الفضل فى الأقطار اليمانية

- (١) فى الأصل : « فى جنة » بالجيم والنون ؛ وهو تصحيف .
- (٢) يقال : ركبته وارتكبه ، كلاهما بمعنى واحد .
- (٣) كذا فى الأصل . وقوله : « أنا الموثوق بي » خير لقوله : « كن » واسمها ضمير مستتر ، أى كن أنت ، والعاقد مقدر فى جملة الخبر ، أى أنا الموثوق بي منك .
- (٤) يقال : أشكى فلان فلانا ، إذا أزال شكواه ، فاهمزة للسلب .
- (٥) كذا ورد هذا الفعل فى الأصل بالألف فى أوله ، والذى وقفنا عليه أنه يقال : نكأ القرحة بدون الألف فى أوله إذا قشرها بعد البرء وانظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ١٠٨ من هذا السفر .
- (٦) فى الأصل : « وجادى » بالذال ؛ وهو تحريف .
- (٧) عبارة الأصل : « بل فى الأقطار » ؛ وقوله : بل زيادة من النسخ .

- فقطع مجلّي الحلبه ^(١) ، وبارى نجباء الأفاضل بالملكه التّعزّية ^(٢) وكان المؤمل ^(٣) منهم بالنسبة إليه أرفعهم رتبه ؛ وسما إلى سما البلاغه فكان نجمها الزاهر ، وآرتقى إلى أفلاك البراعة فكان نيرها الباهر ، ورام من سواه الارتقاء إلى محله والمنأوة لفضله فغدا وهو في ذبول حيرته عاثر ؛ فعند ذلك علموا عجزهم عن إدراك غاياته ، واعترفوا بالتقصير عن مجاراته ومباراته ؛ وحين لم يجد لفضله مجاريا ، ولا عين لفضائله مباريا ؛ صار بها كالغريب وإن كان في أهله ووطنه ، والفريد مع كثرة أبنائه وإخوان زمنه ؛ فسمت به نفسه ^(٤) إلى طلب العلوم من مظانها ، والأحتواء عليها في إبانها ؛ وألحق بأعيان أهلها ، والأختلاط بمن آرتدى بأردية فضيلها ؛ ورؤية من توشح بقلائدها ، وترشّح لبذل فوائدها ونظم فرائدها ؛ ففارق الأقطار اليمنية وهي تسأله التأي ، وتبدل لرضاه الرغبة والتمنى ؛ وهو لا يجيب مناديا ولا يعرج على ناديا ، ولا يميل الى حاضرها ولا ينظر الى باديها ؛ وصرف وجهه عنها ، ونفض يده منها ؛ وألتحق بالديار

- (١) الخيل من الحلبه : السابق في الحلبه .
 (٢) في الأصل : « الثغرية » بناء مثلثة بعدها غين معجمة وراء ؛ وهو تصحيف إذ لم نجد وجهها لتخصيص الين بهذه النسبة . والتعزية : نسبة إلى تعز بفتح التاء وكسر العين وتشديد الزاى وهي قاعدة الين كما في القاموس ؛ وقال في التاج : انها مدينة عظيمة ذات اسوار وقصور ، كانت دار ملك بنى أيوب ثم بنى رسول من بعدهم اه . وقال أيضا في صحح الأعشى ج ٥ ص ٨ نقلا عن كتاب تقويم البلدان : إنها مقر ملوك الين يعنى من أولاد رسول . ثم قال : وهى حصن فى الجبال مطل على التهام وأراضى زبيد الخ .
 (٣) المؤمل بتشديد الميم المفتوحة : الثامن من خيل الحلبه .
 (٤) المناواة بالهمز والنواء بكسر النون : المفاخرة والمعارضة .
 (٥) فى الأصل : « والقرير » ؛ وهو تحريف .
 (٦) فى الأصل : « فتمت » بالنون ؛ وهو تحريف .
 (٧) قولهم : التحق به بمعنى لحق كلمة مولدة ؛ قال الصاغاني : لم أجده فيما درن من كتب اللغة فليجتنب ذلك انظر تاج العروس مادة «لحق» .

(١) المصرية، وأثبتت في طلب العلوم بأجل سريرة وأحسن سيرة وأخلص نية؛ فبلغ فيها مناه، وأدرك بها ما تمنّاه؛ وغدا وتغرّف فصاحته بالعلوم أشنّب، وبرّد بلاغته بالآداب مذهب

تتأهّى علاءً والشباب رداؤه * فما ظنكم بالفضل والرأس أشيب

ولما عينه أعيان أهل هذا الوادي، وشاهدوه يبكر في طلب العلوم ويغادي؛ تلقّوه بالإكرام والترحيب، وقابلوه بالتبجيل والتقريب، وأنزلوه بالمحلّ الأرفع والفناء الخصب؛ وعاملوه بمحض الوداد، وساواه شبابهم بالإخوة ومشايخهم بالأولاد؛ وخططوه بالنفس والمال، وظهر له في ابتداء أمره بقرائن الأحوال حسن المال؛ فأصبح من عدول المصر، وأمسى وهو من أعيان العصر؛ فشكر عاقبة مسيره وحمد صباح سراه، وأجاب له لسان الفضائل بالتلبية لما دعاه؛ ثم ارتحل إلى الشام فجعل دمشق مقرّ وطنه، وموطن سكنه؛ ومحلّ استفادته وإفادته، ونهاية رحلته وغاية إرادته؛ فعامله أهلها بفوق ما في نفسه، فحمد يومه بها على أمسه؛ وغدا لأهل المصرين شاكرًا، ولمناقبهم تالياً ومحاسنهم ذاكرًا؛ وله من النظم ما رقت حواشيه، وراقت معانيه؛ ومن النثر ما عدّب وصفًا، وكلّ بلاغةً ولطفًا؛ وحسن إيجازًا، وتناسب صدورًا وإيجازًا؛ وقد قدّمنا من كلامه في هذا الكتاب ما بأسمه ترجمناه، ولنفضائله نسبناه؛ مما تفق عليه في مواضعه، وتفتدى بلبان مراضعه؛ فانورد له

(١) اثبت : انقطع ، أى انقطع عن الشواغل في طلب العلوم .

(٢) في الأصل : « بها » ، وهو مكرر مع ما بعده في الجملة الآتية .

(٣) كذا ورد هذا اللفظ في الأصل مجرورًا بالباء والذي في كتب القواعد أن « فوق » و « تحت »

من الظروف غير المنصرفه فخرهما بالباء كما هنا غير سائغ ، وأجاز بعض النحويين تصرفهما في نحو فوقك رأسك وتحثك رجلاك برفع فوق وتحث على الابتداء ، والذي حكاه الأخفش عن العرب في هذا المثال هو تصهما .

في هذا الباب غير ما تقدم إيرادُه وما تأخر، ونأخذ لتصنيفنا من بلاغته بالنصيب الأوفى والحظّ الأوفر.

فمن إنشائه كتاب عن الخليفة المستكفي بالله أمير المؤمنين أبي الربيع سليمان مَلِكِ اليمن^(١) — عمَلَه تجربةً لحاظه عند ما رُسم بمكاتبته، ابتداءه بأن قال :

أما بعد حمد الله مانح القلوب السليمة هداها، ومرشد العقول إلى أمر معادها ومبتدأها؛ وموفق من آخّاره إلى محجة صواب لا يضلّ سالكها، ولا تُظلم عند اختلاف الأمور العظام مسالكها؛ وملهم من أصطفاه آفتاء آثار السنن النبوية، والعمل بموجب القواعد الشرعية؛ والانتظام في سلك من طوّقه الخلافة عقودها، وأفاضت على سُدته الجليسة برودها؛ ومدّته أقاصى البلاد، وناطت بأحكامه السديدة أمور العباد؛ وسارت تحت خواقف أعلامه أعلام الملوك الأكاسره، وسرت بأحكامه النيرة مناجح الدنيا ومصالح الآخرة؛ وتجنّرت كل منبر من ذكره في ثوب من السيادة مُعلم، وتهلّت من ألقابه الشريفة أسارى كل دينار ودرهم؛ يحمده أمير المؤمنين على أن جعل أمور الخلافة بنى العباس منوطه، وجعلها كلمة باقية في عقبه إلى يوم

١٥ (١) في صبح الأعشى ج ٦ ص ٢٢٤، أن المكتوب إليه بهذه الرسالة هو الملك المؤيد هزبر الدين داود ابن الملك المظفر صلاح الدين يوسف بن رسول، وان هذه الرسالة كتبت في دولة الملك الناصر محمد ابن قلاوون في سنة سبع وسبعائة، وذلك حين منع صاحب اليمن الهدية التي جرت العادة بإرسالها إلى الأبواب الشريفة بالديار المصرية.

(٢) في الأصل: «وسدت» بالدال؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه وصف الأحكام بالنيرة؛ وعبارة صبح الأعشى ج ٦ ص ٢٢٤: «وشيدت بأحكامه مناجح» الخ بدون كلمة «النيرة» والمعنى يستقيم عليها أيضا.

(٣) كذا في صبح الأعشى؛ وقد وردت هذه الكلمة في الأصل مهملة من النقط.

القيامة مَحُوطه ؛ ويصلى على ابن عمه محمد الذي أحمده الله ببعثه ما ثار من الفتن ،
 وأطفأ برسالته ما أضطرم من نار الإحن ؛ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين
 حموا حمى الخلافة فدادوا عن مواردِها ، وتجهزوا لتشييد المعالم الدينية فأقاموها^(١)
 على قواعدها ؛ صلاة دائمة الغدو والرواح ، متصلا أو قطبا بطرة الليل وآخرها بجبين
 الصباح ؛ هذا وإن الدين الذي فرض الله على الكافة الأضمام الى شعبه ، وأطلع فيه
 شمس هداية تشرق من مشرقه ولا تغرب في غربه ؛ جعل الله حكمة بأمرنا
 منوطا ، وفي سلك أحكامنا مخروطا ؛ وقلدنا من أمر الخلافة سيفا طال نجادُه ،
 وكثر أعوانُه وأنجادُه ؛ وفوض إلينا أمر الممالك الإسلامية فإلى حرمنا تُجبي ممراتها ،
 ويُرفع الى ديواننا العزيز نفيا وإثباتها ؛ يخلف الأسد إن مضى في غابه شبلة ، ويُلقى
 في الخبز والخبر مثله ؛ ولما أفاض الله علينا حلة الخلافة ، وجعل حرمنا الشريف محل
 الرحمة والرافة ؛ وأفعدنا على سدة خلافة طالما أشرفت بالخلائف من آبائنا ، وآبئناجت
 بالسادة الغطاريف من أسلافنا ؛ وألبسنا خلعة هي من سواد السؤدد مصبوغة ، ومن^(٤)

(١) كذا في الأصل ؛ والذي في صحيح الأعشى : « وعمدوا » ؛ والمعنى يستقيم على بكتنا الروايتين والتجهز للأمر : التهيؤ له .

(٢) قال في مستدرک (التاج) مادة « خرط » نقلا عن شيخه مانصه : استعمل الناس كثيرا الانخرط بمعنى الانتظام والدخول ، كانخرط في السلك اذا انتظم فيه وقد وقع في كلام الفصحاء الثقات من علماء اللسان كالسكاكي والزمخشري وأصراهما ، ولا يكاد يوجد في كلام العرب ونصوص أهل اللغة ما يؤيده ثم رأيت الشهاب وقع له مثل هذا ، ولكنه رحمه الله وقع في جامع اللغة لابن عباد على قولهم : خرطت الجواهر ، جمعها في الخرطة ؛ قال : فعلت أنهم تجوزوا به عن جعلها في العقد الخ .

(٣) الأنجاد : الشجعان الماضون فيما يعجز غيرهم ، واحده : « نجد » بفتح النون مع كسر الجيم وضمها وزان كتف ورجل .

(٤) في الأصل : « العصاريف » بالعين والصاد ؛ وهو تصحيف ؛ والغطاريف من الناس : أشرفهم وسراتهم .

- سوادِ العيونِ وسويداواتِ القلوبِ مَصُوغُه ؛ وأمضينا على سُدَّتنا أمورَ الخاصِّ والعامِّ ،
وقلِّدنا أربابَ الكفايةِ كلَّ إقليمٍ من عملنا ممن تصلحُ سياستُه على الدوامِ ؛ وأستكفينا
بالكُفَّةِ من عمالنا على أعمالنا ، واتخذنا مصرَ دارَ مُقامنا ، وبها سُدَّةُ مقامنا لما
كانت في هذا العصرِ قبةَ الإسلامِ ، وفيمةَ الإمامِ ،^(١) وثانيةَ دارِ السلامِ ؛ تعيَّن علينا أن
تتصقحَ جرائدِ عمالنا ، وتتأتملَ نظامَ أعمالنا ؛ مكانا فكاننا ، وزمانا فزمانا ؛ فتصقحناها
فوجدنا قطرَ اليمنِ ، خاليا من ولايتنا في هذا الزمنِ ، والعادةُ مستمرةٌ بأن لم تنزلْ نوابنا
في بلادِ اليمنِ ؛ عرَّفنا هذا الأمرَ من آتخذناه للمالكِ الإسلاميةِ عينا وقلبا ، وصدرا ولبا ؛
وقوضنا إليه أمرَ الممالكِ الإسلاميةِ فقام فيها قياما أقعد الأضدادَ ، وأحسنَ في ترتيبِ
ممالكنا نهايةَ الإصدارِ وغايةَ الإيرادِ ؛ وهو السلطانُ الأجلُّ السَيِّدُ الملكُ الناصرُ ، لا زالت
أسبابُ المصالحِ على يديه جارِيه ، وسخائبُ الإحسانِ من أفاقِ راحتِه ساريه ؛
فلم يُعَدَّ جوابا لما رسمناه ، ولا عذرا عما ذكرناه ؛ إلا تجهيزَ شَرِذمةٍ من جمحله
المنصوره ، وتعيينَ أناسٍ من فوارسه المذكوره ؛ يقتحمون الأهوالَ ، ولا يعبأون

- (١) وفيمة الإمام : أي محل فينته ؛ والفيمة : الرجوعُ كالنفي من فاء يفيء اذا رجع ؛ يريد أن
مصر هي التي رجعت إليها الامامة العباسية ؛ وكان ذلك بعد سقوط بغداد في يد هولاء كوك ملك التتار في سنة
١٥ ست وخمسين وستمائة كما في تاريخ أبي الفداء ج ٣ ص ٢٠٢ طبع القسطنطينية ؛ وكان رجوع الامامة العباسية
ثانيا في سنة تسع وخمسين وستمائة على يد الملك الظاهر ركن الدين بيبرس — وهو الرابع من ملوك الترك
بالديار المصرية — وكان أول خليفة بايعه الملك الظاهر هو الامام أحمد بن الخليفة الظاهر بأمر الله ، ولقب
بالمستنصر بالله ؛ ولم يبق بمصر ، والذي أقام بها هو الخليفة الحاكم بأمر الله أحمد بن علي بن أبي بكر ابن
الخليفة المسترشد بايعه الملك الظاهر أيضا في سنة ستين وستمائة وأسكنه في مناظر الكباش التي أنشأها الأمير
أحمد بن طولون ؛ والحاكم بأمر الله هذا هو جد الخلفاء الذين تولوا الخلافة بمصر انظر بدائع الزهور
لابن إياس في حوادث سنتي تسع وخمسين وستمائة وستين وستمائة .
(٢) في الأصل : « فوجدناها » ؛ والهاء زيادة من التانيخ .
(٣) لم ترد هذه الجملة في صحيح الأعتشى .

بتغيّرات الأحوال ؛ يرون الموت مغنا إن صادفوه ، وشسبا المرهف مكسبا إن
 صاحفوه ؛ لا يشربون سوى الدماء مدامه ، ولا يلبسون غير الترائك^(١) عمامه ؛
 ولا يعرفون طربا إلا ما أصدره صليل الحسام من غنا ، ولا يتزلون قفرا إلا وأنبت
 ساعة تزولهم عن صهوات خيلهم قنا ؛ ولما وثقنا منه بإنفاذهم راجعنا رأينا الشريف
 فافتضى أن نكاتب من بسط يده في ممالكها ، وملك جميع مسالكها ؛ واتخذ أهلها
 خوفا ، وأبدى في خلال ديارها من عدم سياسته خلا ؛ فبرز مرسومنا الشريف
 النبوي أن نكاتب من قعد على تخت مملكتها ، وتصرف في جميع أمور دولتها ؛
 فطولع بأنه ولد السلطان المظفر يوسف بن عمر الذي له شبهة^(٣) تمسك بأذيال
 المواقف المستعصمية ، وهو مستصحب الحال على زعمه ، أو ما علم الفرق بين
 الأحياء والأموات ؟ أو ما تحقق الحال بين النفي والإثبات ؟ أصدرناها
 إلى الرحاب التعزية ، والمعالم العينية ؛ تُشعر من تولى فيها فاستبدت ، وتولى كبره
 فلم يعرج على أحد ؛ أن أمر اليمن ما برحت حكامنا ونوابنا تحكم فيه بالولاية
 الصحيحة ، والتفويضات التي هي غير جريحه ؛ وما زالت تمجلى إلى بيت المال
 المعمور ما تمشى به الجمال^(٧) وثيدا ، وتقذفه بطون^(٨) الجوارى الى ظهور

١٨

(١) الترائك جمع تريكه ، وهي بيضة الحديد التي تلبس على الرأس في الحرب .

(٢) كذا وردت هذه الكلمة في الأصل وصحح الأعرشي ج ٦ ص ٤٢٤ .

(٣) كذا في صحح الأعرشي ؛ والذي في الأصل : « سه » بسين مهملة وهاءين ؛ وهو تحريف لامعنى له .

(٤) المستعصمية : نسبة إلى المستعصم بالله آخر الخلفاء العباسيين ببغداد ، وهو الذي قتله هولاءكو

ملك التتار في سنة ست وخمسين وستائة .

(٥) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ١٥٠ من هذا السفر .

(٦) في الأصل : « صريحة » وهو تحريف يفسد المعنى ؛ والتصويب عن صحح الأعرشي ج ٦ ص ٤٢٤

(٧) مشى مشيا وثيدا ، أى على تودة وتأن ؛ يريد أن ثقل ما تحمله هذه الجمال قلل من خطوها .

(٨) أراد بالجوارى : السفن .

١٥

٢٠

يَعْمَلَاتٍ وَيَلِيدَا ؛ وَتَطَالُعُنَا بِأَمْرِ مَصَالِحِهِ وَمَفَاسِدِهِ ، وَبِحَالِ مَعَاهِدِهِ وَمَقَاصِدِهِ ؛^(٢)
 وَلِكِ اسْوَةِ بَوَالِدِكَ السُّلْطَانَ الْمَلِكِ الْمُظْفَرَ ، هَلَّا أَقْفَيْتَ مَا سَنَّه مِنْ آثَارِهِ ،
 وَنَقَلْتَ مَا دَوَّنْتَهُ أَيْدَى الزَّمَنِ مِنْ أَخْبَارِهِ ؛ وَاتَّصَلْ بِمَوَاقِفِنَا الشَّرِيفَةِ أُمُورٌ صَدْرَتْ
 مِنْكَ : مِنْهَا - وَهِيَ الْعَظْمَى الَّتِي تَرْتَّبُ عَلَيْهَا مَا تَرْتَّبُ - قَطْعُ الْمِيرَةِ عَنِ الْبَيْتِ^(٣)
 الْحَرَامِ ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ وَإِدْ غَيْرُ ذِي زَرْعٍ ، وَلَا يَحْتَلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَطَرَّقَ إِلَيْهِ بِمَنْعٍ ؛
 وَكَفْتِكَ الْآيَةَ^(٤) دَلِيلًا عَلَى مَا صَنَعْتَ ، وَبِرَهَانًا عَلَى مَا فَعَلْتَ ؛ وَمِنْهَا أَنْصِبَابُكَ^(٥) عَلَى تَفْرِيعِ
 مَالِ بَيْتِ الْمَالِ فِي شِرَاءِ هُوِ الْحَدِيثِ ، وَنَقْضِ الْعَهْدِ الْقَدِيمَةِ بِمَا تَبَدَّيْهِ مِنْ حَدِيثٍ ؛
 وَمِنْهَا تَعْطِيلُ أَجْيَادِ الْمَنَابِرِ مِنْ عَقُودِ أَسْمِنَا ، وَخَلْوُتِكَ الْأَمَّا كَنْ مِنْ أَمْرِ عَقْدِنَا
 وَحَلَّتْنَا ؛ وَلَوْ أَوْضَحْنَا لَكَ مَا أَتَّصَلُ بِنَا مِنْ أَمْرِكَ لَطَالَ ، وَلَا آتَسَعْتَ فِيهِ [دَائِرَةٌ]^(٦)
 الْمَقَالِ ؛ رَسَمْنَا بِهَا وَالسَّيْفُ يَوَدُّ لَوْ سَبَقَ الْقَلَمَ حُدَّهُ ، وَالْعَلْمُ الْمَنْصُورُ يَجِبُ لَوْ فَاتَ
 الْقَلَمَ وَأَهْتَرَّتْ بَتْلُكَ الرَّوَابِي قُدَّهُ ؛ وَالْكَتَائِبُ الْمَنْصُورَةُ تُخْتَارُ لَوْ بَدَرَتْ عِنْوَانَ الْكُتَابِ
 وَ[أَهْلُ] الْعِزْمِ وَالْحِزْمِ يَوَدُّونَ إِلَيْكَ إِعْمَالَ الرَّكَّابِ ؛ وَالْجَوَارِي الْمُنَشَّاتُ قَدْ^(٧)

(١) اليعمالات : جمع يعملة ، وهي الناقة النجيبة المعتملة المطبوعة على العمل ؛ ولا يوصف به ، وإنما هو اسم ، والياء فيه زائدة .

١٥ (٢) عبارة صبح الأعشى : « وبحال دياره ومعاهده » .

(٣) في الأصل : « بها » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

(٤) يريد بالآية قوله تعالى حكاية عن سيدنا إبراهيم الخليل صلوات الله تعالى عليه : (ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع) الخ الآية .

(٥) يقال : انصب البازي على الصيد إذا انقض عليه ، وما هنا مستعار منه .

٢٠ (٦) في الأصل : « في سرى » ؛ وهو تحريف .

(٧) لم ترد هذه الكلمة في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن صبح الأعشى ج ٦ ص ٤٢٥ .

(٨) « لو بدرت عنوان » الخ أى لو سبقته إلى حربك ؛ يقال : بدرت فلانا إلى الأمر وبادرته ، إذا سابقته إليه .

(٩) لم ترد هذه الكلمة في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن صبح الأعشى إذ بها يستقيم الكلام .

تكوّن من ليلٍ ونهار، وبرزت كصور القيلة لكنهما على وجه الماء كالأطيار،
 وما عمدنا إلى مكاتبتك إلا للإنذار، وما جنحنا لمخاطبتك إلا للإعذار؛ فأفليح عما^(٢)
 أنت بصدده من الخيلاء والإعجاب، وانتظم في سلك من استخلفناه على أعمالنا
 فأخذ يمينه ما أعطى من كتاب؛ ووضن بالطاعة نفوس من زعمت أنهم مقيمون
 تحت لواء علمك، ومنتظمون في سلك أوامر كلمك، وداخلون تحت طاعة قلمك؛
 فلسنا نثن الغارات على من نطق بالشهادتين لسانه وقلبه، وأمثل أوامر الله
 المطاعة عقله ولبه؛ ودان الله بما يجب من الديانة، وتقلد عقود الصلاح وانتحف^(٣)
 بمطارف الأمانة؛ ولسنا ممن يأمر بتجريد سيف الالهي من علمنا أنه خرج عن
 طاعتنا، ورفض كتاب الله ونزع عن مبايعتنا؛ [فأصدرنا] ^(٥)مرسومنا هذا إليه
 يقص عليه من أبناء حملنا ما أطال مدة دولته، وشيد قواعد صولته؛ ويستدعي
 منه رسولا إلى مواقفنا الشريفة، ورحاب ممالكنا المنيفة؛ لينوب عنه في قبول
 الولاية مناب نفسه، وليجني بعد ذلك ثمار شفقاتنا إن غرس شجر طاعتنا ومن
 سعادة المرء أن يجني ثمار غرسه؛ بعد أن يصحبه من ذخائر الأموال ما كثر
 قيمة وخف حملا، وتعالى في القيمة رتبة وحسن مثلا؛ وأشرط على نفسك في كل

(١) في الأصل وصبح الأعشى: «الافيلة»؛ ولم نجد هذا الجمع فيما راجعناه من كتب اللغة، وأنكره
 ابن السكيت.

(٢) في الأصل: «عهدنا» بالهاء؛ وهو تحريف.

(٣) دان الله: أي أطاعه، يقال: دننته وذننت له، وهو من الدين بمعنى الطاعة (انظر اللسان).
 وقال في الأساس: دانوه، أي اتقادوا له.

(٤) هذه الباء ساقطة من الأصل وصبح الأعشى؛ واللغة تقتضي إثباتها.

(٥) لم ترد هذه الكلمة في الأصل، وقد أثبتناها عن صبح الأعشى ج ٦ ص ٢٥٥ إذ هما يستقيم الكلام.

(٦) تعالى: أرتفع وفي المحكم: كل ما ارتفع فقد غلا وتعالى انظر تاج العروس. والذي في صبح الأعشى:
 «وتعالى» بالعين المهملة؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا.

(٧) عبارة صبح الأعشى: «وتعالى رتبة» الخ بدون قوله: «في القيمة» والمعنى يستقيم عليه أيضا.

- (١) سنة قطيعة ترفعها الى بيت المال، وإياك ثم إياك أن تكون عن هذا الأمر ممن مال ؛ ورثب جيشا مقيا تحت لواء علم السلطان الأجلّ الملك الناصر للقاء العدو المخذول التتار، ألحق الله أولهم بالهلاك وآخهم بالبوار؛ وقد علمت تفاصيل أحوالهم المشهورة، وتوارخ سيرهم المذكورة ؛ وأحترص^(٢) على أن يخصك من هذا المشرب السائخ أوفى نصيب، و [أن تكون] من جهز جيشا في سبيل الله فرمى بسهم فله أجر^(٣) .
- كان مصيبا أو غير مصيب ؛ ليعود رسولك من دار الخلافة بتقاليدها وتشاريفها حاملا أهلة أعلامنا المنصورة، شاكرا بر مواقفنا المبرورة ؛ وإن أبى حالك إلا أن^(٤) استمرت على غيبك، واستمرت مرعى بغيك ؛ فقد منعناك التصرف في البلاد، والنظر في أحكام العباد ؛ حتى تطأ خيلنا العتاق مشمخزات حصونك ، وتعجل حينئذ ساعة منونك ؛ وثمسي لهوادي قلاعك عقودا ، ولعرائس حصونك نهودا ؛ وما علمناك غير ما علمه قلبك ، ولا فهمناك غير ما حدسه لبك ؛ فلا تكن كالصغير تزيد كثرة التحريك نوما ، ولا ممن غره الإمهال يوما فيوما ؛ وقد أعلمناك ذلك فاعمل بمقتضاه، موقفا إن شاء الله تعالى ؛ والحمد لله وحده .

(١) القطيعة : الضريبة والوظيفة .

١٥ (٢) يقال : احترص واحرص ، كلاهما بمعنى واحد .

(٣) النكلة عن صبح الأعشى ج ٦ ص ٤٢٦ .

(٤) المشهور في كتب اللغة أن الحال تذكر كما هنا وتوثق ، فيقال : حال حسن ، وحال حسنة

(المصباح) .

(٥) حدس : ظن ظنا مؤكدا ، « المصباح » والمراد بالحدس هنا : اليقين . كما يستعمل الظن في معي

٢٠ اليقين أيضا كقوله تعالى : (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم) الآية .

١٩

ومن إنشائه تقليد السلطان الملك الناصر لما ترك الديار المصرية وأقام بالكرك^(١) - وكتب له بذلك من ديوان الإنشاء عن الملك المظفر ركن الدين، فلم يمكن الكاتب الإطناب، ولا وسعه غير الاختصار^(٢)، فلم يرُضه الكتاب، وعمل جماعة منهم في ذلك تجربةً لخواطهم ولم يكتب بشيء منها فعمل هو - :

الحمد لله مدبر الأمر على ما يشاء في عبادته، ومنقل آل حال على حكم اختياره ووفيق مراده، ومجرب أسباب الممالك على يد من آختره من عبادته لإصدار الأمر وإيراده، ومجيب من أصبح قاصداً بآبه الشريف والزهادة فيما حوله من اعتقاده، ومعز من أضحى له من حقونا ركن^(٣) استند إليه الدهر في استناده، يلبى دعوة مرامه حيث كان من بلاده، ويحجب داعي نداءه وإن بعد فيكون أقرب من سره إلى فؤاده؛ يذب عن حوزة نسائه بيض مرهقاته وسمير صعاذه، ويحجي بيضة جاهه بالغلب من أشياعه والجرود من جياده؛ نحمده على أن جعل موالاتنا لهذا البيت الشريف المنصوريّ تستديم عهوده، وتلتحف من المحافظة على أمراضه الشريفة في كل حال بروده؛ وترد من القيام بواجب حقه أعذب منهل شرعه الصفاء وسنه، وأكد موالاته أوفاءً وحسن أوفاء من شعار أهل السنة؛ ونشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له شهادة ترفع أعلام الهدى بكلمها، وتُخمد نار الشرك بنور هداية

(١) الكرك بفتح الكاف والراء كما ذكره ياقوت: اسم لقلعة حصينة جدا في طرف الشام من نواحي البلقاء في جبالها بين أيلة وبحر القازم والبيت المقدس، وهي على سن جبل عال، تحيط بها أودية إلا من جهة الريض.

(٢) في الأصل: «عن»؛ وهو تحريف.

(٣) في الأصل: «حقونا» بالحميم؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا. والمراد بالحقو هنا: الجناب الذي يستجار به ويلتجأ إليه، وهو مجاز، والعرب تقول: عدت بحقوقه إذا عدت به ليمتعك قال الشاعر: سماع الله والعلماء أني * أعود بحقوقك خالك باين عمرو

- عَلَيْهَا وَعَلَيْهَا ، وَتُطَهَّرُ أَدِيمَ الْبَسِيطَةِ مِنْ أَرْجَاسِ الْكُفْرَةِ بِالْحَدِيثَيْنِ مِنْ غَرْبِي (١) .
 صَمَّامِهَا وَقَلَمِهَا ، وَتُرَوَّى كُلُّ قَطْرٍ أَصْبَحَ مَاحِلًا مِنْ قَطْرِي عَدْلًا وَنِعْمًا ؛ وَنَمُودُ
 أَنْ مَجْدًا عَيْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي كَانَتْ الزَّهَادَةُ مَلَكَ أَمْرُهُ [الْمَلُوكُ] (٢) تَحْتَ وَطَاءِ
 أَقْدَامِهِ ، وَالْمَلَائِكَةُ يُحْفَوْنَ مِنْ حَوْلِهِ وَهِيَ أَمَامِهِ ، وَمَعَادُنُ الذَّهَبِ تُعْرَضُ عَلَيْهِ (٣)
 فَيَسَاوِي لَدَيْهِ لَزَهَادَتِهِ بَيْنَ نُضَارِهِ وَرَغَامِهِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً
 تُحَاكِي أَرْجَ الصَّبَا وَقَدْ سَرَى عَنْ خَزَامِهِ ، وَتُضَاهِي فَتِيْقَ الْمَسْكَ وَقَدْ تَنَفَّسَ عَنْ (٤)
 خَتَامِهِ ، مَشْفُوعَةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِرِضْوَانِهِ وَسَلَامِهِ ؛ وَبَعْدَ ، فَإِنَّهُ لَمَّا كَانَ
 الْمَقَامَ الْعَالِي الْمَلِكِي الْفَلَائِي هُوَ الَّذِي رَبَّتْهُ الْمَالِكُ فِي حَجْرِهَا وَوَلَدًا ، وَخَوْلَتُهُ السَّلْطَنَةُ
 الشَّرِيفَةُ مِنْ نَفَاسٍ ذَخَائِرُهَا طَارِفًا وَتَلِيدًا ؛ وَبَوَّأَتْهُ مِنْ مَرَاتِبِ الْعِزِّ أَقْصَى غَايَةِ
 لَا تَرَامُ ، وَأَبَادَتْ بِمَرْهَفِهِ الْبِتَّارَ جَمَعَ التَّتَارَ الطَّغَامَ ؛ وَاسْتُخْدِمَتْ لِعَاطَتِهِ جَيْشَيْنِ :
 جَيْشَ نَهَارٍ بَكَرَ فِيهِ مَوَالِيَهُ عَلَى أَعْدَائِهِ بِسَابِقِ خَيْلِهِ وَمَرْهَفِ حَسَامِهِ ، وَجَيْشَ لَيْلٍ
 تَبَسَّطَ أَوْلِيَاءُ دَوْلَتِهِ أَكْفَهُمُ لِلدَّعَاءِ بِبِقَائِهِ فِي جَنَحِ ظَلَامِهِ ؛ طَالَمَا هَزَّتْ الْمَنَابِرُ
 أَعْطَافَهَا طَرْبًا عِنْدَ ذِكْرِ أَسْمِهِ ، وَأَزْدَادَاتُ وَسَامَةِ الدِّينَارِ حُسْنًا لَمَّا شَرَّفَهَا بِحَسَنِ

- (١) فِي الْأَصْلِ : «عَزَى» ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .
 (٢) لَمْ تَرِدْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي الْأَصْلِ ؛ وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي إِبْنَاتِهَا .
 (٣) لَعَلَّه : «مَنْ خَلْفَهُ» كَمَا تَدُلُّ عَلَيْهِ مَقَابِلَتُهُ بِالْأَمَامِ .
 (٤) يَرِيدُ بِالْخَزَامِ : الْخَزَامِي ، وَإِنَّمَا أَسْقَطَ الْأَلْفَ لِضَرُورَةِ السَّجْعِ الَّذِي التَّزَمَهُ فِي هَذَا التَّقْلِيدِ ؛
 أَوْ لَعَلَّ الْخَزَامَ يَدُونَ الْأَلْفَ لَفَةً فِي «الْخَزَامِي» ، وَلَمْ تَجِدْهُ فِيمَا بَيْنَ أَيْدِينَا مِنْ كُتُبِ اللُّغَةِ غَيْرِ كِتَابِ أَقْرَبِ
 الْمَوَارِدِ ؛ وَالْخَزَامِي : خَيْرِي الْبَرِّ وَهِيَ عَشْبَةٌ طَوِيلَةُ الْعِيدَانِ ، صَغِيرَةُ الْوَرَقِ ، حَمْرَاءُ الزَّهْرَةِ ، طَيِّبَةُ الرِّيْحِ ،
 لَهَا نَوْرُ كُنُوزِ الْبَيْتِ فَسَجْجَ ؛ قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : وَلَمْ تَجِدْ مِنَ الزَّهْرِ زَهْرَةً أَطْيَبُ نَفْحَةً مِنْ نَفْحَةِ الْخَزَامِي ؛ وَوَاحِدُ
 الْخَزَامِي خَزَامَةٌ .
 (٥) الْفَتِيْقُ — فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ ، مِنْ فَتَقَتِ الْمَسْكَ بِغَيْرِهِ : إِذَا اسْتَخْرَجْتَ رَأْسَهُ بِشَيْءٍ آخَرَ
 تَدَخَّلَهُ عَلَيْهِ .

وَسَمِيهِ وَرَثَمِيهِ ، وَتَلَّتْ أَوْصَافَ بِأَسَةِ أَلْسِنَةُ خِرْصَانِهِ ^(١) ، وَرَجَعْتُ سَوَابِقُ الْهَمَمِ عَنِ
التَّطَاوُلِ لِلطَّوَالَةِ فِي مِيدَانِهِ ، وَقَالَتْ فَوَارِسُ الْحُرُوبِ لَمَّا رَأَتْ كَرَّهُ : هَذَا سِبَاقُ
لِسَانِ مَنْ رَهَانِهِ ، كَمْ فَزَقَ بِجَيْشِهِ اللَّهُامِ جَيْشًا أَرَمَدَ جَفَنَ الشَّمْسِ بِقَتَامِهِ ، وَنَصَرَ
الْأَحْزَابَ يَوْمَ الْكَرْيَةِ بِالْعَادِيَاتِ مِنْ خَيْلِهِ وَالْمُرْسَلَاتِ مِنْ سَهَامِهِ ، فَالْدَهْرُ يُشْكِرُ
مَوَاقِفَ إِقْدَامِهِ ، وَالْعَدْلُ يَنْشُرُ مَنْشُورَ فَضْلِهِ وَسَدِيدَ أَحْكَامِهِ ، وَالْمَمَالِكُ تُثْنِي عَلَى
عِلْيَانِهِ بِالسَّدَادِ ، وَالْمَسَالِكُ تُهْدِي لِسَالِكِيهَا مَا خَصَّهَا بِهِ مِنْ أَمْنِهَا الْمَعْتَادِ ، وَالنَّاسُ
فِي ظِلِّ عَدْلِ لِيَالِيهِ [خُلِقَتْ] ^(٢) كَمَا شَاءُوا أَسْحَارًا ، وَالْوَحْشُ وَالغَنَمُ كُلُّ مَنْهُمَا قَدْ جَعَلَ
صَاحِبَهُ جَارًا ، وَمَوَاطِنُ الْعُلُومِ أَمْسَتْ تَطَّرُزُ بِمَجَاسِنِ أَوْصَافِهِ ، وَحُكَّامُ الشَّرْعِ
الْجَلِيلِ أَضْحَتْ تَمِيمِيسَ فِي حَلِّ عَدْلِهِ وَإِنْصَافِهِ ، وَالْأَمَاكُنُ الَّتِي تُسَدُّ لَهَا الرِّجَالُ يَفْتَرُّ
ثَغْرَهَا عَنِ عَدْلِهِ ، وَالْمَشَاعِرُ الْمَعْظَمَةُ قَدْ حَمَى حَوَازَتَهَا بِالسَّهْمِ مِنْ نَصْلِهِ وَالشَّهْمِ مِنْ
رَجْلِهِ ^(٣) ، تَنْقَلُ فِي مَرَاتِبِ الْمَلِكِ صَغِيرًا إِلَى أَنْ أَشْتَدَّ بِالْعِزْمِ الْقَوِيُّ كَاهِلُهُ ، وَأَسْتَوْطِنَ
رَبِيعَ الْعِزْمِ مَذْكَانَ يَحْتَلِي بِدَوْرِهِ وَتَجْتَلِيهِ عَقَائِلُهُ ، فَلَمْ تَبْقَ لَهُ مَأْرَبَةٌ إِلَّا قَضَاهَا ،
وَلَا حَالَةَ إِلَّا ابْتَلَاهَا ، وَلَا عَمَّةً إِلَّا جَلَاهَا ، وَلَا آيَةَ شُكْرٍ إِلَّا تَلَاهَا ، إِلَى أَنْ قَعَّ بِجَدِّ

(١) الخرصان : جمع خرص بكسر الخاء وضمها ، وهو سنان الرمح .

(٢) اللهم : الجيش الكثير ، كأنه يلتهم كل شيء .

(٣) لم ترد هذه الكلمة في الأصل والسياق يقتضيها إذ بها يستقيم الإعراب بالنصب في قوله « أسحارا » ،
و ينصبه يتم السجع الذي التزمه الكاتب في هذا التقليد ؛ وقد استنسبنا زيادة هذا اللفظ دون غيره لوروده
في بعض رسائل القاضي الفاضل إذ قال : والليالي التي طابت فكأنما خلقت جميعها أسحارا انظر صفحة ٢٠
سطر ٧ من هذا الجزء .

(٤) الرجل : اسم جمع عند سيبويه للرجل ، وهو ضد الراكب .

سيفه كل مجتري ، وقال للسحابة كما قيل : أمطرى ؛ رأى أن المواردَ الدنيوية لا بد لها من مصادر ، وأن أوائل الأمور تستدعي الأواخر ، وأن للزهادة في الدنيا وإن عظم قدرها الشأن الكبير ، وأن الانقطاع الى الله تعالى منهلٌ صفو لا يقبل شوائب التكدير ؛ وقوى عزمه في الرحلة عن مقر ملكه الى أعز حصونه المنيعه ، بل الى أجل معاقله الشاخحة الرفيعه ؛ فاصدا بها الانفراد ، عالما بأن الله يطلع على خفيات الفؤاد ؛ فرحل ركابه العالى ونظام المملكة من حسن الهيئة قائم على ساق ، وقلوب كقال الممالك الشريفة متفقتة على الاتفاق ؛ واثقا بأن للملك من أولياء بيته الشريف كل ولى عهد لا تخفر لديه الذم ، وكل سلطان أفق تضؤل دون عزمه الهيم ؛ يحمي بيضة خدره من كل متناول إليها ، ويقصر أسباب الحرص من كل شان عليها ؛ واختار الانفراد ، وتيقن أنا لا نعدل عما أراد ؛ ونصب عمدا خيامه الشريفة على سفح روض الكرك اللضر ، وحل منه رأس شاهقة نبها خضر ؛ ورغب في الزهادة وشعارها ، وأستوت عنده الدنيا في حالتى إقبالها وإدبارها ؛ فاقترضى اعتناؤنا الشريف أن نبلغه من مآربه الشريفة أقصى المرام ، وأن نساعده في كل أمر يعرف منه الموافقة منا على الدوام ؛ وأن ننظم الأمر في سلك الإرادة على مراده ، وأن نبادر الى راحة سره الشريف وفؤاده ؛ ولسوف نعامل مقامه العالى بكل احترام يصل

(١) يشير بهذه العبارة الى ما روى عن بعض الخلفاء أنه رأى سحابة تسير في الأفق ملاءى بالمطر فقال : امطرى حيث شئت فإن ما تنبتينه سيجي الينا . يريد بهذا أن مملكته واسعة الأطراف فلن تتجاوزها السحابة مهما أبعدت في المسير .

(٢) رأى : جواب لل السابقة في قوله : « لما كان المقام العالى » الخ .

(٣) المراد بالأفق هنا : الناحية من الأرض ، وتضم فائه وتسكن .

(٤) الشأن بتشديد النون : اسم فاعل من شن الغارة على القوم اذا صبا عليهم من كل وجه .

(٥) فى الأصل : « واستهوت » ؛ والهاء زيادة من اليناسخ .

إليه تفصيلاً وإجمالاً ، وزاعى معه أدب أسلافه الكرام حالاً فخلاً ، وإنا لا نخليه من تجهيز مثال يتضمّن من محاسنه سيراً وأمثالا ، ولولا عرف السلطنة ونظام المملكة يقتضيان ذلك ما جهّزنا إلى بابهِ الشريف مثالا ، فلذلك نخرج الأمر الشريف بكذا وكذا .

هذا ما آتفق إيرادُه في هذا الفصل من رسائل الكتاب ، وتابُ العصر - أعزّهم الله تعالى - كثير ، وكلامهم مشهور ، ومدونٌ بأيدي الناس ومحفوظٌ في صدورهم ، ولم نستترِ أن نورد لجميعهم فنلتزم الشرط ، ولو فعلنا ذلك لطال الكتاب ونخرج عن شرطه ، وإنما خصصنا هؤلاء بالذكر لتعلّقنا بهم ، واتّصال سببنا في الوداد بسببهم .

١٠ ذكر شيء من الأبيات الداخلة في هذا الباب^(١)

فن ذلك قول بعض الشعراء :

إني لعظيم تشوّقي * وشديد وجدى واكتنابي

أصبحتُ أحسّد من يفو * ز بقربكم حتى كُنابي

وقال آخر :

١٥ وما تأخرُ كُتبي عنك من مللٍ * طُوبى لوذُك يابن السادة النُجُبِ^(٢)

لكن حسدتُ كُنابي أن يراك وما * أراك فاخترتُ إمساكي عن الكُتبي

(١) المراد بالباب هنا : باب الرسائل الإخوانية فقد سبق أن ترجم لها في السفر السابع من هذا الكتاب

ص ٢١٣ إذ قال : « واما الرسائل الإخوانية وما يتجدد من الأمور ويطرأ من الحوادث » .

(٢) طوبى وزن فعلى ، من الطيب ، كأن أصله طيبي بضم الطاء فقلبوا الياء واوا للضمة قبلها .

(١) [وقال آخر]:

عقمت الرسائل طامعا أن نلتقي * فأبى الزمانُ يُتيح لي ما أطلبُ
وتأخرتُ كُتبي فقلتُ أعاتبُ * في ذلك أنت على أم متعتبُ^(٢)
فإذا وجدتك في الضمير ممثلاً * أبدا تتاجيني إلى من أكتبُ^(٣)

وقال آخر:

الْكُتْبُ تُكْتَبُ للبعيد * مد وانت من قلبي قريب
فإذا وجدتك في الفؤأ * دِفنْ أكتب أو أجيِب

وقال آخر:

لو أن كُتبي بقدر الشوق واصله * كانت إليك مع الأنفاس تتصلُ
لكنتي والذي ييقك لي أبدا * على جميل اعتقادي فيك أتكلُ

وقال آخر:

وفي الكُتْبِ نجوى من يعزلقاؤه * وتقريبٌ من لم يدن منه مزارُ
فلم تُخَلِّني منها وتعلمُ أمها^(٤) * لعيني وقلبي قُسرَةٌ وقَرَارُ^(٥)

وقال آخر:

سألتك عودني بكتبتك إني * شياطين شوق لا تفارق مَضَجِي
إذا أسترقت أسرارَ فكري تمردا * بعثتُ إليها في الدجى شُهْبَ أدمعي

(١) لم ترد هذه العبارة في الأصل .

(٢) التعتب : التجنى ، يقال : تعتب عليه وتجنى عليه ، كلاهما بمعنى واحد .

(٣) ورد هذا البيت في صفحة ٣٢ من هذا السفر أيضا وروايته ثم : « مهما وجدتك » الخ

والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٤) كذا ورد هذا الفعل في الأصل بخذف الياء ، ولا ترى مقتضيا لجزمه غير ضرورة الوزن ، أولعله :

« فلا تخلني » واذن فهو مجزوم بلا الناهية .

(٥) في الأصل : « أني » ؛ والسياق يقتضى الهاء كما أثبتنا .

٥

١٠

١٥

٢٠

وقال آخر :

أَتَبَخَّلَ بِالْقِرطاسِ وَالخَطِ عَنْ أَيْخٍ * وَكَفَّاكَ أُنْدَى بِالْعَطَايا مِنَ الْمَزِينِ
لَعَمْرى لَقَدْ قَوَّى جَفَاؤُكَ ظَنَّتِي * وَأَوْهَنَ تَأْمِيلِي وَمَا كَانَ ذَا وَهْنِ

وقال آخر :

أظُنُّ الْقِرطاسَ فِي مِصرِكُمْ * تَخَوَّنَهَا رَبِيبٌ دَهْرٍ خَوْونِ
فَلَوْ أَنَّهَا صَفْحَاتُ الْخَدْوِ * دِيكُتَبَ فِيهَا بَمَاءِ الْخَفْوَنِ
لَمَّا أَعْوَزْتُكَ وَلَكِنْ جَفَوْتُ * فَأَلْقَيْتَ شَأْنِي خِلالَ الشُّؤُونِ

وقال المتنبي في جواب كتاب وردَّ عليه :

بِكُتِبَ الْأَنامُ كِتَابٌ وَرَدَّ^(١) * فَدَتَّ يَدَ كاتِبِهِ كُلَّ يَدِ
يَعْبُرُ عَمَّا لَهْ عِنْدَنَا * وَيَذْكَرُ مِنْ شَوْقِهِ مَا نَجِدُ

وقال أبو الفتح البُستِيُّ :

لَمَّا أَتَانِي كِتَابُ مَنكَ مَبْتَسِمٌ * عَنْ كُلِّ فَضِيلٍ وَبِرٍّ غَيْرِ مَحْدُودِ
حَكَتْ مَعانِيهِ فِي أَثناءِ أَسْطَرِهِ * أَثَارَكَ الْبَيْضَ فِي أَحْوالِ السَّوَدِ

وقال آخر :

طَلَعَ الْفَجْرُ مِنْ كِتَابِكَ عِنْدِي * فَهَتِي بِاللِقَاءِ يَبْدُو الصَّباحُ

وقال آخر :

وَلَمَّا أَتَانِي بَعْدَ هِجْرِ كِتَابِكُمْ * وَفِيهِ شِفاءُ الْوالِهِ الدَّنْفِ الْمُضَنِّ
سُرِرْتُ بِهِ حَتَّى تَوَهَّمْتُ أَنَّهُ * كِتَابِي وَقَدْ أُعْطِيَتْهُ بِيَدِي الْيَمْنَى

(١) قوله : « كتاب » بالرفع على الابتداء ، أى كتاب ورد مفدى بكتب الخ ويجوز أن يقرأ

بالنصب على المفعولية ، أى أمدى بكتب الأنام كتابا ، وقد جاوز العكبرى الوجهين عند شرحه لقول المتنبي

أَيْضاً : * بأبي الشموس الجانحات غواربا *

انظر شرحه لديوان المتنبي ج ١ ص ٩٠ طبع بولاق .

وقال آخر :

نفسى الفداء لغائب عن ناظرى * ومحله فى القلب دون حجابيه
لولا تمتع مقلتي بلقائه * لو هبتها لمبشرى بكتابه

وقال آخر :

ورد الكتاب مبشرا * نفسى بأوقات السرور ^(١)

وفضضته فوجدته * ليلا على صفحات نور

مثل السوالف والحدو * د البيض زينت بالشعور ^(٢)

أزلته منى * بزلة القلوب من الصدور

وقال آخر فى كتاب عدم فلم يصل إليه :

نبتت أن كتابا * أرسلته مع رسول

ملائته منك طيبا * فضاع قبل الوصول

ومما يتصل بهذا الباب ويلتحق به، ويحتاج الكاتب إلى معرفته ^(٣)

والإطلاع عليه المحجة البالغة والأجوبة الداغمة .

فمن ذلك فى التنزيل قوله عز وجل : (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ

يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) .

وقوله تعالى : (أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكْ نُطْفَئَةٍ مِنْ مَنِيٍّ

يُمْنِي * ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً خَلَقَ فَسَوَى * فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى * أليس

ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى) .

(١) فى الأصل : « بأوراد » ؛ وهو تحريف .

(٢) فى الأصل : « والحدوق » بالحاء المهملة والقاف ؛ وهو تحريف .

(٣) انظر الحاشية رقم ٧ من صفحة ١٥٠ من هذا السفر .

وقوله تعالى حكاية عن إبراهيم : ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾ .

وقال تعالى في الدلالة على إثبات نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ * أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ ، فإنه صلى الله عليه وسلم كان يُعرف في قريش بالصادق الأمين

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

﴿ ٢٢ ﴾

ولما بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " يا معشر قريش لو قلتُ

لكم إن خيلاً تطلع عليكم من هذا الجبل كتمت تصدقوني؟ قالوا : نعم ؛ قال :

(١) روايته في صحيح البخاري من طريق يوسف بن موسى : أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل

أكنتم مصدقني؟ الخ وفي رواية أخرى من طريق محمد بن سلام : أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم

تصدقوني؟ الخ وحذفت نون الرفع من قوله : تصدقوني تخفيفاً ؛ ويروى تصدقوني بإثباتها انظر

«فإني نذير لكم بين يدي عذابٍ شديد» فلما أقروا بصدقه خاطبهم بالإندار، ودعاهم إلى الإسلام . فهذه حجج من الكتاب والسنة لا جواب عنها

ولما انتهى إلى علي بن أبي طالب رضى الله عنه يوم السقيفة أت الأنصار قالت : منا أمير ومنكم أمير ؛ قال علي : فهلا أحتججتهم عليهم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى بأن يُحسَن إلى محسنهم ، ويُتجاوزَ عن مسيئهم ؛ قالوا : وما في هذا من الحجة عليهم ؟ قال : لو كانت الإمارة فيهم لم تكن الوصية بهم .

ولما قال الحُباب بن المنذر في يوم السقيفة أيضا : أنا جُذيلها المُحكِّك^(١) وعديقها المرَّجَب^(٢) ، إن شئتم كرناها جُدعة ، منا أمير ومنكم أمير ، فإن عمل المهاجرى شيئا في الأنصارى ردّه عليه الأنصارى ، وإن عمل الأنصارى شيئا في المهاجرى ردّه عليه المهاجرى ؛ أراد عمر الكلام ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : على رسلك ، نحن المهاجرين أوّل الناس إسلاما ، وأوسطهم دارا ، وأكرمّ الناس حسبا ، وأحسنهم وجوها ، وأكثر الناس ولادةً في العرب ، وأمسهم رحما بالرسول صلى الله

(١) الجذيل : تصغير جذل بكسر الجيم قال يعقوب : عنى بالجذيل هنا الأصل من الشجرة تحنك به الإبل فتشغى به ، أى قد جرتنى الأمور ، ولّى رأى وعلم يشغى بهما كما تشغى هذه الإبل الجربى بهذا الجذيل ؛ وصغره على جهة المدح .

(٢) العديق : تصغير تعظيم للعديق بالفتح ، وهو النخلة . والمرجَب : من الترجيب ، وهو أن تدعّم النخلة من جانب لينعها ذلك من السقوط ؛ يريد أن له عشيرة تعضده وتمنعه وترفده ؛ وقيل : الترجيب هنا بمعنى التعظيم .

(٣) قال في اللسان : إذا أطفئت حرب بين قوم فقال بعضهم : ان شئتم أعدناها جذعة : أى أوّل ما يتبدأ فيها هـ .

(٤) الرسل : التؤدة ، يقال : على رسلك ، أى اتند ، كما يقال : على هينتك .

(٥) كذا في الأصل وعيون الأخبار ج ٢ ص ٢٣٣ طبع دار الكتب المصرية ، يريد بهذه العبارة أنهم أكثر عددا وأغزر نسلا ؛ ويحتمل أن يريد أن كثرة مصاهرتهم لغيرهم من القبائل جعلت أبناءهم في قبائل العرب أكثر من سواهم ، أى أن اتصاهم بالعرب أوثق ، وأشياعهم من القبائل أكثر .

عليه وسلم ، أسلمنا قبلكم ، وقدمنا في القرآن عليكم ، وأتم إخواننا في الدين ،
وشركاؤنا في الفىء ، وأنصارنا على العدو، أويتم ووأسيتم ، بخزائم الله خيرا ، نحن
الأمراء وأتم الوزراء ، لا تدين العرب الا لهذا الحى من قريش . قالوا : قد
رضينا وسأمتنا .

قال بعض اليهود لعلّ رضى الله عنه : ما دفتم نبيكم حتى آخلفتم ، فقال : انما
آخلفنا عليه لافيه ، ولكنكم ما جفت أرجلكم من البحر حتى قلم لتبيسكم : ((أجعل
لنا إلهًا كما لهم إلهة قال انكم قوم تجهلون)) .

وقال حاطب بن أبى بلتعنة : لما بعثنى النبي صلى الله عليه وسلم الى المقوقس ملك
الإسكندرية بكتابه ، أتته وأبلغته الرسالة ، فضحك ثم قال : كتب إلى صاحبك
يسألنى أن أتبعه على دينه ، فما يمنعه إن كان نبيا أن يدعو الله فيسلط على البحر
فيغرقنى فيكتفى مؤنتى ، يأخذ مذكى ؟ قلت : ما منع عيسى عليه السلام إذ أخذته
اليهود فربطوه فى جبل ، وحلقوا وسط رأسه ، وجعلوا عليه إكليلا من شوك ، وحملوا
خشبته التى صلوه عليها على عاتقه ، ثم أخرجوه وهو يبكى حتى نصبوه على الخشبة
ثم طعنوه حيا بجريرة حتى مات - على زعمكم - فما منعه أن يدعو الله فينجيه
ويهلكهم ، ويكتفى مؤنتهم ، ويظهر هو وأصحابه عليهم ؟ وما منع يحيى بن
زكريا حين سألت امرأة الملك الملك أن يقتله فقتله وبعث برأسه اليها حتى وضع
بين يديها أن يسأل الله أن يحميه ويهلكهم ؟ فأقبل على جلسائه وقال : والله إنه
لحكيم ، وما تخرج الحكم إلا من عند الحكماء .

(١) كذا فى عيون الأخبار ج ٢ ص ٢٣٤ والذى فى الأصل : « فى » ؛ وهو تحريف .

(٢) فى الأصل : « ما دفتم » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٣) عليه : أى على الأولوية به ومن أحق بخلافته قرابته أم غيرهم ؟ لافيه : أى لا فى صدق رسالته .

وخطب معاوية بن أبي سفيان ذات يوم وقال : إن الله تعالى يقول :
 ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ فما نلام نحن ؛ فقام
 إليه الأحنف بن قيس فقال له : يا معاوية ، إنا والله ما نلومك على ما في خزائن الله ،
 وإنما نلومك على ما آثرك الله [به] علينا من خزائنه فأغلقت بابك دونه .
 (١) (٢)

وقال معاوية لرجل من اليمن : ما كان أحمرق قومك حين ملكوا عليهم امرأة !
 قال : قومك أشد حماقة إذ قالوا : "اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر
 علينا حجارة من السماء أو آئتنا بعذاب أليم" أفلا قالوا : اهدنا له .

وقيل : مرت امرأة من العرب يجلس من مجالس بني ثمير ، فرماها جماعة منهم
 بأبصارهم ، فوفقت ثم قالت : يا بني ثمير ، لا أمر الله تعالى أطعمتم ، ولا قول الشاعر
 سمعتم ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾
 وقال الشاعر :
 (٣)

فغض الطرف إنك من ثمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

فما اجتمع منهم بعد ذلك آثنان في مجلس .

وقيل : استعمل عتبة بن أبي سفيان رجلا من أهله على الطائف ، فظلم رجلا
 من أزد شنوءة ، فأتى الأزدي عتبة فقال :
 ١٥ أمرت من كان مظلوما ليأتسكم * فقد أناكم غريب الدار مظلوم

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضى إثباتها .

(٢) في الأصل : « عليك » ؛ وهو تحريف .

(٣) هو جرير ؛ والبيت من قصيدة له يهجو الراعي النميري انظر ديوان جرير ص ٣١ طبع المطبعة

ثم ذكر ظلامته ، فقال عتبة : إني أرى أعرابياً جافياً ، والله ما أحسبك تدري كم تصلي في اليوم واللييلة ؛ فقال : إن أنباتك ذلك تجعل لي عليك مسألة ؟ قال : نعم ؛ فقال الأعرابي :

إن الصلاة أربع وأربع * ثم ثلاث بعدهن أربع
* ثم صلاة الفجر لا تُضيع *

قال : صدقت فأسأل ؛ فقال : كم فقار ظهرك ؟ فقال : لا أدري ؛ قال : أفتحكم بين الناس وأنت تجهل هذا من نفسك ؟ فأمر برد ظلامته عليه .

وقال الججاج بن يوسف ليحيى بن سعيد بن العاصي : بلغني أنك تشبه إبليس في قبح وجهك ؛ قال : وما ينكر الأمير من أن يكون سيد الإنس يشبه سيد الجن ؟ .

وقال لسعيد بن جبير : اختر لنفسك أي قتلة شئت ؛ قال : اختر أنت فإن القصاص أمانك .

وحكى أن حويطب بن عبد العزى بلغ عشرين ومائة سنة ، ستين في الجاهلية وستين في الإسلام ، فلما ولي مروان بن الحكم المدينة دخل عليه حويطب ، فقال له مروان : لقد تأخر إسلامك أيها الشيخ حتى سبقك الأحداث ؛ فقال : والله لقد هممت

(١) قال المبرد : انه العاصي بالياء لا يجوز حذفها ، وقد لُججت العامة بحذفها . قال النحاس : هذا يخالف لجميع النحاة ؛ يعنى أنه من الأسماء المتقوصة فيجوز فيه إثبات الياء وحذفها مستدرك التاج مادة « عصى » .

(٢) في الأصل : « حويطب » بالخاء المعجمة ؛ وهو تصحيف ، والتصويب عن القاموس وغيره . وهو حويطب بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود ، انتهى نسبه الى عامر بن لؤي ؛ ويكنى أبا محمد ؛ وأسلم يوم فتح مكة ؛ وكانت وفاته سنة أربع وخمسين في خلافة معاوية . كتاب الطبقات الكبير لابن سعد ج ٥ ص ٣٣٥ طبع ليدن .

(٣) في الأصل : « تتعك » ؛ وهو تحريف لا معنى له .

(٤) هذه الكلمة في الأصل مطموسة الحروف تُعذر قراءتها ؛ وقد أثبتناها عن العقد الفردي ج ٢ ص ١١٧ طبع المطبعة الشرفية بمصر .

بالإسلام غير مرة كل ذلك يعوقني أبوك عنه وينهاني ، ويقول : أتدع دين آباءك^(٢) [لدين^(٣) محدث] ؟ ! أما أخبرك عثمان ما كان قد لقي من أبيك حين أسلم .

وقيل : لما ظفر الحجاج بأبن الأشعث وأصحابه أمر بضرب أعناقهم ، حتى أتى على رجل من تميم ، فقال التيمى : أيها الأمير ، والله لئن أسأنا في الذنب ما أحسنت^(٤) في العقوبة ؛ فقال الحجاج : وكيف ذلك ؟ قال : لأن الله تعالى يقول : ﴿ إِذَا لَقِيتُمْ^(٥) الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَنتَحَمْتَهُمْ فَشَدُّوا أَلْوَتَاقَ فِيمَا مَنَّا بَعْدُ وَإِنَّمَا فِدَاءٌ ﴾ فوالله ما مننت ولا فاديت ؛ فقال الحجاج^(٦) : أف لهذه الحيف ، أما كان منهم من يُحسِن مثل هذا ؟ وأمر بإطلاق من بقى وعفا عنهم .

وحكى أن الرشيد سأل موسى بن جعفر فقال : لم قلت إنا ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجوزتم للناس أن ينسبواكم إليه ويقولوا : يا [بني] نبي الله وأتم^(٨) .

(١) في الأصل : « به » وهو تحريف ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا ، وانظر العقد الفريد .

(٢) في الأصل : « امامك » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا انظر العقد الفريد .

(٣) لم ترد هذه العبارة في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن العقد الفريد ج ٢ ص ١١٧ طبع المطبعة الشرفية .

(٤) في الأصل : « أمرنا » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما تدل عليه مقابلته بقوله :

ما أحسنت .

١٥

(٥) في الأصل : « لما أحسنت » واللام زيادة من الناسخ فان الجملة جواب للقسم السابق وليست جوابا للشرط لتقدم القسم عليه ؛ وفي كتب القواعد أن جواب القسم اذا نفي « بما » لم يقترن باللام وما ورد من اقترانه بها شاذ لا يقاس عليه ، ومنه قول الشاعر :

أما والذي لوشاء لم يخلق الورى * لئن غبت عن عيني لما غبت عن قلبي

١٥

انظر حاشية الصبان ج ٤ ص ٢٢ طبع بولاق .

(٦) يقال : فاديته مفاداة : أى أطلقته وأخذت فديته المصباح .

(٧) في الأصل : « ان » بالنون ؛ وهو تحريف .

(٨) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ ولا يستقيم الكلام بدونها ، ويرشد إليها قوله بعد : « وأتم بنو الخ .

بنو عليؑ ، وإنما ينسب الرجل إلى أبيه دون جده ؛ فقرأ : ^(١) « وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ » وليس لعيسى أب ، وإنما لحق بذرية الأنبياء من قبيل أمه ؛ وكذلك أحقنا بذرية الرسول صلى الله عليه وسلم من قبيل أمنا فاطمة — عليها السلام — وأزيدك يا أمير المؤمنين ، قال الله تعالى : « فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ » ولم يدع صلى الله عليه وسلم في مباهلة النصراري غير فاطمة ^(٢) والحسن والحسين ، وهما الأبناء ^(٣) ^(٤) .

قيل : لما ولي يحيى بن أكرم قضاء البصرة استصغر الناس سنه ، فقال له رجل : كم سن القاضي — أعزه الله — ؟ فقال : سن عتاب بن أسيد حين ولّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قضاء مكة . فجعل جوابه احتجاجا .

قال يزيد بن عروة : لما مات كثير لم يتخلف بالمدينة امرأة ولا رجل عن جنازته ، وغلب النساء عليها ، وجعلن يبكينه ويذكرن عزه في نديهن له ؛ فقال

(١) في الأصل : « فقدا » ؛ وهو تحريف .

(٢) المباهلة : أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولوا : لعنة الله على الظالم منا .

(٣) لم يذكر علياً رضي الله عنه مع أنه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه المباهلة انظر روح المعاني عند تفسير الآية المتقدمة .

(٤) وهما الأبناء : أي وهما المقصودان بلفظ الأبناء في الآية وإذن فالخبر مطابق للبدا في الثنية .

(٥) هو عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس ؛ أسلم يوم الفتح فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى حنين استعمله على مكة يصلي بالناس وأقام عتاب للناس الحج تلك السنة ، — وهي سنة ثمان — وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وعتاب بن أسيد عامله على مكة الطبقات الكبير لابن سعد ج ٥ ص ٣٣٠ طبع ليدن .

(١) أبو جعفر محمد بن عليّ الباقر: أفرجوا لي عن جنازة كثير لأرفعها، فجعلنا ندفع النساء عنها ومحمد بن عليّ يقول: تَحْيِيْن يَا صَوِيْحِبَاتِ يَوْسُفَ، فانتَدَبْتُ لَهُ أَمْرَأَةً مِنْهُنَّ فَقَالَتْ: يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ، لَقَدْ صَدَقْتَ، إِنَّا لَصَوِيْحِبَاتُهُ، وَلَقَدْ كُنَّا لَهُ خَيْرًا مِنْكُمْ لَهُ، فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ [لِبَعْضِ مَوَالِيهِ]: احْتَفِظْ بِهَا حَتَّى تَحْيِيْنِي بِهَا إِذَا أَنْصَرَفْتُ؛ قَالَ: فَلَمَّا أَنْصَرَفْتُ أُنِيَّ بِهَا وَكَأَنَّهَا شَرَرَةُ النَّارِ؛ فَقَالَ لَهَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ: يَا بِنْتِ الْقَائِلَةِ: إِنْ كُنْتُ لِيَوْسُفَ خَيْرٌ مِنَّا؟ قَالَتْ: نَعَمْ، تُؤْمِنُنِي غَضَبُكَ يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ؟ فَقَالَ: أَنْتِ أَمَنَةٌ مِنْ غَضَبِي فَانْبِئِيْنِي؛ فَقَالَتْ: نَحْنُ دَعَوْنَاهُ إِلَى اللَّذَاتِ مِنَ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ وَالتَّمَتُّعِ وَالتَّنَتُّعِ، وَأَتَمَّ مَعَاشِرَ الرِّجَالِ أَلْتِيْمُوهُ فِي الْجَبِّ وَبَعْتُمُوهُ بِأَنْجُسِ الْإِيْمَانِ، وَحَبَسْتُمُوهُ فِي السِّجْنِ؛ فَأَيُّنَا كَانَ عَلَيْهِ أَحْسَنُ، وَبِهِ أَرَأْفُ؟ فَقَالَ مُحَمَّدٌ: اللَّهُ دَرَكٌ! لَنْ تُغَابَ أَمْرَأَةٌ إِلَّا غَلَبَتْ؛ ثُمَّ قَالَ لَهَا: أَلَمْ يَكُنْ بَعْلُكَ؟ فَقَالَتْ: لِي مِنْ الرِّجَالِ مَنْ أَنَا بَعْلُهُ؛ فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: مَا أَصْدَقِكَ! مِثْلُكَ مِنْ تَمَلِّكَ الرِّجُلِ وَلَا يَمْلِكُهَا؛ فَلَمَّا أَنْصَرَفْتُ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: هَذِهِ فَلَانَةٌ بِنْتُ مَعْقَبٍ.

وقال المأمون ليحيى بن أكرم: من الذي يقول:

قَاضٍ يَرَى الحَدَّ فِي الزَّوَانِ وَلَا * يَرَى عَلِيَّ مِنْ يَلُوطٍ مِنْ بَاسِ

١٥ (١) في الأصل: «أفرجوا لي» بالقاف المثناة والحاء المهملة؛ وهو تصحيف.

(٢) لم ترد هذه العبارة في الأصل؛ وقد أثبتناها عن الأغاني ج ٨ ص ٤٣ طبع بولاق.

(٣) في الأصل: «تحيني»؛ وهو تحريف.

(٤) إياه بكسر الهاء ويجوز توينها: كلمة استزادة واستنطاق.

(٥) في الأغاني ج ٨ ص ٤٣ طبع بولاق: «بعلها»؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا.

(٦) كذا في الأصل بلا تعيين لاسمها؛ وذكر أبو الفرج أنها زينب.

(٧) كذا في الأصل؛ والذي في الأغاني: «معيقب» ولعله معيقب بن أبي فاطمة الدوسي انظر

ترجمته في كتاب الطبقات الكبير لابن سعد ج ٤ ص ٨٦ طبع أوربا.

فقال : يا أمير المؤمنين ، هو الذي يقول ^(١) :

شاهدنا يرتشي وحاكُمنا * يلوط والراسُ شرُّ ما راسِ ^(٢)

لا أحسب الجورَ ينقضى وعلى الأقامة وإلٍ من آل عباس ^(٣)

قال ومن هو ؟ قال : أحمد بن [أبي] نعيم ؛ فأمر بنفيه إلى السند ^(٤) .

وحكى أت أهل الكوفة تظلموا إلى المأمون من عاملٍ ولاءه عليهم ؛ فقال :

ما علمت في عددِ عمالي أعدل ولا أقوم بأمر الرعية ولا أعود بالرفق عليهم منه ؛

فقام رجل من القوم فقال : يا أمير المؤمنين ، ما أحدٌ أولى بالعدل والإنصاف منك ،

فإذا كان الأمر على هذه الصفة فينبغي أن تعديل في ولايته بين أهل البلدان ،

وتسوي ^(٦) بأهل الأمصار ، حتى يلحق أهل كل بلد من عدله وإنصافه مثل الذي

لحقنا ، فإذا فعل أمير المؤمنين ذلك فلا يخصنا منه أكثر من ثلاث سنين ؛ فضحك

المأمون وعزل العامل عنهم .

ولنصل هذا الفصل بذكر هفوات الأمجاد وكبوات الجياد ^(٧) — وقد

رأيت بعض أهل الأدب ممن يستحق الأدب تعرّض في هذا الفصل الى ذكر قصص

(١) في الأصل : « من هو » وقوله : « من » زيادة من النسخ .

(٢) في وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٢٦ طبع بولاق : « أميرنا » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٣) هذه الواو ساقطة من الأصل ؛ واستقامة الوزن تقتضيها .

(٤) كذا في وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٢٦ طبع بولاق ومحاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني

ج ١ ص ١٢٥ طبع مطبعة جمعية المعارف ؛ والذي في الأصل : « ابن نعيم » باسقاط لفظ أبي ؛ ولم نجده

فما راجعناه من المظان .

(٥) السند : بلاد بين بلاد الهند وكرمان وسجستان ؛ وقد فتحت في أيام الحجاج بن يوسف (ياقوت) .

(٦) في الأصل : « به » ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٧) ورد في الأصل كل من هاتين الكلمتين مكان الأخرى ؛ والمقام يقتضى ما أثبتنا ، فان الهفوات من

صفة الإنسان ، والكبوات من صفة الخيل وانظر هذه الترجمة أيضا في المستطرف ج ١ ص ٧٤ ، ٧٥

طبع بولاق .

الأنبياء — صلوات الله عليهم — كآدم ويوسف وداود وسليمان فكرهتُ ذلك منه، ونزهتُ كتابي عنه —

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ فكانت هذه هفوة من المسلمين غفرها الله وعفا عنها .

وقال الأحنف بن قيس : الشريف من عدت سقطانهُ .

وقال النابغة :

ولست بمستبِقٍ أجا لا تلُبه * على شعثٍ أى الرجال المهذبُ^(١)

وقالوا : كل صارم ينبو، وكل جواد يكبو .

١٠ وكان الأحنف بن قيس حليماً سيّدا يضرب به المثل ، وقد عدت له سقطات فمن ذلك أنه نظر الى خيلِ لبني مازن فقال : هذه خيل ما أدركت بالثار ، ولا نقصت الأوتار ؛ فقال له سعيد بن القاسم المازني : أما يوم قتلت أباك فقد أدركت بثارها ؛ فقال الأحنف : لشيء ما قيل : «دع الكلام حذر الجواب» — وكانت بنو مازن قتلت [أبا] الأحنف في الجاهلية .^(٢)

١٥ ومنها أنه لما خرج مع مُصعب بن الزبير أرسل إليه مائة ألف درهم ، ولم يرسل الى زبراء جاريتيه بشيء ، فجاءت حتى وقفت بين يدي الأحنف ، ثم أرسلت عينيها ؛

(١) « لا تلّه على شعث » : أى لا تختمله على ما فيه من زلل فتله وتصلحه وتجمع ما شعث من أمره

« اللسان » .

(٢) الأوتار جمع وتر بكسر الواو ، وهو الذحل ، أى الثأر ؛ يقول : ان هذه الخيل لم تقلل عدد

الذحول والثارات التى لفرسانها عند غيرهم من القبائل .

٢٠

(٣) هذه الكلمة ساقطة من الأصل واستقامة الكلام تقتضى اثباتها .

(٤) فى الأصل : « ديرا » بالبدال والياء المثناة ؛ وهو تحريف ، والتصويب عن القاموس .

فقال لها : ما يبكيك ؟ فقالت : ما لي لا أبكي عليك إذ لم تبك على نفسك ، أفعدتها
وتذر مرو الروذ^(١) تجمع بين غارين من المسلمين ؛ فقال : نصحتني والله في ديني إذ لم أتنبه
لذلك ؛ ثم أمر بفسطاطه ففوض ، فبلغ ذلك مصعباً فقال : ويحك ، من دهاني
في الأحنف ؟ فقيل : زبراء ، فبعث إليها بثلاثين ألف درهم ، فجاءت حتى أرخت
عينها بين يديه ؛ فقال : مالك يا زبراء ؟ قالت : عجبت لأحوالك في أهل البصرة^(٢) ،
تُرْفهم كما تُرّف العروس ، حتى إذا ضربت بهم في نحور أعدائهم أردت أن تُقت
في أعضادهم ؛ قال : صدقت والله ، يا غلام دَع الفساطيط ؛ فأضطرب العسكر
بجىء زبراء مرتين .^(٤)

ومن سقطاته التي عدت عليه أن عمرو بن الأهتم دس إليه رجلاً ليسقهه ،^(٥)
فقال له : يا أبا بجر ، من كان أبوك في قومه ؟ قال : كان من أوسطهم ، لم يسدّهم
ولم يتخلف عنهم ؛ فرجع إليه ثانية ، ففطن الأحنف إلى أنه من قبل عمرو ، فقال :

(١) مرو الروذ : مدينة بخراسان بين بلخ ومرو ؛ افتتحها الأحنف بن قيس في خلافة عثمان رضي
الله عنه ؛ وأكثر ما يقال فيه : مروذ كسفود التاج مادة (روذ) وهي على نهر عظيم ؛ والروذ بالفارسية :
النهر ، فلهذا سميت بذلك (باقوت) .

(٢) في الأصل : عاذين بالعين المهملة والذال ، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا ؛ والغار : الجيش
الكثير ، ومنه قول الأحنف في عبد الله بن الزبير عند انصرافه من وقعة الجمل : وما أصعب به إن كان جمع
بين غارين من الناس ثم تركهم وذهب . والضمير في قولها : « تجمع » يعود إلى مرو الروذ ؛ ومعنى العبارة
أنها تلومه على قعوده مع مصعب بن الزبير وتركه المسير إلى مرو الروذ وفيها جيشان من المسلمين يخاربان
— وهما جيش الخوارج وجيش المهلب — فهي تحرض الأحنف على أن يسير بجيشه إلى مرو الروذ
ويرتك مصعباً .

(٣) في الأصل : « من » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به الكلام .

(٤) في الأصل : « يمتحى » ؛ وهو تحريف لا معنى له .

(٥) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٦٢ من هذا السفر .

ما كان مال أبيك؟ قال: كانت له صرمة يمنح منها ويقري، ولم يكن أهتم
سألاها.

وقيل: إن الحسن سئل عن قوله تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾^(٢)

فقال: إن كان لسرياً، وإن كان لكراماً، فقل له: من هو؟ قال: المسيح؛
فقال له حميد بن عبد الرحمن: أعد نظراً، إنما السرى: الجدول؛ فأنعم له، وقال:
يا حميد، غلبنا عليك الأمراء.

ومات ولد طفل لسليمان بن علي، فأتاه الناس بالبصرة يعزونه وفيهم شيب بن^(٥)

شيبه وبكر بن حبيب السهمي؛ فقال شيب: أليس يقال: إن الطفل لا يزال^(٦)

(١) في الأصل: «حرمة» بالحاء؛ وهو تحريف. والصرمة: القطعة من الإبل نحو الثلاثين.

(٢) الحسن: هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري؛ كان من سادات التابعين وكبرائهم
وجمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة؛ وأبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري رضى الله عنه وأمه خيرة
مولاة أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال أبو عمرو بن العلاء: ما رأيت أفصح من الحسن البصري
ومن الحجاج بن يوسف؛ فقل له: فأيهما كان أفصح؟ قال: الحسن؛ وكانت ولادته لسنتين بقينا من
خلافة عمر بن الخطاب؛ وتوفي بالبصرة مستهل رجب سنة عشر ومائة رضى الله تعالى عنه اه ملخصا من
وفيات الأعيان ج ١ ص ١٨٠ طبع بولاق.

(٣) هو حميد بن عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف، ينتهي نسبه إلى زهرة بن كلاب؛ وكنيته
أبو عبد الرحمن؛ وروى عن سعيد بن زيد ومعاوية بن أبي سفيان وأبي هريرة والنعمان بن بشير؛ وكان
ثقة عالميا كثير الحديث؛ وتوفي بالمدينة سنة خمس وتسعين اه ملخصا من كتاب الطبقات الكبير لأبن سعد
ج ٥ ص ١١٤، ١١٥ طبع مدينة ليدن.

(٤) أنعم له: أى قال له نعم. والذي في الأصل: «فنعلم له» بدون ألف؛ ولم نجد له فيما لدينا من
كتب اللغة بالمعنى المراد هنا.

(٥) كذا في الأصل؛ والذي في العقد الفريد ج ١ ص ٢٩٦ طبع بولاق: أن الذي مات ولده هو
إسحاق بن عيسى؛ وعبارته: ودخل شيب بن شبة على إسحاق بن عيسى يعز به عن طفل أصيب به.

(٦) لم يرد هذا الأسم في العقد الفريد ضمن هذه الحكاية.

(١) محبظًا باب الجنة حتى يدخل أبوابه ؟ بغاء بظاء معجمة ؛ فقال له بكر بن
 حبيب : محبظًا ، بظاء مهملة ؛ فقال شبيب : إلا أن من بين لابتيها يعلم أن القول
 كما أقول ؛ فقال بكر : وخطأ ثانٍ ، ما للبصرة لابتان ، أذهبت إليه بالمدينة ؟
 (من بين لابتيها : أى حرّتها) .

قيل : جلس محمد بن عبد الملك يوما للظالم ، وحضر في جملة الناس رجل زيه
 زى الكُتّاب ، جلس بإزاء محمد ، ومحمد ينقُد الأمور وهو لا يتكلم ، ومحمد يتأمله ؛
 فلما خف المجلس قال له : ما حاجتك ؟ قال : جئتك — أصلحك الله — متظلمًا ؛
 قال : ممن ؟ قال : منك ، ضيعة لي في يد وكيلك يحمل إليك غلتها ، ويحول بيني
 وبينها ؛ قال : فما تريد ؟ قال : تكتب بتسليمها إليّ ؛ قال : هذا يحتاج فيه
 إلى شهودٍ وبينة وأشياء كثيرة ؛ فقال له الرجل : الشهود هم البينة ، وأشياء كثيرة
 عني منك ؛ فاجعل محمد وهاب الرجل ، وكتب له بما أراد .

(١) في الأصل : « محبظًا » و « محبظًا » بالناء والباء في كتنا الكلمتين ؛ وهو تصحيف صوابه
 ما أثبتنا انظر العقد الفريد ج ١ ص ٢٩٦ طبع بولاق ؛ ونص هذا الحديث في اللسان :
 « ان السقط ليلظ محبظيا على باب الجنة » قال ابن الأثير في النهاية : المحبظي بالهمز وتركه : المتغضب
 المستبطي للشيء .

(٢) في العقد الفريد : قال إسحاق بن عيسى .

(٣) كذا في الأصل ؛ وعبارة العقد الفريد : ألى يقال مثل هذا وما بين لابتيها أعلم مني بها ؟
 ومعنى العبارتين مختلف ؛ وكلا المعنيين يستقيم به الكلام .

(٤) عبارة العقد : فقال له إسحاق ؛ وهذه أيضا ، البصرة لابتان بالكع ؟

(٥) إليه : أى إلى سليمان بن علي ؛ ويريد بهذه العبارة أن اللابيتين إنما هما للمدينة لا للبصرة .

(٦) في الأصل : « الى » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

(٧) انظر الحاشية رقم ٥ من صفحة ٧٣ من هذا السفر .

ووصف ذو الرمة لعبد الملك بن مروان بالذكاء وحسن الشعر، فأمر بإحضاره،
 فلما دخل عليه أنشده قصيدة أفنتحها بقوله: "ما بال عينك منها الماء ينسكب"
 وكانت عينا عبد الملك تدمعان دائماً، فظن أنه عرض به، فغضب وقال: مالك
 ولهذا السؤال يابن اللغناء؟ وقطع إنشاده، وأمر بإخراجه.

- ودخل أبو النجم على هشام بن عبد الملك وأنشده أرجوزته التي أولها:
 "الحمد لله الوهوب المجزل" حتى آتتهى إلى قوله يصف الشمس عند الغروب:
 "وهي على الأفق كعين الأحول"، وأستدرك سقطه لسانه، وقطع إنشاده، وعلم
 أنها زلة، لأن هشاماً كان أحول، فقال له هشام كجلى إنشادك ويملك وأتم البيت،
 وأمر بوجع عنقه وإخراجه من الرصافة.

- (١) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٧٤ من هذا السفر.
 (٢) لذا في الأصل؛ وقد وردت هذه القصة في محاضرات الأدباء للراغب ج ١ ص ١١٨ طبع
 جمعية المعارف بين ذى الرمة وهشام بن عبد الملك؛ ويؤيد ذلك أن وفاة عبد الملك كانت في سنة ست وثمانين
 كما في كتب التاريخ وسن ذى الرمة إذ ذلك تسع سنين فإنه ولد في سنة ثمان وسبعين كما يستفاد من ترجمته
 في وفيات الأعيان، فقد ذكر في وفاته ما نصه وكانت وفاته سنة سبع عشرة ومائة رحمه الله تعالى، ولما
 حضرته الوفاة قال: أنا ابن نصف آهرم، أنا ابن أربعين سنة اه
 (٣) أبو النجم: هو المفضل، وقيل: الفضل بن قدامة بن عبيد الله بن عبد الله بن الحارث بن عبدة
 ينتهى نسبه إلى ربيعة بن بجلى بن لجيم؛ وهو من رجاز الإسلام الفحول المقدمين، وفي الطبقة الأولى منهم،
 وكان أبلغ في النعت من العجاج انظر الأغاني ج ٩ ص ٧٧ طبع بولاق؛ وكانت وفاته في آخر دولة بني أمية
 كما في معاهد التنصيص ص ١٢ طبع بولاق.
 (٤) كذا في الأصل والأغاني ج ٩ ص ٨٠ طبع بولاق؛ وروايته في معاهد التنصيص ص ٩ طبع
 بولاق: "الحمد لله العلى الأجل" وبعده: "الواهب الفضل الوهوب المجزل".
 (٥) الوجع: السكر، يقال: وجأ عنقه وفي عنقه.
 (٦) يريد بالرصافة: رصافة هشام بن عبد الملك؛ وهي في غرب الرقة، بينهما أربعة فراسخ على طرف
 البرية؛ بناها هشام لما وقع الطاعون بالشام وكان يسكنها في الصيف؛ ثم أورد ياقوت بعد هذا الكلام
 ما يفيد أن الرصافة كانت مبنية قبل الإسلام بدهر ليس بالقصير.

قال المدائني: كان رجل من ولد عبد الرحمن بن سمرّة أراد الوثوب بالشام في زمن المهدي، فأخذ وحمل إليه، فلما مثل بين يديه اعتذر، فرأى منه المهدي نبلا وفضلا، فعفا عنه وخطبه بجلسائه؛ ثم قال له يوما: أنشدني شيئا من شعر زهير، فأنسده قصيدته التي أوّلها: "لمن الديار بقنة الحجر" حتى أتى على آخرها؛ فقال المهدي: مضي من يقول مثل هذا؛ فقال السمرّي: وذهب والله من يقال فيه مثله؛ فاستشاط المهدي غضبا، وأمر أن يجرّ برجله، وألا يؤذّن له بعدها.

ولنختم ما ذكرناه من أمر كتابة الإنشاء بشيء من الحكم.

ذكر شيء من الحكم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الحكمة ضالة المؤمن".

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لكلّ جواد كبوه، ولكلّ حكيم هفوه؛ ولكلّ نفس ملة، فاطلبوا لها طرائف الحكمة.

ومن آحاد الحديث النبويّ — صلوات الله تعالى وسلامه على قائله — مما يدخل في هذا الفصل قوله صلى الله عليه وسلم: "كرم الرجل دينه، ومروءته عقله، وحسبه عمله". "خير الأمور أوسطها". "كلّ ميسر لما خلق له".

(١) قنة الحجر: جريل ليس بالشاخ بجذاه آجر؛ والجر: قرية بجذاتها قرية يقال لها: الرضية للأنصار وبنو سليم من نجد (ياقوت) وقال في مستدرک التاج مادة قن: قنة آجر: قرب معدن بنو سليم.

(٢) في الأصل: «يقول» بالبناء للفاعل؛ وسياق الكلام يقتضي ما أثبتنا.

(٣) استشاط: التهب.

(٤) في الأصل: «ملة»؛ والميم زيادة من النسخ.

(٥) رواه ابن الأثير في النهاية: «أوساطها» بصيغة الجمع.

”زُرْ غِبًّا تَرِدُّ حَبًّا“ . ”الوَحْدَةُ خَيْرٌ مِنْ قَرِينِ السُّوءِ“ . ”الْبِرْكَةُ فِي الْحَرَكَةِ“ .
 ”صَلُّوا أَرْحَامَكُمْ وَلَوْ بِالسَّلَامِ“ . ”مَنْ كَثُرَ سَوَادُ قَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ“ . ”مَا قَلَّ وَكَفَى
 خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَالْهَى“ . ”لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ ، إِنَّمَا الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ“ .
 وقال أبو بكر الصِّدِّيقُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : صِنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَبْقَى مَصَارِعُ السُّوءِ .

وقال علي بن أبي طالب : اسْتَعِينِ عَمَّنْ شَدَّتْ فَأَنْتَ نَظِيرُهُ ، وَأَحْتِجْ إِلَى مَنْ
 شَدَّتْ فَأَنْتَ أَسِيرُهُ ، وَأَفْضَلُ عَلَى مَنْ شَدَّتْ فَأَنْتَ أَمِيرُهُ .^(١)

قال بعض الشعراء :

وإذا ما الرجاء أسقط بين الذ * ساس فالناس كلهم أكفاء

وقال لقمان لابنه : ثلاثة لا يعرفون إلا في ثلاثة مواضع : لا يعرف الحليم
 إلا وقت الغضب ، ولا الشجاع إلا في الحرب إذا لاقى الأقران ، ولا أخوك
 إلا عند حاجتك .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : أَحَبُّكُمْ إِلَيْنَا قَبْلَ أَنْ نَحْتَبِرَكُمْ أَحْسَنُكُمْ
 صَمْتًا ، فَإِذَا تَكَلَّمْتُمْ فَأَيُّكُمْ مَنْطِقًا ، فَإِذَا آخْتَبَرْنَاكُمْ فَأَحْسَنُكُمْ فِعْلًا .^(٢)

وفي رواية : أَحَبُّكُمْ إِلَيْنَا أَحْسَنُكُمْ أَسْمَاءً ، فَإِذَا رَأَيْنَاكُمْ فَأَجْمَلُكُمْ مَنْظَرًا ، فَإِذَا
 آخْتَبَرْنَاكُمْ فَأَحْسَنُكُمْ مَخْبَرًا .

وخطب علي رضي الله عنه يوما فقال في خطبته : وَأَعْجَبُ مَا فِي الْإِنْسَانِ
 قَلْبُهُ ، لَهُ أَمْدَادٌ مِنَ الْحِكْمَةِ ، وَأَصْدَادٌ مِنْ خِلَافِهَا ، فَإِذَا سَنَحَ لَهُ الرَّجَاءُ هَاجَ بِهِ

(١) المشهور في روايته « تكن » في المواضع الثلاثة مكان قوله : « فأنت » ؛ والمعنى يستقيم على كلنا

الروايتين .

(٢) في الأصل : « نخرمك » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يدل عليه قوله : فإذا آخترناكم .

(٣) الأمداد : الأعوان ، واحده مدد بالتحريك .

الطمع ، وإن هاج به الطمع أهلكه الحرص ، وإن ملكه اليأس قتله الأسف ،
وإن عرّض له الغضب اشتد به الغيظ ، وإن أسعد بالرضا نسي التحفظ ، وإن
نال الخوف شغله الحزن ، وإن أصابته مصيبة قصمه الجزع ، وإن أفاد مالا أطغاه
الغنى ، وإن عصته فاقته شغله البلاء ، وإن جهده الجوع أقعده الضعف ، فكل
تقصير به مضر ، وكل إفراط له مفسد .

ومن كلامه — رضى الله عنه — : فرّض الله تعالى الإيمان تطهيرا من الشرك ،
والصلاة تنزيها عن الكبر ، والزكاة سببا للرزق ، والصيام ابتلاء لإخلاص الخلق ،
وألج تقوية للبدن ، والجهاد عزّا للإسلام ، والأمر بالمعروف مصلحة للعوام ، والنهي^(١)
عن المنكر ردعا للسفهاء ، وصلة الرحم ممّاة للعدد ، والقصاص حقنا للدماء ، وإقامة^(٢)
الحدود إعظاما للمحارم ، وترك شرب الخمر تحصينا للعقل ، ومجانبة السرقة إيجادا
للعفة ، وترك الزنى تصحيحا للنسب ، وترك اللواط تكثيرا للنسل ، والشهادات
استظهارا على المجاحدات ، وترك الكذب تشريفا للصدق ، والسلام أمانا من المخاوف ،
والإمامة نظاما للأمة ، والطاعة تعظيما للإمامة .

وقال فرفور يوس : لو تميزت الأشياء بأشكالها لكان الكذب مع الجبن ،
والصدق مع الشجاعة ، والراحة مع اليأس ، والتعب مع الطمع ، والحرمان مع الحرص ،
والعزم مع القناعة ، والأمن مع العفاف ، والسلامة مع الوحدة .

(١) العوام : جمع عامة ، كدابة ودواب (المصباح) .

(٢) فى الأصل : « إيجازا » بالزاي ؛ وهو تحريف لا يظهر له معنى .

(٣) فى الأصل : « الأمانة » بالنون فى كلنا الكلمتين ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٤) كذا فى كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى ص ٢٥٦ طبع ليبسك ؛ والذى فى الأصل :
« فرفوريس » . وفرفور يوس هذا من أهل مدينة صور من ساحل الشام ؛ وكان بعد زمن جالينوس ؛
وله النباهة فى علم الفلسفة والتقدم فى تفسير كتب أرسطوطاليس .

(٥) فى الأصل : « والأمر » بالراء ؛ وهو تحريف .

وقال آخر: الشكرُ محتاجٌ إلى القبول، والحسبُ محتاجٌ إلى الأدب، والسرورُ محتاجٌ إلى الأمن،^(١) والقراءةُ محتاجةٌ إلى المودة، والمعرفةُ محتاجةٌ إلى التجارب، والشرفُ محتاجٌ إلى التواضع، والنَّجدةُ محتاجةٌ إلى الخِدِّ.

وقال حكيم يوناني: السعاداتُ كلها في سبعة أشياء: حُسْنُ الصورة، وصحةُ الجسم، وطولُ العمر، وكثرةُ العلم، وسعةُ ذات اليد، وطيبُ الذكر، والتمكُّنُ من الصديق والعدو.

وقال بعض الأدباء— وقد سئل عن العيش— فقال: في الغنى فإنِّي رأيتُ الفقير لا يلتذُّ بعيش أبدا، فقال له السائل: زدني، قال: في الصحة، فإنِّي رأيتُ المريض لا يلتذُّ بعيش أبدا، فقال له: زدني، قال: في الأمن، فإنِّي رأيتُ الخائف لا يلتذُّ بعيش أبدا، قال: زدني، قال: لا أجد مزيدا. وهذا الكلام مأخوذ من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«من أصبح آمنا في سربه،^(٢) معافى في بدنه،^(٣) عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذاقها».

وقال فيلسوف: كثيرٌ من الأمور لا تصلحُ إلا بقرنائها: لا ينفع العلمُ بغير ورع، ولا الحفظُ بغير عقل، ولا الجمالُ بغير حلاوة، ولا الحسبُ بغير أدب، ولا السرورُ بغير أمن، ولا الغنى بغير كفاية، ولا الاجتهادُ بغير توفيق.

(١) في الأصل: «الأمر» بالراء؛ وهو تحريف.

(٢) السرب بكسر السين: النفس.

(٣) كذا في الجامع الصغير ج ٢ ص ٣٥٢ طبع بولاق ومحاضرات الأدباء ج ١ ص ٣٢٢ طبع

٢. جمعية المعارف بمصر؛ والنزى في الأصل: «له» بدل قوله: «عنده»؛ ولم تقف على هذه الرواية فيما بين أيدينا من المظان.

وقالوا : المنظرُ يحتاج إلى القبول ، والحسبُ إلى الأدب ، والسرورُ إلى الأمن ،
والقربى إلى المودة ، والمعرفةُ إلى التجارب ، والشرفُ إلى التواضع ، والنجدةُ
إلى الجِدِّ .^(١)

وقال على رضى الله عنه : يغلب المقسدار على التقدير ، حتى تكون الآفةُ
في التسدير .

أخذه ابن الرومي فقال :

غَلَطَ الطَّيِّبُ عَلَى غَاظَةِ مُورِدٍ * عَجَزَتْ مَوَارِدُهُ عَنِ الْإِصْدَارِ^(٢)

وَالنَّاسُ يَلْحُونَ الطَّيِّبَ وَإِنَّمَا * غَلَطَ الطَّيِّبُ إِصَابَةَ الْمَقْسِدَارِ

وقال : إذا أنقضت أمته ، كان أهلك في العتده .

وقال القدماء : لا خير في القول إلا مع الفعل ، ولا في المنظر إلا مع الخبر ،
ولا في المسال إلا مع الجود ، ولا في الصديق إلا مع الوفاء ، ولا في الفقيه إلا مع
الورع ، ولا في الصدقة إلا مع حسن النيّة ، ولا في الحياة إلا مع الصحّة ، ولا
في السرور إلا مع الأمن .

قال بعض بني تميم : حضرت مجلس الأحنف بن قيس وعنده قوم مجتمعون ،
فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن الكرم ، منع الحريم ؛ ما أقرب النعمة من أهل
البعي ! لا خير في لذة تُعقب ندما ؛ لن يهلك من قصد ، ولن يقتقر من زهد ؛ رب
هزل قد عاد جدّا ؛ من أمن الزمان خانته ، ومن تعظم عليه أهانه ؛ دعوا المزاح فإنه

(١) تقدّم هذا الكلام في صفحة ١٨٤ مع تغيير يسير في عبارته .

(٢) كذا في وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٠٠ طبع بولاق وغيره من المصادر التي بين أيدينا ؛ والذي

في الأصل : « مجانيه » ؛ وهو تحريف .

(١) يُورث الضعائى ؛ وخير القول ما صدقه الفعل ؛ احتملوا من أدل عليكم ، وأقبلوا
 عذر من اعتذر إليكم ؛ أطع أخاك وإن عصاك ، وصله وإن جفاك ؛ أنصف من
 نفسك قبل أن يتصف منك ؛ وإياكم ومشاورة النساء ؛ وأعلم أن كفر النعمة
 لؤم ، وصحبة الجاهل شؤم ؛ ومن الكرم ، الوفاء بالذم ؛ ما أفيح القطيعة بعد الصلة ؛
 ٥ وبالخفاء بعد اللطف ، والعداوة بعد الوُدِّ ! لا تكونن على الإساءة أقوى منك على
 الإحسان ، ولا إلى البخل أسرع منك إلى البذل ؛ وأعلم أن لك من دنياك ،
 ما أصلحت به مشواك ، فأنت في حق ولا تكونن خازنا لغيرك ؛ وإذا كان الغدر
 موجودا في الناس فالثقة بكل أحد عجز ؛ اعرف الحق لمن عرفه لك ؛ وأعلم أن
 قطيعة الجاهل ، تعدل صلة العاقل . قال : فما رأيت كلاما أبلغ منه ، ففقت
 وقد حفظته . والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

١٠

ومن كلام علي رضي الله عنه : من أبصر عيب نفسه شغل عن عيب
 غيره ؛ ومن سل سيف البغي قتل به ؛ ومن حفر لأخيه بئرا وقع فيها ؛ ومن هتك
 حجاب أخيه أنهتكت عورات بيته ؛ ومن نسي خطيئته استعظم خطيئة غيره ،
 ومن تكبر على الناس زل ؛ ومن سفه على الناس شتم ؛ ومن خالط العلماء وقّر ،
 ١٥ ومن خالط الأندال حقر ؛ ومن أكثر من شيء عرف به ؛ والسعيد من وعظ
 بغيره ؛ وليس مع قطيعة الرحم ثقي ، ولا مع الفجور غني ؛ رأس العلم الرفق ،
 وأفته الخرق ؛ كثرة الزيارة تورث الملامة .

وقال موسى بن جعفر : ما تساب أشان إلا انحط الأعلى إلى مرتبة الأسفل .

- (١) يقال : أرت النار أريتا ، إذا أوقدها ؛ وما هنا مستعار منه .
 (٢) في الأصل : « بنته » بالنون ؛ وهو تصحيف .
 (٣) في الأصل : « ما أشب » ؛ وهو تحريف .

٢٠

٢٢

وقال آخر : ما تساب آثان إلا غلب الأمهما .

وقال الحسن بن علي بن موسى الرضى^(١) : اعلم أن للحباء مقدارا فإن زاد عليه فهو سرف ، وللخزم مقدارا فإن زاد عليه فهو جبن ، وللاقتصاد مقدارا فإن زاد عليه فهو بخيل .

قال مهدي بن أبان : قلت لولادة العبدية — وكانت من أعقل النساء — :
إني أريد ألتج فأوصيني ، قالت : أوحز فأبلغ ، أم أطيل فأحكيم ؟ فقلت : ماشئت ؛
فقلت : جد تسد ، وأصبر تفز ؛ قلت : أيضا ؛ قالت : لا يبعد غضبك حلمك ،
ولا هواك علمك ؛ وق دينك بدنياك ، وق عريضك بعرضك ؛ وتفضل تحدم ، وأحلم
تقدم ؛ قلت : فبمن أستعين ؟ قالت : بالله ؛ قلت : من الناس ؛ قالت : الجلد
النشيط ، والصالح الأمين ؛ قلت : فمن أستشير ؟ قالت : المجرب الكيس ،
أو الأديب الأريب ؛ قلت : فمن أستصحب ؟ قالت : الصديق المسلم ، أو المؤاخى^(٢)
المتكرم ؛ ثم قالت : يابناه ، إنك تفد إلى ملك الملوك فأنظر كيف يكون مقامك
بين يديه .

وقال حكيم : من الذى بلغ جسيما فلم ييطر ، وآتبع أهوى فلم يعطب ؛ وجاور
النساء فلم يفتتن ، وطلب إلى اللثام فلم يهن ، وواصل الأشرار فلم يندم ، وصحب
السلطان فدامت سلامته .

(١) الحباء بالكسر : العطاء .

(٢) فى الأصل : « المداجى » بالذال والجيم ؛ وهو تحريف مفسد للمعنى ، فإن المداجاة : المداراة
ومسائة العداوة .

(٣) فى الأصل : « ينظر » ؛ وهو تصحيف لا يستقيم به المعنى .

وقال : الاعتبارُ يفيدُ الرشادَ ، وكفالك أديبا لنفسك ما كرهتَ من غيرك .
 وكان يقال : عليكم بالأدب فإنه صاحبٌ في السفر ، ومؤنسٌ في الوحدة ،
 وجمالٌ في الخِيفِ ، وسببٌ إلى طلبِ الحاجة .

وقال بعضهم : احذر كلَّ الحذر من أن يخذعك الشيطان فيمثل لك التواني
 في صورة التوكل ، ويؤرتك الهويني بالإحالة على القدر ، فإن الله تعالى أمر بالتوكل
 عند انقطاع الحيل ، وبالتسليم للقضاء بعد الإعذار ، فقال تعالى : « خذُوا حذرَكُمْ »
 « وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ » .

وقال آخر : لا تجاهد أطلب جهاد الغالب ، ولا تنتكل على القدر أتتكال
 المستسلم ، فإنَّ ابتغاء الفضل من السنة ، والإجمال في الطلب من العفة ، وليست
 ألفة بدافعة رزقا ، ولا أحرصُ بجالب فضلا .

وقالوا : عشرُ خصالٍ في عشرة أصنافٍ أبيعُ منها في غيرهم : الضيقُ
 في الملوك ، والغدرُ في الأشراف ، والكذبُ في القضاة ، والخديعةُ في العلماء ،
 والغضبُ في الأبرار ، والحرصُ في الأغنياء ، والسفهُ في الشيوخ ، والمرضُ في الأطباء ،
 والزهوُ في الفقراء ، والفجورُ في القراء .

(١) في الأصل : « يعتدك » بالعين والهاء ؛ وهو تحريف .

(٢) في الأصل : « يدعك » بسقوط الخاء ؛ والتصويب عن محاضرات الأدباء للراغب ج ١ ص ٣٠٥
 طبع جمعية المعارف بمصر .

(٣) كذا في محاضرات الأدباء ؛ والذي في الأصل : « يريك تهوينا » ؛ وهو تحريف في كلتا الكلمتين .

(٤) في الأصل : « بالفضل » ؛ والباء زيادة من الناسخ .

(٥) لعله : « في الأمراء » .

(٦) في الأصل : « والسعة » ؛ وهو تحريف .

(٧) المراد بالقراء : حفظة القرآن والتالون له .

وقالوا : ثمانية إذا أهينوا فلا يلوموا إلا أنفسهم : الآتى طعاما لم يدع إليه ،
 والمتأمر على رب البيت في بيته ، وطالب المعروف من غير أهله ، وراج منن^(٢)
 الفضل من اللثام ، والداخل بين اثنين لم يدخله ، والمستخف بالسلطان ، والجالس
 مجلسا ليس له بأهل ، والمقبل بحديثه على من لا يسمعه .

ومن الأبيات المناسبة لهذا الفصل قول الأصبط بن قريع :

لكل ضيق من الموم سعه * والمسي والصبح لا بقاء معه
 فصل حبال البعيد إن وصل الـ * حبل وأقص القريب إن قطعه
 وخذ من الدهر ما أتاك به * من قر عينا بعيشه نفعه
 لا تحقرن الفقير علك أن * تركع يوما والدهر قد رقع^(٣)
 قد يجمع المال غير آكله * ويأكل المال غير من جمعه
 وقال أحيحة :

فايدرى الفقير متى غناه * ولا يدري الغنى متى يعيل^(٥)
 ولا تدري إذا أزمعت أمرا * بأى الأرض يأتيك المقييل

(١) فى الأصل : « هينوا » ؛ وهو تحريف .

(٢) فى الأصل : « المعرود » بالهاء ؛ وهو تحريف .

(٣) فى اللسان مادة « ركع » ولا تهين الخ . وقال : أراد « ولا تهين » فجعل النون ألفا ساكنة

فأستقبلها ساكن آخر فسقطت .

(٤) يقال : ركع الرجل ، إذا أفقر بعد غنى وأنحطت حاله .

(٥) يعيل : يفتقر .

(١) وقال الصَّلْتَانُ العَبْدِيُّ :

أَشَابَ الصَّغِيرَ وَأَفَى الْكَبِيرَ * رَكَرَ الْغَدَاةَ وَمَرَّ الْعِشِيَّ
إِذَا لَيْلَةٌ هَرَمَتْ يَوْمَهَا * أَتَى بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمٌ قَتِي
نُزُوحٌ وَنَغْدٌ لِحَاجَاتِنَا * وَحَاجَةٌ مِنْ عَاشٍ لَا تَقْضِي
تَمُوتُ مَعَ الْمَرْءِ حَاجَاتُهُ * وَتَبَقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِيَ

وقال المتنبي :

ذَكَرُ الْفَقِي عُمَرُ الْثَانِي وَحَاجَّتُهُ * مَا قَاتَهُ وَفَضُولُ الْعَيْشِ أَشْغَالُ

وقد جُمِعَ مِنْ شِعْرِ أَبِي الطَّيِّبِ فِي ذَلِكَ مَا وَافَقَ كَلَامَ أَرِسْطُوطَالِيَسَ
فِي الْحِكْمَةِ ؛ فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَرِسْطُوطَالِيَسَ : إِذَا كَانَتِ الشَّهْوَةُ فَوْقَ الْقُدْرَةِ كَانَ هَلَاكُ
الْجَسْمِ دُونَ بُلُوغِ الشَّهْوَةِ .

قال المتنبي :

وَإِذَا كَانَتِ النُّفُوسُ كِبَارًا * تَعَبَتْ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ

وقال أَرِسْطُوطَالِيَسَ : قَدْ يَفْسِدُ الْعَضْوُ لِصَلَاحِ أَعْضَاءِ ، كَالْكَيِّ وَالْفِصْدِ
الَّذِينَ يُفْسِدَانِ الْأَعْضَاءَ لِصَلَاحِ غَيْرِهَا . نَقَلَهُ الْمَتْنَبِيُّ إِلَى شِعْرِهِ فَقَالَ :

١٥ (١) كذا في الأصل ومعاهد التنصيص ص ٣٥ طبع بولاق ؛ ونقل صاحب معاهد التنصيص أيضا
عن الجاحظ في كتاب الحيوان نسبة هذه الأبيات الى الصلتان السعدي ، وقال — أى الجاحظ — :
هو غير الصلتان العبدى .

(٢) كذا في معاهد التنصيص ؛ والذي في الأصل : « لواء » ولعله مقلوب « ولاء » بتقديم الواو
المكسورة ، وهو المتابعة ، مصدر والى الشيء : أى تابعه ، فإن المعنى يستقيم عليه أيضا .

٢٠ (٣) في الأصل : « هزمت » ؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا كما في اللسان ؛ ويدل عليه أيضا مقابله
بقوله في آخر البيت : « يوم قتي » .

(٤) في الأصل : « الهم » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

لعلَّ عَتَبَكَ مَجْمُودٌ عَوَاقِبُهُ * فَرَبَّمَا صَحَّتْ الْأَجْسَادُ بِالْعِلَلِ

وقال أرسطوطاليس : الظلم من طبع النفوس ، وإنما يُصَدِّها عن ذلك إحدى علتين : إما علة دينية خوف معاد ، أو علة سياسية خوف سيف قال المتنبي :

والظلم من شيم النفوس فإن تجدد * ذا عفة فلعللة لا يظلم

هذا ما اتفق إirأده في هذا الباب من أمر كتابة الإنشاء ، وكلام الصحابة وأخلفاء ، وذوى الفصاحة من الأمراء ، وبلاغات الخطباء والفصحاء ، ورسائل الفضلاء والبلغاء ، وفقر الكتاب والأدباء ، وحكم أوائل الحكماء ، وهو مما يضطر الكاتب إليه ، ويعتمد في الأطلاع على ما خفى من أمر هذه الصناعة عليه ، وهي إشارات إلى مجموعها ، ورشفات من ينبوعها ، وباب يتوصل منه إلى رحابها ، وسلم يرتقى عليه إلى هضابها ، ومسيل عذب يتصل بعبابها ، فقد وصح لك أيها الطالب السبيل ، وظهر لك أيها الراغب قيام الدليل ، وفيما أوردناه كفاية لمن تمسك بهذه الصناعة ورغب فيها ، وغنية لمن تأمل مقاصدها وتدبر معانيها ، فلنذكر كتابة الديوان والتصريف .

ذكر كتابة الديوان وقلم التصريف وما يتصل بذلك

قد ذكرنا في أول هذا الباب في السفر السابع من هذا الكتاب اشتقاق الكتابة ، ولم نسميت بذلك ، وذكرنا أيضا أصلها وشرفها وفوائدها ، فلا حاجة إلى إعادته في هذا الموضع ، فلنذكر الآن ما يتعلق بقلم الديوان والتصريف والحساب ، وإن كنا قد مناذر كتاب الإنشاء لما هم بصدد من الصدارة والوجهه ، والنبالة والنباهه ، والفصاحة والصباحه ، والنزاهة والسماحه ، والأمانة والديانه ، والسيادة والصبانته ،

وَلَمَّا تَصَدَّوْا لَهُ مِنْ كِتْمِ أَسْرَارِ الدَّوَلِ ، وَتَرَدَّوْا بِهِ مِنْ مَحَاسِنِ الْأَوَاخِرِ وَمَا تَرَى الْأَوَّلِ ،
وَأَلْتَحَفُوا بِهِ مِنْ مَطَارِفِ الْفَضَائِلِ وَالْمَكَارِمِ ، وَتَحَلَّوْا بِهِ مِنْ صِفَاتِ الْأَفْضَلِ
وَالْأَكْرَمِ ؛ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَنَاقِبِهِمْ أَجْمَعِ ، وَأَيَادِيهِمْ الَّتِي وَصَّحَتْ غُرَرًا فِي لِيَالِي
الْخَطُوبِ الْمَدْلُومَةِ ؛ فَكُتِّبَ الْحِسَابُ أَكْثَرَ تَحْقِيقًا ، وَأَقْرَبُ إِلَى ضَبْطِ الْأَمْوَالِ طَرِيقًا ،
وَأَدْلُ بَرَهَانًا ، وَأَوْضَحُ بَيَانًا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ : ﴿ لِيَتَّبِعُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ
وَلِيَتَعَلَّمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴾ وَذَهَبَ بَعْضُ الْمَفْسَرِينَ
لِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ قَالَ أَجْعَلْنِي
عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ ، أَي كَاتِبٌ حَاسِبٌ .

وروى البخاري عن أبي حميد الساعدي قال : "استعمل رسول الله صلى الله

- ١٠ عليه وسلم رجلا من الأسد على صدقات بني سليم يدعى ابن التنبية فلما جاء حاسبه"
فقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاسب ؛ وَبُكِّبَ الْحِسَابُ تَحْفَظَ الْأَمْوَالِ
وَتَضَبَطَ الْعِلَالَ ؛ وَتُحَدِّدُ قَوَانِينُ الْبِلَادِ ؛ وَتُمَيِّزُ الطَّوَارِفُ مِنَ التَّلَادِ ؛ لَمْ يَفْخَرْ كِتَابُ
الْإِنْشَاءِ بِمَنْقِبَةٍ إِلَّا خَفَرُوا بِمَنَاقِبِ ، وَلَا سَمَّوْا إِلَى مَرْتَبَةٍ إِلَّا وَقَدِ رَقُّوْا إِلَى مَرَاتِبِ ؛
وَلَا تَمَيَّزُوا بِرِسَالَةٍ إِلَّا وَهَوَّلَاءُ فِيهَا الْقَدْحُ الْمَعْلَى ، وَلَا نُسَبُّوا إِلَى نِبَاهَةٍ إِلَّا وَمَحَلُّهُمْ فِيهَا

- ١٥ (١) كذا في الأصل بالسين ، وهو أفصح ؛ ويقال فيه : "الأزد" بالزاي ، وهو أبو حنيفة من اليمن ،
ومن أولاده الأنصار كلهم .

(٢) هذه الكلمة في الأصل مهملة الحروف من النقط ؛ وقد أثبتناها هكذا نقلًا عن صحيح البخاري ج ١
ص ٣٨٢ طبع ليدن والتبئية : أمه ، نسبة إلى بني لب بالضم ، وهم حنيفة من الأزد ؛ ومنهم من يفتح اللام
والتاء المثناة ؛ وفي بعض الروايات : « الألتبية » بالهمزة ؛ وفي رواية أخرى بضم ففتح ؛ وأسم ابن التبية
هذا : عبد الله انظر شرح القاموس مادة (تب) .

- ٢٠ (٣) كذا وردت هذه الكلمة في الأصل ، ولعل فيها تحريفًا فإن رسائل المنشئين ليس لكتاب
التصرف فيها القدح المعلى كما قال إلا إذا كانوا منشئين أيضا ؛ ولعل صوابه « نباهة » ويرجحه حصول
الجناس بها مع قوله في الجملة الآتية « نباهة » والمؤلف يميل إلى هذا النوع في كتابته ؛ وقد سبق أن جمع
بين الكلمتين في صفحة ١٩١ س ١٩٠ .

المحل الأرفع ومقامهم الملقام الأعلى ؛ ولا أتصفوا بكتان سرِّ إلا أتصف هؤلاء بمثله ،
 ولا شُهِروا ببذل برِّ إلا وهؤلاء هم أعيان أهله ؛ ثم آتخصُّ كُتَّابُ التصرف بأمورٍ
 مُنِعَ أولئك منها ، وأُطِلَّتْ أَقْلَامُهُمْ فِي أَقْلَامِ حُبِسَتْ أَقْلَامُ أولئك عنها ؛ وأرتقوا
 إلى قِلَلِ مراتبِ كَبَتْ حِيَادُهُمْ عن إدراك غايتها ، وتَسَنَّمُوا ذِرا مناصبَ لا تُمْتَدُّ
 الأمالُ إلى أكثر من نهايتها ؛ ولسنا نقيمهم في محلِّ المناظرة ، ولا نوقفهم في موقف
 المكاثرة والمفاخرة ؛ بل لكلِّ طائفة فضلٌ لا ينكره ، وفضائلٌ هي أشهرُ من أن تَمَلَى
 وتسطَّر ؛ ولما آتتهيتُ في كتابي هذا إلى باب الكتابة ، أردت أن أضرب عن
 ذكر كتابة التصرف صفحا ، ولا أُعيرها من النظر لمحا ، وأقتصر على كتابة الإنشاء جريا
 على عادة من صنَّف ، وقاعدة من أَلَف ؛ فسألني بعض إخواني أن أضع في ذلك
 ملخصًا يعلم منه المباشرُ كيف المباشرة ، ويستضيء به فيما يسترفعه أو يرفعه
 من ضريبةٍ وموافره ؛ فأوردتُ هذه النُبذة إزالةً لسؤاله ، وتحقيقًا لآماله ؛
 وذكرتُ من صناعة الكتابة ما هو بالنسبة إلى مجموعها قطرةٌ من بحرِها ، وشذرةٌ
 من عقود درِّها ؛ مما لا بدَّ للبندى من الإحاطة بعلمه ، والوقوف عند رسمه ؛
 وحين وضعتُ ما وضعتُ من هذه الصناعة لم أقف قبل ذلك على كتاب في فنِّها

٢٩

١٥ (١) المراد بالأقلام هنا : أنواع كتابة الديوان كما هو المصطلح عليه عند كتّاب الدواوين في زماننا ؛
 وبألّي قبلها والتي بعدها : جمع القلم بالمعنى المعروف .

(٢) في الأصل : « الأمثال » ؛ والناء زيادة من التناسخ .

(٣) يسترفعه : أى يطلب من غيره أن يرفعه إليه . ويرفعه : أى يرفعه هو إلى غيره .

(٤) في الأصل : « موامره » بالميم ؛ وهو تحريف .

(٥) في الأصل : « فأردت » بسقوط الواو ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

(٦) في الأصل : « إرادة » وهو تحريف ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٧) في الأصل : « فبا » ؛ وهو تحريف .

- (١) مصنف ، ولا انتهتُ إلى فصل مترجم بها أو مؤلف ؛ ولا لمحتُ في ذلك إشاره ، ولا سمعتُ من لخص فيها عباره ؛ ولا من تفوه فيها ببنت شفة ولسان ، ولا من صرف بنانٍ بلاغته في ميادينها العنان ؛ حتى أقتدى بمثاله ، وأنسج على منواله ؛ وأسلك طريقه في الإجاهه ، وأخذو حذوه في الإفاده ؛ بل وجدتها مقفلة الباب ، مسبلة الحجاب ؛ قد أكتفى كل كاتب فيها بعلمه ، واقتصر على حسب فهمه ؛ فراجعتُ فيها الفكره ، وعطفتُ بالكره بعد الفره ؛ ثم قرعتُ بابها ففتح بعد غلقه ، ورفعتُ حجابها ففتق بعد رتقه ؛ وأمتطيتُ صهوتها فلانت بعد جماحها ، وأرتقيتُ ذروتها فظهر للفكره طريقٌ نجاحها ؛ فشرعتُ عند ذلك في تأليف ما وضعته ، وترصيف ما صنفته ؛ وبدأتُ بأشتقاق تسمية الديوان ، ولم سمي ديوانا ، ثم ذكرت ما تفرع من كتابة الديوان من أنواع الكتابات ، وأول ديوان وُضع في الإسلام ، وسبب وضعه ، ثم ذكرت ما يحتاج إليه كل مباشر من كيفية المباشرة وأوضاعها ، وما استقرت عليه القواعد العرفية ، والقوانين الاصطلاحية ، وما يرفعه كل مباشر ويسترفعه ، والأوضاع الحسابية ، على ما ستقف إن شاء الله تعالى عليه ، وترجع فيما أشكل من أمورها إليه .

- ١٥ (١) في الأصل : « لفظ » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى . ومترجم بفتح الجم : أى مسمى .
 (٢) في الأصل : « بيان » ؛ وهو تصحيف .
 (٣) في الأصل : « وأبيع » ، وهو تحريف .
 (٤) الغلق : مصدر علقت الباب بدون ألف ، وهى لغة قليلة قال الشاعر : « ولا أقول لباب الدار مغلق » .
 (٥) في الأصل : « صهرتها » بالراء ؛ وهو تحريف .
 ٢٠ (٦) لعله : « وصفته » إذ به مع قوله : « صنفته » فى الجملة الآتية يستقيم السجع الذى التزمه المؤلف .
 (٧) الترصيف : التجميع والتنضيد ، يقال : رصف الحجارة ورصفها بخفيف الصاد وتشديدها .
 (٨) انظر الحاشية رقم ٣ من صفحة ١٩٣ من هذا السفر .

ذكر اشتقاق تسمية الديوان ولم سمي ديوانا ومن سماه بذلك

قد اختلف في تسمية الديوان ديوانا على وجهين : أحدهما أن كسرى
أطلع ذات يوم على كتاب ديوانه ، فرأهم يحسبون مع أنفسهم ، فقال : ديوانه :
أى مجانين ؛ فسمى موضعهم بهذا الاسم ، ثم حذفت الهاء لكثرة الاستعمال
تخفيفا للاسم ، فقيل : ديوان . والثاني أن الديوان بالفارسية اسم للشياطين ،
فسمى الكتاب باسمهم لحذقهم بالأمر ، ووقفهم على الجلي^(١) والخفي^(٢) ، وجمعهم لما
شد وتفرق ، وأطلعهم على ما قرب وبعد ، ثم سمي مكان جلوسهم باسمهم ، فقيل :
ديوان . هذا ما قيل في تسميته على ما حكاه الماوردي في الأحكام السلطانية ؛
والله أعلم .

ذكر ما تفرع عن كتابة الديوان من أنواع الكتابات

هذه الكتابة تنقسم إلى أقسام ووظائف : أصول وفروع ، وهي : مباشرة الجيوش ،
ومباشرة الخزانة ، وبيت المال ، وأهراء الغلال ، ومباشرة البيوت ، ومباشرة^(٤)
الهلالى ، ومباشرة الجوالى ، ومباشرة الخراجى ، ومباشرة الأقباص والمعاصر^(٥)
ومطابخ السكر ، ويحتاج مباشر كل وظيفة من هذه الوظائف إلى معرفة قواعد يأتي
ذكرها إن شاء الله تعالى ؛ ولنبدأ بذكر مباشرة الجيوش .

(١) كذا في الأصل وصبح الأعشى ج ١ ص ٩٠ بالباء ؛ ولعله « في الأمور » ؛ إذ لم نجد فيها لدينا
من كتب اللغة أنه يقال : حذقت بالشيء ؛ والذي وقفنا عليه أنه يقال : حذقت ، وحذقت فيه .

(٢) في الأصل : « شدد » بدالين مهملتين ؛ وهو تحريف .

(٣) في الأصل : « تسميتهم » والميم زيادة من النسخ ، فإن المراد تسمية الديوان .

(٤) الأهراء : جمع « هري » بضم الهاء وكسر الراء وتشديد الياء ، وهو بيت كبير تجمع فيه الغلال
التي للسلطان ؛ قال الأزهري : لا أدري أعربى هو أم دخيل .

(٥) سيأتي شرح الهلالى والجوالى عند الكلام على ما يحتاج إليه مباشر كل منهما .

ذكر مباشرة ديوان آلخيش وسبب وضع الدواوين

وأول من وضعها في الإسلام

وديوان آلخيش هو أول ديوان وُضِعَ في الإسلام، وضعه عمر بن الخطاب -^(١)

- رضى الله عنه - في خلافته؛ وقيل: بل وُضِعَ في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ويدل على ذلك أن البخاري - رحمه الله - ترجم على هذا بقوله: باب كتابة الإمام الناس، قال: حدثنا محمد بن يوسف، قال: حدثنا سفيان عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "اكتبوا لي من تَلَفَّظَ بالإسلام من الناس، فكتبنا له ألفاً وخمسمائة رجل" وقد روى البخاري أيضاً بسنده عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: "جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يارسول الله، إني آكثبت في غزوة كذا وكذا، وأمرأتى حاجة؛ قال: ارجع فأحجج مع امرأتك"

وآختلف الناس في سبب وضعه في أيام عمر، قال قوم: سببه أن أبا هريرة -

رضى الله عنه - قَدِمَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، فقال له عمر رضي الله عنه: ماذا

- (١) في صبح الأعشى ج ١ ص ٩١ أن أول ديوان وضع في الإسلام هو ديوان الإنشاء؛ قال: وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكتب أمرأه وأصحاب سراياه من الصحابة رضوان الله عليهم ويكتبونه الخ ثم قال أيضاً: وهذه المكتوبات متعلقها ديوان الإنشاء.

- (٢) كذا في اللسان مادة كتب؛ والذي في الأصل: «إني اكتسبت»؛ وهو تحريف؛ وفي صحيح البخاري ج ٤ ص ٧٢ طبع بولاق سنة ١٣١١: «كتبت» وقد روى البخاري هذا الحديث أيضاً في ج ٣ ص ١٩ طبع بولاق برواية أخرى، وهي: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم، ولا يدخل عليها رجل إلا ومعها محرم؛ فقال رجل: يارسول الله، إني أريد أن أخرج في جيش كذا وكذا وأمرأتى تريد الحج؛ فقال: اخرج معها» ولا شاهد فيه على هذه الرواية حيث قال: «إني أريد أن أخرج» ولم يقل: «إني كتبت».

جئت به؟ قال خمسمائة ألف درهم، فأستكثره عمر وقال: أتدرى ما تقول؟ قال: نعم، مائة ألف خمس مرات، فقال عمر: أطيّب هو؟ فقال: لا أدرى، فصعد عمر رضي الله عنه المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، قد جاءنا مال كثير، فإن شئتم كلنا لكم كيلا، وإن شئتم عددنا [لكم عددًا]، فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، قد رأيت الأعاجم يدونون ديوانا لهم، فدوّن أنت [لنا] ديوانا.

وقال آخرون: بل سببه أنّ عمر - رضي الله عنه - بعث بعثا وعنده الأهرمزاني^(٤)، فقال لعمر: هذا بعث قد أعطيت أهله الأموال، فإن تحلف رجل منهم وأخل بمكانه فمن أين يعلم صاحبك؟ فأثبت لهم ديوانا، فسأله عن الديوان حتى فسره له.

وروى [عابد بن يحيى] عن [الحارث] بن ثعلب أن عمر رضي الله عنه استشار المسلمين في تدوين الدواوين، فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: تقسيم في كل سنة ما أجمع إليك من المال ولا تمسك منه شيئا، وقال عثمان بن عفان - رضي الله عنه - : أرى مالا كثيرا يسع الناس، وإن لم يخصوا حتى يعرف من أخذ ممن لم يأخذ خشيت أن يتشتر الأمر، فقال خالد بن الوليد: قد كنت بالشأم

(١) الطيب: الحلال، وهو ضد الخبيث، أي هل آكسبه دافعوه من حلال؟ .

(٢) لم ترد هذه العبارة في الأصل؛ وقد أثبتناها عن الأحكام السلطانية ص ٣٤٤ طبع ألمانيا .

(٣) لم ترد هذه الكلمة في الأصل؛ وقد أثبتناها عن الأحكام السلطانية .

(٤) كذا في صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٠٦ والأحكام السلطانية؛ والتي في الأصل: «الفيروزان» وهو تحريف .

(٥) في الأصل: «آخر» وفي الأحكام السلطانية: «وأجل» وهو تحريف في كليهما والتصويب عن صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٠٦ ومقدمة ابن خلدون ص ١١٨ طبع بولاق .

(٦) يريد بقوله: «صاحبك» أمير الجيش؛ وزاد في الأحكام السلطانية بعد هذه الكلمة قوله: به .

(٧) هاتان التكتان ساقطان من الأصل؛ وقد أثبتناهما عن الأحكام السلطانية .

فَرَأَيْتُ مَلُوكَهَا دَقُّنُوا دِيوَانَا، وَجَنَّدُوا جَنُودَا، [فَدُونُ دِيوَانَا، وَجَنَّدَ جَنُودًا] فَأَخَذَ
 بِقَوْلِهِ ، وَدَعَا عَقِيلَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَمَحْرَمَةَ بْنَ نُوْفَلٍ وَجُبَيْرَ بْنَ مَطْعَمٍ — وَكَانُوا مِنْ
 كِتَابِ قُرَيْشٍ — فَقَالَ : اكْتُبُوا النَّاسَ عَلَى مَنَازِلِهِمْ ، فَبَدَّءُوا بِنَبِيِّ هَاشِمٍ فَكُتِبُوا لَهُمْ ،
 ثُمَّ أَتَبَعُوهُمْ قَوْمَ أَبِي بَكْرٍ ، ثُمَّ عَمَرَ وَقَوْمَهُ ، وَكُتِبُوا الْقَبَائِلَ وَوَضَعُوهَا عَلَى الْخِلَافَةِ ، ثُمَّ
 رَفَعُوا ذَلِكَ إِلَى عَمْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَلَمَّا نَظَرَ فِيهِ قَالَ : لَا ، [مَا] وَدِدْتُ أَنَّهُ كَانَ هَكَذَا ،
 وَلَكِنْ أَبَدُّوا بِقَرَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَقْرَبَ فَالْأَقْرَبَ ، حَتَّى تَضَعُوا عَمْرَ
 حَيْثُ وَضَعَهُ اللَّهُ ؛ فَشَكَرَهُ الْعَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى ذَلِكَ ؛ وَكَانَ ذَلِكَ فِي الْمَحْتَرَمِ سَنَةِ
 عِشْرِينَ مِنْ آلِجُرَّةِ ، وَقِيلَ فِي سَنَةِ خَمْسِ عَشْرَةَ ، — وَاللَّهُ أَعْلَمُ — ؛ فَلَمَّا اسْتَقَرَّتْ
 تَرْتِيبُ النَّاسِ فِي الدَّوَاوِينِ عَلَى قَدْرِ النِّسْبِ الْمَتَّصِلِ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 فَضَّلَ بَيْنَهُمْ فِي الْعَطَاءِ عَلَى قَدْرِ السَّابِقَةِ فِي الْإِسْلَامِ . وَسُنِدُ كَرِّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي خِلَافَةِ
 عَمْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا فَرَضَهُ مِنَ الْعَطَاءِ لِكُلِّ طَائِفَةٍ عَلَى مَا سَتَقِفُ عَلَيْهِ — إِنْ شَاءَ اللَّهُ
 تَعَالَى — فِي مَوْضِعِهِ مِنْ فَنِّ التَّارِيخِ ؛ وَهُوَ فِي السَّفَرِ السَّابِعِ عَشَرَ مِنْ كِتَابِنَا هَذَا ؛ فَهَذَا
 كَانَ سَبَبَ وَضْعِ دِيوَانِ الْجَيْشِ .

وَأَمَّا دَوَاوِينُ الْأَمْوَالِ — فإِنهَا كَانَتْ بَعْدَ ظُهُورِ الْإِسْلَامِ بِالشَّامِ وَالْعِرَاقِ

عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ ، فَكَانَ دِيوَانُ الشَّامِ بِالرُّومِيَّةِ لِأَنَّهُ كَانَ مِنْ مَمَالِكِ

(١) التكملة عن الأحكام السلطانية ص ٣٤٥ طبع ألمانيا .

(٢) كذا في مستدرك التاج ؛ والذي في الأصل والأحكام السلطانية : « محزمة » بالخاء المهملة والزاى المعجمة ؛ وهو تصحيف .

(٣) لعله يريد بقوله : ووضعوها على الخلافة ، أنهم جعلوا ترتيب القبائل في الديوان على حسب قريتهم في النسب من القبيلة التي فيها الخلافة .

(٤) لم ترد هذه الكلمة في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن الأحكام السلطانية إذ بها يستقيم الكلام .

(٥) كذا في الأحكام السلطانية ؛ والذي في الأصل : « تعدد » ؛ وهو تحريف .

الروم ؛ وكان ديوان العراق بالفارسية لأنه كان من ممالك الفرس ؛ فلم يزل أمرهما جاريا على ذلك إلى زمن عبد الملك بن مروان ، فنقل ديوان الشام إلى العربية في سنة إحدى وثمانين من الهجرة ؛ وكان سبب نقله — على ما حكاه المدائني — أن بعض كتاب روم في ديوانه أراد ماء لدواته ، فبال في الدواة ، فبلغه ذلك فأدبه ، وأمر سليمان بن سعد أن ينقل الديوان إلى العربية ، فسأله أن يُعينه بخراج الأردن سنة ، ففعل وولاه الأردن ، وكان خراجه مائة ألف وثمانين ألف دينار ، فلم تنقِص السنة حتى فرغ من الديوان ونقله ، وأتى به عبد الملك فدعى سرجون كاتبه فعرضه عليه فغمه وخرج كئيبا ، فلقبه قوم من كتاب الروم ، فقال لهم : اطلبوا المعيشة من غير هذه الصناعة فقد قطعها الله عنكم .

وأما ديوان العراق — فكان سبب نقله إلى العربية أن كاتب الحجاج بن يوسف كان زاذان فرُّوخ^(٣) ، وكان معه صالح بن عبد الرحمن يكتب بين يديه بالعربية والفارسية ، فأوصله زاذان فرُّوخ^(٣) إلى الحجاج ، فخف على قلبه ، فقال صالح لزاذان فرُّوخ^(٣) إن الحجاج قد قربني ولا آمن أن يقدمني عليك ؛ فقال : لا تظن ذلك فهو إلى أحوج مني إليه ، لأنه لا يجد من يكفيه حسابه غيري ؛ فقال له صالح : والله لو شئت أن أحول الحساب إلى العربية لفعلت ؛ فقال : فحول منه ورقة أو سطرا حتى أرى ، ففعل ؛ ثم قُتل زاذان فرُّوخ في حرب عبد الرحمن بن الأشعث ، فأستخلف

(١) الأردن بضم الهمزة وتشديد النون : كورة واسعة ، منها الغور وطبرية وصور وعكا وما بين ذلك .

(٢) كذا في تاريخ الطبري قسم ٢ ص ٨٣٧ طبع ليدن ؛ والذي في الأصل : « سرجون »

بالحاء المهملة .

(٣) كذا في مقدمة ابن خلدون ص ١١٩ طبع بولاق وتاريخ الطبري قسم ٢ ص ٤٥٨ طبع ليدن ؛

والذي في الأصل : « زادا بقروخ » ؛ وهو تحريف .

الحجاج صالحا مكانه، فذكر له ما جرى بينه وبين زاذان فروخ فأمره أن ينقله، فأجابه إلى ذلك وأجله فيه أجلا حتى نقله إلى العربية، فلما عرف مردان شاه بن زاذان فروخ ذلك بذل له مائة ألف درهم ليظهر للحجاج العجز عنه، فلم يفعل؛ فقال له: قطع الله أصلك من الدنيا كما قطعت أصل الفارسية.

وكان عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان يقول: لله در صالح ما أعظم منته على الكتاب!

هذا ما حكى في ابتداء نقل الدواوين، فلنرجع إلى الجيش وما يحتاج إليه مباشرة.

ذكر ما يحتاج إليه كاتب الجيش على ما استقر

١٠ في زماننا هذا من المصطلح
 يحتاج كاتب الجيش إلى أن يرصع أسماء أرباب الإقطاعات والنقود والميكلات من الأمراء على اختلاف طبقاتهم، والممالك السلطانية، وأجناد الخليفة، وأمراء التركان والعربان؛ ويضع لذلك جريدة مقفاة على حروف المعجم يثبت فيها أسماءهم، ويذكر الأسم وأبتداء إمرته أو جنديته في أي سنة كانت من السنين الهلالية لاستقبال ما يكتب من مغل السنة الخراجية، وعمن أنتقل إليه الإقطاع؛

(١) في الأصل: «في مكاننا»، ويرجح ما أثبتناه قوله فيما سيأتي في صفحة ٢٠٨ س ١١ فهذه

هي القواعد التي استقرت في زماننا.

(٢) كذا وردت هذه الكلمة في مواضع كثيرة من هذا الباب؛ ولعل كتاب الدواوين إذ ذاك كانوا يستعملون الترصيع بمعنى التنظيم، كما يفهم من سياق الكلام؛ وفي كتب اللغة أنه يقال: رصع العقد بالجوهر ترصيعا إذا نظمه فيه وضم بعضه إلى بعض، والمعنى أن كاتب الجيش يضم أفراد كل طائفة إلى بعضها ولا يدخل فيها ما ليس منها.

وَيُرْمِزُ قِبَالَةَ كُلِّ أَسْمٍ إِلَى عِبْرَةِ إِقْطَاعِهِ رَمْزًا لِاتِّصَافِهِ ، وَيُشِيرُ فِي جَنْدِيَّ الْحَلَقَةِ إِلَى مَقْدَمِهِ ، وَيَعِينُ فِي أَسْمِ التُّرْكَانِيِّ أَوْ الْبَدَوِيِّ مَا قَدَّمَهُ إِلَى الْإِصْطِلَاطِ السُّلْطَانِيِّ وَالْمُنَاحَاتِ مِنَ الْخَيْلِ وَالْجَمَالِ ، وَفِي عَرَبِيَّانِ مِصْرَ الْمَقْرَّرِ عَلَيْهِمْ فِي مَقَابِلَةِ الْإِقْطَاعَاتِ مِنَ التَّقَادِيمِ ، وَإِقَامَةَ خَيْلِ الْبَرِيدِ فِي الْمَرَاكِزِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ نَقْلِ الْغُلَالِ ، وَمَا هُوَ مَقْرَّرٌ عَلَيْهِمْ فِي أَبْتِدَاءِ أَمْرِهِمْ عِنْدَ خُرُوجِ الْإِقْطَاعَاتِ بِأَسْمَائِهِمْ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ عَلَى جَارِي الْعَادَةِ ، فَإِنْ أُنْتَقِلَ أَحَدٌ مِنْهُمْ مِنْ إِقْطَاعٍ إِلَى غَيْرِهِ فِي ذَلِكَ الْعَمَلِ بَعِينَهُ وَوَضَعَ تَحْتَ إِقْطَاعِهِ الْأَوَّلِ مَا صَوَّرْتَهُ : ثُمَّ أُنْتَقِلَ إِلَى غَيْرِهِ بِمَقْتَضَى مَنْشُورِ تَارِيخِهِ كَذَا عَنْ فُلَانٍ أَلْتَقِلَ إِلَى غَيْرِهِ ، أَوْ الْمَتَوَقَّى ، أَوْ الْمَفَارِقِ ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ ؛ فَإِنْ كَانَ عَلَى سِيَاقَتِهِ فِي إِقْطَاعِهِ الْأَوَّلِ قَالَ : عَلَى سِيَاقَتِهِ ؛ وَضَبَطَ تَارِيخَ الْأَوَّلِ ، وَإِنْ كَانَ لِاسْتِقْبَالِ مُغَلٍّ أَوْ شَيْءٍ مِنْ مُغَلٍّ مِيزَهُ ، وَأَحْتَاجَ إِلَى مَحَاسِبَةِ رَبِّ الْإِقْطَاعِ عَلَى إِقْطَاعِهِ الْأَوَّلِ ، وَالْمَحَاسِبَاتُ غَالِبًا إِنَّمَا تَقَعُ بَعْدَ وِفَاةِ الْأَمِيرِ أَوْ الْجُنْدِيِّ ، أَوْ أَنْفِصَالِهِ بَوَاجِهِ مِنْ وَجْهِهِ الْأَنْفِصَالَاتِ ، وَأَمَّا مَا دَامَ فِي الْخِدْمَةِ فَهِيَ يَتَلَوُّ بَعْضُهَا بَعْضًا ؛ وَصُورَةُ الْمَحَاسِبَةِ أَنْ يُقِيمَ تَارِيخَ مَنْشُورِهِ إِلَى تَارِيخِ أَنْفِصَالِهِ أَوْ نَقْلَتِهِ ، وَيَعْقِدَ عَلَى ذَلِكَ جَمَلَةً ، وَيُوجِبَ لَهُ عَنْ نَظِيرِ خِدْمَتِهِ اسْتِحْقَاقًا ، وَيَنْظُرَ إِلَى مَا قَبِضَهُ مِنَ الْمُغَلَّاتِ فَيَجْمَعُهَا ، فَإِنْ كَانَ قَبِضُهُ نَظِيرَ خِدْمَتِهِ فَلَا شَيْءَ لَهُ وَلَا عَلَيْهِ ، وَإِنْ زَادَ قَبِضُهُ عَلَى مَدَّةِ خِدْمَتِهِ اسْتَعَادَ مِنْهُ مَا زَادَ بِنِسْبَتِهِ ، وَإِنْ كَانَتْ خِدْمَتُهُ أَكْثَرَ مِنْ قَبِضِهِ أَفْرَجَ لَهُ عَنْ نَظِيرِ مَا فَضَّلَ لَهُ ؛ وَمِنْ الْعَادَةِ فِي غَالِبِ الْأَوْقَاتِ أَنْ يُسْقَطَ مِنْ اسْتِحْقَاقِ أَرْبَابِ الْإِقْطَاعَاتِ فِي كُلِّ سَنَةٍ أَحَدُ عَشَرَ يَوْمًا وَرَبْعَ يَوْمٍ ، وَهِيَ التَّفَاوُتُ بَيْنَ السَّنَةِ الشَّمْسِيَّةِ وَالْقَمَرِيَّةِ ، وَيُبرِّزُ لَهُ مَا بَقِيَ

(١) كذا وردت هذه الكلمة في الأصل في عدة مواضع من هذا الباب وكتاب التحفة السنية لابن الجيعان ؛ والظاهر أن المراد بها ما يقدر على الإقطاعات ، أخذنا من سياق الكلام ؛ وسُميت بذلك لأنهم كانوا يعبرون الدراهم المتحصلة من البلد ، أى يقومونها بدنانير جيشية كما يفهم من التحفة السنية .
(٢) المراد بالتقادم : الهدايا ، وهو جمع تقدمية .

ويعطيه المثل من نسبة البارز، وقد سوح بذلك في بعض الأوقات دون بعض ؛
وهذه الجريدة تسمى الجريدة الجليشية .

ويحتاج إلى بسط جريدة إقطاع صورتها : أنه يرصع الأعمال^(١)
كل عمل وبلاده وضياعه وكفوره وقراه وجزائره وجروفه وجهات الهلالي^(٢)
والجوالي ، وغير ذلك من معالم وحدوده والجهات المستظهر بها والبدول ، وسائر^(٣)
ما هو متعلق بذلك المكان ؛ ويذكر عبرة البلد الجليشية ، وما استقر عليه حال^(٤)
متحصّلها أخيرا ، وإن كان بالشام ذكر العيرة الجليشية ومتحصّل البلد لثلاث سنين :
مقبلة^(٥) ومتوسّطة^(٦) ومجدبة ، ثم يشطب قبالة كل جهة أسماء مقطعيها ، وما هو باسم كل^(٧)
واحد منهم ، ليتحرّز له بذلك هل استوعب الإقطاع جملة النواحي والجهات ،
ويتميز له ما بقي من المحلولات ؛ وإن أنتقل ربّ إقطاع من إقطاع إلى غيره
بادر بشطبه لوقته في موضعه لئلا يدخل عليه الوهم^(٨) والاختلاف .

(١) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٠٠ من هذا السفر .

(٢) في الأصل : «حقوقه» ؛ وهو تحريف .

(٣) كذا في الأصل ؛ ولم نجد من معاني هذه الكلمة ما يناسب سياق ما هنا .

(٤) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٠١ من هذا السفر .

(٥) في الأصل : مقبلة . وفيه قلب صوابه ما أثبتنا كما يرشد إليه عطف المتوسطة والمجدبة عليه ؛

والمقبلة : التي كثر بقلها .

(٦) كذا وردت هذه الكلمة في عدّة مواضع من هذا الباب والشطب هو أن تمدّ خطأ على الغلط الواقع

في الكلام كما في شفاء الغليل ، وليس هذا مرادا هنا ؛ والظاهر أن كتاب الدواوين في عصر المؤلف

اصطلحوا على استعمال الشطب بمعنى التقييد والنقل من المستندات إلى الدفاتر ، كما هو مصطلح كتاب الدواوين

عندنا في استعمال هذه الكلمة ، ولديهم دفاتر تسمى دفاتر الشطب ؛ وهذا المعنى هو المراد بالشطب في هذا

الباب ، كما يفهم من السياق .

(٧) في الأصل : « ليتحرز » بالزاي المعجمة ؛ وهو تصحيف .

(٨) الوهم بالتحريك : الغلط .

ويحتاج إلى أن يتعاهد مباشرة بالمعاملات والبرور بطلب
الكشوف الجيشية في كل ثلاث سنين ويشطبها على ما عنده لتتحرز عنده العبر،^(١)
ويتميزه ما تعين من الزيادة والنقص .^(٢)
^(٣)
^(٤)

ويحتاج أيضا إلى بسط جريدة ثالثة بأسماء أرباب النقود
والميكالات خاصة، لأنه يحتاج أن يفرج لكل منهم في كل سنة عن نقده وميكاله
بمقتضى ما شهد به منشوره، وعادة قبضه وجهته، أو مما تعين بقلم الاستيفاء إن كان،
فإذا أفرج لكل منهم شطب تاريخ إفراجه قبالة اسمه لتنضبط له بذلك تواريج^(٥)
قبوضهم ويأمن من التكرار والغلط، وهذه الجريدة هي فرع من الجريدة الجيحية،
فإنه يسطها منها .

ويحتاج في أجناد الحلقة السلطانية إلى أن يضيف كل جماعة منهم
إلى مقدم مشهور من أعيانهم ممن هو متميز الإقطاع، ويقيم عليهم تقريبا يعرف
مساكنهم ومظانهم، فإذا طلبوا جمعهم، أو طلب أحد منهم أحضره، ويسمى هذا
المقدم : مقدم الحلقة، ويضيف كل جماعة من أمراء الطبلخاناه وأمراء العشرات،^(٦)

(١) كذا في الأصل؛ ولم نجد من معاني هذه الكلمة ما يناسب السياق .

(٢) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر .

(٣) في الأصل : « لتحرز » بالزاي المعجمة ؛ وهو تصحيف .

(٤) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٠١ من هذا السفر .

(٥) المراد بالشطب هنا : التقييد ؛ كما سبق بيان ذلك في الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر .

(٦) في الأصل : « من أخبار » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٧) الطبلخاناه : أى بيت الطبل ؛ وخاناه : لفظ فارسي معناه البيت إلا أنهم يؤخرون المضاف عن
المضاف إليه على عادة العجم في ذلك ، وقال في صبح الأعشى ج ٤ ص ٨ عند الكلام على الطبلخاناه : إنها
طبول متعددة معها أبواق وزمقارات تختلف أصواتها على إيقاع مخصوص تدق في كل ليلة بالقلعة بعد صلاة
المغرب وتكون صحبة الملك في الأسفار والحروب ، وهى من الآلات العامة لجميع الملوك .

ومقدّم الحَلقة، ومضاهيهم إلى مقدّم كبير من أمراء المائة، ويسمى هذا الأمير:
 مقدّم الألف؛ ويحتاج إلى أن يضع لهاتين الطائفتين جريدة عدّة، يضع فيها اسم مقدّم
 الألف وعدّته من غير تفصيل لأسمائهم وقبالة اسمه عبرة إقطاعه، ما هو الخاصه،
 وما هو لأصحابه؛ ثم أمراء الطبلخاناه كل أمير وعدّته، وعبرة إقطاعه،
 على ما تقدّم في مقدّم الألف، ويرتبهم في التقديم والتأخير على مراتبهم؛ ثم أمراء
 العشرات كذلك؛ ثم يذكر مقدّم الحَلقة فيعين اسم المقدّم ونسبته وأتباعه إن
 كان له أتباع، وعبرة إقطاعه، ثم يذكر مضاهيه من الحَلقة على هذا الحكم، ويرتبهم
 بحسب مراتبهم، يبدأ في كلّ تقدمة باسم المقدّم، ويختتم باسم النقيب، ليسهل
 عليه طلب كلّ جندي من مقدّمه، ويطلبه مقدّمه من نقيبته؛ وإن أنتقل أمير
 أو جندي من مقدّم ألف أو مقدّم حلقة وأنضاف إلى مقدّم آخر نقله لوقته لئلا
 يضطرب عليه حالهم، ويلتبس أمرهم؛ وكذلك أيضا يفعل في أماليك السلطانية
 من إضافة كلّ جماعة منهم إلى مقدّم من أعيانهم، ويميز أرباب الوظائف
 منهم: من السلاحدارية والحربدارية والرّمقدارية والجمّقدارية والزردكشية^(١)
^(٢)

(١) يريد بالطائفتين: الأمراء وأجناد الحلقة.

(٢) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٠١ من هذا السفر.

١٥

(٣) السلاحدارية: نسبة إلى السلاحدار وقد ذكر في صبح الأعشى ج ٥ ص ٥٧؛ أن دار لفظه
 فارسية معناها ممسك، فاعل من الإمساك؛ وكثير من كتاب الزمان أو أكثرهم بل كلهم يظنون أن لفظ
 دار في ذلك عربي بمعنى المحل كدار السلطان أو الأمير؛ وهو خطأ الخ ماقال؛ فعني سلاحدار: ممسك
 السلاح؛ وكذا يقال فيما يأتي بعده.

١٦

(٤) الجمقدارية: نسبة إلى الجمقدار وهو الذي يكون دائما حامل الدبوس، كما في كتاب معبد النعم
 ومبيد النعم ص ٥٠ طبع أوربا.

(٥) الزردكشية: هم لابسو الدروع؛ وكش باللغة الفارسية، معناه لابس انظر المعجم الفارسي
 الانجليزي تأليف ستاين جاس مادة «كشيدن».

والبندقدارية ^(١) ومن السقاة ^(٢) والجمدارية ^(٣) والخزندارية ^(٤) والحراس ^(٥) والبشمقدارية ^(٦)
 وغيرهم؛ ويضيف كل جماعة من كل طائفة منهم إلى متعين من حملتهم، ويجمع عدة
 كل طائفة ويقدم عليهم أمثلهم؛ وأما الممالك الكتابية ^(٧) أرباب الجامعات ^(٨) فينسب
 كل جماعة منهم إلى طبقة مقدمها من الطواشية ^(٩)، وينسب الممالك البرجسية ^(٩)

٥ (١) البندق: الذي يرمى به، وهو معروف؛ والبندقدارية: هم الذين يحملون هذا البندق خلف السلطان
 أو الأمير. انظر صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٨ في تفسير البندقدار.

(٢) السقاة: جمع ساق، قال في صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٤: هو لقب على الذي يتولى مد السباط
 وتقطيع اللحم وسقى المشروب بعد رفع السباط ونحو ذلك، وكأنه وضع في الأول لاساق المشروب فقط ثم استحدثت
 له هذه الأمور تبعاً الخ.

١٠ (٣) قال في صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٩: عند الكلام على الجمدار: إنه الذي يتصدى للإلباس
 السلطان أو الأمير ثيابه؛ وأصله: «جامادار» مخذوف الألف بعد الجيم وبعد الميم استئقلاً وقيل: جمدار
 وهو في الأصل مركب من لفظين فارسيتين أحدهما جاما ومعناه الثوب والثاني دار ومعناه ممسك.

(٤) في الأصل: «والحربدارية» وهو تحريف لتكره مع ما سبق ولعل صوابه ما أثبتنا؛ قال
 في صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٦٢: في الخزندار بكسر الخاء وفتح الزاي المعجمة: هو لقب على الذي يتحدث
 على خزنة السلطان أو الأمير أو غيرهما الخ. ١٥

(٥) في الأصل: «والحران» بالنون؛ ولم نجد في ما راجعناه من المظان.

(٦) قال في صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٩: في تفسير البشمقدار: إنه الذي يحمل نعل السلطان
 أو الأمير؛ وقال: إن البشمق باللغة التركية معناه النعل؛ ثم نقل عن صاحب الأنوار الضوئية: أن
 الصواب فيه «بصق» بالصاد بدل الشين؛ ثم قال: والمعروف في ألسنة الترك بالديار المصرية ما تقدم
 والذي في الأصل: «السمقدافية» بالسين، ولم نجد في ما راجعناه من المظان. ٢٠

(٧) الكتابية: أي الذين يشتغلون بالكتابة.

(٨) الجامعات: الرواتب والأجور؛ وأصله باللغة الفارسية: «جامكي» بفتح
 الميم وكسر الكاف. انظر المعجم الفارسي الإنجليزي تأليف ستاين جاس.

(٩) سميت هذه الطائفة بهذا الاسم نسبة إلى الأبراج التي كانوا يسكنونها في القلعة، ومنهم كانت
 دولة المماليك الثانية التي حكمت الديار المصرية. ٢٥

الى مساكنتهم ومقدمهم ، والبحرية^(١) الى مراكزهم ومقدمهم ، والأوشاقية الذين إقامتهم بالإسطنبول الى المقدم عليهم من الطواشية، ويرجع سائر الممالك السلطانية الى مقدمهم الكبير، ولا يكون في الغالب إلا من الطواشية الأمراء .

ويحتاج أيضا الى أوراقٍ أحرٍ تتضمن أسماء أمراء الميمنة

- ٥ وأمراء الميسرة، والجالس - وهو المقدم - أمام قلب الجيش، وهذه الأوراق تكون جميلة يستغنى فيها بذكر مقدمي الألوف دون مضافيهم .

ويتلو هذه الأوراق أوراق أحر - تتضمن أسماء الأمراء الذين جرت عادتهم بصحبة ركاب السلطان في الصيد والركوب للمتزهات وفي الميادين للعب بالكرة، وفي غير ذلك؛ هذا ما يحتاج إليه في الأمراء والممالك السلطانية ورجال الحلقة .

- ١٠ وأما أجناد الأمراء فإن مباشرة الجيش يسترفع من دواوينهم أوراقا بعدة أجناد كل أمير منهم، يُصَدِّرها كاتب عدلة الأمير على عدلة تُسَخَّرُ بحسب المباشرين للجيش، ويقول في صدرها ما مثاله : عرض رفعه أتملوك فلان الفلاني على ما استقر عليه الحال إلى أحر كذا، والعدلة خاصته، وكذا كذا طواشياً، ويشرح أسماء

(١) قال في صبح الأعشى ج ٤ ص ١٦ : ومن الأجناد طائفة ثالثة يقال لهم : البحرية ، يبيتون

- ١٥ بالقلعة وحول دهايز السلطان كالحرس؛ وأول من رتبهم وسماهم بهذا الاسم السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب . اه كلامه وإنما سميت هذه الطائفة بهذا الاسم لأنهم كانوا يسكنون بجزيرة في النيل وهي جزيرة الروضة ؛ ومن هؤلاء كانت دولة المماليك الأولى ، كما في كتب التاريخ .

(٢) يسترفع : أى يطلب أن يرفع إليه ، كما سبق في الحاشية رقم ٣ من صفحة ١٩٣ من هذا السفر .

- ٢٠ (٣) فى الأصل : « هذه » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٤) فى الأصل : « رقعة » ؛ وهو تصحيف .

أجند، وما أقطع بأسم كل منهم من إقطاع ونقد ومكيل ، مبتدئاً برأس المدرج
 ومن يليه في الجند ، ثم ممالك الأمير وأزمه ، ويختتمهم بالنقيب ، ثم يعين في آخر
 المدرج ما بقي لخاص الأمير من النواحي وألجها ، وما عليه منه لأصحابه من نقد
 ومكيل إن كان ؛ ويلزمه عمل مسير على نواحي الإقطاع يشطب كل جهة بأسماء^(١)
 من أقطع لهم ، وما بقي منها لخاص إن كان ؛ فإن كان منشور الأمير قد عين فيه
 ما هو لخاصه وما هو لأصحابه فليس له أن يقتطع من المعين لجنده ما يضيفه
 لخاصه ، ولا يمنع أن يقطع من خاصه زيادة لأصحابه ؛ وهذه القاعدة لاحقة بقواعد
 الفقه ، فإن له التصرف في ماله دون مال غيره ، وله أن يميز بعضهم على بعض
 بحسب أحوالهم ومراتبهم ؛ فإذا رفعت إليه هذه الأوراق عرض جند كل أمير
 في مجلس ولي الأمر بمشهد من الأمراء وغيرهم ، فمن أجاز ولي الأمر عرضه حلاه^(٢)
 قبالة اسمه ، ويعين في حلاه سنه ولونه وقامته ، ثم يذكر حلية وجهه ، ويصف
 ما يميزه عن غيره من أثر في وجهه أو غير ذلك ؛ ومن رده ولي الأمر من العرض
 طوبل الأمير بإقامة غيره ، فإذا أقامه وعرضه وأجاز ولي الأمر عرضه حلاه
 عند ذلك ، وعين تاريخ عرضه إن كان عرضه بعد يوم العرض الشامل ؛ ويرقم
 المباشر بقامه على رأس أوراق العرض تاريخ عرضه أجند ؛ وتستحق هؤلاء أجند
 الإقطاعات والنقود والهلالي من تاريخ عرضهم وتدوينهم في الديوان ، والأمير
 من تاريخ منشوره ؛ فإن مات جندي منهم أو فارق الخدمة أقام الأمير عوضه ،
 وعرضه على ولي الأمر ، وأثبت اسمه بالديوان ؛ وإن قطعه الأمير فلا يخلو قطعه ؛
 إما أن يكون لسبب كالعجز ونحوه فله ذلك ، وإما أن يكون بغير سبب فلا يخلو :

(١) يشطب : أى يقيد كما سبق بيان ذلك في الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر .

(٢) حلاه : أى وصفه ، والحلية : الهيئة والصفة .

إما أن يكون قَطْعُهُ له في قرب زمن إدراك المَغْل فلولى الأمر منعه من ذلك ،
أو في غير وقت المَغْل ، فإن عَرَضَ من هو أَكْفَى منه وأقدر على الجندية أُجِيزَ ،
وإن عَرَضَ من هو دونه مُنِيع أميره من ذلك ، وألْزِمَ بِاسْتِمْرَارِ الكافي أو إقامة من يمثله
في الكفاية والقدرة ؛ وإذا عرض الأمير أصحابه في السنة الثانية جَدَّدَ كتابه أو أرقا
بالعرض نظير الأولى ، وشطب كاتِبُ الجيش حِلَى الجند من العَرَضِ الأول ، ثم يقابلها
بالصورة الجديدة في وقت العَرَضِ الثاني ، فإن وافقت وطابقت أجازها ، وإن
اختلفت أَلْحَى وتباينت رَدَّهُ وطالع ولى الأمر به ليقع الإنكار على من تجاسر
على فعل ذلك لما فيه من التلبيس ؛ فهذه هي القواعد التي استقرت في زماننا
والله أعلم .

ويحتاج الكاتب إلى تحرير شواهد وحفظها ، فإن كان بين يدي
السلطان ورسم له بإقطاع أمير أو جندي كتب مثلا بالإقطاع ، وكتب السلطان
أو نائبه بقلمه أعلى المثال ما مثاله : يكتب ؛ وعين ناظر الجيش بقلمه تحت خط
السلطان أو نائبه ما مثاله : رسم أن يكتب باسم فلان لاستقبال مغل سنة كذا ، ولا استقبال
كذا من مغل سنة كذا ؛ وحلّد الكاتب هذا الشاهد عنده ، وكتب مثلا ثانيا مرعا
بما مثاله : رسم بالأمر الشريف العالى المولوى السلطانى الملكى الفلانى — ويدعو
للسلطان — أن يُقَطَّع ويُقرَّر باسم فلان الفلانى — وينعته بما يستحق — ما رسم
له به الآن من الإقطاع والتقدّم والمكيل إن كان فيه نقد أو مكيل في السنة ، خارجا

(١) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر .

(٢) في الأصل : «جدا» بالجيم والذال ؛ وهو تحريف .

(٣) في الأصل : «الجندي» ؛ وهو تحريف .

عن الجوالى والمواريث الحشرية والرزق الإحباسية، إن كان الإقطاع بالديار المصرية؛
 وإن كان بالشام قال: خارجا عن الملك والوقف، ثم يقول: ^(٤) خبز فلان الفلاني، إن كان
 عن أحد؛ وإن كان من الخاص أو مستجدا أو مستظها به عينه، ويذكر خاصته وعدهته
 وأتباعه، أو بمفرده، ثم يعين جهات إقطاعه، ويثبت هذا المثل الثاني في الديوان،
 وتسمله علامة السلطان ونائبه، ثم يُخَدِّد بديوان الإنشاء، وهو شاهد الموقع، ويكتب
 منشوره بمقتضى ذلك المثل، وتسمله علامة السلطان وخط نأبه ووزيره بالأمثال،
 ويثبت بديوان الجيش ثم بالدواوين؛ وإن كان الكاتب في جهة خارجة عن باب
 الملك من الممالك الشامية وأمره النائب بإقطاع أحد كتب مثلا بالإقطاع،
 وكتب النائب بأعلاه: يكتب، ثم يكتب عليه الناظر نحو ما تقدم، وهو شاهد
 الكاتب، ثم يكتب أمثال الثاني في ورقة مرعبة بما مثاله: رُسم بالأمر الشريف
 العالى المولى السلطانى الملكى الفلانى أن يُقَطَّع ويُقَرَّرَ باسم فلان ما رُسم له به
 الآن من الإقطاع، ويُعَيَّنُ خَبْرٌ ^(٤) من كان وسبب حلّه عنه، إما بوفاة، أو بمفارقة،
 أو بانتقال إلى غيره، أو غير ذلك من الأسباب الموجبة لإخراج الإقطاع عنه،

(١) الجوالى: جمع جالية، وهى الجزية التى تؤخذ من أهل الذمة؛ وسيأتى الكلام عنها فى ذكر الجزية.

(٢) الموارىث الحشرية: هى مال من يموت وليس له وارث خاص بقسابة أو غيرها؛ أو الباقى
 بعد الفرض من مال من يموت وله وارث ذو فرض لا يستغرق جميع المال ولا عاصب له انظر صبح الأعشى
 ج ٣ ص ٤٦٤ .

(٣) فى الأصل: «الورق» وهو تحريف؛ والرزق بكسر ففتح وزان عنب: جمع رزقة بكسر الراء،
 وهى الجراية: يقال: كم رزقتك فى الشهر: أى جرايتك . (مستدرک التاج) والإحباسية بكسر الهمزة:
 نسبة الى الإحباس، وهو مصدر أحبست المال: اذا وقفته .

(٤) كذا فى صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٥٣، ١٥٦؛ والذى فى الأصل: «خبز»؛ وهو

- ويكتب نائب السلطنة عليه بالترجمة، ويترجم عليه الناظر بقلمه تحت خط النائب بما مثاله : المملوك فلان يقبل الأرض وينهى أن هذا مثال كريم باسم فلان المرسوم إثباته في جملة الأمراء والمماليك السلطانية، أو البحرية، أو رجال الحاققة المنصورة، أو رجال التركين، أو العربان، أو الجبلية بالمملكة الفلانية، أو بالجهة الفلانية بما رسم له به الآن من الإقطاع عن فلان، والعدة خاصته، وكذا كذا طواشياً، أو بحسب ما يكون لاستقبال ما عين فيه على ما شرح باطنه، والأمر في ذلك معذوق بإمضائه أو بما يؤمر به من الأبواب. ثم يثبت بديوان الجيش، ويجهز إلى باب السلطان، فإذا وصل إلى الباب كتب عليه الناظر ومن معه من الرفاق بالمقابلة، وقول به، ثم تشمله علامة السلطان أو نائيه بالكتابة، ويخلده كاتب الجيش بالباب عنده، ويكتب مثالا من جهته على ما تقدم، فإذا خرج المنشور الشريف ووصل إلى تلك المملكة شمل خط نائبها بالأمثال، وكتب عليه ناظر الجيش ورفقته بالثبوت تحت خط ناظر الجيش بالباب ورفاقه، ثم يثبت بالدواوين، ويفرج لرب الإقطاع على حكمه، ويثبت إفراجه، ويسلم إليه إقطاعه، فهذه شواهد المناشير والأمثلة.
- وأما غيرها من شواهد الكشوف فعلى حسب الوقائع؛ والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

١٥

(٤)
ويحتاج إلى ضبط أسماء من توجه بدستور إلى جهة من الجهات، ويراعى أنقضاء مدة الدستور، ثم يكشف عنه، ويطلب مقدمه به،

(١) في الأصل : « مارسم » بدون الباء ؛ والسياق يقتضى إثباتها كما في صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٥٥، أى هذا مثال بما رسم الخ .

٢٠

(٢) كذا في صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٥٩ ؛ والذي في الأصل : « خاصة » بدون هاء .

(٣) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٢١ من هذا السفر .

(٤) المراد بالدستور : الإذن . واطلاقه على هذا المعنى إطلاق عامي، انظر شرح القاموس .

وكذلك من تَوَجَّهَ إلى آجِازٍ وغيره ، وكذلك من تَخَلَّفَ عن العَوْدِ مع الجَيْشِ المَجْرَدِ
 في المَهْمَاتِ ، فِيرَاعَى ذلك حَسَبَ الطَّاقَةِ والإِمْكَانِ ، وإن تَعَدَّرتْ عليه مَعْرِفَةٌ من
 تَأَخَّرَ بَعِينَهُ يَسْتَعْلِمُ أخبارَهُمَ بجملةٍ من مَقَدِّمِهِمُ ونِقَبَائِهِمُ .

ويحتاج إلى أنه مهما أنحلَّ من الإِقطاعاتِ ، أو تَعَيَّنَ من تَفَاوُتِ
 المُدَدِ عَمَّنِ دَرَجٍ وفارقٍ وَأَنْتَقَلَ ، أو ما تَعَيَّنَ في خِلالِ المُدَدِ بَيْنَ مُنْفَصِلٍ ومُتَّصِلٍ
 يَحْرَرُ ذلك ، وَيَكْتُبُ به حَوَاطَةَ جَيْشِيَّةٍ يَضْمَنُهَا أَسْمَ رَبِّ الإِقطاعاتِ المُتَّصِلِ ونِوَاحِي
 إِقطاعِهِ ونَقَدَهُ ومِجَلَّهُ إن كان ، وَيَعَيَّنُ أَسْتِقْبَالَ الحَوَاطَةِ ، وَيُمَيِّزُ ما أَسْتَحَقَّهُ الدِيوانُ
 مِنَ المُغَلِّ ، وتُصَدَّرُ إلى دِيوانِ التَّصَرُّفِ بَعْدَ شِمُولِها بِالعِلامَةِ وثبوتِها ، وَيَطالِبُ المُستوفِيَّ
 بِكِتابَةِ رُجْعَةِ بوصولِ ذلك إِلَيْهِ لِيَبْرَأَ مِنْ عَهْدَتِهِ ، وَيُلْزِمُ المُثَبِّتُونَ التَّعْرِيفَ بِذلك
 وإِضافةً ما يَتَحَصَّلُ مِنْهُ ، فإن أَخْرَكَ كاتِبُ الجَيْشِ إِصدارَ الحَوَاطَاتِ إلى دِيوانِ التَّصَرُّفِ
 حَتَّى يَفُوتَ الزَّمَنُ الذي يَمْكَنُ فِيهِ تَحْصِيلُ ما فِيها ، كان تَحْتَ دَرَكِهِ وتَبَعْتِهِ ؛
 والله أَعْلَمُ .

(١) في الأصل : « يستعمل » ؛ وفي حروفه قلب لا يستقيم به المعنى .

(٢) درج : أى مات .

(٣) يريد بالمفارقة مفارقة الخدمة .

(٤) المراد بالانتقال : الانتقال من إقطاع إلى إقطاع آخر .

(٥) الظاهر أنه يريد بالحوطة ما يسميه كتاب الدواوين في زماننا بالحافضة ، أخذاً من السباق ،
 وفي كتب اللغة أن الحوطة أسم من الاحتياط ، وهو الأخذ بالحزم والثقة ؛ والحوط : الحفظ .

(٦) المستوفى : هو الذى يضبط الديوان ، وينبه على ما فيه مصلحته من استخراج أمواله ونحو ذلك ؛
 وفي بعض المباحثات قد ينقسم المستوفى إلى مستوفى أصل ، ومستوفى مباشرة ؛ ولكل منهما أعمال تخصه
 صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٦٦ .

(٧) الدرك بالتحريك والتبعية كلاهما بمعنى واحد ، ومنه ضمان الدرك في البيع ، وتسكن راءه أيضاً .

ويحتاج مباشر الجيش إلى مراجعة جرائده : الجيشية والإقطاعية وأوراق العدة في كل وقت من غير احتياج إلى كشف ، لتكون على خاطره أسماء الجند ونواحي إقطاعهم ، فإنه بصدد أن يُسأل عن شيء من ذلك بين يدي ملك أو نائب ، فإن آخر الجواب بالجملة إلى أن يكشف عنه ربما يُنسب إلى عجز فيتعين أن يكون على خاطره من جليات الأحوال ما يوجب به في المجلس على الفور ، ولا يتأتى له ذلك إلا بمراجعة حسابه ومداومة النظر فيه ، والناظر إلى ذلك أحوج من غيره من المباشرين ، لأنه المسؤول والمخاطب في غالب الأوقات ، والله أعلم بالصواب .

ويحتاج أيضا إلى معرفة الحلي^(٢) واختلافها على ما ذكره في فصل الوراقة^(٣) ، ولا بد له من معرفة الأوضاع التي اصطلح عليها كتاب الجيوش في كتابة الحلي من الاختصار ، فهذه أمور كلية لا بد لمباشر الجيش من معرفتها وإتقانها .

ويجب مباشر الجيش أن يرقم بقلمه عدة جيشه تصريحا ، لما يتعين من إخفاء عدته وذكركه تكثيره ، فإنه إن وضع ذلك بقلمه لا يأمن من الأطلاع عليه

(١) لعله : « بالحالة » كما يرشد إليه قوله بعد : « من جليات الأحوال ما يوجب به » .

(٢) الحلي : جمع حلية ، وهي الصفة والهبة وانظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٠٧ من هذا السفر .
 (٣) في كتب اللغة أن الوراقة هي حرفة من يورق ويكتب ؛ والمراد بها هنا القواعد التي اصطلح عليها الكتاب فيما يكتبونه من الأوراق ، كما يستفاد مما يأتي في كتابة الحكم والشروط ، فإنه ذكر فيها يحتاج اليه كاتبها أن يكون قد اتقن صناعة الوراقة وعلم قواعدها وكيفية ما يكتب في كل واقعة وحادثة الخ . وقال أيضا بعد ذلك ما نصه : وأما معرفة صناعة الوراقة في الأمور التي ذكرناها فلذلك من الفوائد ما لا يخفى على ذي لب لأن الكاتب إذا أخرج المكتوب من يده بعد إتقانه وتحرير ألفاظه على ما استقر عليه الاصطلاح من التقديم والتأخير ومتابعة الكلام وسياقه وترصيعه وترصيفه حسن موقعه وعذبت ألفاظه الخ .

(٤) في الأصل : « ويوجب » ؛ وهو تصحيف .

(١) فيشيع ويذيع ، وقد يتصل بالعدو والمعاند والمناوي^(٢) فيترتب عليه من الفساد ما يترتب وهذا باب يجب على كاتب الجيش الاحتفال به ، والاحتراز من الوقوع فيه ، وكتمانه عن سائر الناس ؛ وإن دعت الضرورة الى تسطير ذلك خشية^(٤) أن يسأله ولي الأمر عن شيء منه ، فليكن وضعه لذلك رمزا خفياً يصطاح عليه مع نفسه لا يعرفه إلا هو ، أو من له ذر^(٥)بة مباشرة بالجيش .

ويتجنب أن يكشف عبرة إقطاع أو متحصّله ، أو يذكر ذلك لأحد إلا بمرسوم ولي الأمر ، ثم يذكره باللفظ دون الخط ، ووجوه الاحتراز كثيرة ، وهي بحسب الوقائع ، فيتعين على مباشر الجيش ملاحظة ذلك والاحتراز من الوقوع فيما ينتقد عليه ، أو يصل سبب ضرره منه إليه ؛ هذا ما أمكن إيراد ما يحتاج مباشر الجيش إلى اعتماده ؛ والله أعلم .

وأما مباشرة الخزانة — فالعمدة فيها على العدالة والأمانة ، لأن خزائن الملوك في هذا العصر أسعمتها ، وكثرة حواصلها ، وعظم ذخايرها لا تتضبط بسياقة ، فإنه لو طول كاتب الخزانة بعمل سياقة لحواصلها عن سنة احتاج إلى أن ينتصب لكتابتها سنة كاملة لا يشتغل فيها بغيرها ، فإذا تحزرت سياقة السنة في آخر السنة الثانية وكشفها مباشر الأصل وحررها في مدة أخرى من السنة الثالثة فانت المصلحة المستقبلية ، وتعطل على المباشر ما بعد تلك السنة ، لأشغاله بنظر تلك السياقة ، فإذا تقرر عجز^(٦)

(١) في الأصل : « نيسيع » ؛ وهو تصحيف لا معنى له .

(٢) في الأصل : « بالعدد والمعاند » ؛ وهو تحريف في كلتا الكلمتين .

(٣) الاحتفال به : أي الاهتمام بأمره .

(٤) في الأصل : « حسبة » ؛ وهو تصحيف .

(٥) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٠١ من هذا السفر .

(٦) في الأصل : « بنظم » بالميم ؛ وهو تحريف ؛ والسياق يقتضى ما أمئنا .

المكاتب عن عمل السِّيَاقَة بهذه المقدِّمة فقد تعيَّن أنَّ العمدة في مباشرتها على الأمانة والعدالة؛ ومع ذلك فيحتاج كاتبها إلى أمور :

منها ضبط ما يصل إليه من حمول الأموال والأصناف، ويقابل ما يصل منها على رسائله، ويجتزئه بالوزن والدَّرْع والعدَد والأحمال على اختلاف أجناسه وأنواعه وأوصافه، ويميّز ما يصل إليه من الأقاليم والثغور والأعمال والممالك، وما يصل من الهدايا والتَّقَادِم على اختلافها، فيضيف كلَّ نوع إلى نوعه، وصنِّف إلى صنِّفه؛ وكذلك يحرر ما يتناعه من الأصناف التي تدعو الضرورة إليها وجرت العادة بأبتياعها .

ومنها معرفة عوائد أرباب الصَّلَات والإِنْعَام، ومصاريِف أرباب المناصب عند ولاياتهم، وما جرت عليه عوائدهم من الإِنْعَام في خلال مباشراتهم بالأسباب الموجبة لذلك وغير الأسباب، وعوائد أرباب التَّقَادِم والصنَّاع وغيرهم .

ومنها ضبط ما يصل إلى آخِزَانَة من تَقَادِم المملوك والنوَاب، ويقابل ما يصل منها في الوقت الحاضر على ما تَقَدَّم، ويجرر زيادته من نقصه، ويكون ذلك على خاطره،

(١) في الأصل : «لأن» ؛ واللام زيادة من التناسخ .

(٢) في الأصل : «فضل» ؛ وهو تحريف .

(٣) التَّقَادِم : جمع تقدمة بكسر الدال ، وهي الهدية ؛ فعطفه على الهدايا من قبيل عطف المرادف .

(٤) المراد بالعوائد هنا : الصلوات ، واحده عائدة .

(٥) في الأصل : «وتصاريِف» بالناء ؛ وهو تحريف .

(٦) المراد بالعوائد جمع عادة ، كما في المصباح المنسیر ، ولم نجد هذا الجمع في غيره من كتب اللغة ؛

وقد سبق أن نهينا على ذلك في الحاشية رقم ١ من صفحة ١٣٩ من هذا السفر .

فإن سأله ولى الأمر عنه أجابه ، وإلا فلا يبدؤه ، ويصيط عادات مهادة الملوك
وما جهز إلى كل منهم في السنين الخالية ، وما كان قد وصل من هداياهم ، وما جرت
عليه عادات رسالهم وقصادهم من التشاريف والإنعام .^(١)

ومنها ضبط ما جرت به العادة من كسا أرباب العوائد المقررة في كل سنة^(٢)
على اختلاف طبقاتهم من أرباب الرتب والمناصب والممالك السلطانية وغيرهم ،
وتوزيع صرف الكسوة اليهم .

ومنها تجهيز ما جرت العادة بأن يُجهز في خزائن الصحبة عند استقلال ركاب
السلطان من مقر ملكه ، إما إلى الصيد والنزهة ، وإما لكشف مملكه عند انتقاله^(٣)
من مملكة إلى أخرى ، أو في حروبه عند ملاقات الأعداء ، فيجهز ما جرت به العادة
في ذلك ، ولا يزيد عليه إلا بمرسوم ولى الأمر ، ولا يستكثر من استصحاب
صنف من الأصناف عند توجهه إلى معدن ذلك الصنف ومطنته ، ولا إلى الخزانة
منه بحمله ، بل ينتصحب منه ما يكون معه ذخيرة واحتياطاً ، إذ لو طلب الملك ذلك^(٤)
الصنف في مسيره قبل وصوله إلى معدن ذلك الصنف كان معه منه ما يسد به
الضرورة ، ولا يعتذر بأنه ما استصحبه معه بحكم توجهه إلى معدنه ، وأنه فعل
ذلك للصحة الظاهرة ، فإن الملوك لا تحمل مثل ذلك ، ولا تصبر على أن يفقد

(١) في الأصل : « ونضادهم » ؛ وهو تحريف .

(٢) العوائد : الصلات .

(٣) في الأصل : « ممالكه » والياء زيادة من النسخ .

(٤) في الأصل : « بالجملة » ؛ وهو تحريف لا يظهر به المراد من هذه العبارة ، والمعنى على ما أثبتنا :

أنه لا يستكثر من حمل ذلك الصنف إلى الخزانة ، بل يحمل منه إليها ما تدعو الحاجة إلى حمله .

من ذخائرها ما تطلبه ؛ ويستكثر من استصحاب الصنف المعلوم في ذلك الوجه الذي يتوجه إليه ، ويحمل منه ما يعلم أنه يكفيه في مسيره وعوده ؛ والله أعلم .

(١) ومنها ضبط ما يتسأله الصناع من مزرکش وخیاط وفتراء ونجّاد وسراج وخرّدقوشی وغيرهم بالوزن والذرع والعدد ، ويحوزه عند استعادته من صانعه .

- ٥ ومنها تحريم ما يصل إليه من الأقمشة من دار الأعمال وما جرت به العادة أن يحمل منها في كل مدة ليطالب به إن تأخر عن وقته ؛ وإن قل صنف من الأصناف عنده يبادر بمطالعة وزير المملكة أو مديرها بذلك ليخلص من عهدته ، وعلى وزير المملكة ومديرها طلب ذلك الصنف من مظانه وحمله إلى الخزانة .

- وأما ملبوس الملك المختص بنفسه وعادته في التفصيل والحبس والطول والسعة (٤) فهو أمر متعلق برأس توبة الجمدارية ، وهو المقدم عليهم ، فعليه أن يحضر إلى الخزانة ويختار من الأقمشة ما يعلم أنه ملائم لخاطر السلطان وموافق لغرضه ، فيفصل منه ما يراه على ما يراه من أنواع التفصيل ، وعلى معلم الخياطين الدرك في طوله وسعته وهندامه ، ولا يستغنى المباشر عن معرفة ذلك ، ولا يستغنى أيضا عن معرفة

(١) في الأصل : « وفيها » ؛ وهو تحريف .

١٥ (٢) النجاد بتشديد الجيم : من يعالج القرش والوسائد ويحيطها .

(٣) كذا ضبط هذا اللفظ بالقلم في كتاب المعرب والدخيل للهدني المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦٤ لغة وورد في هذا الكتاب في تفسير هذه الكلمة أنها كلمة يقولها أهل الحرمين لصانعي السروج ونحوها ، وليس له أصل في اللغة العربية اه والذي في الأصل « خردقوشى » بالقاف والسين ، ولم نجده فيما راجعناه من المظان .

٢٠ (٤) كذا في الأصل ؛ ولعله يريد بالحبس هنا : ضيق الثياب .

(٥) انظر الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٠٥ من هذا السفر .

قِيمَ الأشياءِ على اختلافها وعادةِ التفصيلِ والتَرْفِيفَةِ ^(١) وَالْجَنَدْرَةِ ^(٢) وَالْحَشْوِ لِشَارِكِ رَبِّ
كلِّ صنعةٍ في صناعته بنظره ولسانه ، ولا يكون في ذلك مقلداً جملةً ، بل يشاركهم
فيما هم فيه ، وعليهم الدَّرَكُ دونه فيما لعله يعرض في ذلك من خليلٍ إن وقع ، لأن هذه
الصناعاتِ زائدةٌ على وظيفته ولازمةٌ لأوائك ، فأياً رجلٍ اجتمعت فيه هذه الأوصافُ
تَعَيَّنَ على ولى الأمرِ ندبه لمباشرةِ الخزانةِ ، وقرَّر له كفايته ، وألزمه إن أمتنع .

وأما مباشر بيت المال — فعمدته على ضبط ما يدخل إليه وما يخرج
منه ، ويحتاج في ضبط ما يصل إليه من الأموال إلى أن يُقِيمَ لكلِّ عملٍ من الأعمال
وجهةً من الجهاتِ أوراقاً مترجمةً باسمِ العملِ أو الجهةِ ، ووجوهِ أموالها ، فإذا وصل
إليه المالُ وضع الرسالةَ الواصلةَ قريبةً ^(٣) من ذلك العملِ ، ثم شطبها بما يصحُّ عنده ^(٤)
من أوائلِ إليه ، وذلك بعد وضعه في تعليقِ المياومةِ ، فإن صحَّ الواصلُ صحبةً
الرسالةَ كتبت لمباشر ذلك العملِ رُجعةً بصحته ، وإن نقص صَمَنَ رُجعتَه : من جملة
كذا ؛ وأستثنى بالعجز والردِّ ، وبرز بما صحَّ ، وأعاد الردَّ على مباشر ذلك العملِ وأثبت
في بيت المال ما صحَّ فيه ، فإن كان العجز عن اختلاف الصَّنِجِ ^(٥) عينه في رُجعتَه

(١) في الأصل : التقريفة ؛ وهو تحريف إذ لم نجد فيها راجعناه من المظان . والترففة : مصدر رفاً
التياب بتشديد الفاء : إذا لم خروفاً ، والتشديد في هذا الفعل للتكثير والمبالغة ، وهو وإن لم يوجد فيها
بين أيدينا من كتب المائة فقد ورد في شعر أبي العلاء المعري ، قال :

ألقى عليها جليسي في الدجى حما * فقام عنها بأثواب يرفها

انظر هذا البيت في لزوم ما لا يلزم ص ٥١ طبع مطبعة المحروسة بمصر .

(٢) في الأصل : « العندرة » ؛ وهو تحريف إذ لم نجد فيها بين أيدينا من المظان ؛ والجندرة :
من جندرت الثوب ، إذا أعدت وشبه بعد ذهابه قال الجوهري : وأظنه معرب .

(٣) من ذلك العمل : أى من أوراق ذلك العمل .

(٤) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر .

(٥) الصنج : جمع صنجة يفتح فسكون ، وهى ما يوزن به ؛ وهذا الجمع ذكره صاحب المصباح مادة
« سنج » والسين فيها أفصح من الصاد ؛ وهو معرب .

ولا شيء على مباشر العمل، وإن كان مع اتفاقها فلا يعتد لمباشر العمل أو الجهة إلا بما صح في بيت المال.

- ويحتاج كاتب بيت المال إذا عمل جامعةً لسنةٍ إلى أن يضمَّ كلَّ مال وصل إليه إلى ما هو مثله، من الخراج والجوالي والأحماس وغير ذلك بحسب ما يصل إليه، ويفصل جملة كلِّ مال بنواحيه التي وصل منها، ويستشهد فيه برسائل الخمول، ويضيف إلى جملة ما انعقد عليه صدر الجامعة من الأموال ما أنساق عنده من الحاصل إلى آخر السنة التي قبلها، ويفذل^(١)ك [بعد ذلك^(٢)]، ويعرف ما لعله صرفه من نقد بنقدي في تواريخه، ويستقر بالجملة بعد ذلك؛ ثم يشرع في الخصم، فيبدأ منه بما حمله إلى المقام على يد من حمل على يده وتسامه، من الخزندارية والجمدارية وغيرهم إن كان، ثم يذكر ما نقله إلى الخزانة ويستشهد فيه برجعاته، وما نقله إلى الخواص خاناه والبيوت والعمائر وغيرها بمقتضى استدعاءات هذه الجهات ووصولات مباشريها، وفي أرباب الجاميكات والرواتب والصلوات بمقتضى الاستثمارات والتواقيع السلطانية؛ فإذا تكامل الحمل والمصرف عقد عليهما جملةً وساق ما بقى إلى الحاصل؛ والله أعلم.
- وطريق مباشر بيت المال في ضبط المصرف أن يبسط جريدةً على ما يصل إليه من الاستدعاءات والوصولات من الجهات، وأسماء أرباب الاستحقاقات

(١) يقال: فذل الحاسب حسابه، إذا أنهاه وفرغ منه، وهذا اللفظ منحوت من قول الحاسب:

فذل كذا وكذا إشارة إلى حاصل الحساب ونتيجته.

(٢) موضع هاتين الكلمتين في الأصل حروف مطموسة تتعذر قراءتها؛ وسباق الكلام يقتضى ما أثبتنا.

(٣) انظر تفسير الخزندارية والجمدارية في الحاشيتين رقم ٣ و٤ من صفحة ٢٠٥ من هذا السفر.

(٤) في الأصل: «استدعاءات» وهو تحريف.

(٥) انظر الحاشية رقم ٨ من صفحة ٢٠٥ من هذا السفر.

(٦) في الأصل: «الاستثمار»؛ بالثاء، وفيه تصحيف ونقص؛ وسباق الكلام يقتضى ما أثبتنا.

والجائميّات والرواتب والصّلات، وما هو مقرّر لكلّ منهم في كلّ شهر بمقتضى
 تواقعهم أو ما شهدت به الاستمارات القديمة المخلّدة في بيت المال، ويشطب^(١)
 قبالة كلّ اسم ما صرفه له على مقتضى عادته إما نقدا من بيت المال، أو حوالة^(٢)
 تُفْرَع على جهة تكون مقرّرة له في توقيعه، ويوصل إلى تلك الجهة ما فزعه عليها،
 وكذلك إذا أحال ربّ استحقاق غير ثمن مبيع أو غيره على جهة عادتها تحيل إلى بيت
 المال سوغ ذلك المال في بيت المال، وأوصله إلى تلك الجهة، والتسويغ^(٤)
 في بيت المال هو نظير المجرى؛ وإذا وصل إليه استدعاء من جهة من الجهات^(٦)
 أو وصول وضعه في جريدته، وخصمه بما يقبضه لربه، ويُشهد عليه بما يقبضه،
 ويورد جميع ذلك في تعليق المياومة.

وأما مباشر أهراء الغلال^(٧) - فبني أمره أيضا على ضبط ما يصل
 إليه، وما يُصرف من حاصله؛ ويحتاج في مبدأ مباشرته إلى تحرير ما أنساق من
 حواصل الغلال بأصنافها، وإن أمكنه تمييز ذلك بينه، ويكون اتقن لعمله؛ ثم يبسط
 جريدة يربص فيها أسماء نواحي الخالص السلطاني التي تصل الغلال منها إلى الأهراء^(٨)

(١) يشطب: أي يقيد كما سبق بيان ذلك في الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر.

(٢) في الأصل: «بفرع»؛ وهو تحريف. (٣) في الأصل: «متبع» بالباء؛ وهو تصحيف.

(٤) في الأصل: «صوغ» بالصاد؛ وهو تحريف إذ لم تقف على معنى له يناسب السياق. ولعل

صوابه ما أثبتنا كما استفاد من صبح الأعشى ج ٤ ص ٣١ فإنه قال في نظر بيت المال ما نصه: وموضوعها

حمل حمول المملّكة إلى بيت المال والتصرف فيه تارة قبضا وصرفا وتارة بالتسويغ محضرا وصرفا الخ.

والتسويغ: التجوز، يقال: سوّغه له، أي جوّزه، والمراد به هنا: الإذن في تناول الاستحقاق

من جهة معينة تسيرا وتسهيلا على الآخذ (التاج).

(٥) في الأصل: «والتسويغ» بالصاد؛ وهو تحريف انظر الحاشية السابقة.

(٦) كذا وردت هذه الكلمة في الأصل. (٧) انظر الحاشية رقم ٤ من صفحة ١٩٥

من هذا السفر. (٨) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٠٠ من هذا السفر.

فإذا جاءت رسالة من جهة من تلك الجهات وضعها تحت اسم الجهة وعبر ما وصل قريتها، فإن صحَّ صحتها كتب لتلك الجهة رُجعةً بالصحة، وإن نقص فلا يخلو: إما أن يكون المركب أو الظهر الذي حمل ذلك الصنف قد سُفر من ديوان الأصيل، أو سُفره مباشر العمل من جهته، فإن كان قد سُفر من ديوان التسفيرات طالب مباشر الأهراء مقدّم رجال المركب والأمين المسفّر عليه بالعجز، وألزمهما بجمله، فإن كان قد سُفر من الأعمال كان درك ذلك على من سُفره، ومباشر الأهراء بالخيار بين أن يطالب محضر الغلة بالعجز، أو يرجع على مباشر العمل به، ويكون مباشر العمل هو المطالب لمن سُفره، والأولى طلب محضر الغلة، فإنه إذا أطلقه ورجع إلى المباشر الذي سُفره فقد يعود إلى العمل وقد لا يعود، فإن لم يعد كان مباشر الأهراء قد أضّر بمباشر العمل، لأنه ألزمه الغرم مع قدرته وتمكّنه من استرجاعه ممن عدا عليه، ويكون هو أيضا ممن شارك في التفريط، وإن وصلت إليه الغلة متغيرة تغيراً ظهر له منها أنها خلطت بغيرها، إما بوصول عين تلك الغلة إليه، أو بقرينة الحال التي يعلم منها أن تلك الغلة لا يوجد مثلها من فلاح، ولا يُعتد بها من خراج السلطنة لظهور غلثها، أو وصلت إليه الغلة مبلولةً بلا ظاهرا لتزيد عند الكيل وتمييز نظير ما أخذ منها، فله أن يعمل لذلك معدّلا، وهو أن يكيّل منها جزءا معلوما ويغربله حتى يصير مثل العين التي عنده، أو بتجفيف ذلك حتى يعود إلى حالته

(١) في الأصل: «هذه» وهو تحريف.

(٢) يقال عبرت الشيء: إذا نظرت كم هو كيلا أو وزنا.

(٣) في الأصل: «الغرم»؛ والياء زيادة من النسخ.

(٤) الغلث بفتحين: اسم لما تخلط به الحنطة، يقال: غلثت الحنطة بالشعير: أي خلطتها به.

(المصباح).

(٥) تميز: أي ترتفع، وهو من الميز بمعنى الرفعة، كما في مستدرك الناج.

٣٩

الأولى، ويجر العجز على هذا الحكم، ويطلب به مُحْضَر الغلّة؛ وينبغي له أن يبدأ بصرف ما وصل إليه من الغلال المبلولة ولا يخطها بغيرها، فإنها بعد بللها لا تتحمل طول البقاء؛ هذا ما يعتمد في القبض.

وأما في المصروف، فإن كان لصاحب جارية أو صلة^(١) أو إنعام أو تقا^(٢) لفلاح صرف ذلك من عرض حاصله، ويراعى في صرف التقاوى أن تكون من أطيب الغلال وأفضلها، لأنه يجنى ثمرة ذلك عند استيفاء الخراج؛ وإن كان ما يصرفه مما ينقله إلى الطواحين برسم المخازن، أو للإسطبلات والمناخات برسم العليق غربله، وحرر نقضه، وأورده في جامعته من الفذلكة^(٣) واستقرار الجملة؛ ومباشرة الأهراء مناسبة في أوضاعها لمباشرة بيت المال.

ذكر مباشرة البيوت السلطانية

وهي الحوائج خاناه، والشراب خاناه، والطشت خاناه، [والفراش خاناه]^(٤)، والسلاح خاناه؛ وأمر البيوت معدوق^(٥) بأستاذ الدار^(٦).

فيحتاج مباشر الحوائج خاناه إلى أمور: منها ما يحتاج إليه من راتب السماط العام والطارئ— وهو الطعام الثاني الذي يمد بعد قيام السلطان من المجلس العام، ويأكله

(١) التقاوى من الحبوب: ما يعزل لأجل البذر؛ وهي عامية (مستدرك التاج).

(٢) في الأصل: «وأن»؛ والواو زيادة من الناسخ.

(٣) الفذلكة: حاصل الحساب، وانظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢١٨ من هذا السفر.

(٤) هذه التكملة ساقطة من الأصل، وقد أثبتناها لأن الفراش خاناه من البيوت التي سيذكرها فيما يأتي.

(٥) في الأصل: «وأهراء»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق.

(٦) معدوق: أي منوط ومرتبط كما يناط العذق بكسر العين— وهو القنوق— بالنخلة؛ وقد ورد

هذا اللفظ في مواضع من هذا الكتاب وفي مؤلفات أخرى مراداً به هذا المعنى.

خواص المَلِكِ ومن يَحْضُرُه بين يدي السلطان ، وهو أخْصُ من السَّمَاطِ الأوَّل -
وطارئُ الطارئِ وهو الطعامُ الثالثُ الذي يُمدَّد بعد رفع الطارئِ ، ومنه يأكل المَلِكُ
وخواصُّه ، وقد يأكل السلطانُ من الطارئِ الذي قبله ، فيحترز ما يُحتاج إليه
من لحومٍ وتوابلٍ وخَضْرَواتٍ وأبازيرٍ وتَحَالٍ وقسلوبٍ وطيبٍ وبَجُورٍ وأحطابٍ
وغير ذلك ، ولذلك عندهم معدَّلٌ قد عرفوه فلا يتجاوزه ، فإنه إن صرف زيادةً عنه
بغير سبب ظاهر خرج عنه وكان تحت دَرَكِه .

ومنها معرفة مقادير الأسمطة في أوقات المهمات والأعياد ليجرى الأمر فيها
على العادة ، ولا يتجاوزها إلا بمرسوم .

ومنها تعاهد أسماء الحوائج خاناه ، فيستدعى ما يراه قد قلَّ عنده منها قبل
نفاذه بوقت يمكن فيه تحصيله ، فإن أتر طلب ذلك إلى أن ينفد ، أو طلبه في وقت
ولم يبقَ عنده منه ما يكفيهِ إلى أن يأتيه ذلك الصنف من بلد آخر كان المباشر تحت
دَرَكِ إهماله ، ومتى طَلَبَ ذلك في وقته وطالع ولي الأمر به فقد خَاصَ من عَهْدَتِه .
ويحتاج إلى بسط أسماء من يُعامل بالحوائج خاناه من قصابٍ وحيوانيّ
وطبوريٍّ وغيرهم ، ويَحْضُرُ لِكُلِّ منهم ما أحضره في كلِّ يوم ، فإذا اجتمع له من ذلك

- ١٥ (١) الأبازير : جمع أبزار ، وهو جمع بز بالفتح والكسر ، فأبازير جمع الجمع .
(٢) يريد بالقلوب هنا : لب اللوز والبندق والفسق وغيرها مما يؤكل قلبه ، كما يستفاد من خطط
المقريري ج ١ ص ٤٢٦ طبع بولاق في الكلام على دار الفطرة .
(٣) « عنه » : أى عن المعدل .
(٤) فى الأصل : « اشتماله » ؛ وهو تحريف .
٢ (٥) من يعامل : أى من يعاملهم ، وهم الذين يشتري منهم الأصناف المطلوبة للحوائج خاناه ؛ والذى
فى الأصل : « من العامل » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه سياق الكلام .
(٦) فى الأصل : « ويحضر » بالضاد ؛ وهو تحريف .

ما يقتضى محاسبته جرد له محاسبة ضمَّ فيها كلَّ صنف إلى صنفه وثمنه، إما بتعريف الحسبة، أو بعادة استقرت له، وأحاله بمبلغ ما وجب له على بيت المال، أو استدعى من بيت المال ما يُنْفِق منه وأشهد عليه بقبض ذلك .

ويحتاج أيضا إلى بسط أسماء أرباب الرواتب السلطانية وأرباب الصلّات، وما لكلّ منهم في كلِّ يوم، وخصمه بقبوضهم مياومة أو مشاهرة، صنفا أو حوالة، ويراعى حال من مرض من الممالك السلطانية ونُقِل من اللّحم إلى المزاوي^(٢) أو المساليق فيقطع مُرْتَبه من اللّحم في مدة مرضه، ونظير ذلك من التوابل في مدة مرضه .

ويحتاج إلى معرفة عادات الرُّسل الواردين، والأضياف المتردّدين^(٤)، ومرتب الصدقة في شهر رمضان، وعادات الأضياف والصلّات في عيد النحر، فيجرى الأمر على حكم العادة؛ ويضبط جميع ما يصل إليه من ديوان المتجر ومطبخ السكر وغيرها، ويكتب لهم بما يحملونه إليه من الأصناف؛ ويضبط أيضا ما استقرّ في كلِّ ليلة من الوقود من شمع وزيت، ويصرف على ما استقرّ عنده، وإذا سلّم شمع الوقود إلى الطشتدارية وزنه عليهم، وعبره عند إعادته في بكرة النهار ليتميزه النقص؛



(١) عبارة الأصل : « ما نفق فيه » وهو تحريف صوابه ما أثبتنا، كما يقتضيه السياق .

(٢) كذا في الأصل؛ ولعله يريد جمع «مزورة» بتشديد الواو المفتوحة، وهي مرفقة بطعمها المريض، وهي مولدة، كما في شفاء الغليل، ولم نجد هذا الجمع فيما راجعناه من المظان .

(٣) في الأصل : « المصاليق » بالصاد؛ وهو تحريف إذ لم نجده فيما راجعناه من المظان .
والمساليق : جمع مسلوق، وهو من سالت البقل ونحوه : إذا أغلّيته بالنار؛ والمراد هنا ما شاع استعماله عند العامة، وهو ما طبخ بالماء وحده .

(٤) في الأصل : « والأصناف »؛ وهو تصحيف .

(٥) عبره : أى نظر كم وزنه .

وَيَضِبُّ غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَصِلُ إِلَيْهِ وَيَنْزِلُ عِنْدَهُ مِنْ عَادَاتٍ مَنْ قَنِعَ وَتَبَتَّلَ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ جَمِيعِ مَا يَرِدُ وَمَا يُرْتَّبُ وَيَزَادُ وَيُقَطَّعُ .

وأما الشراب خاناه — وهى بيت يشتمل على أنواع المشروب من المياه على اختلافها ، والسكر والأشربة والدرياقات^(٢) والسفوفات والمعاجين والأقراص والأقسما^(٣) والققاع^(٤) والبلج والأبقال^(٥) والحلويات^(٦) والجوارشات^(٦) والفواكه ، وما يجرى هذا المجرى ؛ وأمر هذا البيت الخاص معذوق بأمر مجلس ، والعام بأستاذ الدار ؛ فيحتاج مباشر هذه الوظيفة الى ضبط ما يصل إليه من جميع هذه الأصناف ،

- (١) عبارة الأصل : « من ذاعات ما نعق » وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق ، والمراد : الرواتب التى جعلت للزهاد والمنقطعين إلى العبادة من طعام وشراب .
- ١٠ (٢) الدرياق والترياق بالدال والتاء : ما يستعمل لدفع السم من الأدوية والمعاجين ، وهو فارسيّ معرب .
- (٣) الأقسما : شراب يصنع من السكر المحلول بالماء والليمون ويطرح فى ذلك سير من السذاب ، وهو شراب جيد للهضم انظر كتاب الأطعمة المعتادة المأخوذ منه نسخة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥١ علوم معاشية . وفى شفاء الغليل أن الأقسما : تقيع الزبيب ، قال : وأظنه معرب « أبهما » .
- ١٥ (٤) الققاع : شراب يتخذ من الشعير ، وسمى بذلك لما يرتفع فى رأسه ويعلوه من الزبد انظر القاموس وشرحه . وفى كتاب الأطعمة المعتادة المأخوذ منه نسخة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية أن هذا الشعير يثقل ويجفف ويطحن ويضاف إليه من دقيق الحنطة قدر مثليه . إلى آخر ما ذكر فى كيفية صنعه .
- (٥) الحلويات : جمع حلوى بفتح فسكون : نسبة إلى الحلوى بقصر الألف .
- ٢٠ (٦) الجوارشات : أنواع من الحلواء ، وهو معرب ؛ وفى المعجم الفارسى الانجيزى تأليف ستانجاس أن الجوارش يصنع من دقيق وعسل أو سكر ، وأنه يساعد على الهضم .
- (٧) فى الأصل : « خاص » بدون أداة تعريف ؛ والسياق يقتضى إثباتها كما يدل عليه قوله بعد : « والعام » .
- (٨) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٢١ من هذا السفر .

وما يستعمله من ذلك في عقد الأشربة والحلويات، وما يعقده للشروب وما يصرفه من ذلك، ومعرفة عادات الأسمطة والطوارئ والرواتب المقررة في كل يوم، فيجري الأمر فيها على العادة المستقرّة، وما يستدعيه السلطان على حسب الاتفاق، وما يصرف للرضى من الممالك السلطانية من أنواع الأشربة والمعاجين وغيرها بمقتضى أوراق الأطباء؛ هذا ما يعتمد عليه مباشرها والله أعلم .

وأما الطشت^(١) خاناه — فهي بيت تكون فيه آلة الغسل والوضوء، وقماش^(٢) السلطان البياض الذي لا بد له من الغسل، وآلة الحمام، وآلات الوقود؛ فيكون في هذا البيت من الآلات: الطشت^(١) والأباريق والسحنات والطاسات والكراسي والستائر واللبايد^(٤) المختصة بالحمامات والسجادات والتمرقات^(٥) والمناشف وفوط الخدمة ومقاعد الجلوس من الجوخ والبسط، وغير ذلك، والمباخر وأنواع البحورات والطيب والغوالي وماء الورد والمسك، وغير ذلك من الأصناف التي تلائم هذا البيت؛ ويستدعى ما يحتاج إليه برسم هذا البيت من الحوائج خاناه والخزانة؛ والله أعلم .

(١) الطشت بالشين المعجمة لغة في الطست بالسين المهملة؛ وقد نقلت هذه اللغة في شرح الشفاء، فقليل: هي خطأ، وقيل: بل هي لغة .

(٢) الذي يستفاد من مستدرك التاج وكتاب المعرب والدخيل للذبي المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦٤ لغة أن إطلاق القماش على الثياب كما هنا إطلاق عامي .

(٣) البياض: أي ذو البياض، فوجه الوصف به ظاهر .

(٤) كذا ورد هذا الجمع في الأصل؛ ولم نجده فيما راجعنا من كتب اللغة؛ والمراد بها هنا: اللبود، وهي البسط من الصوف الملبد، واحده لبد بكسر اللام .

(٥) وردت هذه الكلمة في الأصل هكذا «التمرقات»؛ باهمال النون وزيادة لام بين الراء والقاف وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا . والتمرقات بضم النون والراء: الوسائد .

(٦) الغوالي: جمع غالية، وهي ضرب من الطيب؛ وإنما سميت بهذا الاسم لأنها أخلاط تغلي على النار مع بعضها، وأول من سماها بذلك سليمان بن عبد الملك (انظر تاج العروس) .

- وأما الفراش خاناه - فيكون فيها أنواع الفرش والخيام والخركاها والتخوت^(١) وقصور الخشب التي تُنصب في الدهاليز، وحمامات الخشب التي تُثقل على الظهر في الأسفار، وما يتعلق بذلك من اللبابيد^(٢) وشلائت^(٣) النوم وغير ذلك، وهو بيت متسع فيه حواصل كثيرة لها قيم جلية تحتاج إلى ضبط ومعرفة، فإن مباشر هذا البيت يحتاج إلى معرفة ما يحتاج إلى استصحابه في أسفار السلطان لخاصته ولما يليكه على اختلاف طبقاتهم ووظائفهم، وما يُنصب برسم أدر السلطان^(٤) ومن يتبعها من الخدام وما يُنصب برسم البيوت السلطانية الخزانين^(٥) فما دونها، وما يُنصب لأرباب الوظائف من المباشرين الذين يكونون في صحبة الركاب السلطاني، ومن غير المباشرين حتى الكلاب السلطانية والكلابزية^(٦) والحواري، ويميز بين خيام الصيد والثرة والأسفار والحروب، وغير ذلك من الحركات التي يحتاج فيها إلى استصحاب الخيام

٤١

- (١) في الأصل: «والخركاها»؛ وهو تصحيف اذ لم تقف عليه فيما راجعناه من المظان. والخركاها: جمع خرگاه، وأصله بالفارسية «خرجاه»، ومعناها: القبة، كما في المعجم الفارسي الانجليزي تأليف ستينجاس.
- (٢) انظر الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٢٥ من هذا السفر.
- (٣) الشلائت: لفظ يستعمله العامة ويريدون به الفرش المحشوة. ولم نجد في راجعناه من كتب اللغة التي بين أيدينا.
- (٤) في الأصل: «قال»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق.
- (٥) في الأصل: «الخاصة»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه ما بعده.
- (٦) الأدر: جمع دار.
- (٧) وردت هذه العبارة في الأصل هكذا: «ومن غير المباشرين حتى الكلاب السلطانية ومن غير المباشرين حتى الكلابزية» وفيها تكرار وقع من النسخ؛ واستقامة الكلام تقتضي ما أثبتنا؛ والكلابزية: هم الذين يكلفون بخدمة الكلاب والقيام عليها، كما يستفاد من كتاب معيد النعم ص ٢٠٧ طبع ليدن. وفي شفاء الغليل: أن الكلابية هي المعرفة بحال الكلاب السلوقية.
- (٨) في الأصل: «خادم»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يرشد إليه السياق.

ولكلِّ حركة منها ما جرت به العادة من خيام المُقام والسَّفَر^(١)؛ ويعرِّض ما يسمِّه
 للقرَّاشين عليهم، ويضبط صفاته عند السَّفَر، ويستعيده منهم عند العود بعرض
 ثانٍ، وكذلك ما يسمِّه لأرباب الوظائف؛ ويضبط أيضا ما يتسمه الصَّنَاع الذين
 يفصلون أنحَام الحديد وغيره من آلات الفِراش خاناه: من فُماشٍ بياض ومصبوغ^(٢)
 وغزَلٍ وجلودٍ ومُشمَّعاتٍ وشعرٍ وأخشاب، وغير ذلك، ويعرف عواندهم في الأجر^(٣)،
 ويحاسبهم على ما يستحقونه من الأجر بحسب أعمالهم فيحليلهم بمبلغه .

وأما السلاح خاناه — فهي من أعظم البيوت وأهمها، وأمرها راجع^(٤)
 الى أمير سلاح؛ وعلى المباشر فيها حفظ ما يدخل إليها، وضبط ما يخرج منها
 مما يتسمه السلاح دارية والزرد كشيبة والحرب دارية والرُخ دارية من أنواع السلاح
 وأصنافه اذا ركب السلطان أو جلس في المجلس العام، وأستعادته منهم، وإعادته لهم،
 والأعداد لهم بما أنعم به السلطان وزهبه مما كان بأيديهم؛ ويوصل ما يصل إلى
 السلاح خاناه من خزائن السلاح وغيرها، وما يصل إليه من سيوف الأمراء الذين يرسم^(٥)
 بأعتقالهم، وما يحمل إليه من سلاح من توفى من الأمراء على جارى العادة. «ويميز ذلك
 من غيره» وعليه أن ينبه أمير سلاح على ما عنده من العدد التي يُخشى عليها التلف

(١) في الأصل: «والسبق»؛ وهو تحريف .

(٢) المراد بالبياض: ذو البياض، كما سبق في الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٢٥ من هذا السفر .

(٣) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ١٣٩ ورقم ٦ من صفحة ٢١٤ من هذا السفر .

(٤) لعله: «لها» .

(٥) انظر الحاشية رقم ٥ من صفحة ٢٠٤ من هذا السفر .

(٦) في الأصل: «ويعين»؛ وهو تحريف . وقد وردت هذه الجملة في الأصل قبل قوله:

«وما يحمل إليه» وسياق الكلام يقتضى تأخيرها عنها كما أثبتنا .

بتطاول المدّة ليأمر بكشفها وإصلاحها : من مسحٍ ودهانٍ وصَقْلٍ وجِلاءٍ وِشْحِذٍ^(١)
وتثقيفٍ وخرزٍ، وغير ذلك .

وجميع ما قدمنا ذكره من البيوت ليس بشيء من صناعة الكتابة العلمية ، بل
العملية خاصة ، فإن علوم الكتابة إنما تظهر في نُظْمِ الحُسابات ، ولا نُظْمِ فيما قدمناه ؛
والعمدّة في صناعة الكتابة على مباشرة الهلاليّ والخراجيّ على ما يأتي بيان ذلك
إن شاء الله تعالى .

ذكر جهات أموال الهلاليّ ووجوهها وما يحتاج إليه مباشرها^(٢)
والهلاليّ عبارة عما تُستأدى أجوره مشاهرةً ، كأجر الأملّك المسقّفة من الأدر^(٣)
والخوانيتِ والحماماتِ والأفرانِ وأرْحِيَةِ الطواحينِ الدّائرةِ بالعوامل ، والراكبة على المياه^(٤)
المستمرّةِ الجريّان ، لا الطواحينِ التي تدور بالمياه الشّتويّة في بعض نواحي الشام ،
فإنها تجرى مجرى الخراجيّ ، وسندكر ذلك إن شاء الله في موضعه ؛ ومما نورد في أبواب
الهلاليّ عدادُ الأغنامِ والمواشي ، ومن الهوائيّ^(٥) الجهاتُ الهلالية المضمونة والمحلوّة ؛
والذي يعتمد عليه مباشره أن يتخبر لكلّ جهةٍ من يستأجرها بقيمتها ، وما لعله يتعيّن

- (١) في الأصل : « ونجد » بالنون والداد ؛ وهو تحريف .
 (٢) يريد بالوجه هنا : الطرق ، أي طرق الكُتاب واصطلاحاتهم في كتابة هذه الأموال ، فلا تكرر
 بينه وبين قوله : « جهات » .
 (٣) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٢٦ من هذا السفر .
 (٤) الأرحية : جمع رحي ، وهذا الجمع نادر ، بل نقل الأزهري عن أبي حاتم أنه خطأ وأن الصواب
 في جمعه أرحاء .
 (٥) العوامل : البقر .
 (٦) المراد بالهوائيّ : ما ليس له سقف ؛ وعبارة المقرزي في الخطط ج ١ ص ١٠٧ طبع بولاق :
 « والجهات الهوائية المضمونة والمحلوّة » .

من الحِيطَة، ويُزِمُ المستأجر بكتابة إجارةٍ شرعيةٍ لمدّة معلومةٍ بأجرةٍ معينةٍ؛ ويخلدّها في ديوانه؛ وإن كانت الجهة هوائيةً أَرَمَ ضامنُها بكتابة حُجّةٍ بمبلغ الضمان، وطالبه بمن يكفله من الضمان الأملئاء القادرين بالمال في الذمة، فإن تعذرَ فبالوجه؛ فإذا خُلدت الحُجّة عنده كتب له من ديوانه تقريراً عين له فيه آستقبال مدّة ضمانه، ومبلغ الضمان وأقساطه مبسوطةً أو منجمّةً، ويذكر فيه ما يستأديه من رسوم تلك الجهة على ما تشهد به الضرائبُ الخُلدة في الديوان، وسُلمَ إليه؛ فإذا تكلمت عنده إجاتُ الأملك وحُجج الضمان بسط على ذلك جريدةً يشرح فيها الجهة، وأسمَ مستأجرها أو ضامنها، وآستقبال مدّة إيجاره أو ضمانه، ومبلغ الأجرة أو الضمان في السنة والشهر واليوم؛ وإنما ذكرنا اليوم لما يتحصّل من أقساط أيام سلوخ الشهر الناقصة، ولما كانت العادة جاريةً به من آستخراج قسِط يوم التعديل من سائر ضمان الجهات

٤٢

(١) في الأصل: «الغبطة» بالغين والباء الموحدة؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق؛ والحِيطَة اسم من الآحتياط؛ والمعنى أنه يلزمه القيام بما يتعين عليه من الآحتياط والأخذ بالثقة في إجارة كل جهة.

(٢) «الأملئاء» بهمزتين: جمع ملي، وهو الثقة الغني، وقد ألع الناس فيه بترك الهمة وتشديد الباء.

(٣) «بالمال» متعلق بقوله: يكفله.

(٤) الظاهر أنه يريد بالوجه هنا: الجاه، أي ان تعذر الكفيل ذو المال والغنى قبلت الكفالة بذي الجاه وإن لم يكن غنياً.

(٥) الظاهر أن المراد بالمبسوطة هنا: المدفوعة مرة واحدة، كما تدل عليه مقابله بالمنجمّة؛ ولم نجد هذا المعنى فيما راجعناه من كتب اللغة، فعلمه اصطلاح لكتاب الدواوين في زمن المؤلف لأن دافع المال يبسطه في المجلس ولا يؤجله.

(٦) المنجمّة: هي التي يقدر عطاؤها في أوقات معلومة متتابعة، مشاهرة أو مساناة؛ وأصله أن العرب كانت تجعل مطالع منازل القمر ومساقطها مواقيت حلول ديونها، فتقول: اذا طلع النجم حل عليك مالي.

(٧) الإيجار مصدر أجر، يقال: آجرت زيدا الدار مثلاً اذا أكرمتها.

(٨) في الأصل: «لوح» باللام والحاء؛ وفيه نقص وتصحيف.

- الهوائية، وهو قسطن يوم واحد في سائح ثلاث سنين يُؤخذ من الضمان خالصا للديوان زيادة على الأقساط، وهذا يُستأدى في بعض أقاليم الشام؛ وإنما أوردناه خشية الإخلال به؛ ويكون بسطه لذلك في يمنة القائمة إلى الشطر المكسور المعتاد الذي يتخلله خيط الجريدة؛ فإن اتفق في جهة زيادة في أثناء السنة فزرها في تعليق المياومة، ووضعها في الجريدة بما صورته : ثم استقرت باسم فلان لاستقبال التاريخ الفلاني
- ٥ بكذا وكذا، العبرة كذا، والزيادة كذا؛ ويحاسب المستأجر أو الضامن المنفصل عما استحق عليه إلى حين انفصاله، ويلزمه بالقيام به، وذلك بعد أن يعرض على الضامن المستقر ما زاد عليه، فإن اختار قبول الزيادة على نفسه قبل ذلك منه، وكان ذلك له، فإن زيدت عليه في الوقت زيادة ثانية لم يكن له الاستمرار في الجهة إلا بزيادة على تلك الزيادة الثانية؛ وإذا انقضت مدة مستأجر أو ضامن وأراد الخروج من تلك الجهة، فإن كان قد غلق ما عليه من الأجرة أو الضمان لم يكن للباشر إلزامه بالاستمرار بها، وإن انطرد عليه باق كثيرا كان أو قليلا لزمه استئناف عقيد جديد نظير العقد الأول؛ هذا اصطلاحهم في الديوان، ولهم اصطلاحات أيضا نحن نذكر ما تيسر منها، إذ لا تمكن الإحاطة بجميعها لاختلاف أحوال المباشرات، ولو استقصينا ذلك لطال؛ فمن اصطلاحاتهم أن المباشري يسلم للمستأجر الطاحون عند أذان المغرب من اليوم الذي حصل فيه الإيجار أو الزيادة لاستقبال
- ١٠
- ١٥

(١) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٠١ من هذا السفر.

(٢) في الأصل : « غلق » بالعين المهملة ؛ وهو تصحيف إذ لم نجد من معانيه ما يناسب سياق الكلام ؛ وغلق بالعين المعجمة وتشديد اللام : أى تم وكل ، وهذا الاستعمال لا يزال شائعا بين العامة في زماننا ؛ ولم نجد فيها راجعنا من كتب اللغة ، وكأنهم أخذوه من أن المستأجر إذا دفع كل ما عليه فقد غلق باب المطالبة .

٢٠

(٣) في المصباح وغيره أنه لا يقال انطرد إلا في لغة رديئة .

اليوم الثاني، ويسلم الحمام من وقت التسبيح، ويسلم بقية الجهات لاستقبال غرة
 النهار؛ وإذا دخل ضامن نيلة قوم^(١) للمنفصل ماله بالخوابي من مياه الأصباغ المختلفة
 بالقيمة العادلة، ولا يمكن من أخذ ذلك من المصبغة لما فيه من الإضرار بهما،
 أما ضرر المنفصل فلفساد المياه، وأما ضرر المتصل فلأنه يتعطل مدة إلى أن
 تختم له مياه غيرها، ولا يمكن ضامن المصبغة المنفصل من أخذ خابية وإن كانت
 ملكه، بل القيمة عنها؛ هذا اصطلاحهم؛ وليحترز مباشر الجهات الهلالية من قبول
 زيادة بسطا في جهة منجمة قد مضت أقساطها الخفيفة وبقيت الأقساط الكبار،
 لما يحصل في ذلك من التفاوت والنقص على الديوان مع وجود الزيادة الظاهرة،
 مثال ذلك أن تكون جهة مضمونة في كل سنة بأربعة آلاف درهم منجمة، قسط
 ستة شهور ألف درهم، وقسط الستة شهور الثانية ثلاثة آلاف، فأنقضت الستة
 الأول، وحصلت زيادة في الجهة في أول الستة الثانية مبلغ خمسمائة درهم في السنة
 على أن تكون قسطين، فيصير بمقتضى البسط قسط الستة شهور الثانية ألفين ومائتين
 وخمسين درهما، وهي على الضامن المنفصل بثلاثة آلاف، فتكون هذه الزيادة على
 هذا الحكم نقصا؛ فيراعى المباشر ذلك، فإنه متى وقع فيه خرج عليه وكان مخرجا
 لازما؛ ومهما استخرجه المباشر من مستأجر أو ضامن أو أجراه بوصول لرب استحقاق^(٤)
 أو ثمن صنف، أو غير ذلك من وجوه المصارف أوردته في تعليق المياومة، وصورة
 وضعه لذلك أن يرضع المحضر أو المجري عن يمنة القائمة، ويخصم عن يسرتها قبالة^(٥)

(١) في الأصل: «مثله»؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى، وسياق الكلام يقتضى ما أئبنا .

(٢) في الأصل: «الحقيقة»؛ وهو تصحيف .

(٣) في الأصل: «السة»؛ وهو تصحيف .

(٤) الوصول بصيغة المصدر: هو المعروف الآن بين الناس في معاملاتهم بالإيصال . وفي شفاء

الغيل أن هذه الكلمة مولدة عامية لم يستعملها متقدم ولا متأخر محسن، إلا أنها وقعت في الأشعار النازلة كثيرا .

(٥) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٠٠ من هذا السفر .

٥

١٠

١٥

٢٠

- المُجْرَى، فيقول في يَمْتَنُها : من جهة فلان كذا، وفي مقابلته : ينصرف في كذا؛ ثم يَشْطَبُ^(١) المُخْضَرَّ والمُجْرَى من تلك الجهة في يَسْرَة قائمة الجريدة التي بَسَطَها قُبالة كلِّ اسمٍ أَسْتَخْرَجَ منه أو أَجْرَى عليه، يفعل ذلك في مدّة السنة، ويرمِزُ على تعليقه إشارةً أُلْخِدمَة على الجريدة، وصورته^(٢) [له]؛ وكذلك إذا كتب وُصُولًا رَمَزَ عليه إشارةً الكُتابة، وصورته له؛ فإذا آنقَضت السَّنَة عَمِلَ مُحاسِبَة كلِّ جهةٍ بما أَسْتَخْرَجَها من مستأجرها أو ضامنٍ وأجراه عليه، وعَقَدَ على ذلك جملةً، فإن كان المُسْتَخْرَجُ والمُجْرَى نظير الأجرة أو الضَّمان فقد تَعَلَّقَتْ تلك الجهة عن تلك السنة، وإن زاد المُسْتَخْرَجُ على الأجرة أوردَه في حسابَه مضافًا، ويسميه : زائد مُسْتَخْرَجٍ، على ما يأتي بيانه في كَيْفِيَّةِ الأَوْضَاعِ الحِسابِيَّةِ، وأَعْتَدَ له بذلك في السنة المُسْتَقْبَلَة؛ وإن تَعَيَّن للضامن أو المُسْتَأْجِرِ أَعْتَادٌ بما يجب الأَعْتَادُ به كِبَطالة الحَمَامَاتِ من أنْقِطاع المِياه عنها أو وقوفها فيها، وإصلاح القُدور، وعُطِلَ العمار، وبَطالة الطواحين لأنْقِطاع المِياه وأنكسار الأحجار أو السهام أو العُدَدِ، أو حصولِ جائحةٍ أرضِيَّةٍ أو سَمائِيَّةٍ كأنْقِطاع الأَجْلابِ عن الجهات الهوائِيَّةِ بسببِ مداوَمَةِ الأمطار، أو سقوطِ الثلوج، أو طُروقِ عدوٍّ للبلاد، أو حادثةٍ عَطَّلَتْ تلك الجهة بسببها أَعْتَدَ له بقسط تلك المدّة محسوبًا

- ١٥ (١) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا المرقع .
 (٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل؛ والسياق يقتضي إثباتها .
 (٣) في الأصل : « تعلقت » بالعين؛ وهو تصحيف إذ لم نجد من معانيه ما يناسب السياق .
 « وتعلقت » الخ : أي تم دفع ما على هذه الجهة من الأجرة أو الضمان، كما يرشد إليه السياق؛ وهو استعمال عامي كما سبق توضيح ذلك في الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٣٠ من هذا السفر .
 ٢٠ (٤) في الأصل : « وامند »؛ وهو تحريف . وفي المصباح انه يقال : اعتددت بالشيء، أي أدخلته في العد والحساب .
 (٥) في الأصل : « حاجة »؛ وهو تحريف . والجائحة : الآفة والنائلة .
 (٦) الأجلاب بفتح الهمزة : جمع جلب بالتحريك، وهو المجلوب .

(١) "هذا إذا شرط ذلك في تقريره" على ما يأتي شرح ذلك ؛ هذا ما يعتمد عليه المباشر للجهات الهلالية في أصولها .

وأما مضافاتها فلا فرق بينها وبين سائر الأموال ، وسيرد الكلام إن شاء الله على ذلك مفصلاً ؛ وقد أصطلح بعضُ مباشري الجهات على إيراد أحكار البيوت والحوانيت ، وربيع البساتين التي تُستخرج أجورها مشاهرةً ، ومصايد السمك ، ومعاصر الشيرج والزيت في مال الهلالي ؛ ومنهم من يوردها في أبواب الخراجي ، وهو الأليق ، وإنما نبهنا عليه لبيان الاختلاف فيه ، ولا أرى في إيراد ربيع البساتين في مال الهلالي وجهها ، بل يتعين ألا يرد إلا في أبواب الخراجي ؛ وإن قال قائل منهم : قد يكون في أرض البستان مسكنٌ يستحقُّ أجرة ، قلنا : إن أمكن إفراد ذلك المسكن بأجرة معينة تُقيدُ أمواله في أموال الهلالي دون البستان ، وإن تعدد إفراده وأوجراً بعقد واحد فالمسكن هنا فرع البستان ، والفرع يتبع الأصل ولا ينعكس ، هذا ما لخصناه من حال مال الهلالي ، فلنذكر الجوالي .

(١) وردت هذه الجملة في الأصل قبل الجملة السابقة ، أي قبل قوله : «اعتد الخ ؛ والسياق يقتضي تأخيرها عنها كما أثبتنا .

(٢) في الأصل : «تقليله» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يرشد إليه قوله في صفحة ٢٢٩ س ٤ : «كتب له من ديوانه تقريراً» الخ .

(٣) في الأصل : «أصولها» ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى ؛ وسياق الكلام يقتضي ما أثبتنا ، كما في خطط المقرزي ج ٢ ص ٩٣ طبع المعهد الفرنسي .

(٤) كذا ضبط هذا اللفظ بالعبارة في مستدرك التاج مادة «شرح» بالمعجمة ، وذكر أن العوام يطلقون به بالسين المهملة مكسورة ؛ وهو دهن السمسم .

(٥) موضع هذه الكلمة في الأصل حروف مطموسة تتعذر قراءتها ؛ وسياق الكلام يقتضي ما أثبتنا .

ذكر الجزية الواجبة على أهل الذمة وما ورد فيها من الأحكام الشرعية
وأول من ضربها وقررها على الرؤوس وما اصطح عليه
كتاب التصرف في زماننا من استخراجها وموضع إيرادها
في الحساب ونسبتها في الإقطاعات الجيشية وما يلزم
مباشرتها من الأعمال وما يحتاج إليه والله أعلم

- أما الأحكام الشرعية فالأصل في وجوبها قوله تعالى : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾
وقد ورد في هذه الآية تأويلات ذكرها أفضى القضاة أبو الحسن علي بن محمد بن
حبيب الماوردي - رحمه الله - في الأحكام السلطانية ، نحن نذكرها على
١٠ ما أورده ، قال : أما قوله : « الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ » فأهل الكتاب [وإن]
كانوا معترفين بأن الله سبحانه واحد ، فيحتمل [نفى] هذا الإيمان بالله تأويلين ،
أحدهما : لا يؤمنون بكتاب الله سبحانه وهو القرآن ، والثاني : لا يؤمنون برسوله
محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن تصديق الرسل إيمان بالمرسل ؛ وقوله : « وَلَا بِالْيَوْمِ
الْآخِرِ » يحتمل تأويلين ، أحدهما : لا يخافون وعيد اليوم الآخر وإن كانوا
١٥ معترفين بالثواب والعقاب ، والثاني : لا يصدقون بما وصفه الله تعالى من أنواع
العذاب ؛ وقوله تعالى : « وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ » يحتمل تأويلين ،

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وقد أثبتناها عن الأحكام السلطانية ص ٢٤٦ طبع ألمانيا .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ومن نسخة الأحكام السلطانية طبع ألمانيا ، وقد أثبتناها

أحدهما : ما أمر الله سبحانه بنسخه من شرائِعهم ، والثاني : ما أحله لهم وحرّمه عليهم ؛ «وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ» فيه تأويلان ، أحدهما : ما في التوراة والإنجيل من أتباع الرسول — وهو قول الكلبي — ، والثاني : الدخول في دين الإسلام — وهو قول الجمهور — ، وقوله : «مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» فيه تأويلان ، أحدهما : من أتباع الذين أُوتوا الكتاب ، والثاني : من الذين ملّتهم الكتاب ، لأنهم في أتباعه كإتباعه ؛ وقوله : «حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ» فيه تأويلان ، أحدهما : حتى يدفعوا الجزية ، والثاني حتى يضمّونها ، لأنه بضمّانها يجب الكف عنهم ؛ وفي الجزية تأويلان ، أحدهما : أنها من الأسماء المُجمّلة التي لا يُعرف منها ما أريد بها إلا أن يرديان ، والثاني : أنها من الأسماء العاقمة التي يجب إجراؤها على عمومها إلا ما خصصه دليل ؛ وأسمها مشتق من أجزاء ، وهو إما جزء على كفرهم ، أو جزء على أماننا لهم ؛ وفي قوله : «عَنْ يَدِ» [تأويلان ، أحدهما : عن غنى وقُدرة ، والثاني : أن يعتقدوا أن لنا في أخذها منهم يداً وقُدرة عليهم ؛ وفي قوله] : «وَهُمْ صَاغِرُونَ» تأويلان ، أحدهما : إذلاء مساكين ، والثاني : أن تُجرى عليهم أحكام الإسلام . وقال غيره : الصغار أن يُضرب على فكّ الذمّي برعوس الأنامل عند قيامه بالجزية ضرباً لطيفاً غير مؤلم . وقال الماوردي :

﴿٤٤﴾

(١) إنما قدر هذا المضاف لأن الذين أُوتوا الكتاب أنفسهم لم يكونوا في زمن الإسلام فتوخد منهم الجزية ؛ والذي في نسخ الأحكام السلطانية « من أبناء » وكذلك في كتاب الحاوي الكبير للماوردي المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٢ فقه شافعي ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .
(٢) في الأصل : « كإتباعه » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا فان الإتياء هو مصدر « أُوتوا » لا « الإتيان » ؛ والمعنى أنهم في أتباعه كأنهم أُوتوا الكتاب ؛ والذي في الأحكام السلطانية : « كأبنائه » ؛ وهو تحريف .

(٣) عبارة الأصل : « تروتان » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا ، كما في الأحكام السلطانية ص ٢٤٧ طبع ألمانيا .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وقد أثبتناها عن الأحكام السلطانية إذ بها يتم الكلام .

(٥) في الأصل : « مسألين » ؛ وهو تحريف .

فيجب على ولي الأمر أن يضرب الجزية على رقاب من دخل في الذمة من أهل الكتاب ليقروا بها في دار الإسلام؛ ويلتزم لهم ببذلها حقين : أحدهما الكف عنهم ، والثاني الحماية لهم ، ليكونوا بالكف آمنين ، وبالحماية محروسين ؛ روى نافع عن ابن عمر رضی الله عنهم قال : آحر ما تكلم به النبي صلى الله عليه وسلم : " احفظوني في ذمتي " ^(١)

قال المسوردي : ولا تؤخذ من مُرتد ولا دهرى ولا عابد وثن ، وأخذها أبو حنيفة من عبدة الأوثان من العجم ، ولم يأخذها منهم إذا كانوا عربا ؛ وأهل الكتاب هم اليهود والنصارى ، وكتابهم التوراة والإنجيل ، وتجري المجوس مجراهم في أخذ الجزية منهم ؛ وتؤخذ من الصابئين والسامرة إذا وافقوا اليهود والنصارى في أصل معتقدتهم وان خالفوهم في فروعه ، ولا تؤخذ منهم إن خالفوا اليهود والنصارى في أصل معتقدتهم ؛ ومن جهلت حاله أخذت جزيته ، ولا تؤكل ذبيحته ؛

والجزية تجب على الرجال الأحرار العقلاء ، ولا تجب على صبي ولا امرأة ولا مجنون ولا عبد ، لأنهم أتباع وذراري ؛ ولو تفردت امرأة منهم [عن] أن تكون تبعا لزوج أو نسبي لم تؤخذ منها الجزية ، لأنها تبع لرجال قومها وإن كانوا أجنب

(١) أراد : في أهل ذمتي .

١٥ (٢) في الأصل : « غرباء » ؛ وهو تحريف .

(٣) الصابئون : قوم يشبه دينهم دين النصارى إلا أن قبلتهم نحو مهب الجنوب ، يزعمون أنهم

على دين نوح (تاج العروس) .

(٤) السامرة : قوم من اليهود يخالفونهم — أى اليهود — في بعض أحكامهم ، كإنكارهم نبوة من

جاء بعد موسى عليه السلام وقولهم : « لا مساس » ، وزعمهم أن نابلس هي بيت المقدس ؛ وهم

٢٠ صنفان : الكوشان ، والدوشان ؛ واليهم نسب السامري الذي عبد العجل (تاج العروس) .

(٥) في الأصل : « والأحرار » ؛ والواو زيادة من النسخ .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، والسياق يقتضيها ؛ والذي في نسختي الأحكام السلطانية طبع

المأثريا وطبع مصر مكان هذه الكلمة : « على » ؛ وهو تحريف .

منها؛ ولو تفرّدت امرأة في دار الحرب فبدّلت الجزية للقيام في دار الإسلام لم يلزمها ما بدّلته، وكان ذلك منها كالهبة لا يؤخذ منها إن امتنعت؛ ولا تؤخذ الجزية من خنثى مشكّل، فإن زال إشكاله وبان رجلا أخذت منه في مستقبل أمره وماضيه؛ وأختلف الفقهاء في قدر الجزية، فذهب أبو حنيفة إلى تصنيفهم ثلاثة أصناف: أغنياء يؤخذ منهم ثمانية وأربعون درهما، وأوساط يؤخذ منهم أربعة وعشرون درهما وضرب يؤخذ منه اثنا عشر درهما، [بجعلها مقدرة الأقل والأكثر] ومنع من اجتهد الولاية فيها.

وقال مالك: لا يقدر أقلها ولا أكثرها، وهي موكولة إلى اجتهد الإمام في الطرفين.

وذهب الشافعي إلى أنها مقدرة الأقل بدينا لا يجوز الاقتصار على أقل منه، وعنده أنها غير مقدرة الأكثر، يرجع فيه إلى اجتهد الولاية، ويحتد رأيه في التسوية بين جميعهم، أو التفضيل بحسب أحوالهم، فإذا اجتهد رأيه في عقد الجزية معهم على مراضاة أولى الأمر منهم صارت لازمة لجميعهم ولأعقابهم قرنا بعد قرن، ولا يجوز لو ال بعده أن يغيره إلى زيادة عليه أو نقصان منه.

(١) في الأصل: « زاد » بالدال؛ وهو تحريف.

(٢) الذي في الأحكام السلطانية: « وقراء »؛ وهو أظهر لأنه قد عين الصنفين السابقين بقوله:

« أغنياء » « وأوساط ».

(٣) لم ترد هذه العبارة في الأصل، وقد أثبتناها عن الأحكام السلطانية كما تقتضيه المقابلة بما يأتي

في قول مالك والشافعي.

(٤) في الأصل: « والتفصيل »، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما في الأحكام السلطانية ص ٢٤٩

طبع ألمانيا.

(٥) أن يغيره، أي أن يغير عقد الجزية.

وُشْتَرَطَ عَلَيْهِمْ فِي عَقْدِ الْجُزِيَّةِ شَرْطَانِ : مُسْتَحَقٌّ وَمُسْتَحَبٌّ ، أَمَا الْمُسْتَحَقُّ ^(١) فَسِتَّةُ أَشْيَاءَ : أَحَدُهَا أَلَّا يَذْكُرُوا كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى بَطْنٍ فِيهِ وَلَا تَحْرِيفَ لَهُ ، وَالثَّانِي أَلَّا يَذْكُرُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَكْذِيبٍ لَهُ وَلَا أَزْدِرَاءٍ بِهِ ، وَالثَّلَاثُ أَلَّا يَذْكُرُوا دِينَ الْإِسْلَامِ بِذَمٍّ لَهُ وَلَا قَدْحٍ فِيهِ ، وَالرَّابِعُ أَلَّا يُصِيبُوا ^(٢) مُسَلِمَةً بَنِيَّ وَلَا بِأَسْمِ نِكَاحٍ ، وَالخَامِسُ أَلَّا يَفْتِنُوا مُسْلِمًا عَنْ دِينِهِ وَلَا يَتَعَرَّضُوا ^(٣) لِمَالِهِ وَلَا دِمِهِ ، وَالسَّادِسُ أَلَّا يُعِينُوا أَهْلَ الْحَرْبِ وَلَا يُؤْوُوا أَعْيَاءَهُمْ ؛ فَهَذِهِ السِّتَةُ حَقُوقٌ مُلْتَزِمَةٌ بِغَيْرِ شَرْطٍ ، وَإِنَّمَا تُشْتَرَطُ إِشْعَارًا لَهُمْ ، وَتَأْكِيدًا لِتَغْلِيظِ الْعَهْدِ عَلَيْهِمْ ، فَيَكُونُ أَنْتَهَا كُفْهَا بَعْدَ الشَّرْطِ نَقْضًا لِعَهْدِهِمْ .

وَأَمَا الْمُسْتَحَبُّ فَسِتَّةُ أَشْيَاءَ : أَحَدُهَا تَغْيِيرُ هِيَاثِهِمْ بِلُبْسِ الْغِيَارِ وَشِدِّ الزُّنَارِ ، وَالثَّانِي ^(٤) أَلَّا يَعلُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي الْأَبْنِيَّةِ ، وَيَكُونُوا إِنْ لَمْ يَنْقُصُوا مَسَاوِينَ لَهُمْ ، وَالثَّلَاثُ أَلَّا ^(٥) يُسْمِعُوهُمْ أَصْوَاتَ نَوَاقِسِهِمْ ، وَلَا تَلَاوَةَ كِتَابِهِمْ ، وَلَا قَوْلَهُمْ فِي عَزْرِ الْمَسِيحِ ، وَالرَّابِعُ ^(٦) أَلَّا يَجَاهِرُوا بِهِمْ بِشَرْبِ خَمْرِهِمْ ، وَلَا بِإِظْهَارِ صَلْبَانِهِمْ وَخِنَازِيرِهِمْ ، وَالخَامِسُ أَنْ يُخْفُوا دَفْنَ مَوْتَاهُمْ وَلَا يَجْهَرُوا بِذَمِّ عَلَيْهِمْ وَلَا نِيَاحَةٍ ، وَالسَّادِسُ أَنْ يُمْنَعُوا مِنْ رُكُوبِ الْخَلِيلِ عِتَاقًا وَهَجْمًا ، وَلَا يُمْنَعُوا مِنْ رُكُوبِ الْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ ؛ قَالَ : فَهَذِهِ السِّتَةُ الْمُسْتَحَبَّةُ



- ١٥ (١) كَذَا فِي نَسْخِ الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا ، وَالَّذِي فِي الْأَصْلِ : « فِيهِ أَشْيَاءٌ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ وَيُرْشَدُ إِلَى مَا أُثْبِتْنَاهُ أَيْضًا مُقَابَلَتُهُ بِقَوْلِهِ الْآتِي : « وَأَمَا الْمُسْتَحَبُّ فَسِتَّةُ أَشْيَاءَ » .
- (٢) فِي الْأَصْلِ : « يَعِينُوا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .
- (٣) فِي الْأَصْلِ : « ذَمَّتْ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .
- (٤) الْغِيَارُ : عَلَامَةُ أَهْلِ الذِّمَّةِ كَالزُّنَارِ ؛ قَالَ فِي شِفَاءِ الْغَلِيلِ نَقْلًا عَنْ شَرْحِ الْمَهْدَبِ : الْغِيَارُ أَنْ يَجْهِطُوا عَلَى نِيَابِهِمُ الظَّاهِرَةَ مَا يَخَالَفُ لَوْنَهُ لَوْنَهَا ، وَتَكُونُ الْخِيَاطَةَ عَلَى الْكَتْفِ دُونَ الذَّيْلِ ، وَالْأَشْبَهُهُ أَلَّا تُخْصَّ بِالْكَتْفِ . ٥١ .

(٥) الزُّنَارُ وَزَانَ رِمَانٍ : مَا يَلْبَسُهُ الذَّمِيُّ يَشُدُّهُ عَلَى وَسْطِهِ .

(٦) فِي الْأَصْلِ : « أَنْ لَا يُخْفُوا » ؛ وَقَوْلُهُ : « لَا » زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ مُفْسِدَةٌ لِلْعَنَى .

لا تلزم بعقد الذمة حتى تُشترط فتصير بالشرط ملتزمة، ولا يكون ارتكابها بعد الشرط نقضا للعهد، لكن يؤخذون بها إجباراً، ويؤدبون عليها زجراً، ولا يؤدبون إن لم يُشترط ذلك عليهم، ويحتاج به .

[وتجب الجزية عليهم] في كل سنة مرة واحدة بعد انقضائها بالشهور الهلالية، ومن مات منهم في أثناء السنة أخذ من تركته بقدر ما مضى منها، ومن أسلم كان ما لزم من غزيتة ديناً في ذمته يؤخذ منه؛ وأسقطها أبو حنيفة بإسلامه وموته؛ ومن بلغ من صغارهم، أو أفاق من مجانينهم استقبل به حولاً [ثم أخذ] بالجزية ويؤخذ الفقير بها إذا أيسر، ويتنظر بها إذا أعسر؛ ولا تسقط عن شيخ ولا زمن، وقيل: تسقط عنهما وعن الفقير؛ ولأهل العهد إذا دخلوا دار الإسلام الأمان على نفوسهم وأموالهم، ولهم أن يقيموا فيها أربعة أشهر بغير جزية، ولا يقيموا سنةً إلا بجزية، وفيما بين الزمانين خلاف؛ ويلزم الكف عنهم كهل الذمة، ولا يلزم الدفع عنهم؛ وإذا أمن بالغ عاقل من المسلمين حربياً لزم أمانه كافة المسلمين، والمرأة

(١) في الأصل: «يوجدون»؛ وهو تصحيف .

(٢) في الأصل: «اخباراً» بانحاء؛ وهو تصحيف .

(٣) في الأصل: «ويؤذنون»؛ وهو تصحيف .

(٤) وردت هذه العبارة في الأصل مكتوبة بخط كبير مشبه لما تكتب به تراجم الأبواب والفصول؛ ولم ترد في الأحكام السلطانية؛ والمعنى أنه ينبغي للامام أن يحتاط باشتراط ذلك عليهم ليعاملهم بمقتضاه .

(٥) هذه التكملة ساقطة من الأصل؛ واستقامة الكلام تقتضى إثباتها؛ وعبارة الأحكام السلطانية

ص ٢٥١ طبع ألمانيا: «ولا تجب الجزية عليهم في السنة الا مرة واحدة .

(٦) هذه الهاء والباء ساقطتان من الأصل؛ والسياق يقتضى إثباتهما، كما في الأحكام السلطانية .

(٧) هذه التكملة ساقطة من الأصل وقد أثبتناها عن الأحكام السلطانية ص ٢٥٢ طبع ألمانيا .

(٨) كذا في الأحكام السلطانية ص ٢٥٢ طبع ألمانيا و ص ١٣٩ طبع مصر؛ والذي في الأصل:

«دون»؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

في بذل الأمان كالرجل ، والعبء فيه كالحرّ ؛ وقال أبو حنيفة : لا يصحّ أمان العبد إلا أن يكون مأذونا له في القتال ؛ وإذا تظاهر أهل الذمة والعهد بقتال المسلمين كانوا حربا لوقيتهم ، يُقتل مقاتلتهم ، ويُعتبر حال من عدا المقاتلة منهم بالرضا بفعالهم والإنكار له ؛ وإذا امتنع أهل الذمة من أداء الجزية كان نقضا لعهدهم ؛ وقال أبو حنيفة : لا يتنقض به عهدهم إلا أن يلحقوا بدار الحرب ، وتؤخذ منهم جبرا كالديون ؛ وإذا نقض أهل الذمة عهدهم لم يُستبح بذلك قتلهم ، ولا غنم أموالهم ، ولا سبي ذراريهم ما لم يقاتلوا ، ووجب إخراجهم من بلاد المسلمين آمنين حتى يلحقوا مآمنهم من أدنى بلاد الشرك ، فإن لم يخرجوا طوعا أُخرجوا كرها ؛ فهذه هي الأحكام الشرعية في أمر الجزية .

وأول ما ضربت الجزية وجُعِلت على الرؤوس في خلافة عمر بن الخطاب —
رضى الله عنه — وكانت قبل ذلك تُحمل قطائع ، واختُلف : هل آستأداها سلفا
أو عند آنقضاء الحول .

(١) هذه الواو ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضيها .

(٢) في الأصل : « ولا بنى » ؛ وهو تحريف .

(٣) في كتب الفقه ما يفيد أن الجزية كانت على الرؤوس في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بأخذ الجزية من أهل الكتاب من كل حالم دينارا ولم يفضل . وروى مسروق عن معاذ بن جبل أنه قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن وأمرني أن آخذ من كل حالم دينارا أو عدله معافرا ، انظر كتاب الحاوي الكبير للساوردي ج ١٩ من النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٢ فقه شافعي وكتاب الخراج ليحيى بن آدم ص ٧٢ طبع المطبعة السلفية . والمعافر : ثياب تصنع باليمن . أما ما كان في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فهو أنه جعل أهل الذمة طبقات ، فأخذ من الأغنياء ثمانية وأربعين درهما ، ومن المتوسطين أربعة وعشرين درهما ، ومن الفقراء آثنى عشر درهما ، وذلك في سواد العراق لما افتتحه ، انظر كتاب الخراج لأبي يوسف ص ٢٠ و ٢١ و ٢٢ طبع المطبعة الأميرية وكتاب الأوائل لأبي هلال العسكري المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٧٠٥ تاريخ . ولم يكن هذا التقسيم قبل خلافة عمر .

وأما ما اصطُح عليه كُتاب التصرف في زماننا هذا من استخراجها وموضع إيرادها في حساباتهم، فهم يستخرجونها سلفاً وتعجيلاً في غرة السنة، وفي بعض الأقاليم تُستخرج قبل دخول السنة بشهر أو شهرين؛ وتورد في الحسابات قلماً مستقلاً بذاته، بعد الهلالى وقبل الخراجى، وسبب تأخيرها عن الهلالى أنها تُستأدى مُسأنةً، وسبب تقدّمها على الخراجى ما ورد من وجوبها مشاهرةً على الأشهر من أقوال الفقهاء؛ وقد تقدّم ذكر الحكم فيمن أسلم أو مات في أثناء الحول، وأنه لا يلزمه منها إلا بقدر ما مضى من السنة قبل إسلامه أو وفاته، فلذلك وردت بين الهلالى والخراجى.

وأما نسبتها في الإقطاعات الجيشية عند خروج إقطاع ودخول آخر فإنها تجرى بحكم المال الهلالى، لأنها تُستخرج على حكم شهور السنة الهلالية دون الشمسية؛ فإن تعجلها مُقطع في غرة السنة على العادة ونرج الإقطاع عنه في أثناءها بوفاة أو نقله إلى غيره استحق منها نظير ما مضى من شهور السنة إلى حين أنتقاله، لا على حكم ما استحق من المُغل؛ ويستحق المتصل من استقبال تاريخ منشوره كعادة النقود؛ وإن تحلّل بين المنفصل والمتصل مدّة كان قسطنها للديوان، يرد في جملة المحلولات من الإقطاعات.

- (١) كذا في الأصل؛ ويوضح ذلك ما ورد في خطط المقرئى ج ٢ ص ٩٤ طبع المعهد الفرنسى؛ وعبارته: عند خروج إقطاع عن مقطع — بفتح الطاء — ودخول آخر على ذلك الإقطاع.
- (٢) كذا في كتاب الخطط للمقرئى؛ والذي في الأصل: «لاستقبال» باللام مكان «من» وما أثبتناه هو مقتضى السياق.
- (٣) كذا في كتاب الخطط للمقرئى ج ٢ ص ٩٤ طبع المعهد الفرنسى؛ والذي في الأصل: «النفوذ»؛ وهو تصحيف.

- وأما ما يلزم مباشر الجوالى وما يحتاج الى عمله، فالذى يلزمه أن يبسط جريدة على أسماء الذمة بمقتضى الضريبة المرفوعة إليه، أو الكشف الذى كشفه إن كان العمل مفتوحاً أو مستجداً، يبدأ فيها بذكر أسماء اليهود، ويثنى بالسامرة لأنهم شعب منهم، ويثالث بالنصارى، وإن كان فى عمله طائفة من الصابئة والحوس ذكرهم بعد النصارى؛ وفى بعض بلاد الشام تؤخذ الجزية من طائفة تُعرف بالشمسية، يوحدون الله تعالى وينكرون نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، ومنهم من يقول بنبوة عيسى عليه السلام وأن لاني بعده؛ ويكون بسط الكاتب لهذه الجريدة على التفقية إذا كانت الأسماء كثيرة، ليسهل عليه بذلك الكشف والشطب، وإذا استخرج جالية أوردتها فى تعليق المياومة؛ وكتب له بها وصولاً، وشطبها عن أسم من استخرجت منه فى جريدته، ويرمز فى تعليقه إشارة الكتابة والخدمة على ما تقدم بيانه فى الهلالى.

- ويحتاج مباشر الجوالى فى كل سنة إلى إزام رئيس اليهود ورئيس السامرة وقسيس النصارى أو أسقفهم بكتابة أوراق يسمونها: الرقاع بمن عند كل منهم من الرواتب، وما لعله استجد من الطوائى والنوابت، ويعين فى آخر الرقاع من
- ١٥ (١) أسماء الذمة: أى أسماء أهل الذمة. (٢) يريد بالعمل: البلد. (٣) مفتوحاً: أى مما فتحه المسلمون من دار الحرب. (٤) انظر الحاشية رقم ٤ من صفحة ٢٣٦ من هذا السفر. (٥) انظر الحاشية رقم ٤ من صفحة ٢٣١ من هذا السفر. (٦) فى الأصل: «أو استفهم»، وهو تحريف، والأسقف يخفيف الفاء وتشد يدها فوق القسيس ودون المطران.
- ٢٠ (٧) يريد بالرواتب: المقيمين، وهو من رتب رتباً إذا أقام بالبلد، كما فى المصباح؛ وإنما جمعه على فواعل لأن واحده «راتبة»، صفة للطائفة.
- (٨) فى المصباح أن استجد قد يستعمل لازماً — أى بمعنى تجدد — فلذلك ضبطناه بفتح التاء والجيم.
- (٩) الطوائى: الذين طرأوا على البلد ولم يكونوا منه. والنوابت: جمع نابتة، أى النشء الصغار، والمراد بهم هنا من دون البلوغ.

أهتدى بالإسلام ، ومن هلك بالموت ، ومن تسحب من العمل ، وإلى أى جهة
توجه ، ويجعل تلك الرقاع شاهدا عنده بعد الإشهاد فيها على الصادرة عنه بأنه لم يُخلَّ
بشيء من الأسماء ، ويلزمه بكتيب مشاريع بمن ضمن رقاعه أنه أهتدى أو هلك أو تسحب^(١)
كل اسم بمشروح ، ويخلد المشاريع عنده ويشطبها على جريدته ، والكتاب في إيراد
من أهتدى ونزع وهلك مختلفون : فمنهم من يوصل العدة المستقرة عنده عن يمينه
العمل ، ويستثنى بالتعدية عن أهتدى وهلك وتسحب ، كل اسم بمقتضى مشروحه^(٤)
المشهود فيه ، ويرز بما تحرر بعد ذلك ، ومنهم من يوصل الجميع على ما استقرت
عليه الحال إلى آخر السنة الماضية ، ويستخرج ممن استخرج منه ، ويعتد بما يجب^(٥)
على المهتدى والهالك والمنسحب محسوبا في باب المحسوب قبل فذلكة الواصل^(١)
في الرقاع — على ما نبينه إن شاء الله في الأوضاع الحسابية — ويكون ماعلى النازحين
موقوفا إلى أن يتحرى أمرهم ، فإن عاد أحد منهم إلى ذلك الإقليم ولم يكن قد قام
بالجزية في بلد آخر استخرجت منه ، ووردت في باب المضاف في حساب السنة ،
وإن كان قد قام بالجزية في بلد آخر وأحضر وصول مباشر تلك الجهة بما اعتد له

(١) تسحب : أى نزع من بلد إلى بلد آخر ، ولم نجسده فيما راجعنا من كتب اللغة بهذا المعنى ،

والظاهر أنها عامية .

(٢) فى الأصل : « عن » ، وهو تحريف ، واللغة تقتضى ما أثبتنا .

(٣) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر .

(٤) يريد بالعمل هنا : ما يسميه الكتاب بالقائمة ، كما يرشد إليه السياق ، وسيأتى هذا اللفظ مرادا

به هذا المعنى فى موضع آخر ، وسنبه عليه فى مكانه .

(٥) يقال : اعتدت بالشيء : أى أدخلته فى العدة والحساب (المصباح) .

به عن تلك السنة ، نقل مَبْلَغ الوصول على تلك الجهة التي حَضَر وُصُولُها قَرِبَتْ
أو بَعَدَتْ ، وأسْتَشْهَدَ في حسابِه بمقتضى الوصول ؛ وكلتا الطريقتين سائغَةٌ عند
الكتاب ؛

وأما التَّوَابُ والطَّوَارِيُّ فإنها تَرِدُ في باب المضاف باتفاق الكتاب في أول

- سنة ، وتستقر أصلاً في السنة التي تليها وما بعدها ؛ ويحتاج المباشر إلى تفقُّد أحوال
التَّوَابِ في كلِّ مَدَّةٍ لِاحْتِمَالِ بُلُوغِ صَبِيِّ في أثناء الحَوْلِ ، واختبار ذلك بأمرٍ شرعيَّة
وإصطلاحية : أما الشرعية فبإنبات الشَّعْرِ الحَشِينِ ، أو بِكَمالِ خمسِ عشرة سنة ؛
وأما الاصطلاحية فبأنفراق رأسِ الأنفِ ، وِعَلْظِ الصوتِ ، وبظهور شيء على حلْمَةِ
التَّيْدِيِّ من باطنه كالترْمُسَةِ ، وبأن يُدَارَ حَيْطٌ على عنقِ الصَّبِيِّ مرَّتين تحريراً ، ثم
يوضَعُ طرفُ الحَيْطِ بين أسنانه وتُدخَلُ أُنْشُوطَةٌ في رأسِه ، فإن دخلت دلَّ ذلك
على بلوغه ، وإلا فلا ؛ وأصطَلَحَ بعضُ مباشري الجوالِي في بعض الأقاليم على إلزام
عُرَفَاءِ الذِّمَّةِ بالمطالعة بكلِّ صَبِيٍّ يُولَدُ لوقته ، وبمن هلك منهم ، ويرصع أسماءهم

(١) في الأصل : « ونقل » ؛ والواو زيادة من النسخ .

(٢) انظر الحاشية رقم ٩ من صفحة ٢٤٢ من هذا السفر .

(٣) يقال : أنبت الغلام ، إذا نبت شعر عاتقه ، وهو حدٌّ معتبر لبلوغ صبيان أهل الذمة لأنه لا يمكن
الوقوف على سنهم لاتهام أقوالهم .

(٤) في الأصل : « الحسن » ؛ وهو تصحيف .

(٥) عبارة الأصل : « أو الكمال فن عشرة » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا إذ به يستقيم

الكلام ؛ وتحديد سن البلوغ بخمس عشرة سنة مذهب الشافعي وأبي يوسف ومحمد ، وعليه الفتوى عند الحنفية .

(٦) هذه الكلمة في الأصل مهملة الحروف من النقط ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

(٧) الأُنْشُوطَةُ : رِبْطَةٌ دون العقدة ، إذا شدت من أحد طرفيها انحلت .

(٨) الذمة ، أى أهل الذمة . .

(٩) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٠٠ من هذا السفر .

في جريدة مفردة بهم ، فمن بلغ عمره ثلاث عشرة سنة استخرج منه الجزية سواء ظهرت أمارات بلوغه أم لا ، ويلزم المباشر الكشف والتنقيب عن لعله أخفى من الرواتب ، أو استجد من الطواريء والنوبات ولم يرد الدفع ، فمن ظهر له أمره استخرج الحالية منه لاستقبال وجوبها عليه ، ويقابل من أخفاه بالإهانة والنكال ، والمباشرة تُظهر ما لا تحيط به الكتب ؛ هذا ما يتعلق بالحوالى ، فلنذكر الخراجي — إن شاء الله تعالى .

ذكر جهات الخراجي وأنواعه وما يحتاج إليه مباشرة

والخراجي عبارة عما يُستأدى مسانئة^(١) مما هو مقرر على الأراضى المرصدة للزراعة والنخل والبساتين والكروم والطواحين السنوية التي تدور أحجارها بمياه السيول في الجهات الشامية ، وما يُستأدى من خدم الفلاحين ، ويسمى ذلك بمصر : الضيافة ، وبالشام : رسم الأعياد والخميس ، وهو أغانم ودجاج وكشك^(٣) وبيض — على ما استقرت على كل جهة — وهو إنما يكون على النواحي الإقطاعية غالباً ، وأما في نواحي الخاص فلا يُستأدى ، لما هو مقرر على الأراضى بمصر من الحقوق التي تُستخرج دراهم ، وبالشام من التضييف^(٤) المقرر عليهم في أيام الفتح عن مدة ثلاثة

(١) في الأصل : « من » ، وهو تحريف .

(٢) في الأصل : « في المياه » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٣) في شرح القاموس أن كسر الكاف في هذا اللفظ مما ولعت به العامة .

(٤) في الأصل : « المضيف » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما تقتضيه اللغة .

(٥) في الأصل : « القسم » ؛ وهو تحريف إذ لم نجد له معنى يناسب السياق ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا

فانه يريد صلح عمر رضي الله تعالى عنه لنصارى الشام على ضيافة من يمر بهم من المسلمين ثلاثة أيام مما يأكلون من غير أن يكفوا ذبح شاة ولا دجاجة وتبييت دوابهم من غير شعير ، ويجعل ذلك على أهل السواد دون المدن . الأحكام السلطانية ص ١٣٨ طبع مصر .

أيام؛ ومن أبواب الخراجي ما يُستأدى بالشأم في خدمة رؤساء الضياع في مقابلة ما لهم من المطلق والولاية والوكلاء والتقباء والصيارفة واليكاين والضوئية في مقابلة ما يستأدونه من الرسم، وذلك يرد في أبواب المضاف؛ والخراجي تختلف أحكامه وقواعده بمصر والشام؛ والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

- ٥ أما الديار المصرية وأوضاعها وقوانينها وما جرت عليه قواعدها على ما استقر في زماننا هذا وتداوله الكتاب، فقانون الديار المصرية مبنى على ما يشمله الرى من أراضيها ويعلوه النيل؛ وقد ذكرنا في باب الأنهار في الفن الأول من كتابنا هذا نيل مصر، ومبدأه، والاختلاف فيه، وما يمتاز عليه من البلاد، وكيفية الانتفاع به من حفر الترع، وضبط الجسور، وتصريف المياه عن الأراضي بعد ريها؛ ونيل مصر هو من أعاجيب الدنيا، وقد روى عن ذي القرنين أنه كتب كتابا عما شاهده من عجائب الوجود فذكر فيه كل عجيبة، ثم قال في آخره: وذلك ليس بعجب، ولكن العجب نيل مصر، ولولا ما جعل الله تعالى فيه من حكمة هذه الزيادة في زمن الصيف على التدرج حتى يتكامل رى البلاد، وهبوط الماء عنها عند بدء وقت الزراعة لفسد أمر هذا الإقليم، وتعدرت سكناه، إذ ليس به أمطار كافية ولا عيون سارحة^(٢) تعم أراضيها، وليس ذلك إلا في بعض إقليم الفيوم؛ فسبحان من بيده الخلق والأمر القادر على كل شيء، والمدبر لكل شيء، سبحانه وتعالى لا إله إلا هو .

(١) في الأصل: «الصوية»؛ وهو تصحيف. والضوئية: نسبة إلى الضوء، والمراد بهم الذين يحملون المصابيح ويمشون بها ليلا، ولا تزال طائفة منهم إلى وقتنا هذا تعرف بهذا الاسم وإن لم يعملوا ذلك الآن .

(٢) السارحة: الجارية .

والذي يحتاج إليه مباشر الخراج بمصر ويعتمد عليه في مباشرته أنه إذا شمل الري أرض الجهة التي مباشرها أن يبدأ بإلزام خولة البلاد برفع قوانين الري، وصورتها أن يكتب في صدر القانون ما مثاله: قانون رفعه كل واحد من فلان وفلان الخولة والمشايخ بالناحية الفلانية، بما شمله الري وعلاه النيل المبارك من أراضي الناحية لسنة كذا وكذا الخراجية، وهو من الفدان، ويذكرون جملة قانون البلد، ويفصلونه بالري والشراقي، فالري: ما شمله النيل. والشراقي: ما لم يشمله؛ وللري تفصيل: منه ما هو نقاء، ومنه ما هو مزروع، وخرس، وغالب، ومستحجر، ويفصل بقبائله، ويشرح في كل قبالة هذا التفصيل، والنقاء: هو الطين السواد الذي يصلح للزراعة وينبت فيه إذا لم يزرع الكلاء الصالح للري، ويسمى نباته بصعيد مصر: الكتّيح، وهو نبات تستغنى به أنجيل والدواب والماشية عن الريسم. وأما المزروع:

(١) كذا ورد هذا الجمع في الأصل بالناء؛ ولم نجد في راجعناه من كتب اللغة، غير أنه شائع الاستعمال بين العامة، وواحد خولي، وفي مستدرك التاج أنه هو الذي يقيس الأرض بقصب المساحة.

(٢) الفدان بالضم — والعامة تكسر الفاء — جمع فدان بخفيف الدال، وهي لغة في الفدان بالتشديد؛ قال في شفاء الغليل ما نصه: الفدان: نبطي معرب ويخفف ويشدد جمعه فدان وأفدنة الخ. وكذلك في كتاب المعرب للجواليقي؛ والذي استفاد من شرح القاموس أن الفدان للقدر المعلوم بتشديد الدال لا غير.

(٣) النقاء في الأصل: مصدر، وقد أريد به هنا اسم المفعول، أي الأرض النقية مما يعوق الزارعين عن زراعتها.

(٤) القبائل: جمع قبالة بفتح القاف، وهي الأرض التي يقبلها أصحابها، أي يضمونها بمبلغ من المال يؤدونه عنها في كل سنة.

(٥) السواد: أي ذو السواد، وهذه التسمية لا تزال مستعملة بين العامة حتى اليوم.

(٦) في الأصل: «لزرع»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق.

(٧) في الأصل: «الكتّيح» بالناء المثلثة؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا كما في مستدرك التاج.

(٨) كذا ضبط هذا اللفظ في القاموس، والذي في شرحه أن فتح الباء من لغة العامة.

- فهو ما عادته أن يُزرع في كل سنة . وأما الحرس : فهو الأرض التي تنبت فيها الحلفاء^(١)، فلا تُزرع إلا بعد قلعها منها وتنظيفها، وقطيعته^(٢) دون قطعة النقاء . وأما الغالب : فهو ما غلبت على أرضه الحلفاء وتكانفت فلا تُقلع إلا بكلفة، وقطيعته دون قطعة الحرس، وقبلها يُزرع، وأكثر ما يكون الحرس والغالب ببلاد الصعيد الأعلى^(٣) لسعتها، وكثرة أرضها، وتعطيها من الزراعة سنة بعد أخرى . وأما المستبحر : فهو أراضي الخلجان المشتغلة التي تستمر المياه فيها إلى أن يفوت زمن الزراعة، فمنها ما يُيور، ومنها ما يُزرع^(٤) مقائى^(٥)، وقطيعته متوسطة، وتكون غالب بالدرهم دون الغلة . وعندهم أيضا الترتيب : وهو الذي تخللت المياه باطن أرضه شبه التز ولم تعلقها، ولا تصالح لغير المقائى؛ فاذا رُفِع إلى المباشر قانون الرى أشهد فيه على رافعيه بأن الأمر على ما تَصَمَّنَه؛ ثم ينظر المباشر إلى سنة يكون نيلها نظير نيل تلك السنة، ويرز الكشوف، ويحضر البلد على الفلاحين القرارية نظير ما حضره في السنة الموافق نيلها لنيل تلك السنة الحاضرة، ويشهد على كل مزارع بما يسجله من

(١) الحلفاء: نبت من الأغلات، وقبلها تنبت الحلفاء إلا قريبا من ماء أو بطن واد، وهي سلبة غليظة المس، وتأكل منها الإبل والغنم أكلا قليلا، وهي أحب شجرة إلى البقر .

- (٢) القطيعة : الضريبة .
 (٣) في الأصل : « الأغلال »؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .
 (٤) المراد بالمقائى هنا : أنواع القناء، فهو مجاز من إطلاق الموضع وإرادة ما يكون فيه .
 (٥) في الأصل : « الترتيب »؛ وهو تحريف؛ يريد : الأرض ذات الترتيب .
 (٦) في الأصل : « الزرز » ولم نجد في مراجعنا من كتب اللغة؛ وكسر النون فيه أجود من فتحها وهو فارسي معرب .

(٧) في الأصل : « بايعه » وهو تحريف .

(٨) في الأصل : « ويحصر » بالصاد، وهو وان صح معناه إلا أن الذي يمنع منه قوله بعد ذلك في ص ٢٤٩ س ١١ فاذا تكامل تحضير البلد على المزارعين القرارية؛ الخ والظاهر أن المراد بالتحضير : التسجيل، كما يدل عليه قوله بعد : « ويشهد على كل مزارع بما يسجله » وهو من المحضر بمعنى السجل، كما في كتب اللغة .

- (٩) في الأصل : « الحاصرة » بالصاد؛ وهو تصحيف .

أراضى كلِّ قبالةٍ وقطيعتها المستقرّة، ويعين منها ما هو بحقوق وما هو بغير حقوق،
والحقوق: دراهم يُقوم بها المزارع عن كلِّ فدانٍ غير الغلّة، وتكون من أربعة دراهم
إلى درهمن، والغلّة بحسب قطيعة الأرض وعادتها، وأكثر ما عرف من الخراج عن كلِّ
فدان — وهو أربعمائة قصبّة بالقصبّة الحاكيمة^(٢)، والقصبّة ستة أذرع وثلاثا ذراع بذراع
القماش — ثلاثة أرباب^(٣)، وهذه الأرض جزيرة بالآقصر من أعمال قوص، وأقل
ما علمناه من القطيعة عن كلِّ فدان سدس إردب، وهى فى الأراضى التى غلبت
عليها الأخراس وقلة الانتفاع بها، فهى تُسجّل بهذه القطيعة عليها، وتنصلح
فى المستقبل؛ وأما الأراضى التى تُسجّل بالدرهم فأكثر ما علمناه بأراضى الحيزية^(٤)
قبالة فسطاط مصر عن كلِّ فدان مائتان وخمسون درهما، وهو كثير فى أراضىها
وتُسجّل فى بعض السنين ثلاثة أفدنة بألف درهم، ولم تستقر هذه القطيعة، وهذه
الأراضى تُزرع غالبا تكّانا؛ فاذا تكامل تحضير البلد على المزارعين القرارية والطوّارى^(٥)
نظم المباشر أوراقا بجملة ما أشتمل عليه التحضير مفصّلة بالأسماء والقبائل والجزائر^(٦)

(١) انظر الحاشية رقم ٤ من صفحة ٢٤٧ من هذا السفر.

(٢) قال فى صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٤٦ عند الكلام على القصبّة الحاكيمة: كأنها حررت فى زمن
الحاكم بأمر الله الفاطمى فنسبت إليه، وطولها ستة أذرع بالهاشمى، وخمسة أذرع بالنجارى، ومائة أذرع
بذراع اليد.

(٣) فى الأصل: «ثلاثة عشر اربابا» ولم نجد هذا المقدار فى راجعنا من المصادر التى بين أيدينا،
تخطط المقرئى وقوانين الدواوين وصبح الأعشى وغيرها وما أثبتناه هو الموافق لما ورد فى هذه الكتب،
فقد جاء فى صبح الأعشى ج ٣ ص ٥٢ نقلا عن ابن مائى أن قطيعة القمح كانت الى آخر سنة سبع وستين
وخمسة مائة عن كلِّ فدان ثلاثة أرباب ثم إنه تقرّر عند المساحة فى سنة اثنتين وسبعين وخمسة مائة عن كلِّ فدان
إردبان ونصف إردب.

(٤) فى الأصل: «الخيرية» وهو تصحيف.

(٥) انظر الحاشية رقم ٨ من صفحة ٢٤٨ من هذا السفر.

(٦) تقدم تفسير القبائل فى الحاشية رقم ٤ من صفحة ٢٤٧ من هذا السفر.

وَالْجُرُوفُ ، وَتَكْتُبُ عَلَيْهَا الشُّهُودُ الَّذِينَ حَضَرَ الْبَلَدَ بِحُضُورِهِمْ ، ثُمَّ يَصْرِفُ لِكُلِّ مِزْرَاعٍ مَا جَرَتْ الْعَادَةُ بِهِ مِنَ التَّقَاوِي بِحَسَبِ مَا يُسَجَّلُهُ ، وَيَكُونُ مَا يَصْرِفُهُ مِنَ التَّقَاوِي مِنَ أَطْيَبِ الْغَلَالِ وَأَفْضَلِهَا وَأَنْصَحِهَا ، ثُمَّ يَسْطُرُ جَرِيدَةً عَلَى أَوْرَاقِ السِّجَلَاتِ يَشْرَحُ فِيهَا أَسْمَ كُلِّ فَلَاحٍ وَمَا يُسَجَّلُهُ مِنَ الْفَدَنِ ، وَيَفْصِلُ ذَلِكَ بِقَبَائِلِهِ وَجِهَاتِهِ وَقَطَائِعِهِ ؛ فَإِذَا نَبَتِ الزَّرْعُ وَأَسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ نَدَبَ عِنْدَ ذَلِكَ مِنْ بِيَاشِرِ مَسَاحَةِ الْأَرْضِي :
 ٥ مِنْ شَادٍّ وَعُدُولٍ ذَوِي خِبْرَةٍ بَعْلَمِ الْمَسَاحَةَ ، وَكَاتِبٍ عَارِفٍ خَيْرٍ أَمِينٍ ، وَقَصَّابِينَ ؛ وَهُمْ الَّذِينَ يَقِيسُونَ الْأَرْضِي بِالْأَحْكَامِ الْحَاكِمِيَّةِ الْمَحْرَّرَةِ ؛ فَيَمَسِّحُونَ الْأَرْضِي الْمَزْرُوعَةَ بِأَسْمَاءِ أَرْبَابِهَا وَقَبَائِلِهَا ، وَيَعَيِّنُونَ أَصْنَافَ الْمَزْرُوعَاتِ بِهَا ، وَيَكُونُ مَبَاشِرُ الْمَسَاحَةِ قَدْ بَسَطُوا أَيْضًا سِجَلَاتِ التَّحْضِيرِ ، فَإِذَا تَكَامَلَتِ الْمَسَاحَةُ نَظْمَ مَبَاشِرِهَا أَوْ رَاقَا يَسْمُونَهَا :
 ١٠ الْمَكْلَفَةَ ، يَتَرَجَّمُ صَدْرُهَا بِمَا مِثَالُهُ مَكْلَفَةُ تَارِيحِ فُنْدَاقِ مَسَاحَةِ الْأَرْضِي بِالنَّاحِيَةِ الْفَلَانِيَّةِ لِمُغَلِّ سَنَةِ كَذَا وَكَذَا الْخِرَاجِيَّةِ . وَالتَّارِيحُ^(٥) : هُوَ الْأَوْرَاقُ الَّتِي يَسْطُطُهَا مَبَاشِرُ الْمَسَاحَةِ بِمَا فِي السِّجَلَاتِ وَيَخْتِمُهَا بِمَا انْتَهتِ إِلَيْهِ الْمَسَاحَةُ . وَالفُنْدَاقُ : هُوَ عِبَارَةٌ عَنِ التَّعْلِيقِ ، وَهُوَ الَّذِي تُكْتَبُ فِيهِ الْمَسَاحَاتُ حَالَ قِيَاسِهَا . فَإِذَا انْتَهتِ تَرْجُمَةُ صَدْرِ الْمَكْلَفَةِ عَقَدَ

(١) انظر الحاشية رقم ٨ من صفحة ٢٤٨ من هذا السفر .

١٥ (٢) التقاوي : ما يعزل من الحبوب للزرع ، وهي عامية .

(٣) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٤٧ من هذا السفر .

(٤) بالأحكام : أى بحسب الأحكام ؛ ويريد : أحكام المساحة ؛ وقد تقدّم بيان القصة الحاكمة

في الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٤٩ من هذا السفر .

(٥) في الأصل : « تاريخ » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما في القاموس وشرحه ، فقد جاء في مادة

٢٠ « أرح » ما نصه : والأورجة من كتب أصحاب الدواوين في الخراج ونحوه ؛ ويقال : هذا كتاب التاريخ الخ .

(٦) في الأصل : « يتخذها » بالبدال ؛ وهو تحريف .

جملة فُدُنْهَا في صدرها وفصلها بأصناف المزروعات وأسماء المزارعين ، فإن طابقت
 المساحة السجلات من غير زيادة ولا نقص قال : وذلك بمقتضى السجلات ، وإن
 تميزت قال : ما تضمنته السجلات كذا ، زائد المساحة كذا ، وإن نقصت ذكر ما صح
 بمقتضى مساحته ، وعلّمه بالقلم ^(٢) تيمّنه ؛ وإن نقص مزارع عن سجله في قبالة وزاد على
 سجله في قبالة أخرى كجّل عليه ما نقص بمقتضى سجله ، وأورد ما زاد في القبالة الأخرى
 زيادة ، ولا ينقل الزائد إلى الناقص ، ويلزمه المباشر بالقيام بخراج ما نقص من تلك
 القبالة وما زاد في الأخرى ؛ هذا مصطلحهم ، وليس هو منافيا للشرع ، إلا أنني أرى
 في هذا النقص تفصيلا هو طريق العدل والحق ، وهو إن كان النقص مع وجود
 أرض بائنة بتلك القبالة لزمه القيام بخراج النقص ، لأنه عطلها مع قدرته على الانتفاع
 بها وزراعتها ؛ ويسلم إليه من الأراضي البائنة التي شملها الرى بتلك القبالة نظير
 ما نقص عنده لينتفع بما لعله نبت في تلك الأرض من الكلاب ؛ وإن كان النقص
 مع تغليق أرض تلك القبالة بالزراعة فلا شيء عليه لأنه لم يتسلم ما بسجله ، ويعتد
 له بما لعله زاد على تسجيل غيره بتلك القبالة ، فإنه يعلم بالضرورة القطعية أن
 الذي زرع بها أكثر مما بسجله أخذ من جملة سجل غيره ؛ وإن صحّت تلك
 القبالة في جميع المزارعين بمقتضى سجلاتهم بغير زيادة ، ونقص عند واحد بعينه

(١) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٤٧ من هذا السفر .

(٢) هذه الكلمة في الأصل مهملة الحروف من النقط .

(٣) كل عليه : أى كتب ذلك عليه كاملا وإن لم يكن كاملا عند المساحة .

(٤) في الأصل : « مباشرة » ؛ وهو تحريف .

(٥) في الأصل : « تغليق » بالعين المهملة ولم نجد من معانيه ما يناسب سياق الكلام ؛ والمراد
 بالتغليق : التكميل والتعميم ؛ والظاهر أن هذا الاستعمال عامى كما سبق بيان ذلك في الحاشية رقم ٢ من
 صفحة ٢٣٠ من هذا السفر .

(٦) في جميع : أى في مساحات جميع .

جميع ما أشتمت عليه المساحة بها ، فإن وافق جملة قانونها تعين أن الخلل إنما جاء من قبيل المباشر ، لأنه سيجل في قبالة أكثر من قانونها ، فلا يلزم المزارع بالنقص ؛ هذا هو العدل والإنصاف ، فمن خرج عنه فقد ظلم وحاف ؛ فإذا تكلمت تكلمة المساحة وضع المباشر زائد مساحة كل اسم تحت اسمه ، وضمه إلى سجله ، ورفع الجملة بالعين والغلة ، وأضاف [إلى] كل اسم مالعه قدسّمه من تقاوٍ وقروض ، وما عليه من عشرٍ ووفيرٍ ورسوم ، وما لعله أنساق من الباقي إلى آخر السنة الماضية إن كان ؛ وهم يضيفون عشر التقاوي ، وهو حرام لا شبهة في أخذه ، وهو الربا بعينه ، فإنه يقرض الرجل عشرة فيأخذها أحد عشر ، ويضيفون أيضا في بعض البلاد عشر العشر فيقبض كل مائة إردب مائة إردب وأحد عشر إردبا ؛ وإنما أشتمت هذه المظالم وأحدثت من قبل أرباب البدول الذين يقترِفون المظالم ولا يجدون من يدعهم ويردّهم عنها فتستمر ، وهي من السنن السيئة التي عليهم وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة .

(١) في الأصل : « ريع » بالياء ، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا ؛ يقال : رفع الحاسب حسابه : إذا عدّده ثم أجمله ، ويقال بجملة وفذلكته : مرفوع ؛ وهذا اصطلاح للحساب والكتاب مشهور في كتبهم ورسائلهم انظر شفاء الغليل .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ واللغة تقتضى إثباتها .

(٣) في الأصل : « وهو » ؛ وهو تحريف .

(٤) في الأصل : « مالا شبهة » وقوله « ما » زيادة من النسخ ، فان المعنى عليها غير ظاهر ، ولعل صواب العبارة ما أثبتنا اذ به يستقيم الكلام . والشبهة : الالتباس ، يريد أنه لا التباس في حرمة أخذه .

(٥) لعله : « البذور » بالراء جمع بذر ، وهو ما يعزل من الحبوب للزراعة .

(٦) في الأصل : « بقثفون » بسقوط الراء .

ثم يعقد المباشر على جميع ذلك جملةً ^(١) ويشطها بما يستخرجه منه ويحصله ،
والذي تتعد عليه الجملة هو ما تعين عليه للديوان أنجب زرعه أو لم يُنجب ؛ ومهما
استخرجه منه وحصله وأحال به كتب به وُصولاً ؛ فإذا غلق كلُّ ^(٢) اسم ما عليه
أجاز عليه إشارة التعليق ، وإن بقي عليه شيء مما تعين عليه طرده للباقي ؛ هذا
حكم الأرض التي تُسجل بالغلة ؛

وأما ما يُسجل بالنقد فإنه تتساوى عليه ثلاثة أقساط أو قسطان : قسطٌ من
ثمن الرسم الأخضر عند إدراكه وبيعه لربيع الخيل ، وقسطٌ من السكّان عند قلعه
إن كان ، وقسطٌ عند إدراك المِغَلِّ والمقائى ، ومنهم من يسجل بالنقد الحاضر جملةً
واحدةً في وقت السجل ؛ هذا حكم خراج الزراعة .

وأما الخراج الراتب ، فهو لا يكون إلا بالنقد عيناً أو فضةً ؛ وهو
خراج السواقي والبساتين والنخيل ؛ وذلك إن أرباه يقاطعون الديوان على فدان ^(٣)
معيّنة بمبلغ معينٍ عن كلِّ فدان في كلِّ سنة يقومون به في أوقات معلومة ،
رويت الأرض أو شُرقت ؛ وهم يحفرون في تلك الأراضي آباراً بقدر ما يعلمون ^(٤)
أن المياه التي تطلع منها تُروى تلك الأراضي ، ويركّبون على أفواه الآبار السواقي ^(٥)

(١) في الأصل : « ويسطها » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه سياق الكلام .

(٢) في الأصل : « علق » بالعين المهملة ؛ وهو تصحيف لم تجده له معنى يناسب السياق ؛ وعلق بالعين

المعجمة من التعليق ، وهو التميم والتكميل والظاهر أنه عاقى — كما سبق بيان ذلك في الحاشية رقم ٢
من صفحة ٢٣٠ من هذا السفر — فكان المزارع إذا دفع كل ما عليه فقد أغلق باب المطالبة .

(٣) العين : ما ضرب من الدنانير .

(٤) يقاطعون ، من القطيعة : وهى الضريبة .

(٥) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٤٧ من هذا السفر .

(٦) ذكر في مستدرک التاج أن مصدره التثريق ، ولذلك ضبطناه بتشديد الراء .

- المتخذة من أخشاب السنط وما ناسبه، المشهورة بالخرير التي تُعين على رفع الماء
ويسمونها بديار مصر: المحال، وبجماعة: النواعير، إلا أن النواعير تدور بالماء، وهذه
تدور بالأبقار؛ ويزرعون عليها بتلك الأراضي ما أحبوه وأختاروه من أصناف المزروعات
والغروس لا يطالبون عليها بغير الخراج المقرر، إلا أن ينصبوا القصب فلا يقتصر^(٣)
منهم عند ذلك على الخراج، بل للديوان على الأقباب مقرر يستأديه عن كل فدان؛
ويستأدى خراج الراتب على أقساط في زمن الثمار والأعناب والفواكه وعند ضرب
الوسمة^(٤) — وهي النيل الذي يُصبغ به اللون الأزرق — وخراج الراتب يستأدى ممن
هو عليه، زرع أرضه أو عطلها، وهو لا يبطل بوفاة المقاطع على الأرض، بل ينتقل^(٥)
على ورثته، ويطالبون به أبدا ما تعاقبوا وتناسلوا، ولا يوضع عنهم إلا إن ابتلع
البحر الأرض المقاطع عليها بعد أن يعملوا بذلك مشاريع^(٦) تُثبت عند حاكم البلد
أن البحر ابتلع تلك الأراضي بكاملها أو بعضها، ولا ينهض مباشر الناحية أو ناظر العمل^(٧)

(١) الخريز: صوت الماء.

(٢) في كتب اللغة أن المحال والمخال: البكرة العظيمة التي يستقى عليها، سميت بذلك لأنها تدور فتنتقل
من حالة إلى حالة.

(٣) نصب القصب: هو أنهم إذا هياوا الأرض لزرعه يلقونه فيها قطعتين، قطعة مثناة وقطعة مفردة
بعد أن تجعل الأرض أحواضا وتفرض لها جداول يصل الماء منها إلى الأحواض، ويكون طول كل قطعة
من القصب ثلاث أنايب كوامل وبعض أنبوبة من أعلى القطعة وبعض أخرى من أسفلها خطط المقرزي
ج ١ ص ١٠٢ طبع بولاق وسيأتي ذلك أيضا عند الكلام على زراعة القصب.

(٤) ضرب الوسمة: هو أن يضربوا شجرها بعد جفافه لينحت الورق عنه ويسقط.

(٥) المقاطع: هو الذي جعلت عليه قطعة أي ضريبة يؤديها إلى الديوان.

(٦) في الأصل: «مشارعا»، وهو تحريف؛ ويرشد إلى ما أثبتنا ورود هذه الكلمة في ص ٢٤٣

من ٤٣ من هذا السفر.

(٧) في الأصل: «اقتلع» بالقاف؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يدل عليه ما سبق.

بوضعه مع وجود المحضّر الثابت^(١)، بل يحضّر المقاطع على الأرض أو من انتقلت إليه بالإرث أو الأبتياح إلى باب السلطان، ويرفع قصّةً إلى الوزير بصورة الحال، ويوقع عليها بقلمه أن يوضع عنه من خراج الراتب بقدر ما آتباعه البحر بمقتضى المحضّر، ويستمر حكم ما بقي^(٢)، ويكتب على ظهر قصّته: توقيع شريف سلطانى؛ ويثبت بدواوين الباب السلطانى^(٣)، ثم يثبت بدواوين العمل الجامع، ثم ينزل في ديوان البلد التي بها تلك الأرض، ويوضع عند ذلك من الضريبة الديوانية؛ هذا حكم الخراج بالديار المصرية وقاعدته والعادة فيه.

وأما جهات الخراجى بالشام وكيفيةها وما يعتمد عليه مباشروها —

فإن قانون البلاد الشامية مبنى على نزول الغيث، ووقوع الأمطار في إبانها وأوقات الاحتياج إليها، فمن ذلك المطر المسمى: الوسمى، وهو الذى يقع في فصل الحريف، وعند وقوع هذا المطر يحد شق الأراضى المكروبة بالسكك^(٤)، ثم يُبدّر الحب فيها، ويعاد شق الأرض عليه ليخفى عن الطير خشية التقاطه^(٥)، فإذا نزل عليه المطر الثانى



(١) المحضّر: خط يكتب في واقعة خطوط الشهود في آخره بصفة ما تضمنه صدره؛ وهو اصطلاح حادث ليس من اللغة، كما في القاموس وشرحه.

(٢) في الأصل: «النايب» بالنون والياء؛ وهو تصحيف.

(٣) في الأصل: «أو»؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا.

(٤) موضع هذه الكلمة في الأصل حروف مطموسة تعذر قراءتها، ولم يتضح لنا منها غير الواو الأولى والألف التي بعدها؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا.

(٥) في الأصل: «يحد» بالحاء المهملة؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا؛ يقال: حدّ الأرض حدّا: إذا شقها.

(٦) المكروبة: المحروثة، يقال: كرت الأرض كرا وكرا با بكسر الكاف: إذا قلبتها وأثرتها للزراع.

(٧) السكك: جمع سكة بكسر السين، وهى حديدة المحراث التي يحراث بها.

(٨) في الأصل: «الطين»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا، كما يدل عليه التعليل.

بعد ذلك نبت وبرز إلى وجه الأرض، وهو عند ذلك يسمى: الأَحْوَى^(١)، ثم لا تزال الأمطار تسقيه والأنواء تغذيه حتى يصير غُثَاءً، ثم يقع عليه بعد ذلك المطر المُسَمَّى بالمطر الفاطم، وهو غالباً يكون في شهر تيسان، ثم يعقد فيه الحبُّ بعد ذلك، وينتهي على عادة الزرع؛ هذا حكم ما يُزرع على الوسمى.

- ومن أراضي الشام [نواحي] يُغَيَّبُ^(٢) الوسمى فيزرع سُكَّانُهَا^(٣) الحبَّ عَفِيْرًا، ومعنى ذلك أنهم يزرعون في الأرض الحبَّ قبل إبان الزرع ويتظرون وقوع الأمطار عليه؛ ومن غريب ما اتفق في بعض السنين أنهم أودعوا الحبَّ الأرض على عادتهم فلم تسقط عليه الأمطار في تلك السنة، فاستمر في الأرض إلى العام القابل، وأيس أهل البلاد منه، وزرعوا في السنة الثانية شطر الأراضي التي كانت كراباً غير مزروعة — فإن عادتهم بسائر بلاد الشام أن كلَّ فلاج يقسم الأراضي التي بيده شطرين، فيزرع شطراً، ويُرِيحُ شطراً، ويتعاهده بالحرث لتقرع الشمس باطن الأرض، ثم يزرعه في القابل ويُرِيحُ الشطر الذي كان به الزرع؛ هذا دأبهم، خلافاً لأراضي الديار المصرية، فإنها تُزرع في كلِّ سنة — فلما وقعت الأمطار نبت الشطران معاً، وأقبلت الزراعات في تلك السنة، فتضاعف المغل، وهذا غريب نادر الوقوع.

١٥

(١) الأَحْوَى من النبات: ما يضرب إلى السواد من شدة خضرته، وهو أنعم ما يكون منه.

(٢) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل؛ واستقامة العبارة تقتضي إثباتها.

(٣) يغيبها: أي يتأخر عنها؛ والذي في الأصل: «يقع بها»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق، فإن ما قبله من الكلام فيما إذا نزل المطر قبل الزرع، فيقتضى أن يكون مقابله فيما إذا تأخر نزول المطر عن الزرع.

٢٠

(٤) في الأصل: «مكانها»؛ وهو تحريف.

ومن أراضى الشام ما يسقى بالمياه السارحة من الأنهار والعيون، وتكون مقاسمة أرضه أوفر من مقاسمة ما يسقى بالأمطار، وقيمة الأملاك بها أرفع وأغلى^(١) من تلك، ويكون غالبا في الأراضى المستفلة؛ والله تعالى أعلم .

والذى يعتمد عليه مباشر الحراج ببلاد الشام أنه يبدأ بيلزام رؤساء البلاد بتغليق أراضيها بالزراعة والكراب؛ ومصطلحهم في ذلك أن يقولوا: أحمر وأخضر، يعنون بالأحمر: الكراب، وبالأخضر: الزرع شتويا أو صيفيا، ويعنون بالشتوي: القمح والشعير والشوفان والبقول والحمص والعدس والكرستة والجلبان والبستيلية^(٢)

(١) لم يتضح لنا في الأصل من هاتين الكلمتين غير بعض حروفهما وسائرهما مطموس تعذر قراءته؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا . (٢) في الأصل: « المستقلة »؛ وهو تصحيف . ويريد بالمستقلة: ما اطمان من السهل وسفل .

(٣) في الأصل: « تعليق »؛ وهو تصحيف اذ لم نجد له معنى يناسب السياق؛ ويريد بالتغليق التكيل والتعميم؛ والظاهر أن استعماله في هذا المعنى استعمال عامي، كأن الشيء اذا كل فقد أغلق باب الزيادة فيه؛ وقد سبق ذلك أيضا في الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٣٠ والحاشية رقم ٥ من صفحة ٢٥١ من هذا السفر .

(٤) الكراب: الحرث . (٥) في الأصل: « صيفيا أو شتويا » والأولى تقديم الشتوي كما أثبتنا إذ هو مقتضى صنيعه بعد في ذكر النباتات الشتوية قبل الصيفية .

(٦) الشوفان، ذكر في بعض الكتب باسم السلت، والسلت: ضرب من الشعير يجرد من قشره، ولعل المراد من ذلك نوع من الشوفان يسمى بالمقشر، أى الذى يخرج عاريا من قشره؛ والشوفان نبات من الفصيلة النجيلية، وسبقناه تعلو من قدمين الى ثلاثة؛ وهو أنواع كثيرة، أشهرها الشوفان المستنبت، وهو أهم غلف للخبز، وتعلفه أيضا الماشية والطيور، فهو يسمن الغنم، ويزيد في اللبن، ويكثر بيض الطيور، ويصنع الفقراء في بعض الأماكن خبزا من دقيقه لكنه ردى، ويخخذ من الشوفان نشاء وبرغل اه ملخصا من دائرة المعارف للبهستانى .

(٧) الكرستة: شجرة صغيرة لها ثمر في غلف تعلفه الدواب، وهى الكشنى .

(٨) الجلبان: هو من القطاني بتشديد الباء، أى الحبوب التى تطبخ، وقال ابن البيطار في مفرداته ج ١ ص ١٦٤، ١٦٥ طبع المطبعة الأميرية: الجلبان هو من القطاني المأكولة، وله قضبان مربعة سباطية تنسبط على الأرض، وله ورق حوالى القضبان الى الطول وله توار الى الحمرة تحلفه مزود فيها حب مدقور الى البيضاء حلو، ويؤكل تيا في الربيع، ثم يجفف ويطبخ .

وهي التي تسمى بمصر: ^(١) البسلى، وبالساحل الطرابلسى: الخالبة؛ ويعنون بالصينى: الذرة والدخن والسسيم والأرز والحبّة السوداء والكسبرة والمقائى ^(٢) والوسمة ^(٣) والقرطم ^(٤) والقطن والقنب ^(٥)؛ ويكتب عليهم بذلك مشاريع أنهم لا يورون شيئاً من الأراضى ومن بور شيئاً منها كان عليه القيام ^(٦) بربع الغامر ^(٧) من نسبة العامر؛ فإذا زُرعت الأراضى وبدا صلاح الزرع، وأخذ الفول فى العقد خرج الولاء على الزراعة إلى النواحي يحفظون الزراعة من التطرق إلى شىء منها، ويلازمونها إلى أن تُحصَد وتُتقل إلى البيادر ^(٨)؛ فعند ذلك يخرج الأمر بحفظ ما يصل إلى البيادر، ويأخذون فى الدّراس؛ فإذا تكامل وطابت البيادر ولم يبق إلا التذرية ^(٩) أخرج مذرياً - ووظيفة المذرى أنه يلزمهم بتخليص الغلال من الأقسام وتنظيفها؛ فإذا فعلوا ذلك وخلصت الغلال من الأتبان والأقسام وصارت بيادر صافيةً خرج والى العمل ومباشروه إلى تلك الجهة، وتقدموا بتوزيع بيادرها على ضريبة الناحية وعادتها فى المقاسمة، مناصفةً - وذلك فى أراضى السقى -، ومثالثةً ومرابعةً - وهو فى غالب

(١) كذا ضبط هذا اللفظ بالعبارة فى مستدرك التاج .

(٢) المراد بالمقائى هنا نفس القناء، وهو مجاز من اطلاق اسم الموضع وإرادة ما يكون فيه .

(٣) الوسمة : ورق النيل الذى يصبغ به كما سبق فى صفحة ٢٥٤ س ٧ من هذا السفر .

(٤) القرطم : حب العصفور .

(٥) القنب : ضرب من الكتان، وهو الغليظ الذى تُخذ منه الحبال وما أشبهها .

(٦) فى الأصل : « برقع العامر » ؛ وهو تصحيف فى كلتا الكلمتين ؛ والمراد بالغامر الذى

لا نبات فيه .

(٧) لعل صوابه « بنسبة » بالباء مكان « من » كما يدل عليه ما ورد فى قوانين الدواوين صفحة ٣٧

طبع مطبعة الوطن ؛ وعبارته : « إذا استجعل المزارع أرضاً على أن يزرعها مشاطرة بعد أن شملها الرى

ثم بور شيئاً منها وجب عليه القيام بخراجه بالنسبة لمحصل المشاطرة » الخ .

(٨) البيادر : المواضع التى يداس فيها الفول والحنطة ونحوهما ؛ واحده بيدر بفتح الباء .

(٩) يقال : « تقدم إليه بالشىء » أى أمره به .

البلاد - ، ومخامسةً ومسادسةً - وذلك في المزارع والنواحي آنحالية من السكّان التي
يزرعها المُستكروُن^(١) - ، ومسابعةً ومثامنةً - وذلك في النواحي المجاورة لسواحل البحر
والمناخية لأطراف بلاد العدو ؛ فإذا فرغ توزيعها أخذ المباشرون ما يخصّ الديوان
من التوزيع ، ثم يجزُر ما لعله تأخر من الغلال في عَرَصات البيادر والأقصال
وأعقاب التّبانات والعمائر ، ويؤخذ منه ما يخصّ الديوان من نسبة المئاسمة ، ويكّمل^(٢)
على الفلاح على حكم ضريبة ذلك العمل ؛ وفي بعض النواحي يكون من المواسطة ،
فتفرد لها توزيعاً بمفردها ، ثم يؤخذ من حاصل الفلاح بعد الرسوم عشر ما بقي له ؛
وهذا غير مطرد في جميع البلاد ، فإن في جهات الأوقاف والبر وما يناسبها لا يؤخذ
العشر إلا من النصاب الشرعي ؛ وفي نواحي الخواص والإقطاعات يؤخذ مما بقي
للفلاح من كلّ عشرة أجزاء جزءاً مما قل أو أكثر بحسابه ؛ وفي بعض الأقاليم لا يؤخذ
العشر من المزارعين الذّقية ؛ وأما النواحي الإقطاعية والأملك التي أعشارها ديوانية
فمنها ما عليه ضريبة مقرّرة تؤخذ في كلّ سنة زاد المغل أو نقص ، ومنها ما يُندب
له من يقف على النواحي ويجزُر ما بها من الغلال ويقدر العشر عنها ، ويكون هذا
الحزُر والزرع قائم أو حصيد قبل دراسه ، ثم يستعاد بعد ذلك من الفلاحين ما لعله

٥١

(١) في الأصل : « المشكرون » بالشين ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا .

(٢) يجزُر : أى يقدر بالظن والحدس ؛ والذي في الأصل : « يجزُر » ؛ وهو تصحيف ، إذ لا يتأتى

التحريف - وهو الضبط بدقة - في هذه الحالة .

(٣) لعله « نسبة » كما يدل عليه ما نقلناه عن قوانين الدواوين في الحاشية رقم ٧ من صفحة

٢٥٨ ، فانظره .

(٤) كذا ورد هذا اللفظ في الأصل ؛ ولم يتضح لنا المراد به في هذا الموضع .

(٥) في الأصل : « ويجزُر » ، وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق ؛ وقد سبق تفسير

الحزُر في الحاشية رقم ٢ من هذه الصفحة .

١٥

٢٠

(١) عليهم من التقاوى والقروض، وتكون بمفردها مرصدة لتقاوى السنة الآتية؛ ثم يُعتبر ما يتحصّل من الغلال على اختلاف أصنافها بالكيل المتعامل به في ذلك الإقليم، وتُعمل بذلك مخازيم على العادة مفصّلة بالأسماء وأصل المقاسمة والرسوم والعشير وما لعله آستعيد من التقاوى والقروض؛ وعند تكامل قسّم نواحي كلّ عمل يُنظّم على المخازيم عمل^(٢) بالمتحصّل على ما نشرحه إن شاء الله تعالى في الأوضاع الحسابية؛ هذا ما يعتمد في الغلال.

وأما الخروب والزيتون والقطن والساق^(٤) والفسسق والجوز واللوز والأرز فإن الوكلاء تستمر على حفظ ذلك إلى أن يصير في بيادره، ويُقسّم على حكم الضريبة ويحصّل ويؤرد على المتحصّل؛

وفي بعض الأعمال الشامية نواح مفصولة ومضمّنة^(٥) على أربابها بشيء معلوم يؤخذ منهم عند إدراك المِغْل من غير توكيل ولا مقاسمة، وهي نظير المتأجرات^(٧)

(١) تقدّم تفسير التقاوى في الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٢١ من هذا السفر، فانظره.

(٢) في الأصل: «مخازيم» بالراء؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا، فقد ذكر في شفاء الغليل أن الخزومة: نوع من الدفاتر يخرق، مولدة؛ وقد وردت هذه الكلمة في شعر ابن نباتة يذم كاتباً، قال:

لم يدر ما مخزومة وجريدة * سبحان رازقه بغير حساب

وستأتى كيفية عمل الخزومة في صفحة ٢٧٤ من هذا السفر، فانظره.

(٣) المراد بالعمل نوع من القوائم يعملها كتاب الدواوين بالكيفية التي سيأتى بيانها في هذا السفر عند الكلام على الأعمال وأنواعها.

(٤) الساق بالثشديد: من شجر القفاف والجبال، وله ثمر حامض عناقيد فيها حب صفار يطبخ؛

قال أبو حنيفة: ولا أعلمه ينبت بشيء من أرض العرب إلا ما كان بالشأم؛ وهو شديد الحمرة.

(٥) انظر تفسير هذه الكلمة في الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٦١ عند شرحنا للفظ الفصل.

(٦) في الأصل: «مذيمته»، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق.

(٧) في الأصل: «المتأجرات»؛ وهو تصحيف.

بالديار المصرية؛ ولفظ الفصل بالشأم ككلمة فَرَنْجِيَّة ، وأستمر استعمالها في البلاد الساحلية التي آرتجت من أيدي الفَرَنْج جريا على عادتهم .

وأما خراج العين فهو مقرّر على البساتين والشجريات والكروم والمقائئ ويُستخرج على حكم الضريبة عند إدراك كلّ صنف .

ومن أبواب الخراجي الخدم التي تقدّم ذكرها ، ومقرّر القصب والبريد^(٤) والبُسِيط ، وعُشْرُ العرق^(٥) ، وغير ذلك مما يطول شرحه ، إلا أن جميع ما يُستخرج من الأراضي منسوبٌ الى الخراج .

ومن أبواب الخراجي الأحكار على ما فيها من الاختلاف ؛ ومهما أستخرجه المباشر وحصله من ذلك يعتمد في إيراده نحو ما شرحناه في الهلالي : من إيراده في تعليق المياومة ، وشطبه على الجريدة المبسوطة على أبوابه ؛ هذا حكم الهلالي والجوالي والخراجي ؛ والله سبحانه وتعالى أعلم .

(١) لعل أصل هذه الكلمة في اللغة الفرنسية (Vassal) فسال ومعناه التابع الذي أعطاه متبوعه إقطاعا نظير واجبات يؤديها ، كما في معجمات هذه اللغة ، فكان أهل الشأم اشتقوا منه لفظ (الفسل) وأرادوا به المعنى المصدري ، أي التبعية ، ثم حرّفته ألسنتهم الى (الفصل-ل) كما هنا حسب نطقهم العربي واشتمقوا منه لفظ (مفصولة) السابق في صفحة ٢٦٠ س ١٠ .

(٢) في الأصل : « إدراك » ، وهو تبديل وقع من الناسخ لا يستقيم به معنى الكلام ؛ ويرشد إلى ما أثبتنا ما يأتي بعد في السطر الثامن من هذه الصفحة .

(٣) في الأصل : « تقرر » ، وهو تحريف ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا ، فقد تقدم ذكر هذه الخدم في قوله في ص ٢٤٥ من هذا السفر : « وما يستأدى من خدم الفلاحين » الخ .

(٤) كذا ورد هذا اللفظ في الأصل وخطط المقرزي ج ٢ ص ٩٤ طبع المعهد العلمي الفرنسي ، ولعله « البرود » بدليل عطف البسط عليه ، والبرود : الثياب ، وكان ما يؤخذ على الثياب معروفا في مصر الى زمن قريب .

(٥) العرق : دبس التمر ، أي عمله .

وأما ما يشترك فيه الهلاليُّ والحراجيُّ ويختلف باختلاف أحواله
فجهاتٌ، وهي المراعى والمصايد والأحكار؛

- أما المراعى ^(١) — فالذى يردُّ منها في أبواب الهلاليِّ ما استقرَّ حكمه بجهة،
وتقرَّر في كلِّ سنة، وصار ضريبةً مقرَّرةً؛ فمن المباشرين من يقبضه على شهر أو السنة،
ويستخرجه أقساطاً، ويورده في جملة أبواب الهلاليِّ؛ والذي يردُّ منه في أبواب
الحراجيِّ هو ما يُستخرج من أرباب المواشى في كلِّ سنة عند هبوط نيل مصر
ونبات الكلايِّ، في مقابلة ما رعته مواشيمهم من نبات الأرض، وهو يزيد وينقص
بحسب كثرة المواشى وقتها؛ وعادتهم فيه أن يُندب لمباشرة ذلك مشدَّ وشهود
وكتب، وبعدوا الأغنام وغيرها، ويستخرجوا من أربابها عن كلِّ رأس شيئاً معلوماً
بحسب ضريبة تلك الجهة وعادتها؛ وهو على هذا الوجه لا ينبغي إirاده إلا في أبواب
الحراجيِّ؛ ومن الكتاب ^(٢) من يورده في أبواب الهلاليِّ، وهو غلط.

وأما المصايد ^(٤) — فمنها أيضاً ما يورَد في أبواب الهلاليِّ كالنواحي التي تصاد

- (١) في خطط المقرئ ج ٢ ص ٨١، ٩٥ طبع المعهد العلمى الفرنسى أن أول من قرر في مصر
مالاً على المراعى وأدخلها الديوان أحمد بن محمد بن مدبر لساولى خراجها، وذلك بعد سنة خمسين ومائتين.
- (٢) لم تقف على ضبط هذا اللفظ فيما راجعناه من الكتب التي ورد فيها، كما أنه لم يرد فيما بين أيدينا
من كتب اللغة، وكأنه عامى، وبعض العامة في مصر ينطقون به بكسر أوله وفتح ثانيه؛ وسيأتى في هذا
السفر شرح ما يلزم المشد من الأعمال عند ذكر أرباب الوظائف.
- (٣) في الأصل: « ما »؛ وهو تحريف.
- (٤) في خطط المقرئ ج ٢ ص ٨١، ٩٥ طبع المعهد العلمى الفرنسى أن أول من قرر مالاً في مصر
على المصايد أحمد بن محمد بن مدبر لساولى خراجها وأنه احتشم من ذكر المصايد وشناعة القول فيها فأمر
أن يكتب في الديوان: خراج مضارب الأوتاد ومغارس الشباك.

بها الأسماك على الدوام ، مثل ثغر دُمِيَّاطَ ^(١) والبرُّسِ وجنادل ثغر أسوان وأشباه ذلك بالديار المصرية ، وبالشأم مثل نهر العاصي ^(٢) وبحيرة طَبْرِيَّة ، وغيرهما من الأنهار والبرك ، ومنها ما يرد في أبواب الخراجي ، وهو ما يصاد من الأسماك عند هبوط نيل مصر ورجوع الماء من المزارع الى بحر النيل ؛ والعادة في ذلك اذا انتهت زيادة النيل وشرع الماء في مبادئ النقص سَكروا أفواه الترع ، وسَدَّوا أبواب القناطر التي عليها حتى يرجع الماء (ويتكاثف مما يلي المزارع) ثم ينصبون الشباك ، ويصرفون المياه ، فيأتي السمك وقد آندفع مع الماء الجارى ، فيجد الشباك تحُولُ بينه وبين الانحدار مع الماء ، فيجتمع فيها ، ثم يُجْرَجُ منها الى البرِّ ، فيوضع على نخاخ ^(٣) ويلح ويودع في الأمطار ، وأكثر ما يكون ذلك في طول الإصبع ونحوه ؛ وله أسماء : منها البَلَطِيُّ ^(٤)

٥٢

(١) كذا ضبط هذا اللفظ بالعبارة في القاموس ؛ وضبطه ياقوت بفتحين ؛ وهي بلدة بسواحل مصر من جهة الاسكندرية (شرح القاموس) .

(٢) الجنادل : موضع فوق أسوان بثلاثة أميال في أقصى صعيد مصر قرب بلاد النوبة ، وهي حجارة ناتئة في وسط النيل (ياقوت) . وقال في صبح الأعشى ج ٣ ص ٢٩١ إنها هي الجبل الذي ينحدر عليه النيل بين منتهى مراكب النوبة في انحدارها ومراكب مصر في صعودها .

(٣) نهر العاصي : هو اسم لنهر حاة وحص ، ويعرف بالمباس ، يخرج من بحيرة قدس ، ومصبه في البحر قرب انطاكية ؛ واسمه قرب انطاكية : الارند (ياقوت) وذكر في صبح الأعشى ج ٤ ص ٨٠ في سبب تسميته بهذا الاسم أن غالب الأنهار تسقى الأرض بغير دواب ولا نواعير بل تركب البلاد بأقسامها ، وهذا النهر لا يسقى إلا بنواعير تنزع الماء منه .

(٤) سَكروا ، أى سدوا .

(٥) هذه العبارة في الأصل مطموسة الحروف تتعذر قراءتها ، وقد أثبتناها عن خطط المقرئ ج ٢ ص ٩٦ طبع المعهد العلمى الفرنسى .

(٦) النخاخ : جمع نخ بتشديد الخاء ، وهو بساط طويل ، طوله أكثر من عرضه ؛ وقد شاع في مصر إطلاقه على الحصير الذى يتخذ من البردى ونحوه ، وهو المراد هنا .

(٧) في خطط المقرئ ج ٢ ص ٩٦ طبع المعهد العلمى الفرنسى : «فما دونه» .

(٨) كذا ضبط هذا اللفظ بالعبارة في مسندرك الناج ؛ وقال عنه : إنه أطيب الأسماك ، ويشبهون به المترعرع في الشباب والنعمة .

(١) والرأى والبني وغير ذلك، وما يؤكل منه طرياً بعد قليه يسمونه الإيسارية؛ ومنها
(٢) ما يكون بقدر الفتر، ويسمى الشال، وهو يملح أيضاً؛ فهذا الذي يتعين إيرادُه
(٣) في أقلام الخراجي، ومنهم من يورده في الهلالي، ومن الكتاب من يورد المصايد
والمراعي قلما مستقلاً بعد الجوالي وقبل الخراجي.

وَأما الأحكار — فقد تقدم الكلام عليها عند ذكرنا للهلالي.

وهذه الاختلافات بين الكتاب هي بحسب آرائهم وعادات النواحي
وما استقرت عليه قواعدها؛ وإنما أوردنا ذلك على سبيل التنبيه عليه، وذكر مصطلح
الكتاب فيه.

وَأما أقصاب السكر ومعاصرها — فهي تختلف بحسب الأماكن

والبقاع والنواحي والديار المصرية والشام، وتختلف أيضاً في الديار المصرية بحسب
الأعمال والنواحي والأراضي؛ وقاعدتها الكمية التي لا تكاد تختلف في الديار المصرية
أن تختار لها الأراضي الجيدة الدمنة^(٧) التي شملها الرى وعلاها النيل، ويقلع ما بها من
الحلفاء وتُظف بثم تبرش بالمقلقات — وهي محارث كبار — ستة وجوه، وتجرف

(١) في الأصل: «الزاي»؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا كما هو الشائع في مصر؛ ولم نجد الزاي

بالمعجمة فيما لدينا من المظان. (٢) كذا ضبط هذا اللفظ في القاموس.

(٣) كذا ورد هذا اللفظ في الأصل وخطط المقرئ ج ٢ ص ٩٦ طبع المعهد العلمي الفرنسي؛

وعامة مصر يقولون: «يسارية» بحذف الألف الأولى وكسر الباء؛ والظاهر أنه ليس بعربي؛ إذ لم نجده
فيما راجعناه من كتب اللغة.

(٤) كذا في مستدرك التاج؛ والذي في الأصل: «الرشال» والراء زيادة من الناصخ.

(٥) في الأصل: «نقضا»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق.

(٦) في الأصل: «وهل»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه سياق الكلام؛ ويرشد إليه

ما يأتي في أقصاب الشام صفحة ٢٧١ سطر ١٤. (٧) الدمنة: السهلة اللينة.

حتى تُمهَّدَ، ثم تُبرش ستة وجوهٍ أخرى وتجرف - ومعنى البرش الحرث - ؛ فإذا صَاحَتْ وطابت ونَعَمَتْ وصارت ترابا ناعما وتساوت بالتجريف تُسَقَّ عند ذلك بالمقلقات، ويرمى القصبُ فيها قطعتين : [قطعةٌ ^(٢)] مشناةٌ ^(٣)، وقطعةٌ مفردة؛ وذلك بعد أن يُجعل أحواضا وتُفرز لها جداول يصل المساء منها الى تلك الأحواض، ويكون طول كلِّ قطعة منها ثلاثة أنايِب كوامل وبعضُ أنبوبة من أعلى القطعة وبعضُ أخرى من أسفلها؛ ويُختار برسم النَّصب من الأقصاب ما قصرتُ أنايِبها، وكثرتُ عيونها؛ فإذا تكامل النَّصب أُعيد الترابُ عليه؛ وصورة النَّصب أن تكون القطعة ملقاة لا قائمة؛ ثم يُسقى من حال نضبه في أول فصل الربيع في كلِّ أسبوع مرَّة؛ فإذا نبت القصب وصار أوراقا ظاهرة على وجه الأرض نبتت معه الحلقاء ^(٤) والبقلة الحُمَّاء، فعند ذلك تُعزق أرضه - ومعنى العزق أن تُكش الأرض وينظف ما نبت مع القصب - ويُتعاهد ^(٥) بذلك مرَّة ^(٦) بعد أخرى إلى أن يَغزُر القصب ويقوى ويتكاثف، فلا يتمكَّن العزاق من الأرض، فيقال فيه عند ذلك : طَرَدَ القصبُ عزاقه، وذلك عند بروز الأنبوب منه؛ ومجموع ما يُسقى بالقادوس ثمانية وعشرون ماءً .

(١) لم نجد البرش بمعنى الحرث فيما راجعناه من كتب اللغة التي بين أيدينا؛ وكان هذا الاستعمال عامي .
(٢) لم ترد هذه الكلمة في الأصل؛ وقد أثبتناها عن خطط المقرئ ج ١ ص ١٠٢ طبع بولاق .
(٣) كذا في خطط المقرئ ج ١ ص ١٠٢ طبع بولاق؛ والذي في الأصل : « جفناه » وهو تجريف لا يظهر له معنى .

(٤) البقلة الحُمَّاء : هي المعروفة في مصر بالرجلة؛ وإيما سميت بذلك لأنها تنبت على مجارى المياه فيطفح عليها الماء فيقتلعها؛ ثم تعود فنبت هناك أيضا .

(٥) في كتب اللغة أن يتمهد أضح من يتعاهد، لأن التعاهد إما يكون بين اثنين؛ وأجازهما الفراء .

(٦) هذه الباء ساقطة من الأصل، والسياق يقتضيها، فإن المعنى ان القصب يتعاهد بذلك العمل؛ وستأتى هذه العبارة أيضا في صفحة ٢٦٦ سطر ٩

- والعادة أن الذي يُنصب من الأقصاب على كل محالٍ بحراني^(١) - أي مجاور للبحر^(٢) -
 إذا كان مزاح العلة^(٤) بالأبقار الجياد^(٥) مع قُرْبِ أُرْشِيَةِ الآبار ثمانية أفدنة؛ ويحتاج إلى
 ثمانية أرويس بقرا؛ فإذا كانت الآبار بعيدة عن مجرى النيل لا يقوم المحال^(٦) بأكثر من ستة
 أفدنة إلى أربعة أفدنة؛ فإذا طلع النيل وارتفع سقى القصب عند ذلك ماء الراحة؛
 وصفة ذلك أنه يُقطع عليه من جانب جسرٍ يكون قد أدير عليه ليقية من الغرق عند
 ارتفاع الماء بالزيادة، فيدخل الماء من تلك الثلمة التي فُرِضَتْ من الجسر، ويعلو
 على وجه أرضه نحو من شبر، فتسد^(٨) عند ذلك، ويمنع الماء من الوصول إليه،
 ويُترك ذلك الماء عليه مقدار ساعتين أو ثلاث إلى أن يسخن، ثم يُصرف عنه من
 جانبٍ آخر إلى أن ينضب، ثم يجدد عليه الماء مرة أخرى؛ يتعاهد بذلك مرارا
 في أيام متفرقة بقدر معلوم، ثم يفطم بعد ذلك؛ هذا هو القصب الذي يوفى حقه
 في حرثه ونصبه وسقيه وعزقه وغير ذلك؛ فما نقص من ذلك كان المباشر قد أحلَّ
 به إلا النصب على الرى وسقى ماء الراحة فإنه أمر رباني لا قدرة للبشر على
 أستجلابه .

- (١) المراد بالمحال آلة الرى المعروفة بالساقية، كما سبق ذلك في صفحة ٢٥٤ سطر ٢ . والحال
 ١٥ والحالة في الأصل : البكرة العظيمة التي يستقى بها، كما في اللسان والتاج مادة « محل » . (٢) قال
 ابن سيده : ان النسب إلى البحر بحراني على غير قياس؛ وقد ردّ عليه السبيل في ذلك وأنكره هذه النسبة انظر
 اللسان مادة (بحر) . (٣) في الأصل : «أر»، وهو تحريف . (٤) عبارة الأصل :
 « إذا كانت مزاحة » ؛ والذي يؤخذ من كتب اللغة أن المحال مذكور، قال حميد الأرقط :
 يردن والليل مرمر طائر * مرخي رواقه يجود سامره
 ٢٠ * ورد المحال فقلت محاوره *
 انظر اللسان والتاج مادة (محل) .
 (٥) في الأصل وخط المقيزي ج ٢ ص ٧٧ طبع المعهد العلمي الفرنسي : « الغلة » ؛ وهو تصحيف
 لا يظهر به معنى الكلام . (٦) « بالأبقار » ، أي يدار بالأبقار، فالمتعلق محذوف لفهمه من
 الكلام . (٧) هذه الفاء ساقطة من الأصل، والسياق يقتضيها . (٨) في الأصل : « فيشتد » ؛
 وهو تحريف . (٩) في الأصل : « ونضبه » بالضاد المعجمة، وهو تصحيف .
 ٢٥

ولا غنيةً للقصب عن القِطْران قبل أن يجلو، فإنه يمنع السوس من الوصول إليه؛ وصفة ذلك أنهم يجعلون القِطْران في قادوسٍ مبخوشٍ من أسفله، ويُسَدُّ ذلك البُخْشُ بشيء من الحلفاء، ويُعلَقُ القادوسُ على جَدولِ الماء، ويمزج القِطْران بالماء فيقَطُرُ من خلال ذلك البُخْشِ المسدود، ويمتزج قَطْرُه بالماء الذي يصل إلى القصب، ويحصل به المقصود.

٥٣

وإن خشيَ المباشر على القصب من فساد الفأر أدار حوله حيطانا رقيقة مقلوبة الرأس إلى خارج أرض القصب تُسمى حيطانَ الفأر، وتُصنع من الطين المخلوط بالتبن فتمنع الفأر من الوصول إلى القصب، فإنه إذا تساقى في الحائط واتهم إلى آخرها منعت تلك الحافة المقلوبة وأصابت رأسه فيسقط إلى الأرض.

هذا ما يلزم المباشر الاحتفال به واعتماده في أمر القصب.

فإذا كان في أول كيهك من شهور القبط كُسرَت الأقبابُ وقُشرت، ونُقلت إلى المعاصر؛ وإذا كان في أوان نصب القصب من السنة الثانية حُرقت آثار الأقباب وسُقيت وعزقت كما تقدم، فتُنبت أرضها للقصب؛ ويسمونه بمصر: الحِلْفَة، ويسمونها الأقول: الرأس؛ وقنود الحلفة في الغالب أجود من قنود الرأس.

ذكر كيفية الاعتصار والطبخ وتقدير المتحصّل

الذي جرت عاييه العادة بالديار المصرية أن الأقباب إذا نُقلت من المكسر إلى المعصرة على ظهور الجمال أو الحمير وُضعت في مكان برسمها يسمى دار القصب،

- (١) مبخوش، أي مثقوب. والبخش: الثقب، ينطق به العامة بضم أوله وسكون ثانيه؛ والظاهر أنه لفظ عامي إذ لم نجدناه في راجعناه من المظان، بل إن مادته لم ترد في كتب اللغة التي بين أيدينا.
- (٢) الذي وجدناه في كتب اللغة التي بين أيدينا أن «تساق» يتعدى بنفسه لا بالحرف كما هنا؛ ولعله ضمن هذا الفعل معنى «صعد» فعذاه «بني».
- (٣) القنود: جمع قند، وهو عسل القصب إذا جمد، وهو معرب «كند».

بها وَتَرَاتٌ وَحَطَبٌ وَرَجَالٌ مُرْصَدُونَ لِإِصْلَاحِ الْقَصَبِ بِالسَّكَاكِينِ الْجَارِ الْتِي^(١)
 مَقْدَارُ حَدِيدِهَا ثَلَاثَا ذِرَاعَ، فِي عَرْضِ سَدَسِ ذِرَاعٍ فِي سَمَكِ إِبْهَامٍ، فَيَنْظَفُونَ عِيدَانَ
 الْقَصَبِ، وَيَقْطَعُونَ مِنْ أَعْلَاهُ مَا لَيْسَ فِيهِ حَلَاوَةٌ، وَيَسْمُونَهُ الْكَلُوكَ^(٢)، وَيَنْظَفُونَ
 أَسْفَلَ الْعُودِ مِمَّا لَعَلَّهُ بِهِ مِنْ عُرُوقِ وَطِينٍ؛ وَيُسَمَّى هَذَا الْإِصْلَاحُ التَّطْهِيرَ، ثُمَّ يُنْقَلُ
 مِنْ تِلْكَ الْوَتَرَاتِ إِلَى وَتَرَاتٍ أُخْرَى مُؤَبَّدَةً بِأَعْلَى حَائِطِ عَرِيضٍ مَرْتَفِعٍ عَنِ الْأَرْضِ،
 أَحَدُ جَانِبِي الْحَائِطِ مِمَّا يَلِي دَارَ الْقَصَبِ، وَالْوَجْهُ الْأُخْرَى إِلَى بَيْتِ أَخْرِيْسَمَى بَيْتِ
 النُّوبِ؛ وَعَلَى ذَلِكَ الْحَائِطِ رَجَالٌ جَالِسُونَ فِي مَقَاعِدٍ أُعِدَّتْ لَهُمْ، وَبِأَيْدِيهِمُ السَّكَاكِينُ
 الَّتِي يَنْظَفُ بِهَا الْقَصَبَ، وَالْوَتَرَاتُ الْمُؤَبَّدَةُ أَمَامَهُمْ، فَيَجْمَعُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ عِدَّةَ عِيدَانَ
 مِنَ الْقَصَبِ، وَيَضَعُهَا عَلَى الْوَتَرَةِ، وَيَقْطَعُهَا قِطْعًا صَغِيرًا فَتَسْقُطُ فِي بَيْتِ النُّوبِ؛
 ثُمَّ تُنْقَلُ مِنَ بَيْتِ النُّوبِ إِلَى الْجَرِّ فِي أَفْرَادٍ تُسَمَّى الْعِيَارَاتِ مُتَسَاوِيَةً الْمَقَادِيرِ؛
 فَيُوضَعُ ذَلِكَ الْقَصَبُ الْمَقْطَعُ تَحْتَ الْجَرِّ، وَيَدُورُ الْجَرُّ عَلَيْهِ الْأَبْقَارُ الْجِيَادُ فَيَعْرِصُهُ؛
 وَيَنْزِلُ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ مِنَ الْمَاءِ فِي أَبْخَاشٍ فِي الْقَاعَةِ الَّتِي تَحْتَ الْجَرِّ إِلَى مَكَانٍ ضَنْكٍ^(٣)
^(٤) ^(٥) ^(٦) ^(٧)

(١) في الأصل: «الذي»؛ وهو تحريف.

(٢) لم نجد هذا اللفظ بالمعنى الذي ذكره فيما راجعناه من كتب اللغة، والظاهر أنه من ألفاظ العامة، وهم ينطقون به بفتح أوله؛ ويسمونه أيضا: «الزعزوع».

(٣) لم نجد هذا اللفظ فيما راجعناه من المظان التي بين أيدينا؛ وقد أخبرنا بعض من لهم علم بالمعاصر القديمة لقصب السكر أنهم يسمون المكان الذي يغسل فيه القصب قبل عصره بيت النوبة؛ فلعله اصطلاح لهم.

(٤) الأفراد: أوعية تتخذ من خوص، واحدة فرد بفتح فسكون؛ وهو لفظ شائع الاستعمال بين العامة في مصر؛ ولم نجد هذا المعنى فيما راجعناه من كتب اللغة.

(٥) في الأصل: «القبارات»؛ وهو تصحيف اذ لم نجد له معنى يناسب السياق.

(٦) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٦٧ من هذا السفر.

(٧) في الأصل: «مضنك»؛ ولم نقف عليه فيما راجعناه من كتب اللغة بمعنى الضيق بتشديد الباء.

كما هو المراد هنا.

معدّ له ؛ فإذا انتهى ذلك القصب من العَصْر تحت الحجر نُقِل إلى مكانٍ آخر ، ثم يجعل في قفّافٍ مُتخذةٍ من الحلفاء مشبّكة الأسافل والجوانب ، ويلقى تحت دولا ب التَّخْت^(١) ، ويدور الدولا ب عليه بالأعواد حتى يأخذ حدّه ، ويخرج ما بقي فيه من الماء ؛ ويجمع ما تحصل من ماء القصب من الحجر والتَّخْت في مكان واحد ؛ ثم يُنقل ذلك الماء فيصْفَى من مُنخِلٍ موضوعٍ في قفصٍ معدّ له ، وينزل ما يخرج إلى مكانٍ متصلٍ يسمّونه البهو^(٢) ، له عيارٌ معلومٌ محرّر ؛ فإذا امتلأ من ذلك الماء المصفّى نُقِل إلى المطبخ ، وصفّي تصفية ثانية في قدرٍ كبيرةٍ يسمونها الخابية يُصَبّ فيها بعد التصفية جميع ما كان في البهو ، وهو ستون مطراً من ماء القصب ضريبة كلِّ مطر نصف قنطار بالليثي على التحرير — والرطل الليثي مائتا درهم — فيكون ما في الخابية ثلاثة آلاف رطل وهو ما كان في البهو ؛ ثم يوقد عليها من خارج المعصرة إلى أن يغلي الماء غليانا كثيرا ، وينقص نقصا معلوما ، فعند ذلك يبطل الوقيد عنها ؛ فإذا سكن غليانها نُقِل ما فيها من الماء المسلوق في يقاطينٍ بجار ، في كلِّ قرعة منها خشبةٌ منجورةٌ طويلةٌ كالساعده نافذةٌ في جانبي القرعة ، ويصَبّ في أكسية من الصوف

(١) لم نجد هذا اللفظ بالمعنى المراد هنا فيما راجعناه من المظان ؛ والظاهر أنه لفظ اصطلاحى معروف عند أصحاب المعاصر .

(٢) عبارة الأصل : « السهولة عيار » الخ وهو تحريف . والبهو : حوض مبنى ينزل فيه ما يصفى من العصير كما أنبأنا بذلك من له علم بمعاصر القصب ؛ والظاهر أنه لفظ اصطلاحى معروف بين هذه الطائفة إذ لم نجده بهذا المعنى فيما راجعناه من المظان .

(٣) كذا ضبط هذا اللفظ بالقلم في كتاب العرب والدخيل المحفوظ منه بدار الكتب المصرية نسخة مخطوطة تحت رقم ٦٤ لغة وقال مؤلف هذا الكتاب : كأنها لغة مصرية ، ولم أرها فيما وقفت عليه من كتب اللغة اه . وفي هامش كتاب مناقب الليث بن سعد لابن حجر ص ٥ طبع بولاق : أن المطر وعاء معروف عند بعض أهل مصر .

(٤) في مناقب الليث بن سعد ص ٥ طبع بولاق : أن المطر مائة وعشرون رطلا ؛ وفي هامش هذه الصفحة أنه يسع مائة رطل مصرى تقريبا . (٥) الوقيد مصدر كالوقود بضم الواو انظر لسان العرب .

- تحتها دنانٌ كبار فيصمى الماء منها تصفيةً ثالثة، ويستقر في تلك الدنان؛ ثم يُنقل من الدنان في دُسوت^(١) إلى القدور، فيطبخ فيها إلى أن يأخذ حده من الطبخ؛ ويحتاج كلُّ حجرٍ إلى خابية وثمانى قدور لطبخ ما يُعْتَصَر تحت الحجر والتَّخْت؛ ثم يُنقل بعد طبخه في دُسوت من النحاس، لكلِّ دَسْت منها قبضتان من الخشب مسمورتان في أعلاه يقبض الرجل عليهما ليقياه حرارة الدَّسْت؛ ويصَّب ذلك المطبوخ - ويسمى إذ ذاك المحلب - في أباليج من الفخار ضيقة الأسافل، متسعة الأعلى، مبخوش في أسفل كلِّ أبلوحة منها ثلاثة أبجاش مسدودة بقش القصب، وهذه الأباليج موضوعة في مكان يسمى بيت الصب، فيه مصاطب مبنية مستطيلة تشبه المذاود، ويجعل تحت كلِّ أبلوحة من تلك الأباليج قادوس يقطر فيه ما يتخلص من رقيق ذلك المحلب - وهو العسل القطر - ثم يُخَدِّمها الرجال بالكرانيب مرّة بعد أخرى حتى تمتلئ تلك الأباليج، وهى تختلف، فمنها ما يسع أكثر من قنطار، وأقل منه؛ فإذا امتلأت وتكاملت خدمتها وأخذت في الجفاف نُقلت من بيت الصب إلى بيت الدفن؛ فتعلق فيه على قواديس يقطر فيها ما بقى من أعسالها.

- (١) اطلاق الدسوت على القدور المتخذة من النحاس - كما هو المراد هنا - اطلاق عامى شائع الاستعمال في مصر وغيرها من بلدان المشرق انظر تاج العروس .
- (٢) في الأصل : « وقبة » ؛ وهو تحريف -
- (٣) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٦٧ من هذا السفر .
- (٤) المذاود : معالف الدواب ، واحده « مذود » وزان منبر .
- (٥) في الأصل : « الملب » بالجم ؛ وهو تصحيف ، والتصويب عن القاموس .
- (٦) في الأصل : « الكرانيب » ؛ وهو تحريف لا معنى له . والكرانيب : المغارف ، واحده كرنيب ؛ وهو لفظ عامى شائع الاستعمال في مصر حتى اليوم ، وفي مستدرك التاج : الكرنبة : المغرفة ، مصرية .
- (٧) لعل وجه تسميته بيت الدفن أن الأباليج تستر فيه وتوارى مدّة حتى يقطر منها ما بقى من أعسالها .

وأما أوساخ الأقصاب التي تتنظف منها في دار القصب فإنها تُعْتَصَر على أنفرادها،
وتُطَبَّخ بمفردها، وتسمى الخابية، وهي أردأ من غسل القصب .

ولما يتحصّل من الاعتصار أسماءٌ ^(١) وعبر: منها الضريبة، ومنها الوضعة، ^(٢) ومنها اليد؛
فالضريبة عبارة عن ثمانى أيادٍ؛ واليد ملء خابية؛ والخابية ثلاثة آلاف رطل من
عصير القصب بالرطل اللبثي كما تقدّم؛ فتكون الضريبة أربعة وعشرين ألف رطل
من الماء، يجمّد منها مع جودة القصب وصلاحه من القند خمسة وعشرون قنطارا
إلى خمسة عشر قنطارا، ومن الأعسال اثنا عشر قنطارا إلى ثمانية قناطير؛ ونهاية
ما يتحصّل من الفدان القصب ثلاث ضرائب: منها قند وقطرٌ ضربتان ونصف
وعسلٌ خابية نصف ضريبة مقدارها أربعة وعشرون قنطارا بالمصرى؛ ومن الأقصاب
ما يفسد فلا يجمّد طبيخ مائه ولا يصير قندا، فيطبّخ عسلا، ويسمونه المرسل؛
وهذا الذي ذكرناه من الوضع والمتحصّل والتسمية اصطلاح بلاد قوص
من الصعيد الأعلى بالديار المصرية، وهو وإن اختلف في غيرها من البلاد فلا يبعد
من هذا الترتيب .

وأما أقصاب الشأم — فهي تختلف أوضاعها بحسب البقاع والنواحي
والأعمال، فمنها ما هو بالسواحل الطرابلسية والبيروتية والعمكاوية؛ ولهم اصطلاح
في نصب الأقصاب واعتصارها: فمنها ما يُعْتَصَر بجارة الماء، ومنها ما يُعْتَصَر
بالأبقار، ومنها ما يُعْتَصَر بالسهام ^(٤)؛ وليس ذكرها وبسط القول فيها من المهمات التي

(١) يريد بالعبر المقادير، لأنها تعبر، أى توزن .

(٢) لم يذكر مقدار الوضعة كما ذكر مقدار الضريبة واليد فيما أتى؛ ولم نقف على تعيين مقدارها فيما بين
أيدينا من المظان .

(٣) فى الأصل: «الموضع»؛ وهو غير مستقيم؛ والمراد بالوضع المصطلح .

(٤) السهام: الأعواد من الخشب .

تقتضى الأنصباب إليها ، والذي قدّمنا ذكره أيضا من أمر أقصاب مصر هو على
الحقيقة فلاحه ودولته ^(٢) ، وليس هو كتابة ، وهو للباشر زيادة على صناعته ، على أنه
لا يستغنى عن معرفته والأطلاع عليه .

- وعمدته المباشر في الاعتصار ضبط ما يتحصّل ، وحراسته من السارق والخائن
والمفرط ، ويلزم مباشر الاعتصار أن ينظم في كلّ يوم وليلة مخزومة بما اعتصر ^(٣)
وبما تحصّل ، فإذا انتهى الاعتصار نظم عملا شاملا لجميعه على ما نشرحه ^(٤)
في الأوضاع الحسابية .

- والقند إذا جف وأخذ حده من البياض يُقَل إلى مطابخ السكر ، فيحلّ بالماء
وشيء من اللبن الحليب ، ويُطبخ فيصير منه السكر البياض والقطارة ، ويتحصّل من ^(٥)
كل قطار من القند رُبعة وسدسه سكرًا ، وثلثه وربعة قطارة ، ومنه ما يُكرّر ثانيا ^(٦)
فيصير في غاية البياض والنقاء ، وقطارته تقارب قطر النبات ، ومنه أيضا ما يُطبخ نباتا ،
وهذه أمور جميلة يُستدلّ منها على المقاصد ، والمباشرة تشمل ما لا يمكن إيراده
في كتاب ، وتُظهِر ما لا يكاد ينحصر بخطاب ، فلنذكر الأوضاع الحسابية .

(١) لعل صوابه : « الأنصراف » .

(٢) الدولة : العمل بالدولاب .

(٣) تقدم تفسير المخزومة في الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٦٠ ، فانظره .

(٤) تقدّم بيان المراد بكلمة « العمل » في الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٦٠ وسيأتى في هذا السفر

الكلام على الأعمال وأنواعها وكيفية كل نوع منها .

(٥) البياض : أي ذو البياض ؛ فوجه الوصف به ظاهر .

(٦) في الأصل : « ذلك » ، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه سياق العبارة .

ذكر أوضاع الحساب وما يسلكه المباشر ويعتمده فيها

أول ما يحتاج إليه كل مباشر أن يضع له تعليقا ليوميته ، يذكر فيه تاريخ اليوم والشهر من السنة الهلالية ، ويذكر فيه جميع ما تجدد ويقع في ذلك اليوم في ديوانه : من مخضّر ومستخرج ومجرى ومبتاع ومبايع ومبيع ومصروف ، وما يتجدد من زيادات في الأجر والضمانات ، وعطيل ، وتقدير أجائر ، وترتيب أرباب استحقاقات على جهات ، وتزليل من يستخدمه ، وصرف من يصرّفه من أرباب الخدم ، وغير ذلك بحيث لا يُخَلَّ بشيء مما وقع له في مباشرته قل أو جل ؛ وهذا التعليق هو أصل المباشرة ، فمن ضَبَطَ اليومَ أنضبط ما بعده ؛ وكل المباشرين في وضعه سواء ، يضع الشاهد فيه ما يضعه العامل ، فإذا كان في آخر النهار قوبل على مجموعته بين المباشرين ، ويُساق ما يحتاج إلى سياقته من العين والغلة والأصناف .



(١) المبتاع: المشتري بفتح الراء . والمبايع: الشيء المعروض للبيع ، وهو من أبعث السلعة — بالألف في أوله — أي عرضها لأن تباع .

(٢) التنزيل: كلمة شاع استعمالها بين العامة في مصر بمعنى التولية والتنصيب — أي في مقابلة العزل — فيقولون : « نزل السلطان فلانا في العمل وعزل فلانا عنه » ؛ وهذا هو المراد هنا أخذنا من السياق . والتنزيل في اللغة : الإحلال في المنزلة ؛ وما هنا منه .

(٣) في الأصل : « ما نقده » ؛ وهو تصحيف .

(٤) الشاهد هو الذي يشهد بتعلقات الديوان نفيًا وإثباتًا انظر صبح الأعشى ج ٥ ص ٦٦ ؛ وسيأتي في هذا السفر شرح ما يلزم الشاهد من الأعمال في ذكر أرباب الوظائف .

(٥) العامل هو الذي ينظم الحسابات ويكتبها ؛ وقد كان هذا اللقب في الأصل إنما يقع على الأمير المتولى العمل ، ثم نقله العرف إلى هذا الكاتب وخصه به دون غيره صبح الأعشى ج ٥ ص ٦٦ ؛ وسيأتي في هذا السفر شرح ما يلزم العامل من الأعمال في ذكر أرباب الوظائف .

- (١) ثم يكتب العامل مخزومةً يورد فيها المستخرج والمخضّر والمجرى والمصرف، ويرفعها على عادة نسخ بحسب المسترفعين؛ وإن شاحه المسترفِعُ لزمه أن يوردها فيما أورده في مياومته من سائر المتجددات والأحوال، فيصير بها المسترفِعُ الغائب كالمباشر الحاضر، وتشمل المخزومةُ خطَّ من هو مباشرٌ: من ناظرٍ مباشرةً فمن دونه؛ وقد قدّمنا ذكر بسط الجرائد على الأموال والغلال، وكيفية خدمتها في الأصول؛ ونظير ذلك أن يسط أسماءُ أرباب الاستحقاقات وأرباب المصاريف تلو أصول الأموال ومضافاتها، ويضع لكل اسم ما يستحقّه مباشرةً ومسانهةً عينا وغلةً، أو ثمن صنفٍ أو غير ذلك؛ ثم يشطب قبالة كل اسم ما قبضه مفضلاً بتواريخه من جهة قبضه، لتسهل عليه بذلك محاسبة كل نفرٍ عند الاحتياج إلى محاسبته كما شرحناه في الأصول؛ ولا بد لكل مباشرٍ من جريدة على هذه الصفة تشتمل على الأصل والخصم؛ والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

(١) في الأصل: «والمضروب»؛ وهو تحريف.

(٢) في الأصل: «شاحه» وهذا إما يجب فيه الإدغام؛ وشاحه بتشديد الحاء، أي ناقشه؛ ومنه

قولهم: «لا مشاحة في الأصلاح» أي لا مناقشة فيه ولا منازعة.

(٣) إطلاق النذر على الواحد كما هو المراد هنا إطلاق شائع بين عامة مصر، والذي وجدناه فيما بين أيدينا من كتب اللغة أن النفر الجماعة من الرجال من ثلاثة إلى عشرة؛ وقيل: إلى سبعة؛ ولا تصح إرادته هنا كما لا يخفى.

ذكر ما ينتج عن التعليق من الحسابات بعد المخازيم^(١)
وهي الختم والتوالي والأعمال والسيقات^(٢) التي تلك كلها شواهد الأرتفاع :
فأما الختم — فتختص بجهات العين من سائر الأموال ؛ وكيفيتها أنه إذا
مضت على المباشر مدة لا تتجاوز أحد عشر شهرا فما دون الشهر إلى عشرة أيام —
وما دون الشهر لا يقع إلا عند انفصال كاتب في أثناء الشهر أو اقتراح مقترح —
نظم حسابا سماه الكتاب في مصالحهم : الختمة ، يشرح في صدرها ما مثاله بعد
البسملة : ختمة بمبلغ المستخرج والمجري من أموال الجهات ، أو المعاملة الفلانية
لأستقبال كذا ، والى آخر كذا ؛ ويذكر أسماء المباشرين فيقول : بولاية فلان ، ونظر
فلان ، ومشارفة فلان ، وكتابة فلان ؛ ويعقد في صدرها جملة على ما أستخرجه في تلك
المدة وأجراه من أصول الأموال ، يفصل ذلك بسنيه ، ويشرح بجهاته وأسماء أربابه
وتواريخ محضره ومجراه ، إلى نهاية ذلك ؛ ثم يقول : وأضيف إلى ذلك ما وجبت
إضافته ؛ يبدأ بالحاصل المساق إلى آخر المدة التي قبلها ، ثم يذكر ما لعله أستخرجه
من الجهات التي ترد في باب المضاف ، وما ورد من أثمان المبيعات والمصالحات
والخدم ، وما لعله أقترضه ، وما لعله حصل من الموارد الحشرية^(٥) والمجتذبات
والتأديبات ، وما لعله أعتد به لمعاملة أخرى ونقل عليه^(٦) ، إلى غير ذلك من أبواب

(١) في الأصل : « المخازيم » ، وهو تصحيف ، وقد سبق تفسير المخازيم في الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٦٠ من هذا السفر ، فانظره .

(٢) في الأصل : « الذي ذلك » الخ والسياق يقتضى ما أئمتنا .

(٣) يظهر لنا أن هذه الجملة معترضة بين الشرط وجوابه ؛ فلذلك وضعناها بين خطين .

(٤) « نظم » جواب « لإذا » ؛ والذي في الأصل : « ونظم » ؛ والواو زيادة من الناسخ .

(٥) تقدم تفسير الموارد الحشرية في الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٠٩ من هذا السفر ، فانظره .

(٦) « ونقل عليه » ، أى ونقل محسوبا عليه ؛ وإرادة المؤلف لهذا المعنى سوغت له ذكر « على »

مكان « إلى » التي هي مقتضى اللغة .

المضاف على اختلافها . مما يطول شرحه لو أستقصى^(١) ، ثم يفدك^(٢) على الأصل والإضافة ؛ وإن صرف نقدا بنقد ذكروه بعد الفذلكة ، وأستقر بالجملة بعده وإلا فالفذلكة بمفردها ، ثم يخصم تلك الجملة بما لعله حملة أو نقله على معاملة أخرى^(٣) أو صرفه ، ويذكر الحمل بتواريخه ورسائله ، وأسم من حُمل على يده ، والمنقول كذلك والمصروف بأسماء أربابه وتواريخه ، ثم يسوق إلى التحصيل إن أنظر له^(٤) حاصل وإلا فيقول في آخرها : ولم يبق حاصل فنذكروه .

وقد اقترح في بعض الممالك الشامية في بعض السنين على المباشرين أن يضمّنوا ختمهم ما يوردونه في الأصل من جهات الأصول — كل جهة من المستخرج والمجرى — الأصل محتوما والخصم مفصّلا بجهاته ؛ مثال ذلك أن يقول في الأصل :
 ١٠ الجهة الفلانية في التاريخ الفلاني كذا [و] كذا درهمها ؛ ويذكر تحت ذلك التاريخ خصم تلك الجملة ؛ وفي الخصم إذا ذكر اسم ربّ استحقاق وما وصل إليه في كل تاريخ يقول : التاريخ الفلاني ؛ ويعين جهاته ؛ ويشطب المسترفع الأصل على الخصم ؛ وفي هذا توضيح كثير على المباشر ، ولم يستقر ذلك ، وعادت الأوضاع على ما بيناه ؛ هذا مصطلحهم في الختم ؛ والله أعلم .

١٥ وأما التوالى — فهي إذا أُطلقت أريد بها توالى الغلال ؛ وكيفيتها أنه إذا مضت مدة على ما قدمناه في شرح الختم نظم كاتب الجهة حسبا للغلة اسمه التالي

(١) يقال : فلان الحاسب حسابه إذا أنهاه وأجمله ؛ والفذلكة : جملة الحساب ؛ وهو لفظ منحوت من قول الحاسب إذا أجمل حسابه ؛ فذلك كذا وكذا .

(٢) ذكر «على» مكان «إلى» لإرادة المعنى الذي ذكرناه في الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٧٥ .

(٣) هذه الكلمة في الأصل مطموس بعض حروفها ؛ وسياق الكلام والحروف الواضحة منها يرشدنا إلى ما أثبتنا .

(٤) انظر الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٣٠ من هذا السفر .

يُشرح في صدره بعد البسملة : تالٍ بما أنساق حاصلًا من الغلال بالجهة الفلانية إلى آخر المدة الفلانية ، مضافًا مخصوصًا إلى آخر كذا ؛ ويذكر أسماء المباشرين على ما تقدّم ، ثم يوصل في صدره ما أنساق إلى آخر المدة التي قبلها من الغلال على اختلافها ، ويفسر الغلال بسنيها ، ويضيف إليه ما لعله أنضاف من متحصّل^(٢) ومبتاعٍ وقرضٍ وغير ذلك ؛ ثم يفدك عليه ، ويذكر بعد الفذلكة ما لعله وقع من تبديل صنف بصنّف لوجود ذلك الصنف وعدم غيره ، إما فيما قبضه أو فيما صرفه ، وما لعله أُبيع وُمن ، وما لعله يُنقل من كيل إلى كيل ؛ ويستقرّ بالجملة بعد ذلك على ثمن ما أُبيع وما استقرّ من الغلال بعد التبديل والتثقيل ، ويستخرج ثمن البيع بمقتضى ختمة تلك المدة ، وهي شاهده ؛ ويخصم بالحمول والمقبول والمصرف على اختلافه ؛ ويفصل ذلك بتوارينه على ما شرحناه في الختمة ، ويسوق الحاصل من الغلة إن كان ؛ هذا مصطلحهم في توالى الغلال .

ولهم أيضًا توالٍ يسمونها توالى الأرتفاع — تشمل على العين والغلة والأصناف ، ولا تُعمل إلا عند اقتراحها ؛ وصورتها أن يوصل في صدر تالى الأرتفاع ما أنساق آخر الأرتفاع الذى قبله من الحاصل والباقي عينا وغلّة ؛ ويفصله بسنيه ؛ ثم يضيف إليه ما استحقّ في تلك السنة أصلا ومضافا ، ويخصم بالخصم السائغ المقبول ، ويطرده بعد ذلك إلى حاصلٍ وبق .

(١) « يفسر » ، أى يوضح ويبين .

(٢) أنكر الحريرى في درة التواص أنه يقال : « انضاف » ؛ وقد ردّ عليه في ذلك ، ووردت هذه الصيغة في اللسان مادة « ملد » .

(٣) أبيع بالألف في أوله : أى عرض للبيع وانظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٧٣ من هذا السفر .

ولهم أيضا توالى الأعتصار — وصورتها أن يُوصِل ما انساق حاصلًا آخِرَ
[المُدَّة] ^(١) على الأعتصار أو تاليه، ^(٢) ويضيف ما لعله تحصيل من قَطْرٍ وغيره، وبفذلك
عليه، ويكرّر منه ويبيع، ويستقرّ بالجملة، ويخصم، ويسوق إلى الحاصل.

وأما الأعمال — وهى تختلف — : فمنها أعمال متحصّل الغلال
والتقاوى، وأعمال الأعتصار، وأعمال المبيع، وأعمال المبتاع، وأعمال الجوالى،
وأعمال الخدم والتأدييات والجنائيات ^(٣).

فأما أعمال الغلال والتقاوى — فكيفيتها أن يشرح في صدر العمل
بعد البسمة ما مثله : عملٌ بما تحصيل من الغلال بالناحية الفلانية لمُغَلّ سنة
كذا وكذا الخراجية، المدرك في شهر سنة كذا وكذا الهلالية، مضافا إلى ذلك
ما وجبت إضافته، ويوصِل في صدره ما تحصيل من الغلال على اختلافها وأكياها ^(٤)
مفصّلا بأسماء الفلاحين؛ ويضيف إليه ما لعله آستعاده من التقاوى والقروض
أو حصّله من رسوم أو غير ذلك؛ وبفذلك عليه؛ فمن الكتاب من يسوقه بجمّته
حاصلًا، ويخصم بمقتضى التالى؛ ومنهم من يخصم بما حمّله وصرّفه في مدّة تحصيله
للمُغَلّ، ويسوق ما بقى إلى الحاصل، ويستغنى بذلك عن تالٍ لتلك المدّة.

وأما عمل الأعتصار — فصورته أن يترجم في صدره بعد البسمة بما
مثله : عملٌ بما تحصيل من أعتصار الأقباب بالجهة الفلانية لأعتصار أقباب سنة

(١) لم ترد هذه الكلمة في الأصل؛ والمعنى لا يضح بدونها؛ ويرشد الى هذه الكلمة ما سبق في سطر ٣
من صفحة ٢٧٧ عند الكلام على توالى الغلال، فانظره.

(٢) في الأصل : « تالته »؛ وهو تصحيف.

(٣) في الأصل : « الكتابيات »؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يدل عليه ما أتى في صفحة

٢٨٢ سطر ٧.

(٤) في الأصل : « وما »؛ والواو زيادة من الناسخ.

كذا وكذا الخراجية؛ ويقول في يمنة العمل : عن كذا وكذا فدانا أو منظره^(١) إن كان بالأغوار ، أو قسما إن كان بالسواحل ؛ ويفصل القُدن بما فيها رأسا وما فيها^(٢) خلفه إن كان بمصر ، ومقنطرا أو قائما^(٣) إن كان بالشام ، ويرز عن يسرته بكية ما تحصيل فيقول : من أصناف الحلو كذا وكذا قنطارا ، ويفصل ذلك بالقند والأعسال على اختلافها : من المرسل والقَطْر والحُر والأسطروس والمردودة؛ والمرسل هو من القصب الذي لا يُجمد ولا يصير قندا . والقَطْر هو ما يتحصل من قَطْر أباليج القند . والحُر هو ما يتحصل من أطراف الأقصاب ، وهذه الأطراف يسمونها بالشام : العيكون ، ولا يعتصرونها ألبتة ، بل تُرصد للنصب ، فإنهم يستغنون^(٦)

(١) المنطرة في الأصل : المرقبة ، أى الموضع المشرف الذى يكون فيه الرقب ، والمراد هنا : مقدار من الأرض يمكن للحارث الذى يجلس فى المنطرة أن يراه ويحرس ما فيه من المزروعات .

(٢) تقدم بيان الرأس والخلفة فى ص ٢٦٧ س ١٤ من هذا السفر ، فانظره .

(٣) المقنطر : لفظ عامى معناه الملقى على قطره أى جانبه ؛ يقولون : تقنطرى أى وقع ؛ وعربيته تقطر بتشديد الطاء ؛ انظر شرح القاموس مادة (قنطر) وشفاء الغليل ؛ والمراد بهذه الكلمة القصب المزروع أول مرة وهو المسمى بالرأس فى مصر ؛ وذلك لأن طريقتهم فى زراعة القصب أن يضعوا قطعه فى الأرض ملقاة لا قائمة ، كما سبق ذلك فى صفحة ٢٦٥ سطر ٧ و ٨ من هذا السفر . هذا ما يظهر لنا من معنى هذه الكلمة أخذنا من السياق . وفى الأصل : « مقنطارا » ؛ وهو تحريف لا يظهر له معنى .

(٤) المراد بالقائم القصب الذى ينبت تاليا للقصب الأول ، وهو الخلفة ، وسمى قائما لأنه ينبت من الجذور القائمة فى الأرض بعد قطع القصب الأول .

(٥) كذا ورد هذا اللفظ فى الأصل فى هذا الموضع ، وفيما يأتى بالشئين المعجبة فى آخره مكان السين المهملة ؛ ولم تنف على كلتا الكلمتين فيما راجعناه من المظان التى بين أيدينا .

(٦) لم نجد هذا اللفظ فيما بين أيدينا من مصادر اللغة ولا فى الكتب المدونة فى الألفاظ الدخيلة ، ولعله : « العنكرل » ، تشبها له بعنكول النخلة ، وهو قنوها .

(٧) تقدم تفسير نصب القصب فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٥٤ من هذا السفر ، فانظره .

(١) بها عن العيدان، ومنهم من يسمي الحُرَّ المردودة . وأما الأسطروش : فهو ما يُعمل
من جُرادة وجوه الأباليج حال الطبخ ، وما يتأخر على البوارى عند خلعه بالشأم .
وأما الخايبة فهي ما يتحصّل من الأوساخ والرّيم . والمرسل والخير والخايبة
لا تُعرف بالشأم أبّية ، وإنما يعرفون القَطْرَ والأسطروش ؛ ثم يذكر بعد ذلك
تفصيل المتحصّل بجهاته إن كان بمصر - يفصل كلّ ساقية وفُدنها وما يُحصّل منها
من الضرائب - وتفصيل الأقسام الرأس والخلفة ، ويذكر اسم الطباخ ؛ ثم يبيح
من عرض ذلك ويثمن ، ويستقرّ بالجملة ، ويحجّل ويصرف ويسوق إلى الحاصل .

وأما عمل المبيع - فصورته أن يقول في صدره بعد البسملة : [عمل^(٦)]

بما بيع من الغلال والأصناف بالجهة الفلانية لمدة كذا وكذا ؛ ويعقد على الثمن
جملة ، ثم يفصلها بأصنافها ، يذكر عن يمنة القائمة الصنف ، وفي الوسط السعر
إن كان سعرا واحدا ، وإلا فيقول مكانه : بأسعار تذكّر ، وفي اليسرة الثمن ،
ثم يفصله بأسماء مبتاعيه ؛ فإذا اكمل ذلك أضاف ما أنساق له آخر العمل الذي قبله

(١) في الأصل : « الإيدان » ؛ وهو تحريف ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٢) انظر الحاشية رقم ٥ من صفحة ٢٧٩ من هذا السفر .

(٣) البوارى بتشديد الياء هي الحصر المنسوجة من القصب ، واحده بورى وبارى ، فارسي
معرب . وقوله : « عند خلعه » : أى عند اخراج السكر الجامد من القوالب التي يوضع فيها ؛ وكأنهم
كانوا عند اخراجه من القوالب يضعونه على الحصر ليكبل جفافه .

(٤) لم يذكر الخايبة في أصناف العسل التي سردتها فيما سبق ؛ ولعلها هي المرادة بالمردودة السابق
ذكرها ضمن أنواعه .

(٥) يريد بالرّيم فضول الشيء ، وزوائده التي لا يعنى بها حسنها ، وفي كتب اللغة : الرّيم بفتح الراء :
الزيادة والفضل ، والغامة في مصر يكسرون راءه .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من الأصل والسياق يقتضى اثباتها ، كما يرشد اليه ما سبق في أعمال الغلال
وأعمال الاعتصار وما يأتي بعد ذلك من الأعمال .

من أثمان المبيعات ؛ ويفصل ذلك بأسماء من تأخر عليه منها شيء إن كان ؛ ثم يفصل ذلك على الجملة ، ويستخرج من عرضه بمقتضى ختم المدة ، ويسوق إلى الباقي دون الحاصل .

وأما عمل المبتاع — فيقول في صدره : عمل المبتاع بالجهة الفلانية من الأصناف التي تذكر لمدة كذا وكذا ؛ ويعقد على ثمن المبتاع جملة يجعلها عن يمنة نصف القائمة ، ويبرز بالأصناف المبتاعة إن أمكن ، وإلا فيقول : ما يذكر ؛ ويشرح ما أبتاعه صنفًا صنفًا بتواريخه ، وأسماء من أبتاع منهم ، وأسعاره ، ويضيف إلى جملة الثمن ما لعله تأخر عليه من ثمن ما أبتاعه في العمل الذي قبله ، ويفصله بأسماء أربابه ؛ وبفصل ذلك على ذلك ، ويخصم بما صرفه من عرضه بمقتضى ختم المدة ، ويسوق إلى متأخر أو فائض إن كان قد سلف عليه [شيء] .

وأما عمل الجوالى — فيقول في صدره ما مثله بعد البسملة : عمل بما وجب من مال الجوالى بالمعاملة الفلانية لسنة كذا وكذا الهلالية مخصوصا مساقا إلى آخر المدة ؛ ويوصل ما كان قد استقر من الأنفار على ما تقدم ؛ ويضيف النوبات والطوارى بأسمائها ومللها ، وما لعله أنساق باقيا إن كان ، وقبلها يكون ، ويفصل ذلك

- ١٥ (١) يريد بالفائض : الزائد ، وهو من قولهم : فاض الماء إذا كثرت حتى سال .
 (٢) موضع هذه الكلمة بياض في الأصل يسع كلمة ؛ والسياق يقتضى اثباتها أو إثبات ما يفيد معناها .
 (٣) الظاهر من سياق الكلام أنه يريد بالمعاملة : الناحية والجهة ؛ وسأبقي هذا اللفظ في مواضع أخرى من هذا السفر مرادا به هذا المعنى .
 (٤) يريد بالأنفار : الأشخاص ؛ وإطلاق النفر على الشخص الواحد إطلاق عامي ، اذ لم نجد فيه فيما راجعنا من كتب اللغة التي بين أيدينا ؛ وقد سبق التنبيه على ذلك في الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٧٤ من هذا السفر ، فانظره .
 (٥) يشير بقوله : « على ما تقدم » إلى ما ورد في صفحة ٢٤٣ سطر ٥ من هذا السفر ، فانظره .
 (٦) انظر تفسير النوبات والطوارى في الحاشية رقم ٩ من صفحة ٢٤٢ من هذا السفر .

على ذلك؛ ثم يذكر بعد الفذلكة من آهتدى بالإسلام، أو هلك بالموت، أو تسحب^(١) إلى عملٍ آخر على ما قدمناه من الاختلاف في إيراد ذلك في هذا الموضع، والاستثناء به في الصدر بالتعدية أو إيراده في باب المحسوب؛ وكل ذلك سائغ في الوضع؛ ثم يستقر بالجملة بعد ذلك، ويستخرج بمقتضى الختم، ويسوق ما لعله أنساق إلى الباقي؛ وإن عاد إليه متسحب أو نازح^(٤) وببيده وصول من مباشر عملٍ آخر اعتدله به، وأوردته في باب المحسوب، وفذلكه على الجملة .

وأما عمل الخدم والجنائيات والتأديبات — فصورته أن يوصل في صدر العمل بعد الترجمة عليه ما تعين من أموال الخدم أو ما تقتر من الجنائيات والتأديبات، يذكر فيه الأسماء والجرائم؛ ويضيف إلى ذلك ما لعله أنساق قبل تقرير هذا المال آخر العمل الذي قبله؛ ويفذل عليه؛ ويستخرج من عرضه بمقتضى ختم المدة، ويعتد بما لعله رسم بالمساحمة به مما كان قُتر، ويسوق ما ينطرد بعد ذلك إلى الباقي؛ فهذه هي الأعمال .

وأما السياقات — فهي مختلفة: فمنها سياقة الأسرى والمعتقلين، وسياقة الكراع^(٧)، وسياقة العلوفات، وسياقات الأصناف والعدد .

١٥ (١) تسحب: أي هرب، أخذنا من السياق، ولم نجد هذا المعنى فيما راجعناه من كتب اللغة، غير أنه شائع الاستعمال بين العامة في مصر .

(٢) يشير بقوله: «على ما قدمناه» إلى الخلاف بين الكتاب المذكور في صفحة ٢٤٣ من هذا السفر، فانظره .

(٣) في الأصل: «بالنقدية»؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا، كما يرشد إلى ذلك ما سبق في صفحة ٢٤٣ سطر ٦ من هذا السفر .

(٤) انظر الحاشية رقم ١ من هذه الصفحة .

(٥) انظر الحاشية رقم ٤ من صفحة ٢٣١ من هذا السفر .

(٦) في الأصل: «فيها»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٧) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٨٣ من هذا السفر .

فأما سِياقة الأَسْرَى والمُعْتَمَلِينَ - فصورتهما أن يُوصَلَ في صدرها عِدَّة من أنساق عنده الى آخر المدة التي قبلها، ويفصّلها بالمعتقلين وأسمائهم وجرائمهم، والأَسْرَى ومِللِهِم وأجناسِهِم؛ ويضيف إليها ما لعله تجدد عنده من معتقل أو أسير، ويفدلك عليها، ثم يذكر من أفرج عنه؛ إما بمقتضى المراسيم «فيدكر تواريخها وأسماء من حضرت على يده، ومن تسلّم المعتقل» وإما بالهداية الى دين الإسلام من الأَسْرَى «فيدكر أسم المهتدى وجنسه، ومن أى الملل كان، وتاريخ إسلامه والإفراج عنه، أو من فؤدى به، أو من تسحب^(١)، أو من هلك بالموت بعد اعتبار ما يجب اعتباره في الهالك؛ ويستقرّ بالجملة بعد ذلك؛ واستقرار الجملة هو الحاصل.

٥٨

وأما سِياقة الكِرَاع^(٢) - فهي سِياقةٌ تشتمل على الخيل والجمال والدواب والأبقار والأغنام؛ وصورتها أن يوصَلَ الكتّابُ ما انساق عنده حاصلا آخر السِياقة التي قبلها؛ ويضيف [الى] ذلك ما لعله آتباعه بتواريخه وأسماء من آتبع منهم، وما لعله نتيج، وما لعله اجتذب؛ ويفدلك على ذلك؛ ثم يذكر بعد ذلك ما باعه من عرض الجملة وما نفق وتنبّل ودكى؛ ويستقرّ بالجملة على ما استقرّ من حيوان وجلود وشمّ، ويصرف وينقل ما لعله صرفه أو نقله، ويسوق الى الحاصل.

١٥ (١) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٨٢ من هذا السفر.

(٢) الظاهر أن إطلاق الكِرَاع على الدواب التي ذكرها إطلاق اصطلاحى نان في كتب اللغة التي بين أيدينا أن الكِرَاع اسم يجمع الخيل؛ ولم نقف على أنه يطلق على الجمال والأبقار والأغنام ويدل على أن هذا الإطلاق من مصطلحات الكتّاب أن الخوارزمي ذكره في كتاب مفاتيح العلوم ص ٥٩ طبع أوربا في الكلام على مواضع كتاب ديوان الخراج.

٢٠ (٣) عبارة الأصل: «ويصيب ذلك» وفيها تحريف ونقص؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا.
(٤) نفق، أى مات.

(٥) فى الأصل: «تنبل»؛ وهو تصحيف؛ وتنبّل بالبناء للجھول، أى اختير، يقال: فلان تنبّل، أى يأخذ الأنبل فالأنبل؛ والمراد ما يختار من المواشى للقنية. (٦) دكى، أى ذبح.

ويحتاج المباشر لذلك الى ملاحظة أحوال الأغنام ، ومعرفة أوقات نتاجها وما يكون منها توأمًا ، واستقبال النتاج لينضببط له نتاج النتاج .

وأما سياقة العُلوفاة ^(١) — [فصورتها] أن يوصل في صدرها ما صرفه على الكراع في المدة التي نظم لها السياقة ، ثم يفصل ذلك كلِّ صنِفٍ من الكراع وعدده في الزيادة والنقص ، وما صرفه على ذلك النوع في كلِّ مَدَّة ، في اليوم كذا في المدة كذا ، والزيادة والنقص على حَسَبِ الاتفاق ، ويراعى في ذلك ما تضمنته سِياقة الكراع ؛ وإن صرف عُلوفاةً لطاريٍّ لا يستقرُّ عنده مِيزه في التفصيل من المستقرِّ فيقول : المستقرُّ كذا ، والطارئُ كذا إضافةً إلى هذه السِياقة ؛ ولا فذلكة ، ويتجنَّب أن يصرف عُلوفاةً عن أيامِ نَقِصِ الشهور الهلالية ، وهي ستة أيام في السنة فإن ذلك من المخرِّجِ اللازم ، وكذلك أيامُ الربيع .

وأما سِياقات الأصناف والزردخاناة ^(٣) والعُدَدِ والآلاتِ والخزائنِ ^(٤) والسيارستانات — فإنه لا يمكن استيعابها لمؤلف كتاب ، وقلما جُمِلت فيما كثُر ،

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضى إثباتها ، كما يرشد إليه ما سبق في السياقين

المتين قبلها .

(٢) في الأصل : « بعض » ؛ وهو تصحيف .

(٣) الزردخاناة ، أى بيت الزرد ، وهى الدروع ؛ وفي صبح الأعشى ج ٤ ص ١١ أن هذا اللفظ ربما أطلق على السلاح خاناة ، فقد قال عند الكلام على السلاح خاناة مانصه : السلاح خاناة ومعناها بيت السلاح ؛ وربما قيل الزرد خاناة الخ .

(٤) البيارستان : لفظ فارسي استعمله العرب ، ومعناه مجمع المرضى ؛ وهذا اللفظ مؤلف من كلمتين :

« بيار » ومعناه المريض ؛ « وستان » ومعناه الموضع ؛ وأول من صنعه أبقراط ، وصماه : (أخشنادوكين)

انظر شفاء الغليل .

ولأنما تعمل فيما قل من الأصناف؛ وصفتها إذا أمكن عملها أن يوصل ما عنده من الأصناف مفصلة، ويضيف إليها ما أتباعه أو ما وصل إليه، ويفذلك على ذلك ثم يذكر بين الفذلكة واستقرار الجملة ما يرد من الأبواب: من المتقل والمستهلك وغير ذلك على كثرته؛ وإذا استقصى ما يرد بين الفذلكة واستقرار الجملة زاد على مائة باب لا يعرفها إلا أفاضل الكتاب ومن له حدق بهذه الصناعة، واختلقت مباشرته وتكررت؛ فاذا ذكر ما وقع عنده استقر حينئذ بالجملة على ما قام عليه ميزان عمله؛ ثم يخص بما يسوغ الخضم به، ويسوق إلى حاصله.

فهذه هي الختم والتوالي والأعمال والسياقات، وهي شواهد الأرتفاع.

وأما الأرتفاع — فهو العمل الجامع الشامل لكل عمل؛ وصورة وضعه أن يشرح الكاتب في صدره بعد البسملة ما مثله: عمل بما اشتمل عليه أرتفاع المعاملة الفلانية لمدة سنة كاملة، أو لها المحترم سنة كذا وكذا، وآخرها سأنخ ذى الحجة منها، مما أعتمد في إيراد ذلك الهلالى والجوالى للسنة المذكورة، والخراجى والأقصاب لسنة كذا وكذا الخراجية، مضافا إلى ذلك ما وجبت إضافته، مفذلكا عليه، وما استقرت عليه الجملة، مخصوما مساقا إلى حاصل، وما أعتد به محسوبا إن كان، وما أشتمت عليه فذلكة الواصل، وما أنساق إلى الباقي والموقوف في المدة؛ ويذكر أسماء المباشرين كما قدمناه في الختمة؛ وإن انفصل أحد من المباشرين

(١) في الأصل: « من النقل » بصيغة المصدر، والسياق يقتضى ما أثبتنا كما يقتضيه قوله بعد: « والمستهلك » ولم يقل: « والاستهلاك » ويرشد الى ذلك أيضا ما أتى بعد في صفحة ٢٨٨ سطر ١٢ إذ قال: « والمتقل من سنة الى سنة » الخ.

(٢) تقدم تفسير المعاملة في الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٨١ من هذا السفر، فانظره.

(٣) في الأصل: « مخصوصا » وهو تحريف؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا.

في أسماء تلك السنة وبأشْرَ آخرُ بعده قال : بمباشرة فلانٍ الى آخر المدة الفلانيّة
وفلانٍ بعده الى آخر المدة ؛ ويقول في صدره عن يسرة نصف القائمة : ما مبالغه من
الذهب كذا ، ومن الدراهم كذا ، ومن الغلات كذا ، ومن الأقصاب كذا ، ومن
الأصناف كذا ، ومن الكراع كذا ؛ يفصل ذلك بسنيه ، ثم يأخذ في تفصيل كلِّ مال
بجهاته ، فيبدأ بمال الهلاليّ ، يذكُر كلَّ جهة ، وأسمَ مسأجرها أو ضامنها ، وأستقبال
عقد إجارتها أو تقريره ، ويوجب عليه في الشهر وفي السنة ، الى أن يستوعب أبواب
الهلاليّ ، ويشطب في مسودته التي ينظمها لنفسه قبالة كلِّ جهة ما أستخرجه بمقتضى
ختمات المستخرج ليقوم له ميزان كلِّ جهة في الباقي والفائض ؛ ولا يلزمه هذا العمل
في الحساب المرفوع منه ؛ فاذا انتهت أبواب الهلاليّ ذكر الجواليّ وأعتد فيها
كذلك ؛ ثم يذكُر الخراجيّ ، ويفصله بأقلامه وجهاته مستقصى واضحا جليلا ، ويعتمد
من الشطب قبالة كلِّ جهة ما تقدّم شرحه ؛ فاذا تحزرت له جهات الأصول قال :
وأضيف الى ذلك ما وجبت إضافته ؛ ويعقد على المضاف جملة ، ويذكُر أبوابه
يبدأ فيها بالحاصل والباقي المساقين آخر العمل الذي قبله ، ويعقد عليهما جملة ، ثم
يقول : الحاصل كذا ، والباقي كذا ؛ ويفصل ما أمكن تفصيله من الحاصل بسنيه
ويفصل الباقي بجهاته وأسماء أربابه وسنيه وأسماء مباشريه إن أمكن ، ويشطب
في مسودته قبالة كلِّ أسم ما لعلة أستخرجه من عرض ما هو عليه كما تقدّم ؛ ثم
يذكُر جهات مضاف السنة الحاضرة ، يبدأ بما هو مستقر من الأموال التي ترد
[في] جهات المضاف ، ويشطب قبالة كلِّ أسم ما تقدّم بيانه ؛ ثم يذكُر بعد ذلك
ما لعلة وصل اليه أو أعتد به : من الأموال والغلال على اختلافها ، وأثمان المبيعات

٢٠ (١) في الأصل : « القابض » ؛ وهو تصحيف ؛ وقد تقدّم شرح « الفائض » في الحاشية رقم ١
من صفحة ٢٨١ . (٢) في الأصل : « المساق » بصيغة المفرد ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

(١) والمواريث الحشرية والمجذبات والجنائيات والتأديبات والقروض والأصناف المتبعة، يستقصى أبواب المضاف على حسب ما ورد عنده منها في طول السنة بمقتضى ما ورد في الشواهد التي ذكرناها بحيث لا يخل منها بشيء .

ومن أبواب المضاف ما يضاف بالقلم — ولا أصل له، بل يتكلمه الكاتب على نفسه في حسابه لينطرد نظيره الى الباقي، ويقوم به الميزان، وهو نظير التقاوى والقروض؛ وكُتاب الشأم يفعلون ذلك دون كُتاب الديار المصرية، وهم على الصواب في إيراده، لأن الكاتب اذا أورد نظير التقاوى والقروض أنطرد له الى الباقي نظير ذلك، وصح ميزان العمل، فإنه لا يمكن أن ينطرد الى الباقي إلا بإضافة نظيره، فاذا أنطرد الى الباقي وجب إيراده [في] المضاف في السنة الثانية وما بعدها الى أن يُستخرج ويحصّل؛ وكُتاب مصر يقتصرون في ذلك على أعمال التقاوى (٢) والقروض؛ والتحريراً ما يورد كُتاب الشأم في ذلك .

ومن وجوه المضاف الغربية : المستعاد نظير المعاد، مثال ذلك أن يكون المباشر أحال ربّ استحقاق على ضامن جهةٍ مبلغ بمقتضى وصولٍ أجراه (٣)

(١) تقدّم تفسير الموارث الحشرية في الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٠٩ نقلاً عن صحیح الأعشى فانظره؛ وقال المقرئ في خطه (ج ٢ ص ١١٠) طبع المعهد العلمي الفرنسي أنها هي التي يستحقها بيت المال عند عدم الوارث؛ وقال قبل ذلك: إنها في الدولة الفاطمية لم تكن كما هي اليوم من أجل أن مذهبهم توريث ذوى الأرحام، وأن البنات اذا انفردت استحققت المال بأجمعه، فلها انقضت أيامهم واستولت الدولة الأيوبية ثم الدولة التركية صار من جملة أموال السلطان مال الموارث الحشرية الخ .

(٢) التقاوى من الحبوب: ما يعزل لأجل البذر؛ وهي عامية .

(٣) الوصول بصيغة المصدر: هو البطاقة المعروفة عندنا بالإيصال؛ وقد سبق في الحاشية رقم ٤ من صفحة ٢٣١ من هذا السفر أن هذه الكلمة مولدة عامية انظر شفاء الغليل .

واعتدَّ به لضمان تلك الجهة ، واعتدَّ على ربِّ الاستحقاق بمبلغه ، وقطع الباقي والمتأخَّر بعده ، وصدر حسابه بذلك ، فأعيد عليه وُصوله في أثناء السنة الثانية فمثل هذا تجب إضافته وإضافة نظيره ، فيكون خصمُ إضافته الأولى المعاد على الضامن ، وخصمُ الثانية الباقي المساق ، ويكفل ربُّ الاستحقاق نظير ذلك المبلغ في محاسبته — على ما يأتي بيانه في المحاسبات ، فإذا استوعب ما ورد عنده من أبواب المضاف فذلك على ذلك فيقول: فذلك الأصل وما أُضيف إليه ، ويعقد على الفذلكة جملةً ، ومعناها أن يضمَّ ما عقد عليه الجملة في صدر الارتفاع الى ما عقد عليه جملة المصاريف ، فتشتمل الفذلكة على الجملتين ، ويفصل ذلك عينا وعلَّة وأصنافا وكواعا على ما تقدّم ، ويفصل ما هو متميّز بسنّيه ؛ وما لم يتميّز كالحواصل من العين والكراع وغير ذلك يقول فيه : ما لم يتميّز بسنة ؛ ويشرحه ؛ ثم يذكر الأبواب التي ترد بين الفذلكة وأستقرار الجملة على اختلافها بحسب ما وقع عنده منها ، يبدأ بالصرف من نقد إلى نقد ، والمبدل من صنف إلى صنف ، والمتنقل من سنة إلى سنة ، ومن كيل إلى كيل ومن وزن إلى وزن ، ومن عدد إلى وزن ، ومن وزن إلى عدد ، ومن صفة إلى صفة وما وقع من مبيع ومُثمن ونافق ومستهلك ، وغير ذلك ؛ وقد جمع بعض فضلاء الكتاب جميع ذلك وأختصره في لفظتين فقال : هو عبارة عن منقول ومعدوم ؛ وإذا نظرت إلى حقيقة هاتين اللفظتين وجدت جميع هذه الأبواب وإن كثرت مندرجة فيها ، كما أن جميع الكلام لا يتعدى أن يكون أسما أو فعلا أو حرفا ؛ فإذا انتهت هذه الأبواب قال : واستقرت الجملة بعد ذلك على ... ويذكر ما استقرت عليه الجملة بمقتضى

(١) في الأصل : « فاعتدَّ » ؛ وهو تصحيف ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

(٢) انظر الحاشية رقم ٤ من صفحة ٢٨٣ من هذا السفر .

(٣) في الأصل : « عنها » ؛ واللغة تقتضى ما أثبتنا .

قيام ميزانه، ويفصله بسنيه، ثم يقول: أستخرج من ذلك وتحصل... ويذكر
المستخرج بمقتضى الحتم، فيشرح ما استقرت عليه جملة الختم الأولى، وما أشتمت
عليه فذلكمها بعد وضع الحاصل من الجهة الثانية وما بعدها لئلا يتكرر عليه؛
ويحصل بمقتضى الأعمال والتوالي والسياقات على هذا الحكم؛ ويفصل المستخرج
والمتحصل بسنيه، ثم يخصم ما أستخرجه وحصله، فيبدأ في الخصم بالحمل من
الأموال، والحمول من الغلال والأصناف، والمساق من الكراع؛ ويتلوه ما لعله نقله
على معاملة أخرى مفصلاً بأبوابه ومعقود الجملة على كل باب فيها؛ فإذا تكامل
له الخصم في العين والغلة والمواشي والأصناف ساق ما تأخر من جملة ما أستخرجه
وحصله إلى حاصل، ويفصله بالعين والغلة والصنف وغيره، فيكون ما حملة ونقله
وصرفه وساقه إلى الحاصل خصم ما أستخرجه وحصله؛ ثم يذكر بعد سياقة الحاصل
ما لعله ورد عنده من المحسوب على اختلافه: من عطلة، ويذكر أسبابها، وما لعله
ثبت من الجوائح الأرضية والسماوية بمقتضى المحاضر الشرعية إذا برزت المراسيم
بالحمل على حكمها؛ فيذكر كل جهة وأسم مستأجرها أو ضامنها، وتاريخ محضر
الجائحة، وتاريخ المرسوم بحمل الأمر على حكمه، وجملة المبلغ المتروك بسبب
ذلك، وما لعله سوح به من البواقي المسافة، وغير ذلك مما هو داخل في باب

(١) لعل صوابه: « من الختم » كما يرشد إليه السياق .

(٢) ذكر « على » مكان « الى » مع أن الفعل قبلها يقتضيه لإرادة المعنى السابق في الحاشية
رقم ٦ من صفحة ٢٧٥، فانظره .

(٣) في الأصل: « عنه »؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا كما يرشد إليه التعبير بذلك في السطر
الخامس من صفحة ٢٨٨، فانظره .

(٤) عبارة الأصل: « ثبت من الجوائح الأصلية »؛ وهو تحريف في الكلمات الثلاث؛ والسياق
يقتضى ما أثبتنا؛ ويرشد إلى ذلك ما سبق في صفحة ٢٣٢ س ١٢ من هذا السفر، فانظره .

(٥) ينسب إلى السماء فيقال: « سماءى » على لفظها، و« سماوى » بالواو اعتباراً بالأصل (المصباح) .

(٦) انظر تفسير المحضر في الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٥٥ من هذا السفر .

المحسوب ؛ وسائر المسامحات ترد بعد سياقة الحاصل ، وترد في أماكن نذكرها بعد إن شاء الله تعالى ؛ فإذا استوعب الكاتب جملة ما عنده من المحسوب في بابه قال بعد ذلك : فتلك جملة المستخرج والمتحصّل والمحسوب ؛ ويعقد عليه جملة يفصلها بسننها وأقلامها ؛ ويسمّون هذه الفذلكة فذلكة الواصل ؛ وما بقى بعد ذلك مما استقرت عليه أجملة بعد هذه الفذلكة تعيّن سياقته إلى الباقي والموقوف ، فيطرده باقيا وموقوفا ، أو باقيا بغير موقوف ، معقود أجملة ، مفصّلا بالسنين والجهات والأسماء والمباشرات ، ويميّز ما يرجى استخلاصه وتحصيله منه وما لا يرجى ؛ وما آنعقد عليه الباقي والموقوف وأشتملت عليه فذلكة الواصل هو خضم ما استقرت عليه جملة الأرتفاع .

١٠. وأما الحواصل المعدومة المساقاة بالأقلام — ولا حقيقة لوجودها ، وإنما يُوردها الكتاب حفظا لذكرها ، كالحواصل المسروقة والمنهوبة — فإنه إذا رُسم بالمساحة بها فقد اختلفت آراء الكتاب في إيرادها على وجوه كثيرة : منها ما يسوغ ، ومنها ما لا يجوز فعله ، ونحن نذكر أقوالهم وطرفهم في ذلك ، ونوضح ما يجوز منها وما لا يجوز ، ونذكر ما ينبغي أن يُسلّك فيها : فن الكتاب من يرى أن ينقل هذا الحاصل بين الفذلكة واستقرار أجملة من الحاصل إلى الباقي ، ولا يورده في باب المستخرج ، ويطرده إلى الباقي ، ويورده في باب المسموح بعد سياقته الحاصل ؛ وهذا لا يجوز ، وفي إيراده على هذا الوجه غلط وسوء صناعة ، لأن الحاصل لا يجوز نقله إلى الباقي ، والباقي أيضا ، فلا بد أن يكون باسم إنسان أو أناس ، فإن ساقه باقيا باسم مباشره فقد أتى بغير الواقع ، وعرض المباشرة إلى الغرامة ، ولا يفيد ، إذ مرسوم المساحة يتضمّن المساحة بحاصل معدوم ، وقد أنتقل هذا من تسمية ^(١) الحاصل إلى الباقي .

(١) في الأصل : « إذا » ؛ وما أثبتناه هو مقتضى اللغة .

(١) ومن الكتاب من يرى استثناءه من جملة المستخرج، ثم يورده أيضا [في] باب المسموح؛ وفي هذا أيضا ما فيه من نقله من الحاصل إلى غيره تسمية، فإنه لا عبرة عند ذلك بتسميته ولا بنسبته إلى الباقي والموقوف؛ وإن نُقل فلا يجوز، لأن الحواصل لا يجوز نقلها إلى تسمية أخرى ألبتة؛ فهذه الوجوه لا تجوز في صناعة الكتابة .

(٢) وأما الذي يجوز في هذا فوجوه : منها أن يكمله الكاتب في باب المستخرج من ذلك، ويخصم إلى نهاية المصروف، ويقول قبل سياقة الحاصل : ما نُقل رسم بالمساحة به عن الحاصل المعدوم المساق بالقلم حفظا لذكره، بمقتضى مرسوم تاريخه كذا؛ ويشرح مقاصد المرسوم، وسبب عدم الحاصل، وجملة؛ ويكتفي بذلك عن إيراده في باب المسموح؛ ويعقد جملة الخصم على الحمل والمصروف والمسموح به .

ومنها أنه إذا ساق الحاصل بعد الحمل والمصروف يقول : من جملة كذا بعد مأمته ما سوح به عن الحاصل المعدوم والمساق بالقلم؛ ويشرح ما تقدم، ويبرز بالحاصل بعد ذلك .

(٥) ومنها أن يستثنيه عند ذكر المضاف، فيقول عند إضافة الحاصل ما صورته! الحاصل المساق إلى آخر السنة الحالية من جملة كذا بعد مأمته ما عدم في تاريخ كذا

(١) في الأصل : « فان » ؛ وهو تحريف .

(٢) في الأصل : « فرجوة » ؛ وهو تحريف .

(٣) عبارة الأصل : « تاريخ مرسومه » ؛ وفي هاتين الكلمتين تقديم وتأخير لا يستقيم بهما المعنى ويرشد إلى ما أثبتنا ما يأتي في السطر الأتول والثاني من صفحة ٢٩٢ ، فانظره .

(٤) في الأصل : « والموصوف » ؛ وهو تحريف .

(٥) في الأصل : « عن » ؛ والسياق يقتضي ما أثبتنا ، كما يرشد إليه قوله بعد : « فيقول عند » الخ .

وورد في سياقات الحاصل حفظا لذكره، ورُسم بالمساحة به بمقتضى مرسوم شريف تاريخه كذا؛ ويعين جملة المسموح به، وهي جملة المعدوم، ويبرز بما بقي، ويستثنيه أيضا من المستخرج عندما يستشهد بالحتم والتوالي والأعمال.

فهذه صورة نظم الارتفاع وشواهد التي قدمناها قبله، والارتفاع هو جُل العمل، وقاعدة الكتابة، والجامع لسائر ما يرد في المعاملة.

وإن انفصل الكاتب أثناء السنة لزمه أن ينظم لما مضى من السنة في مباشرته حسابا يسمونه بالشام الملتخص، وبمصر التالي، وهو نظير الارتفاع في نظمه، إلا أنه يكون لما دون السنة، والملتخص عند المصريين هو الارتفاع، ويلزم الكاتب المباشر بعده عمل ملتخص أو تال يتلوه لما بقي من المدة، ثم يعمل جامعة على الملتخصين أو التاليين، وهما شاهداها^(٢)، ويستغنى الكاتب في إيراد المستخرج والمتحصل والمصروف عن الاستشهاد بالحتم والتوالي والأعمال، ويستشهد بهذين الملتخصين فيقول: ما تضمنه ملتخص مدة كذا وكذا [كذا]^(٣) وما تضمنه ملتخص مدة كذا وكذا كذا، وقد تكون الملتخصات أكثر من اثنين بحسب الاستبدال بالأعمال^(٤).

١٥ (١) في الأصل: «و»؛ والسياق يقتضى العطف «بأر» كما أثبتنا.

(٢) في الأصل: «شواهدا»؛ وقواعد اللغة تقتضى ما أثبتنا؛ إذ به تحصل المطابقة بين المبتدا والخبر.

(٣) هذه الكلمة ساقطة من الأصل، والسياق يقتضى إثباتها كما يرشد الى ذلك ورودها في الجملة التي بعدها.

٢٠ (٤) الظاهر أن الباء هنا بمعنى «في» الظرفية، أى بحسب استبدال العمال بعضهم ببعض في الأعمال.

ومما يلزم الكتّاب رفعه المحاسبات — وتختلف :

فمنها محاسبة أرباب النقود الخيشية والميكيات والجاميكات^(١) وأجرايات ،
وأرباب الوظائف والرواتب والضّلات عما هو مستقر مشاهرة أو مساهمة ؛ وهذه
المحاسبة تنظم من أجرة الميسوطة على أسمائهم ، المشتملة على كمية استحقاقاتهم ،
المشطوبة بقبوضهم ؛ وصورة عملها أن يقول الكتّاب : محاسبة لأرباب النقد والميكيل
والقرارات والجاميكات والرواتب والضّلات بالمعاملة الفلانية لأستقبال مدة كذا ،
وإلى آخر كذا ؛ ويعقد جملة صدرها على ما يستحق لهم في تلك المدة المعينة من عين
وغلة وأصناف ، ويضيف إلى تلك الجملة ما تأخر لهم إلى آخر المدة التي قبلها ،
ويفذلك على ذلك ، ويقبضهم ما صرفه لهم بمقتضى ختم المدة وأعمالها وتواليها ،
ويعتد عليهم بما لعله أنساق فائضا على من قبض منهم زيادة على استحقاقه في المدة
التي قبلها ، ثم يطرد ما أنساق لهم إلى متأخر ، وما أنساق عليهم إلى فائض ، ثم يفصل
ذلك بالأسماء ، فيضع الأسماء ويذكره وأستحقاقه في الشهر وعن المدة ، ويضيف
إليه ما لعله تأخر له إن كان ، ويفذلك عليه ، ويخصم بقبضه ، ويسوق إلى متأخر
إن بقي له ، أو فائضا إن زاد قبضه على استحقاقه ؛ ومن كان منهم قد تعجل قبل تلك
المدة زيادة على استحقاقه أستحق له ما وجب له في المدة ، وأعتد عليه بما أنساق
فائضا ؛ وما لعله صرفه له في تلك المدة يسوقه إلى متأخر أو فائض ، يفعل ذلك
في جميع الأسماء .

(١) قد سبق تفسير الجاميكات في الحاشية رقم ٨ من صفحة ٢٠٥ ، فانظره .

(٢) الظاهر أنه يريد بالقرارات : الاستحقاقات ؛ وقد ورد لفظ «القرار» في كتاب قوانين الدواوين
صفحة ٢٠ سطر ٢٦ مرادا به هذا المعنى أخذا من سياق العبارة التي ورد فيها ، فانظره .

(٣) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٨١ من هذا السفر .

(٤) في الأصل : «ويسوقه» ؛ والواو زيادة من النسخ فإن السياق يأبأها .

وهذه المحاسبة إذا كان الكاتب مستمرَّ المباشرة عمَلها لسنة، وإن انفصل قبل
استكمال السنة أو أقترحها مقترحاً عليه لزمه عملها؛ والله أعلم .

ومنها محاسبات أرباب الأجر والاستعمالات^(٢)، ويعتمد الكاتب فيها
نظير تلك، إلا أنه لا يُستحق لكل نفرٍ إلا بمقدار عمله، ويضيف إليه ما تأخر له
ويفدك عليه، ويخصمه بالقبض والأعداد بالأسلف إن كان؛ وهذه المحاسبة
على منوال تلك، إلا أنها تعمل بمفردها .

ومما يلزم الكاتب رفعه ضريبة أصول الأموال ومضافاتها
عن كل سنة كاملة، يدكر فيها كل جهة من جهات الهلالي، وأسم
مستأجرها أو ضامنها، ومبلغ إيجارها أو تقرير ضمانها مشاهرةً ومسانهة، واستقبال
العقد، وتاريخ الحجّة المكتتبه به، ويشطب قبالتها أسماء كفلاء^(٥) ضامن الجهة؛
ويذكر الجوالى ويفصلها بالأسماء والمثلل، ويفصل الخراجى بجهاته وأقلامه،
والأحكار بأسماء أربابها؛ وإن كان بتلك المعاملة شئ من نواحى الخاص^(٦)

(١) فى الأصل: «اثبات»؛ وهو تحريف؛ ولعل صوابه ما أثبتنا كما يرشد إليه ما سبق فى صفحة ٢٩٣

سطر ٢ من هذا السفر .

(٢) لعل صوابه «والعمالات» بضم العين، كما يقتضيه عطفه على الأجر؛ والعمالة: ما يأخذه العامل

من الأجر على عمله .

(٣) انظر الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٧٤ من هذا السفر .

(٤) الظاهر أن المراد بالشطب هنا ما سبق بيانه فى الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر

فانظره .

(٥) فى الأصل: «لغلا»، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا، فإنه لا بد لضمن كل جهة من كفيل

يكفل بما عليه من المال كما سبق ذلك فى صفحة ٢٢٩ من هذا السفر، فانظره .

(٦) تقدم تفسير المعاملة فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٨١، فانظره .

ذَكَرَ كُلَّ نَاحِيَةٍ ، وَأَسَمَ رَئِيسَهَا ، وَحُدُودَهَا وَعَدَّةَ فُؤْدِنِهَا الرُّومِيَّةِ وَالكَادِيَّةِ وَالْعَاطِلَةَ ،
 وَأَسْمَاءَ مِنْ بَهَا مِنَ الْفَلَاحِينَ الْقَرَارِيَّةِ ، وَمَا يُبَدِّرُهُ كُلَّ فِدَانٍ مِنَ الشَّتْوَى وَالصَّيْفَى ،
 وَرَبْعَهُ فِي الثَّلَاثِ سِنِينَ الْمَقْبِلَةِ وَالْمَتَوَسِّطَةِ وَالْمَجْدِبَةِ ، وَشُرُوطَ الْمَقَاسِمَةِ ، وَمَا عَلَى كُلِّ
 فِدَانٍ مِنَ الْحَقُوقِ وَالرُّسُومِ ، وَمَا بَهَا مِنَ الْمَطْلَقِ ، وَمَا فِيهَا مِنْ جِهَاتِ الْعَيْنِ
 وَمَا عَلَيْهَا مِنْ الْخِدْمِ وَالضِّيَافَاتِ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ مَعَالِمِهَا بِحَيْثُ لَا يَجِلُّ بَشْيَءٌ مِنْ
 جَمِيعِ أَحْوَالِ الْقَرْيَةِ ، بَلْ يُوَضِّحُهَا إِضْحَاحًا شَافِيًا كَافِيًا حَتَّى يَعْلَمَ الْغَائِبُ عَنْهَا جَلِيَّةً
 أَمْرَهَا كَالْحَاضِرِ فِيهَا .

فَإِذَا تَكَامَلَ ذَكَرُ جِهَاتِ الْأَصْلِ فِي هَذِهِ الضَّرِيَّةِ ذَكَرَ جِهَاتِ الْمُضَافِ الرَّابِتَةِ
 كَالْخِدْمِ وَمَا يَنَاسِبُهَا ، وَذَكَرَ فِي آخِرِهَا مَا تُتَعَيَّنُ إِضَافَتُهُ مِنَ الْمَتَوَقَّرِ مِنَ الْعَيْنِ وَالغَلَّةِ
 عَلَى اخْتِلَافِ ضَرَائِبِهِ ؛ وَهَذِهِ الْقَوَاعِدُ تَكُونُ فِي ضِيَاعِ الشَّامِ .

(١) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٤٧ من هذا السفر .

(٢) لم نجد للفظ الرومية معنى يناسب سياق الكلام ، ولعل صوابه : « الردمية » بفتح فسكون ،
 أى الأرض التى فيها الردم ، وهو تراب يكون من الطين الذى يأتى به النيل عند فيضانه فى كل سنة ، وهو
 مخصب للأرض ومصلح لزرعها ؛ واستعمال هذا اللفظ فى ذلك شائع بين العامة فى مصر ؛ والذى فى كتب
 اللغة أن الردم هو ما يسقط من الجدار المتهدم .

(٣) فى الأصل : « الكادنة » ، وهو تحريف ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا ؛ والكادية من الأرض :
 التى يبطى نباتها .

(٤) القرارية ، أى المقيمون ، نسبة الى القرار .

(٥) فى الأصل : « المعتلة » وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق ؛ ويريد بالمقبلة
 السنة التى تقبل بالنبات ، أى تجىء به .

(٦) تقدم بيان المراد بالخدم فى ص ٢٤٥ من هذا السفر ، فانظره .

(٧) هذه الكلمة فى الأصل ناقص بعض حروفها ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

ويلزمه رفع المؤامرات - وتسمى ضرائب المستقر إطلاقاً - وهي تستعمل على أسماء من هو مرتب على تلك المعاملة : من رب نقد ومكيل ومقرّر وصدقة،^(١) يذكر اسم كل واحد واستحقاقه مشاهرة ومسانة، ويعقد على ذلك جملة في صدر المؤامرة مشاهرة ومسانة، فإن كان في حصى ذكر في صدر الأوراق عدة أرباب الاستحقاقات، ثم يفصلهم بوظائفهم وأسمائهم من الخرجية والأبجية^(٢) وغيرهم^(٣).

ويلزمه رفع ضريبة ما يستأدى من الحقوق، يذكر فيها ما يستأديه ضامن كل جهة من رسومها وحقوقها، وما لعله يستأدى بالدرّوب من الخفر،^(٤) وغير ذلك من سائر ما يستأدى من حقوق تلك المعاملة، وما لعله يقتطع من أرباب النقود والميكلات وغيرهم من الوفر والمقتطع على اختلاف الضرائب، بحيث لا يخل بشيء منها، لتعلم بذلك أحوال تلك الجهة، فلا يمكن للضمان أن يستأدوا زيادة على ذلك، لما فيه من تجديد الحوادث على الرعية.

(١) في الأصل : « ومولد » ؛ وهو تحريف ، ولعل صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٢) لم نجد من معاني هذا اللفظ ما يناسب سياق الكلام فيما راجعناه من الكتب التي بين أيدينا ، وقد سألنا بعض من لهم علم بالمصطلحات التركبية القديمة فأخبرنا أن المراد بهذه الكلمة الذين يقبضون استحقاقهم حنطة ولحما ونحو ذلك من المأكولات ؛ ويرجع ذلك عطف الأبجية عليه .

(٣) المراد بالأبجية الذين يقبضون استحقاقهم نقوداً ، وهو نسبة إلى الأبجة ، وهو لفظ تركي يراد به نوع من النقود ، كما في معجمات هذه اللغة . والذي في الأصل : « والأبجة » بدون ياء النسبة ؛ والسياق يقتضى إثباتها .

(٤) « من الخفر » بيان « لما » يريد من أجرة الخفر ، وهو الحراسة .

ومما يلزمه رفعه في كل سنة تقدير الأرتفاع — وهو الأرتفاع بعينه إلا أنه لا يضيف فيه حاصلًا ولا باقيا، ولا يفصل فيه الجوالى بالأسماء، بل يعقد الجملة في صدره على ما يستحق بتلك المعاملة من جهات الأصول والمضامف، ويخصم بالمرتب عليها عن سنة كاملة، ويسوقه إلى خالص أو فائض، ليظهر بذلك ميزان تلك الجهة .

هذا ما يلزم المباشر رفعه مشاهرةً ومسانهةً .

ويلزمه في كل ثلاث سنين رفع الكشوف الجيشية، يذكر فيها أسماء النواحي العامرة والغامرة، والفُدن الكادية^(٢) والعاطلة وما تقدم شرحه في الضريبة: من ذكر البدار والربيع والشروط والمطلق وغيره؛ ثم يذكر المتحصّل منها في ثلاث سنين ثلاث مغلات، يعقد على ذلك جملة، ويفصله بسنيه وأقلامه، ولا يخل بشيء مما بكل ناحية من الحقوق الديوانية والإقطاعية، ويعقد في صدر الكشف جملة على عادة النواحي وعدة الفُدن، وجملة جهات العين والغلة، مفصلا بالمعاملات؛ هذه هي الحسابات اللازمة .

وأما المقترحات — فلا يمكن ضبطها، إلا أنه مهما أقتراح مما يكون سائغ الاقتراح ممكن العمل لزم الكاتب عمله .

وحيث آتينا إلى هذه الغاية فلنذكر أرباب الوظائف .

(١) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٨١ من هذا السفر .

(٢) في الأصل : « الكادنة » ، وهو تحريف ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق ؛

وقد تقدم تفسير الكادية في الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٩٥ من هذا السفر .

ذكر أرباب الوظائف وما يلزم كلا منهم مع حضور رفقته ومع غيبتهم
وما يسترفعه كل مباشر عند مباشرته وما يلزمه عمله

أما المشدُّ^(١) أو المتولَّى - فالذى يحتاج إلى استرفاعه عند مباشرته ضرائبُ
أصول الأموال والمرتبُّ عليها ليعلم حال المعاملة، وما بها من الخالص، أو عليها من
الفائض؛ ويسترفع أوراقا بالحصيل والباقي والفائض والمتأخر، ليعلم أحوال الناس^(٢)
ومحاسباتهم، ويعلم ممن يطلب وإلى من يصرف؛

والذى يلزمه عمارة البلاد، وأستجلاب من نزع منها، وإقامة السطوة، وإظهار
المهابة والحرمة، وتسهيل السبل، وإقامة الخفراء عليها، وتشديد منار الشرع
الشريف، والتسوية بين القوى والضعيف؛

ويُلزمه أستخراج الأموال من سائر جهاتها ووجوهها المستحقة^(٣) في مباشرته،
والبواقي التي رُفعت إليه بعد تحقيقها بحيث لا ينطرد إلى الباقي الدرهم الفرد؛ ومتى
أنساق في مباشرته شيء لزمه؛

ويُلزمه تقرير الجنايات والتأديبات على أرباب الجرائم لتنجس بذلك موادَّ

المفسدين .

١٥

(١) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٦٢ .

(٢) في الأصل : « والمتأخر » بالجم ; وهو تصحيف .

(٣) سياق العبارة يقتضى أن المراد بالمستحقة هنا ، المطلوبة منها الحقوق ، يقال : « استحقه »

إذا طلب منه حقه انظر لسان العرب .

(٤) في الأصل : « الجبايات » بالباء ، وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

وأما الناظر على ذلك — فيحتاج عند مباشرته الى أسترفاع ضرائب أصول الأموال ومضافاتها، والمستأدى من الحقوق، وضرائب^(١) بما أستقر إطلاقه، وأوراق الحاصل والباقي، وأوراق الفائض والمتأخر، وتقدير الأرتفاع، والكشوف الجيشية، ويطلب بمجازيم المياومة لأستقبال مباشرته، والخصم والتوالي عند مضي^(٢) المدة، والأعمال وسائر الحسابات المتقدّم ذكرها في أوقاتها، وما لعله يقترحه مما يسوغ اقتراحه ويمكن عمله؛

والذي يلزمه الاجتهاد في عمارة نواحي الخصاص، وتمييز الجهات ونموها، والنظر في أحوال المعاملات، وإزاحة أعذارها، وتقرير قواعدها، واختبار من بها من المباشرين، والكشف عن أحوالهم، وكتب كل واحد منهم بما يلزمه مباشرة^(٣) وعملا، ويتصّفح ما يرد عليه من الحسابات الصادرة عنهم؛ وينظر فيما يتجدد من أحوال المعاملات^(٤) وما يطرأ من الحوادث على اختلافها مما لا يحصره ضبط، بل هو بحسب ما يقع؛ وإنما جعلنا هذه الإشارات أمودجا يستدل بها على ما بعدها؛

ويقيّد بخطه الاستدعاءات والإفراجات والمراسيم والتوقع وغير ذلك مما جرت به العادة: من الكتابة بالمقابلة والثبوت والتجحية^(٥) والاعتماد وغير ذلك.

(١) ضرائب المستقر إطلاقه: هي التي تسمى عند الكتاب بالموامرات، كما سبق ذلك في صفحة ٢٩٦ من هذا السفر مع بيان كيفية عملها، فانظره.

(٢) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٦٠.

(٣) لعل صوابه: «وتتميتها» كما يقتضيه العطف على «تميز».

(٤) انظر الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٨١ من هذا السفر.

(٥) في الأصل: «وكشف» وهو لا يستقيم مع قوله بعد: «بما يلزمه». ولعل صوابه ما أثبتناه والمعنى أنه يكتب كل مباشر بما يلزمه من الأعمال ليسأل كل مباشر عن عمله وتكون عليه التبعة دون غيره فيما قصر فيه.

(٦) في الأصل: «التجحية»؛ وهو تحريف لا معنى له؛ وما أثبتناه هو المناسب لأصطلاحات الكتاب؛

وأما صاحب الديوان — فإنه يسترفع ما يسترفعه الناظر من المعالم خاصة، وليس [له] أن يسترفع الأرتفاعات ولا شواهداها؛ فإن استرفعها لزمه من دركها^(١) ما يلزم المستوفى؛ وهو يكتب على ما يكتب عليه الناظر، وله زيادة على ذلك: وهي الترجمة على التذاكر والاستدعاءات، والكتابة على توابع المباشرين بأخذ خطوطهم عند استخدامهم، والكتابة على محرراتهم بالتخليد، والكتابة على تذاكر المخرج والمردود الصادرة عن مستوفى العمل بأن يجيب المباشر عنهما بما يسوغ قبوله، والكتابة بقبول الجواب عند عوده إن كان سائغا، والكتابة على الحساب الصادر عن المباشرين بتخليده [في] ديوان الأستيفاء بعد أن يتصفحه وتظهر له سياقة^(٢) أوضاعه؛ وكل عمل لا يكون له صاحب ديوان قام الناظر بهذه الوظيفة إلا الكتابة بقبول الحساب.

وأما مقابل الأستيفاء — وهو بمنزلة الشاهد في ديوان الأصل — فله أن يسترفع المعالم لنفسه في كل سنة، ويسترفع نتيجة الحسابات اللازمة التي تصدر إلى الديوان العالى بالباب الشريف، ويضبط^(٣) بيامة المجلس، ويكتب على ما يكتب عليه المستوفى، ويكتب على الحسابات الواصلة من جهة المباشرين بتاريخ حضورها إلى الديوان قبل تخليدها [في] ديوان الأستيفاء، ويسد^(٤) بقلمه تواريخ التذاكر والمراسيم، ويتصفح ما يصدر عن المستوفى من المخرج والمردود

(١) الدرك: التبعة.

(٢) في الأصل: «سباغة»، وهو تصحيف.

(٣) ضبط هذا اللفظ في اللسان بضم الباء ضبطا بالقلم؛ وفي المصباح أنه من باب ضرب.

(٤) كذا ورد هذا اللفظ هنا وفي ص ٣٠٢ من ١١ من هذا السفر؛ ولم تقف على المعنى الاصطلاحى

الذى يريد تحاب الدراوين به.

ويطالب بجمَل ما ثبت منه ، ويطلب أرباب الخطوط والبُدُول بما يُستحقّ عليهم ^(١)
 ويُنيب شادّ الدواوين عنه ، ويكتب في كلّ يوم بما يطلب به ، وإذا لم يكن ^(٢)
 للديوان مقابل قام المستوفي بوظيفته . ^(٣)

وأما المستوفي — فله أن يسترفع سائر الحُسابات اللازمة ، وما تدعو إليه
 حاجته من المقترحات في المُدد الماضية والحاضرة ممّا يمكن عمله ، فإذا صار
 الحساب إليه مشمولاً بخطّ صاحب الديوان بتخليده ومؤرخاً حضوره بخطّ
 المقابل تصفّحه وأسوّق تفاصيله على جمَله أصلاً وخصماً ، وشطب ما يحتاج إلى
 شطبه — كلّ عملٍ على شواهد — ونرج وردّ ما يتعين تخريجه وردّه ،
 وكتب بذلك مطالعة تُعرض على المقابل ، فإذا وافقه عليها عُرضت على صاحب
 الديوان وكتب بالإجابة عنها ، ثم يطلب المباشر بالإجابة عمّا تجب الإجابة
 عنه ، وإضافة ما يجب إضافته ^(٤) [إلى حساب المدة التالية لتلك المدة ، وحمل ما يجب
 حملُه ، وتكون إضافته في الحساب منسوبةً إلى قلم مستدرّكه ، فإن أئخر استيفاء
 الحُسابات وشطبها وتخريج ما يُلوح فيها ومضت عليها مدة يمكن فيها العمل ، كان ^(٥)

(١) الظاهر أنه يريد بأرباب الخطوط والبُدُول : الذين يكتب لهم من السلطان ببذل شيء من الإقطاعات ونحوها . ١٥

(٢) شادّ الدواوين هو شخص يكون رفيقاً للوزير متحدثاً في استخلاص الأموال وما في معنى ذلك ؛
 والعادة أن يكون أمير عشرة . انظر صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٢ في شرح وظيفة شدّ الدواوين .

(٣) في الأصل : « عليه » ؛ والسياق يقتضي ما أثبتنا .

(٤) لم ترد هذه الكلمة في الأصل ؛ والسياق يقتضيها .

(٥) في الأصل : « ونرج » ؛ والسياق الكلام يقتضي ما أثبتنا كما يرشد إليه ما ورد في فوائيد الدواوين
 صفحة ٨ طبع مطبعة الوطن ، في الكلام على المستوفي إذ قال : « وإن ظهر أنه لم يبه على وجوب مال
 أو ارتفاع حساب أو آخر ما يجب تقديمه ، أو أهمل ما تعين تخريجه » الخ . ٢٠

ما يتعيّن فيها لازماً له إذا عُنْتُ^(١)، وإلا فتلزمه إعادة ما تناوله من الجامِكيّة عن تلك
المدّة، ويطلب من صدر عنه الحساب بما يلزمه ؛

ويتعيّن على المستوفى أنه إذا رُفِعَ إليه حسابُ معاملة تأمّل خطوطَ المباشرين^(٣)
على عاداتهم^(٤)، [و] نظر فيه بعد ذلك^(٥)، فإن تغيّرت عن العادة، فإن كان بزيادة تأكيد
فلا بأس، وإن كان بإخلال مثل أن يكتب الشاهد على الحساب بالمقابلة، وعادته
أن يكتب : «الأمر على ما شرح» يلزمه الكشف عن موجب ذلك ؛

ويلزم المستوفى ضبط مياومة المجلس، وكتابة الكشوف بخطّه والتذاكر ونسخ
المحرّرات، وتعيين الجهات لأربابها بعد كتابة الناظر بتعيين الجهة، وعليه نظم جوامع
التقدير بعد عمل موازينها وتحريرها وشطبها على التقادير الصادرة عن المباشرين
وجوامع الحواصل : من العين والغلال^(٦) والكراع^(٦) والأصناف المعدودة والموزونة
والمذروعة^(٧) والسلاح خاناه وألعدد والآلات وغير ذلك، يسد على ما أمكن سدّه
جملة، وما لا يمكن نثره أقلاماً يستشهد فيها بما رُفِعَ إليه من جهة المباشرين؛ وكذلك
يعتمد في جامعة البواقي، يعقد عليها جملة، ويفصلها بمعاملاتها وجهاتها وسنيتها وأسماء

(١) عنت بالبناء للجهول ، أى شدد عليه وأريد به العنت ، وهو المشقة .

(٢) تقدّم شرح الجامكية في الحاشية رقم ٨ من صفحة ٢٠٥ من هذا السفر، فانظره .

(٣) « تأمل خطوط المباشرين على عاداتهم » . أى نظر فيها مطابقاً لها على عاداتهم في الكتابة .

(٤) في الأصل ، « نظر » بدون واو؛ والسياق يقتضى إثباتها .

(٥) « فيه » ، أى في الحساب السابق ذكره .

(٦) الكراع : هى الدواب « انظر مفاتيح العلوم للخوازمي » ، وانظر سياقة الكراع في صفحة ٢٨٣

من هذا السفر .

(٧) المذروعة ، أى المقيسة .

مباشريها ، وما يُرجى منها وما لا يُرجى بمقتضى أوراق المباشرين ؛ وكذلك يعتمد في جامعة الفاض والمتأخر وغير ذلك من الجوامع ؛

وعليه عمل ما يُطلب من الأبواب من المقترحات والمطاولات ؛

ويلزمه عمل المقاييس وفوائد المتأخر، وغير ذلك من لوازم قلم الاستيفاء ؛
 ويلزمه محاسبات أرباب النقد والكيل المرتين على ما تعين بقلم الاستيفاء، فيحاسبهم على استحقاتهم ، ويعتد عليهم بما ثبت مما عينه لهم بقلمه ؛^(١)

ويلزمه التنبيه على خوالص المعاملات وطلبها : حملا الى بيت المال ، أو حوالته على ما يعينه بقلمه ؛

ويلزمه تخريج تفاوت المدد والمحولات وغير ذلك ؛^(٢)

ويلزمه التفريع بما يصل اليه من الحوطات الجيشية لوقته على ما جرت به العادة .^(٣)
 ووظيفة الاستيفاء كبيرة ، كثيرة الأعمال ، لا تنحصر لوازمها في كتاب ، وإنما هي بحسب الوقائع .^(٤)

فاذا انفصل المستوفى من المباشرة فليس له أن يأخذ ورقة من حسابه الذي استرفعه أو وضعه بقلمه ، ويتلقاه المباشر بعده .

(١) في الأصل : « ويعتمد » ، والميم زيادة من النسخ . ١٥

(٢) في الأصل : « جملا » بالميم ، وهو تصحيف .

(٣) « تفاوت المدد » ، أى ما توفر من الأموال عمالات من المدد ، كما يستفاد من قوانين الدواوين ص ٢٠ طبع مطبعة الوطن وقد ذكر صاحب قوانين الدواوين مثالا لذلك يوضح هذا المعنى ، فانظره .

(٤) يريد بالمحولات : الاقطاعات التي انحلت عن أصحابها ولم تقطع لآخرين .

(٥) لعل صوابه : « التعريف » . ٢٠

وأما المُشارِف — فله أن يسترفع عند مباشرته معالِم الجهة ليستعين بها على المباشرة : من ضرائب وتقادير وحاصلٍ وبقِي وفائضٍ ومتأخِّرٍ وغير ذلك ؛ وهو مطلوب بتحقيق الحواصل ، وله الختمُ عليها ؛ وهو مطلوب بنظم سائر الحُسابات اللازمة والمقترحة إن تسحب العامل أو مات ، ومع وجود العامل إن كان قد ألتم عند مباشرته العمل ؛ وتلزمه المقابلة مع العامل على الحساب الصادر عنهما ، وسياسة التعليق معه ، والكتابة على الوُصولات والحُسابات ؛ وهو مطلوب بجميع ما يُطلب به العامل من المخرَج وغيره .

وأما الشاهد — فيلزمه ضبط تعليق المياومة ، والكتابة على الوُصولات والحُسابات ؛ ومتى فُقد العامل والمُشارِف لزمه رفعُ الحساب اللازم دون المقترحات ؛ ولا بد له من جريدة مبسطة على الأصل والخصم .

وأما العامل — فقد قدّمنا ذكر ما يحتاج إليه كل مباشر من ضبط تعليق المياومة وبسط الجريدة وخدمتها في الأصل والخصم أولاً فأولاً ، والتيقظ لذلك وأن من أهمله فقد قصر في مباشرته وأخل بوظيفته ؛ والعامل أحرى بجميع ذلك ممن سواه من سائر المستخدمين ، لما هو مطلوب به من نظم الحُسابات وموقعه من

- ١٥ (١) يريد بالتقادير ، تقادير الأرتفاعات ، وقد سبق الكلام على تقدير الأرتفاع في صفحة ٢٩٧ من هذا السفر ، فانظره . والندي في الأصل : « مقادير » بالميم ؛ وهو تحريف .
- (٢) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٨٢ من هذا السفر .
- (٣) انظر الحاشية رقم ٤ من صفحة ٢٣١ من هذا السفر .
- (٤) في الأصل : « مياومة التعليق » وفي هاتين الكلمتين تقديم وتأخير وقع من الناسخ ؛ والصواب ما أثبتنا ، كما سبق في سطر ٨ من هذه الصفحة ومواقع أخرى من هذا السفر .
- ٢٠ (٥) في الأصل : « ومتوقعه » ، ولعل صوابه ما أثبتنا إذ به يستقيم الكلام .

عملِ المقترحات والأجوبة عن المخرج والمردود ، وأنه هو الملتزم^(١) لذلك دون غيره وأنه لا يلزم من سواه شيء من الأعمال مع وجوده .

وقد ذكرنا تلخيص قواعد هذه الكتابة والمباشرين وأوضاعهم ولوازمهم والأوضاع الحسابية وغير ذلك من معالم المباشرات ، مجلًا غير مفصل ، وبعضها من كل ، وقليلًا من كثير ، إذ لو استقصينا ذلك لطال ولتعدّر لأختلاف المباشرات والوقائع والأوضاع والآراء ؛ ولقد حصل الاجتماع لجماعة من مشايخ أهل هذه الصناعة ممن آخذها حرفة من مبادئ عمره إلى أن طعن في سنته ، وما منهم إلا من يُخبر أنه يستجد له^(٢) في كل وقت من أحوال المباشرات ما لم يسمع به قبل ، ولا طرأ له^(٣) فيما سلف من عمره ؛ فكيف يمكن حصر ما هو بهذه السبيل ؟ ! وفيما نبهنا عليه مقنعًا لطالب هذه الصناعة ، والعمدة فيها على الدربة والمباشرة ، وقد قيل :

ولا بد من شيخ يريك شخوصها^(٤) وإلا فنص العلم عندك ضائع

كل الجزء الثامن من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري

— رحمه الله تعالى — وبليه الجزء التاسع وأوله :

ذكر كتابة الحكم والشروط

(١) في الأصل : « بذلك » ولم نجد فيما لدينا من كتب اللغة أن « التزم » يتعدى بالباء .

(٢) « يستجد » بكسر الجيم ، أى يجدد ؛ وفي المصباح أن استجد قد يستعمل لازماً .

(٣) لم تقف فيما راجعناه من كتب اللغة على أنه يقال : « طرأ له » والذي وجدناه أنه يقال :

« طرأ عليه » ؛ ولعله ضمن « طرأ » معنى « وقع » فعذاه باللام مكان « على » .

(٤) في الأصل : « منك » ولا يستقيم الوزن به ؛ ولعله تحريف صوابه ما أثبتناه .

استدراك

راجعنا هذا الجزء بعد طبعه فبدت لنا في تفسير بعض ألفاظه معانٍ أخرى نرتجحها على ما كتبناه أولاً في حواشيه فرأينا أن نستدركها في آخره خدمة للعلم ونتميماً للفائدة .

ص ٦٠ ٩ «بنو المرزم» وكتبنا على قوله : « المرزم » ما نصه : المرزم : « من أرزم الرعد اذا اشتدّ صوته » اه

ومع صحة هذا الضبط واحتمال اللفظ لذلك التفسير المتقدم فإننا نرتجح أن يضبط : « المرزم » بكسر الميم وفتح الزاي ، وهو من نجوم المطر قال في اللسان : « المرزمان ، نجمان من نجوم المطر ، وقد يفرد » .

١٩٣ ١١ « من ضريبة وموافرة » وكتبنا على قوله : « وموافرة » ما نصه : « في الأصل : « وموافرة » بالميم ؛ وهو تحريف » اه

وقد بدا لنا بعد أن للفظ « المؤامرة » معنىً مصطلحاً عليه بين كتّاب الدواوين ، وتصح إرادته في هذا الموضع ؛ فقد ورد في مفاتيح العلوم ص ٥٦ طبع أوربا ما نصه : « المؤامرة عملٌ تُجمع فيه الأوامر الخارجة في مدة أيام الطمع ، ويوقع السلطان في آخره بإجازة ذلك ؛ وقد تُعمل المؤامرة في كل ديوان تجتمع جميع ما يحتاج إليه من استثمار واستدعاء توقيع » اه وانظر صفحة ٢٩٦ من هذا الجزء .

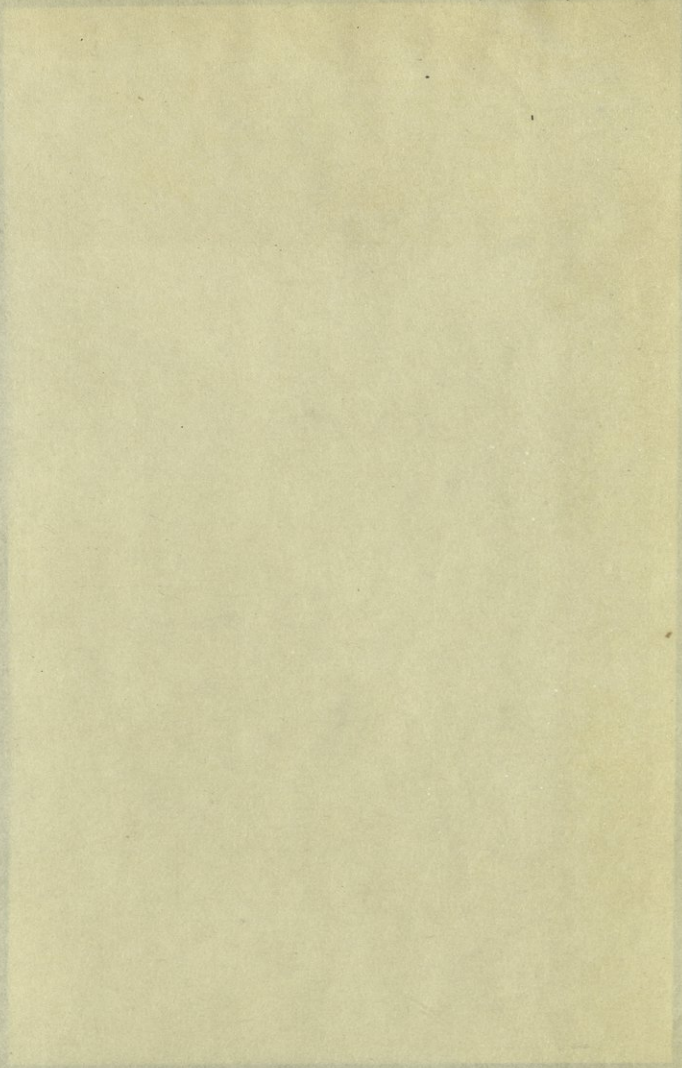
٢٠٢ ٥ « والبدول » ؛ وكتبنا على هذه الكلمة ما نصه : « كذا في الأصل ؛ ولم نجد من معاني هذه الكلمة ما يناسب سياق ما هنا » اه

ويظهر لنا أن البدول في هذا الموضع جمع بدل ؛ والمراد ما يبذله السلطان من الإقطاعات لخواصه وأجناده ؛ وقد نهنا على هذا المعنى في الحاشية رقم ١ من صفحة ٣٠١ ، فانظره .

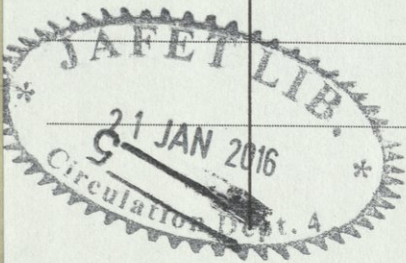
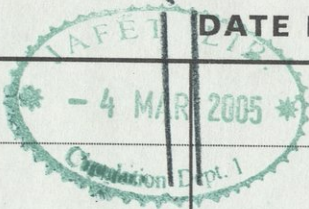
- ص ٢٠٢ ٨ «مقبلة» وكتبنا على هذه الكلمة ما نصه : «في الأصل : «مقبلة» ، وفيه قلب صوابه ما أثبتنا كما يرشد اليه عطف المتوسطة والمجدبة عليه الخ .»
- ومع جواز ما اخترناه واستقامة الكلام به فقد بدا لنا أنه يصح أن يراد بقوله : «مقبلة» ، السنة التي تقبل بالنبات ، أي تجيء به . وقد ذكرنا هذا المعنى في الحاشية رقم ٥ من صفحة ٢٩٥ ، فانظره .
- ٢٠٣ ١ «ويحتاج الى أن يتعاهد مباشرة المعاملات» ولم نفسر لفظ المعاملات في هذا الموضوع ، وقد فسره في الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٨١ ، فانظره .
- ٢٠٤ ١٣ كلمة «الزردكشية» وكتبنا عن هذه الكلمة ما نصه : «الزردكشية» هم لابسو الدروع ؛ وكش باللغة الفارسية معناه لابس انظر المعجم الفارسي الإنجليزي تأليف ستاين جاس مادة (كشيدن) .
- هذا ما كتبناه في تفسير هذا اللفظ ؛ وقد وقفنا بعد ذلك على أنهم يريدون بالزردكشية : صانعو الزرد والأسلحة انظر صبح الأعشى ج ٤ ص ١٢
- ونحن نرجح هذا المعنى وتوثره على الأول .
- ٢٢٩ ٣ قوله : «فإن تعذر فالوجه» وكتبنا في تفسير هذه العبارة ما نصه : «الظاهر أنه يريد بالوجه هنا : الحاء ، أي إن تعذر الكفيل ذو المال والغنى قبلت الكفالة بذى ا.هـ وإن لم يكن غنيا» اهـ وقد بدا لنا بعد ذلك في تفسير هذه العبارة معنى آخر نرجحه على الأول ، وهو أن الكفالة بالوجه هي أن يضمن الكافل إحضار المكفول بوجهه ، أي بذاته ، إذا طلب منه أن يحضره ؛ فمعنى العبارة إذن أنه إن تعذر الكفيل بالمال قبلت الكفالة بأن يحضر الكافل شخص المكفول .

إصلاح خطأ

صواب	خطأ	ص	س
ذَكَأ	ذُكِرَ	٤٦	١٤
حَاضِرُهُ، أَى سَابِقَهُ	حَاضِرَةٌ أَى سَابِقَةٌ	٦١	٢٢
الْفَضْل	التَّفْضُل	«	«
وَنَرَجُو	وَنَرَجُوا	١٢٣	١
وَنَرَجُو	وَنَرَجُوا	١٢٨	٥
كَانَ صَحِيحٌ	كَانَ كَانَ صَحِيحٌ	١٣٢	١٦
نَرَجُو	نَرَجُوا	١٣٣	٥
إِنَّ	أَنَّ	١٤٤	١٨
أَتَارِكٌ	أَتَارِكٌ	١٦٥	١٣
الرِّضَا	الرِّضَى	١٨٧	٢
وَالزَّرْدُ كَاشِيَةٌ	وَالزَّرْدُ كَشِيَّةٌ	٢٠٤	١٣
وَأَقْدَرُ	وَأَقْدَرُ	٢٠٨	٢



DATE DUE



892.78:N98nA:v.8:c.1

النويرى، ابو العباس احمد بن عبد الوه
نهاية الارب في فنون الادب

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01045268

American University of Beirut



892.78

N98 nA

v.8

General Library

